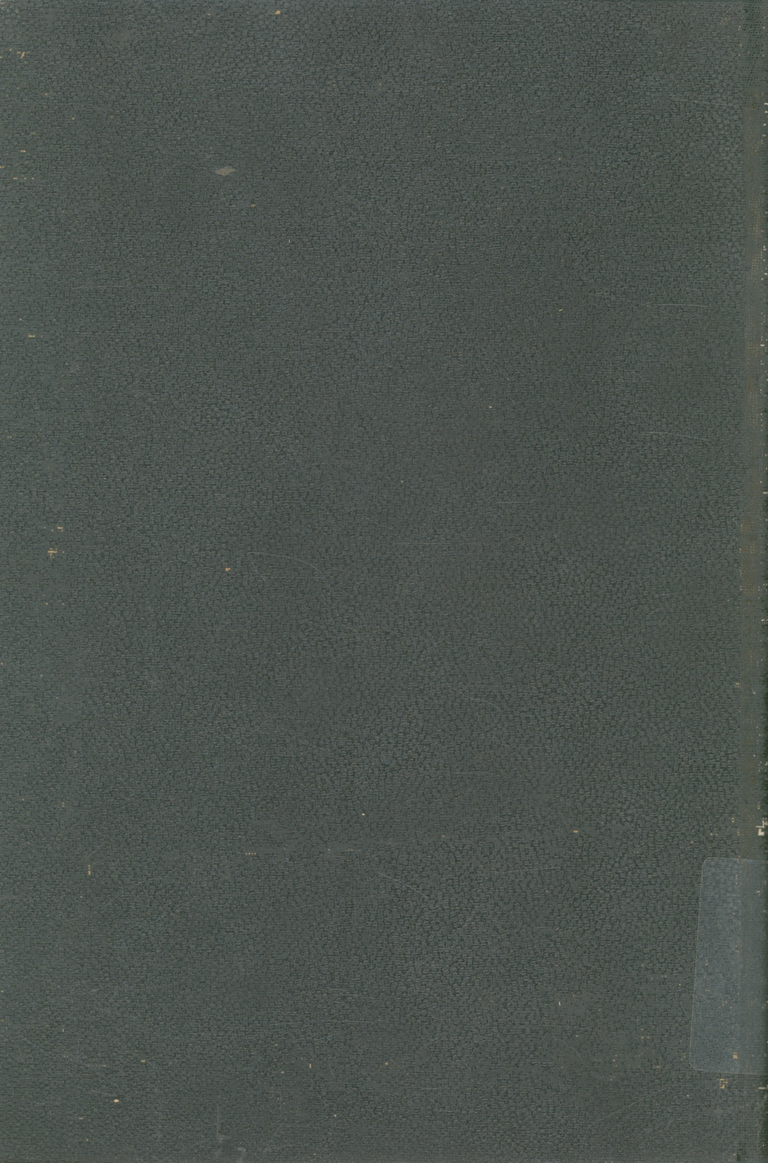


تلبيس ابليس

للحافظ الامام جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن
ابن الجوزى البغدادى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الثانية سنة ١٣٤٧ هجرية

ادارة الطباعة المنيرية
لصاحبها ومديرها محمد منير عبده اغا الدمشقى

مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر
١٩٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى سلم ميزان العدل الى أكف ذوى الألباب * وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب * وأنزل عليهم الكتب مبيِّنة للخطأ والصواب * وجعل الشرائع كاملة لانقص فيها ولا عاب (١) * أحمده حمد من يعلم أنه مسبب الاسباب * وأشهد بوحدانيته شهادة مخلص فى نيته غير مرتاب * وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله وقد سدل الكفر على وجه الايمان الحجاب * فنسخ الظلام بنور الهدى وكشف النقاب * وبين للناس ما نزل اليهم وأوضح مشكلات الكتاب * وتركهم على المحجة البيضاء لاسرب فيها (٢) ولا سراب * فصلى الله عليه وعلى جميع الآل وكلّ الاصحاب * وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم الحشر والحساب * وسلم تسليما كثيراً *

أما بعد فان أعظم النعم على الانسان العقل ، لأنه الآلة فى معرفة الاله سبحانه والسبب الذى يتوصل به الى تصديق الرسل ، الا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد ، بعثت الرسل وأنزلت الكتب ، فمثال الشرع الشمس ، ومثال العقل العين فاذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس . ولما ثبت عند العقل أقوال الانبياء الصادقة ، بدلائل المعجزات الخارقة ، سلم اليهم ، واعتمد فيما يخفى عنه عليهم .

ولما أنعم الله على هذا العالم الانسى بالعقل افتتحه الله بنبوة أبيهم آدم عليه السلام . فكان يعلمهم عن وحى الله عز وجل فكانوا على الصواب الى أن انفرد قابيل

---

(١) عاب عيباً فهو عائب والاسم عاب كما هنا

(٢) السرب بفتحتين الوكر والسراب الذى تراه نصف النهار كأنه ماء ولا ماء يشير المصنف الى مارواه ابن ماجه في سننه عن أبي الدرداء مطولا من قوله صلى الله عليه وسلم وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء

بهواه فقتل أخاه ثم تشعبت الاهواء بالناس فشردتهم فى بيداء الضلال حتى عبدوا الاصنام واختلفوا فى العقائد والافعال اختلافاً خالفوا فيه الرسل والعقول اتباعاً لأهوائهم ، وميلا الى عاداتهم ، وتقليداً لكبرائهم ، فصدّق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين *

* فصل * واعلم أن الانبياء جاؤا بالبيان الكافي ، وقابلوا الامراض بالدواء الشافى ، وتوافقوا على منهاج لم يختلف . فأقبل الشيطان يخلط بالبيان شُبهاً ، وبالدواء سماً ، وبالسبيل الواضح جُرْدا (١) مُضِلا . وما زال يلعب بالعقول الى أن فرق الجاهلية في مذاهب سخيفة ، وبدع قبيحة ، فأصبحوا يعبدون الاصنام في البيت الحرام ، ويحرمون السائبة (٢) والبحيرة والوصيلة والحام ، ويرون وأد البنات ، ويمنعونهن الميراث ، الى غير ذلك من الضلال الذى سوله لهم ابليس (٣) فابتعث الله سبحانه

---

(١) يقال مكان جرد أي لا نبات فيه

(٢) هي الناقة المنذورة تسيب فترعى حيث شاءت فلا يمسها أحد بسوء . والبحيرة بنتها تبحر أذنها أي تشق وتخلى مع أمها . والوصيلة هي الشاة تلد سبعة أبطن عناقين عناقين أي اثنين فان ولدت في الثامنة جدياً ذبحوه لآلهتهم وان ولدت جدياً وعناقاً قالوا وصلت أخاها فلا يذبحونه من أجلها ولا تشرب لبنها النساء وكان للرجال وجرت مجرى السائبة . والحام فحل الابل يضرب الضراب المعدود فاذا قضاه تركوه للطواغيت وأعفوه من الحمل .

(٣) اعلم أن الشرع جاء هادماً لهذه العادات القبيحة محذراً من كل سوء . ناهياً عن كل شرك ، محبباً في كل جميل ، فاعتنقه الكثير ودخله الناس أزواجاً وأفذاذاً وانتشر في جميع الارض في أقرب وقت انتشاراً لم يعهد له نظير من قبل ومن بعد . واستمر على ذلك والناس تعتنقه طوعاً لا كرهاً الى أن دخل فيه أفراد من اليهود والمجوس وانتسبوا اليه ظاهراً وهم في الواقع يعملون على هدمه وتقويض دعائمه . فأخذوا يوقدون نار الفتنة بين أهله ويدخلون فيه أشياء من التى كان ينهى عنها يحسنونها لعامة الناس حتى شوهوا معالمه واتخذها من جاء بعدهم ممن لا يميزون بين الصحيح والسقيم والحق والباطل ديناً يتقربون بها الى ربهم والله تعالى أعز شأنا من أن يتعبد الناس بمثل هذه الضلالات . ومن ذلك

وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم . فرفع القبائح ، وشرع المصالح . فسار أصحابه معه وبعده فى ضوء نوره ، سالمين من العدو وغروره . فلما انسلخ نهار وجودهم . أقبلت أغباش الظلمات ، فعادت الاهواء تنشىء بدعا ، وتضيق سبيلا ما زال متسعا ، ففرق الأكثرون دينهم وكانوا شيعاً ، ونهض ابليس يلبس ويزخرف ، ويفرق ويؤلف وانما يصح له التلصص فى ليل الجهل . فلو قد طلع عليه صبح العلم افتضح*

فرأيت أن أحذر من مكايده ، وأدل على مصايده . فان فى تعريف الشر تحذيراً عن الوقوع فيه * ففى الصحيحين من حديث حذيفة قال : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر . مخافة أن يدركنى وقد أخبرنا أبوالبركات سعدالله بن علي البزاز قال أخبرنا أحمد بن علي الطريثيثي قال أخبرنا هبةالله بن حسن الطبرى قال أخبرنا محمد بن أحمد بن سهل قال ثنا محمد بن أحمد بن الحسن قال حدثنا بشر بن موسى قال حدثنا عبيد بن يعيش قال حدثنا يونس بن بكير قال حدثنا محمد ابن اسحق عن الحسن أو الحسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : والله ما أظن على ظهر الارض اليوم أحداً أحب الى الشيطان هلاكا منى . فقيل وكيف . فقال : والله انه ليحدث البدعة فى مشرق أو مغرب فيحملها الرجل الىّ فاذا انتهت الىّ قمعتها بالسنة فترد عليه كما أخرجها *

﴿ فصل ﴾ وقد وضعت هذا الكتاب محذراً من فتنه ، ومخوفاً من محنه ، وكاشفاً عن مستوره ، وفاضحاً له فى خفى غروره . والله المعين بجوده ، كل صادق فى مقصوده *

وقد قسمته ثلاثة عشر بابا ينكشف بمجموعها تلبيسه ، ويتبين للفطن بفهمها

نذر الغنم والبقر وغيرها للاولياء يتركونها ترعى حيث شاءت لا يمسها أحد بسوء ظنا منه بل اعتقاداً أنها محسوبة لذلك الولى مكلوءة بعينه أنى ذهبت . فلو منعها من زرعه لانتقم منه ذلك الولى بما شاء وهذا بعينه ما كان عليه أهل الجاهلية الاولى قال الله تعالى : « ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون » . اللهم وفق علماءنا وأمراءنا الى رد هذه العقائد الفاسدة التى شوهت وجه الدين وجعلت عليه غشاء من ظلماتها حجبت نوره الساطع الذى هو هدى ورحمة وبشرى لقوم يؤمنون *

تدليسه ، فمن انتهض عزمه للعمل بها ضج منه ابليسه . والله موفقى فيما قصدت، وملهمى للصواب فيما أردت

﴿ ذكر تراجم الابواب ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

الأمر بلزوم السنة والجماعة

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على التميمى نا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد حدثنى أبى عن ابن اسحاق نا ابن المبارك ثنا محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما خطب بالجابية فقال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « من أراد منكم بحبوحة

الجنة [١] فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » أخبرنا أحمد وحدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة. قال : خطب عمر الناس بالجابية فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام في مثل مقامي هذا ، فقال « من أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح * أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ ويحيي بن علي المديني نا أبو محمد الصريفيني نا أبو بكر محمد بن الحسن ابن عبدان ثنا أبو محمد بن صاعد ثنا سعيد بن يحيي الاموي ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن زر عن عمر بن الخطاب . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد * حدثنا عبد الاول بن عيسى نا أبو القصار بن يحيي ثنا أبو الحسن علي ابن عبد العزيز أنبأنا أبو عبيد نا النضر بن اسماعيل عن محمد بن سوقة عن عبد الله ابن دينار عن عمر . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سره أن يسكن بحبوبة الجنة فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد * أخبرنا عبد الاول نا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الفارسي نا عبد الرحمن بن أبي شريح ثنا ابن صاعد ثنا ابراهيم ابن سعد الجوهري . ثنا أبو معاوية عن يزيد بن مردانبه عن زياد بن علاقة عن عرفجة . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يد الله على الجماعة ، والشيطان مع من يخالف الجماعة * أخبرنا محمد بن عمر الأرموي والحسين بن علي المقرى نا عبد الصمد بن المأمون نا علي بن عمر الدارقطني ثنا أبو جعفر أحمد بن اسحاق بن البهلول حدثني أبي ثنا محمد بن يعلى ثنا سليمان العامري عن الشيباني عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يد الله على الجماعة ، فاذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم * أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي أنبأنا أسود بن عامر ثنا أبو بكر عن عاصم عن أبي

(١) بحبوبة الدار وسطها يقال تبحبح اذا تمكن وتوسط المنزل والمقام

وائل عن عبد الله . قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً بيده . ثم قال هذا سبيل الله مستقيما . قال ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال : هذه السبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه . ثم قرأ « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل » * وبالاسناد قال احمد وثنا روح ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا العلاء بن زياد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم ، يأخذ الشاة القاصية والناحية . فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد * حدثنا أحمد ثنا ابواليمان ثنا ابن عياش عن أبى البحترى بن عبيد بن سلمان عن أبيه عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم . أنه قال : اثنان خير من واحد ، وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة . فعليكم بالجماعة فان الله عز وجل لم يجمع أمتى الا على الهدى *

أخبرنا عبد الملك بن القاسم الكروخي قال أخبرنا أبو عامر الازدي وأبو بكر العروجي قالا أخبرنا الحراجي قال أخبرنا المحبوبي ثنا الترمذى ثنا محمود بن غيلان ثنا أبو داود الحفرى عن سفيان عن عبد الرحمن بن زياد الافريقى عن عبد الله بن يزيد عن ابن عمر . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليأتين على أمتى كما أتى على بنى اسرائيل ، حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية ، لكان فى أمتى من يصنع ذلك ، وان بنى اسرائل تفرقت [1] على ثنتين وسبعين ملة وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار الا ملة واحدة . قالوا : من هى يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابى . قال الترمذى هذا حديث حسن غريب لا يعرف الا من هذا الوجه *
وروى أبو داود فى سننه من حديث معاوية بن أبى سفيان . أنه قام فقال : ألا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال : ألا أن من قبلكم من أهل الكتاب

---

(١) قال أبو منصور البغدادى للحديث الوارد فى افتراق الامة أسانيد كثيرة وقد رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة كأنس بن مالك وأبى هريرة وأبى الدرداء وجابر وأبي سعيد الخدرى وأبى بن كعب وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي أمامة وغيرهم

افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، و إن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة و إنه سيخرج من أمتى أقوام تجارى(١) بهم تلك الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه *

أخبرنا أبو البركات بن على البزاز نا أحمد بن علي الطريثيثى نا هبة الله ابن الحسين الحافظ نا محمد بن الحسين الفارسى نا يوسف بن يعقوب بن اسحاق ثنا العلاء بن سالم ثنا أبو معاوية ثنا الاعمش بن مالك بن الحارث عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله . قال : الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة * أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا أحمد بن الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد ابن أحمد بن الحسين ثنا بشر بن موسى ثنا محمد بن سعيد ثنا ابن المبارك عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب . قال : عليكم بالسبيل والسنة فانه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار . وان اقتصادا فى سبيل وسنة ، خير من اجتهاد فى إخلاف * أخبرنا سعد الله ابن على نا الطريثيثى نا هبة الله بن الحسين نا عبد الواحد بن عبد العزيز نا محمد بن احمد الشرقي ثنا عثمان بن أيوب نا اسحاق بن ابراهيم المروزى . قال ثنا أبو اسحاق الاقرع قال سمعت الحسن بن أبي جعفر يذكر عن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: النظر الى الرجل من أهل السنة يدعو الى السنة وينهى عن البدعة عبادة * أخبرنا محمد بن أبي القاسم قال نا أحمد بن احمد نا أبو نعيم الاصبهانى ثنا محمد بن احمد بن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا الحميدى قال أنبأنا سفيان بن عيينة . قال : سمعت عاصما الأحول يحدث عن أبي العالية . قال : عليكم بالأمر الاول الذى كانوا عليه قبل أن يفترقوا ـ قال عاصم فحدثت به الحسن . فقال : قد نصحك والله وصدقك * أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا أحمد بن أحمد قال نا أحمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا

(١) بحذف احدى التاءين أى تدخل وتسرى تلك الاهواء أى البدع والكلب بفتح الكاف واللام داء يعرض للانسان من عض الكلب الكلب وهو داء يصيب الكلب فيصيبه شبه جنون فلا يعض أحدا الا كلب . نسأل الله السلامة

محمد بن احمد بن الحسن أنبأنا بشر بن موسى نا معاوية بن عمرو ناأبواسحاق الفزارى. قال قال الأوزاعى : اصبر نفسك على السنة ،وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكفّ عما كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح ، فانه يسعك ما وسعهم * أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا احمد بن احمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا محمد بن عبد الله بن أسلم أنبأنا محمد بن منصور الهروى ثنا عبد الله بن عروة . قال: سمعت يوسف ابن موسى القطان يحدث عن الاوزاعى . قال : رأيت رب العزة فى المنام . فقال لى يا عبد الرحمن ؟ أنت الذى تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر . فقلت : بفضلك يارب . وقلت يارب أمتنى على الاسلام . فقال : وعلى السنة * أخبرنا محمد بن أبي القاسم أنبأنا أحمد بن احمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا ابراهيم بن أبى عبد الله ثنا محمد بن اسحاق. سمعت أبا همام السكونى يقول : حدثنى أبى قال سمعت سفيان يقول : لا يقبل قول الا بعمل ولا يستقيم قول وعمل الا بنية ، ولا يستقيم قول وعمل ونية الا بموافقة السنة * أخبرنا محمد نا أحمد نا أبو نعيم أنبأنا محمد بن على ثنا عمرو بن عبدويه ثنا احمد بن اسحاق ثنا عبد الرحمن بن عفان قال ثنا يوسف بن أسباط . قال قال سفيان: يايوسف اذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنة فابعث اليه بالسلام ، واذا بلغك عن آخر بالمغرب أنه صاحب سنة فابعث اليه بالسلام ، فقد قل أهل السنة والجماعة * أخبرنا سعد الله بن على نا احمد بن على الطريثيثى نا هبة الله بن الحسين الطبري نا محمد بن عبد الرحمن نا البغوى نا محمد بن زياد البلدي ثنا أبو أسامة عن حماد بن زيد قال أيوب : انى لأخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأني أفقد بعض أعضائى * وبه قال الطبرى وأخبرنا الحسين بن احمد ثنا عبد الله اليزدجردى ثنا عبد الله بن وهب ثنا اسماعيل بن أبي خالد قال ثنا أيوب بن سويد عن عبد الله بن شوذب عن أيوب . قال قال : ان من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله تعالى لعالم من أهل السنة *

قال الطبرى وأخبرنا أحمد بن محمد بن حسنون ثنا جعفر بن محمد بن نضير ثنا أحمد بن محمد بن مسروق ثنا محمد بن هارون أبو نشيط ثنا أبو عمير بن النحاس ثنا ضمرة عن ابن شوذب . قال : ان من نعمة الله على الشاب اذا نسك ، أن يواخي صاحب سنة

يحمله عليها * قال الطبرى وأخبرنا عيسى بن على ثنا البغوى ثنا محمد بن هارون ثنا سعيد بن شبيب . قال : سمعت يوسف بن أسباط . يقول : كان أبى قدريا وأخوالى روافض فأنقذني الله بسفيان * قال الطبرى وأخبرنا احمد بن محمد بن حفص نا عبد الله بن عدي ثني أحمد بن العباس الهاشمى ثنا محمد بن عبد الأعلى . قال : سمعت معتمر بن سليمان يقول : دخلت على أبى وأنا منكسر فقال لى مالك ؟ قلت مات صديق لى فقال مات على السنة قلت نعم قال تحزن عليه * قال الطبرى وأخبرنا أحمد ابن عبد الله نا محمد بن الحسين ثنا أحمد بن زهير ثنا يعقوب بن كعب ثنا عبدة ثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان الثورى . قال : استوصوا بأهل السنة خيراً ، فانهم غرباء * أخبرنا أبومنصور بن حيرون نا اسماعيل بن أبى الفضل الاسماعيلى نا حمزة ابن يوسف السهمى نا عبدالله بن على الحافظ نا أبو عوانة ثنا جعفر بن عبد الواحد قال . قال لنا ابن أبى بكر بن عياش : السنة فى الاسلام ، أعز من الاسلام فى سائر الأديان*

سمعت أبا عبد الله الحسين بن على المقرى يقول سمعت أبا محمد عبد الله بن عطاء يقول سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الاسكندرانى يقول سمعت أبا منصور محمد الازدى يقول سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن فراشة يقول سمعت أحمد بن منصور يقول سمعت الحسن بن محمد الطبرى يقول سمعت محمد بن المغيرة يقول سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول سمعت الشافعى يقول : إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث ، فكأنى رأيت رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم * أخبرنا محمد ابن أبى القاسم نا أحمد نا أبونعيم أخبرنى جعفر الخلدى فى كتابه . قال سمعت الجنيد يقول : الطرق كلها مسدودة على الخلق . إلا من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته ، فان طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه * أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر بن محمد نا عبد العزيز بن على الازجى نا على بن عبد الله بن جهضم نا محمد بن حابان . قال : سمعت حامد بن ابراهيم يقول قال الجنيد بن محمد : الطريق الى الله عز وجل مسدودة على خلق الله تعالى . إلا على المقتفين آثار رسول الله صلى

الله عليه وسلم والتابعين لسنته . كما قال الله عز وجل : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » *

﴿ الباب الثاني ﴾

في ذم البدع والمبتدعين

أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الشيباني قال أخبرنا أبو على الحسن بن على بن المذهب نا أبو بكر أحمد بن حمدان نا أبو عبد الله بن حنبل قال أخبرني أبي ثنا يزيد عن ابراهيم بن سعد أخبرني أبي وأخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن الماوردي وأبو سعد البغدادي قالا نا المطهر بن عبدالواحد نا أبو جعفر أحمد ابن محمد المرزبان نا محمد بن ابراهيم الحروزي ثنا لوين ثنا ابراهيم بن سعد عن أبيه عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رد * أخبرنا موهوب بن أحمد نا على بن أحمد البسرى ثنا محمد بن عبد الرحمن المخلص ثنا عبد الله بن محمد البغوى ثنا أحمد بن ابراهيم الموصلي واسحاق بن ابراهيم المروزى قالا ثنا ابراهيم بن سعد عن أبيه عن القاسم بن محمد عن عائشة . قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد * قال البغوى وحدثنا عبد الاعلى ابن حماد ثنا عبد العزيز عن عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن ابراهيم عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها . أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من فعل أمرا ليس عليه أمرنا فهو رد ـ أخرجاه في الصحيحين * أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن ابن على نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن ومغيرة الضبي عن مجاهد عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم . أنه قال : من رغب عن سنتي فليس منى ـ انفرد باخراجه البخاري * أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد ابن جعفر نا عبد الله بن أحمد حدثني أبي ثنا الوليد بن مسلم ثنا ثور بن يزيد ثنا خالد بن معدان حدثني عبد الرحمن بن عمرو السلمي

وحجر بن حجر . قالا : أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه « ولا على الذين اذا ماأتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه » . فسلمنا وقلنا أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين . فقال عرباض : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب . فقال قائل : يارسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا . فقال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبداً حبشياً ، فانه من يعيش بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً . فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإيا كم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة قال الترمذى هـذا حديث حسن صحيح * أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبـد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا عبد الله بن الوليد ثنا سفيان عن الاعمش عن أبى وائل وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا فرطكم على الحوض ، وليختلجن رجال دونى . فأقول يارب أصحابى فيقال انك لاتدرى ما أحدثوا بعدك — أخرجاه فى الصحيحين * أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن محمد نا أبو نعيم ثنا أحمد بن اسحاق ثنا عبد الله بن سليمان ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى عن عبـد الله ابن محرز قال : يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة * أخبرنا اسماعيل بن أحمد نا عمر بن عبد الله البقال نا أبو الحسين بن بشران ثنا عثمان بن أحمد الدقاق ثنا حنبل قال حدثنى أبو عبـد الله يعنى أحمد بن حنبل ثنا عبد الرزاق ثنا معمر . قال : كان طاوس جالسا وعنده ابنه . فجاء رجل من المعتزلة فتكلم فى شيء فأدخل طاوس أصبعيه فى أذنيه . وقال : يابنى أدخل أصبعيك فى أذنيك حتى لا تسمع من قوله شيئاً فان هذا القلب ضعيف . ثم قال : أى بنى أسدد — فما زال يقول أسدد حتى قام الآخر * قال حنبل وحدثنا محمد بن داود ثنا عيسى بن على الضبى . قال : كان رجل معنا يختلف الى ابراهيم . فبلغ ابراهيم أنه قد دخل فى الارجاء فقال له ابراهيم اذا قمت من عنـدنا فلا تعد * قال حنبل وحدثنا محمد بن داود الحدائى . قال قلت لسفيان بن عيينة : ان هـذا يتكلم فى القدر — يعنى ابراهيم بن أبي يحيى . فقال

سفيان : عرفوا الناس أمره وسلوا الله لى العافية * قال حنبل وحدثنا سعدويه ثنا صالح المرى . قال : دخل رجل على ابن سيرين وأنا شاهد ، ففتح بابا من أبواب القدر فتكلم فيه . فقال ابن سيرين : إما أن تقوم وإما أن نقوم * أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقى قالا نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا أبو بكر بن راشد ثنا ابراهيم بن سعيد بن عامر عن سلام بن أبى مطيع . قال : قال رجل من أهل الاهواء لايوب أ كلمك بكلمة ؟ قال : لا ولا نصف كلمة * قال ابن راشد وحدثنا أبو سعيد الاشج ثنا يحيى بن يمان عن مخلد بن حسين عن هشام بن حسان عن أيوب السختيانى قال : ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً الا ازداد من الله عز وجل بعداً * أخبرنا أبو البركات بن على البزاز نا الطريثيثى نا هبة الله بن الحصين نا عيسى بن علي نا البغوى نا أبو سعيد الاشج نا يحيى بن اليمان قال سمعت سفيان الثورى قال البدعة أحب الى ابليس من المعصية المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها (١) أخبرنا ابن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن أحمد ثنا الحسين بن على ثنا محمود بن غيلان ثنا مؤمل بن اسماعيل . قال : مات عبد العزيز ابن أبى داود وكنت فى جنازته حتى وضع عند باب الصفا فصف الناس وجاء الثورى . فقال الناس : جاء الثورى — فجاء حتى خرق الصفوف والناس ينظرون اليه فجاوز الجنازة ولم يصل عليه لانه كان يرمى بالارجاء * أخبرنا المبارك بن أحمد الانصارى نا عبد الله بن أحمد السمرقندى نا أحمد بن ثابت نا أحمد بن روح النهروانى ثنا طلحة بن احمد الصوفي ثنا محمد بن أحمد بن أبى مهزول قال سمعت أحمد بن عبد الله يقول سمعت شعيب بن حرب يقول سمعت سفيان الثورى يقول : من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمع ومن صافحه فقد نقض الاسلام عروة عروة * أخبرنا محمد بن ناصر نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الاصفهانى ثنا اسماعيل بن أحمد نا عبد الله بن محمد ثنا سعيد الكريزى . قال : مرض سليمان التيمى فبكى فى مرضه بكاء شديداً فقيل له ما يبكيك ؟ أتجزع من الموت . قال : لا ولكنى مررت على قدرى فسلمت عليه فأخاف أن يحاسبنى

---

(١) أثاب الرجل وثاب رجع

ربي عليه * أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن على قالا أخبرنا أبو محمد الصريفيني نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن الحسين البائع ثنى أبي ثنا محمد بن بكر قال سمعت فضيل بن عياض يقول : من جلس الى صاحب بدعة فاحذروه * أخبرنا ابن عبد الباقي نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم ثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد بن النضر ثنا عبد الصمد بن يزيد . قال سمعت فضيل بن عياض يقول : من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الاسلام من قلبه * أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا محمد بن علي ثنا أبو يعلى ثنا عبد الصمد . قال سمعت الفضيل يقول : اذا رأيت مبتدعاً فى طريق فخذ فى طريق آخر ، ولا يرفع لصاحب البدعة الى الله عز وجل عمل ، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام * وسمعت رجلا يقول للفضيل من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها . فقال له الفضيل : من زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها ، ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة ، واذا علم الله عز وجل من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له سيآته *

قال المصنف وقد روى بعض هذا الكلام مرفوعاً وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام * وقال محمد بن النضر الحارثى : من أصغى بسمعه الى صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل الى نفسه * وقال ابراهيم سمعت أبا جعفر محمد بن عبد الله القابنى يقول سمعت علي بن عيسى يقول سمعت محمد بن اسحاق يقول سمعت يونس بن عبد الاعلى يقول : قال صاحبنا — يعنى الليث بن سعد لو رأيت صاحب بدعة يمشي على الماء ماقبلته . فقال الشافعي : اما نه قصر لو رأيته يمشى على الهواء ماقبلته * وعن بشر بن الحارث أنه قال جاء موت هذا الذى يقال له المريسى (١) وأنا في

---

(١) (المريسى) هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث قال ابن خلكان في ترجمته اشتغل بالكلام وجدد القول بخلق القرآن وحكى عنه في ذلك أقوال شنيعة وكان مرجئا واليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة وكان يقول ان السجود

السوق فلولا أن الموضع ليس موضع سجود لسجدت شكراً ـ الحمد الله الذى أماته . هكذا قولوا :

قال المصنف حدثت عن أبي بكر الخلال عن المروزى عن محمد بن سهل البخارى قال كنا عند القريانى فجعل يذكر أهل البدع فقال له رجل لو حدثتنا كان أعجب الينا فغضب وقال كلامى فى أهل البدع أحب الى من عبادة ستين سنة

(فصل)فان قال قائل قدمدحت السنةوذممت البدعة فماالسنة وماالبدعة فانا نرى أن كل مبتدع في زعمنا يزعم أنه من أهل السنة (٢) (فالجواب) أن السنة فى اللغة

للشمس والقمر ليس بكفر ولكنه علامة عليه والمريسى بفتح الميم وكسر الراء نسبة الى مريس قيل قرية بمصر وقيل جنس من السودان وقال بعض المحققين ان المريسى كان يسكن في بغداد بدرب المريس فنسب اليه انتهى ببعض تصرف ومعنى كلام بشر بن الحارث ان الخبر بموت المريسى أتاه وهو فى السوق فلو لم يكن فى السوق لسجد شكراً لله تعالى على موته والسوق غير موضع سجود لورود النهى عن الصلاة فى الاسواق والسجود بعض الصلاة وهذه عادة السلف الصالح رضى الله عنهم

(تنبيه) فى الاصل : « فلولا أنه كان في موضع شهرة لكان موضع شكر وسجود الحمد لله » . الخ وما صححناه من لسان الميزان

(٢) اعلم انه لم يقع خلاف بين الصحابة رضى الله عنهم في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لوجود نور النبوة بين ظهرانيهم وتأثير المواعظ الحسنة فيهم والحكم البالغة من النبى صلى الله عليه وسلم فلما توفاه الله وقع الخلاف بينهم فأول خلاف كان في موته صلى الله عليه وسلم فزعم قوم أنه لم يمت بل رفعه الله اليه والثاني في دفنه عليه الصلاة والسلام فأراد أهل مكة رده الى مكة وأهل المدينةدفنه بها . وفي الامامة فأذعنت الأنصار لسعد بالبيعة وقريش قالت ان الامامة لا تكون إلا فى قريش . وفى فدك (قرية بخيبر) . وتوريث الكلالة ومانعى الزكاة وهكذا وقد أزال هذا الخلاف كله أبو بكر الصديق رضى الله عنه بحجته القوية وعزمه المتين وبرهانه الساطع ولم تؤثر هذه الاختلافات فى الهيئة

الطريق ولا ريب فى أن أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار أصحابه هم أهل السنة لأنهم على تلك الطريق التى لم يحدث فيها حادث : وانما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه *

والبدعة عبارة عن فعل لم يكن فابتدع والاغلب في المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة وتوجب التعاطى عليها بزياده أو نقصان . فان ابتدع شيء لايخالف الشريعة ولا يوجب التعاطى عليها فقد كان جمهور السلف يكرهونه وكانوا ينفرون من كل مبتدع وان كان جائزاً حفظا للاصل وهو الاتباع * وقد قال زيد بن ثابت لابى بكر وعمر رضى الله عنهما . حين قالا له اجمع القرآن كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأخبرنا محمد بن على بن أبى عمر قال أخبرنا على بن الحسين نا ابن شاذان نا أبو سهل نا أحمد البرنى ثنا أبو حذيفة ثنا سفيان عن ابن عجلان عن عبد الله بن أبي سلمة . أن سعد بن مالك سمع رجلا يقول : لبيك ذا المعارج . فقال : ما كنا نقول هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأخبرنا محمد بن أبي القاسم باسناد برفعه الى أبي البحترى . قال : أخبر رجل عبد الله بن مسعود أن قوما يجلسون فى المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول كبروا الله كذا وكذا .وسبحوا الله كذا وكذا واحمدوا الله كذا وكذا قال عبد الله : فاذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتنى فأخبرني بمجلسهم فأتاهم فجلس فلما سمع ما يقولون قام فأتي ابن مسعود فجاء — وكان

الاجتماعية والقوة الرابطة لجمعهم واتحادهم الا أنها فتحت بابا ولجه المبتدعون والزنادقة وأدخلوا الشكوك على بعض الافراد وسنوا طرقاً مضلة وزخرفوها بأقاويل كاذبة وحجج واهية ودعوا الناس اليها فقيض لهم المولى جل وعز رجالا من أهل الحديث والسنة يدحضون حججهم ويبينون للناس عقائدهم الفاسدة ونياتهم الخبيثة وينصحون من تبعهم بأدلة قاطعة من الكتاب والسنة وهم الطائفة التى أخبر عنها النبى صلى الله عليه وسلم أنها لا تزال قائمة بأمر الله الحديث ولم تزل قائمة كذلك الى زمننا هذا الا أنهم قليلون اللهم وفقنا للعمل بالكتاب والسنة واجعلهما حجة لنا يا أرحم الراحمين

. رجلا حديداً . فقال : أنا عبد الله بن مسعود والله الذى لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلماً ولقد فضلتم أصحاب محمد صلى الله عليـه وسلم علما . فقال عمرو بن عتبة : أستغفر الله . فقال عليكم بالطريق فالزموه ولئن أخذتم يميناً وشمالا لتضلن ضلالا بعيداً * أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر عن أبي محمد الجوهرى عن أبي عمر بن أبي حياة ثنا أحمد ابن معروف ثنا الحسين بن فهم ثنا محمد بن سعد ثنا محمد بن عبد الله الانصارى ثنا ابن عوف . قال كنا عند ابراهيم النخعى فجاء رجل فقال : ياأبا عمران ادع الله أن يشفينى فرأيت أنه كرهه كراهيه شديدة حتى عرفنا كراهية ذلك فى وجهه * وذكر ابراهيم السنة فرغب فيها وذكر ما أحدثه الناس فكرهه . وقال فيه * أخبرنا المحمـدان ابن ناصر وابن عبـد الباقى نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم سمعت محمد بن ابراهيم يقول سمعت محمد بن ريان يقول سمعت ذا النون — وجاءه أصحاب الحديث فسألوه عن الخطرات والوساوس . فقال : أنا لا أتكلم فى شيء من هذا فان هذا محدث سلونى عن شيء من الصلاة أو الحديث . ورأى ذا النون علىّ خفا أحمر . فقال : انزع هذا يابنى فانه شهرة مالبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما لبس خفين أسودين ساذجين *

﴿ فصل ﴾ قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله . قد بينا أن القوم كانوا يتحذرون من كل بدعة وان لم يكن بها بأس لئلا يحدثوا مالم يكن وقد جرت محدثات لا تصادم الشريعة ولا يتعاطى عليها فلم يروا بفعلها بأساً كما روى أن الناس كانوا يصـلون فى رمضان وحدانا وكان الرجل يصلى فيصلى بصلاته الجماعة فجمعهم عمر بن الخطاب على أبىّ بن كعب رضى الله عنهما فلما خرج فرآهم قال : نعمت البدعة هـذه — لأن صلاة الجماعة مشروعة * وانما قال الحسن فى القصص : نعمت البدعة ، كم من أخ يسـتفاد ، ودعوة مستجابة . لأن الوعظ مشروع ومتى أسـند المحدث الى أصل مشروع لم يذم * فأما اذا كانت البدعة كالمتمم فقد اعتقد نقص الشريعة . وان كانت مضادة فهى أعظم . فقد بان بما ذكرنا أن أهل السنة هم المتبعون وأن أهل البدعة هم المظهرون شيئاً لم يكن قبل ولا مستند له ولهذا استتروا ببدعتهم . ولم

يكتم أهل السنة مذهبهم فكلمتهم ظاهرة ومذهبهم مشهور والعاقبة لهم * أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على التميمى نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد قال ثنى أبي ثنا يعلى بن عبيد ثنا اسماعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايزال ناس من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون ـ فى الصحيحين * أخبرنا هبة الله الحسن بن على نا ابن ملك ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي قال ثنا يوسف ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان. قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك انفرد به مسلم * وقد روى هذا المعنى عن النبى صلى الله عليه وسلم معاوية وجابر بن عبد الله وقرة أخبرنا الكروخى نا النورجى والأزدى قالا نا الحراجى ثنا المحبوبى ثنا الترمذى قال قال محمد بن اسماعيل قال على بن المدينى : هم أصحاب الحديث *

﴿ فصل ﴾ فى بيان انقسام أهل البدع أخبرنا عبد الملك الكروخى نا أبو عامر الأزدى وأبو بكر النورجى قالا نا الحراجى ثنا المحبوبى ثنا الترمذى ثنا الحسين بن حريث ثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تفرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة أو ثنتين وسبعين والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ـ قال الترمذى هذا حديث صحيح*

قال المصنف وقد ذكرنا هذا الحديث فى الباب الذى قبله وفيه كلهم فى النار الا ملة واحدة قالوا من هي يارسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي * أخبرنا ابن الحسين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد قال ثنى أبي ثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا خالد بن زيد عن سعيد بن أبي هلال عن أنس بن مالك رضى الله عنه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان بنى اسرائيل تفرقت احدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة ، وان أمتى ستفترق على اثنين وسبعين فرقة يهلك احدى وسبعون وتخلص فرقة . قالوا يارسول الله : ما تلك الفرقة . قال الجماعة قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله فان قيل وهل هذه الفرق معروفة فالجواب إنا

تفرق الافتراق وأصول الفرق (١) وان كل طائفة من الفرق قد انقسمت الى فرق وان لم نحط بأسماء تلك الفرق ومذاهبها وقد ظهر لنا من أصول الفرق الحرورية (٢) والقدرية . والجهمية . والمرجئة . والرافضة . والجبرية وقد قال بعض أهل العلم أصل الفرق الضالة هذه الفرق الست . وقد انقسمت كل فرقة منها على اثنى عشرة فرقة فصارت اثنتين وسبعين فرقة *

(وانقسمت الحرورية) اثنتى عشرة فرقة فأولهم الأزرقية (٣) قالوا : لا نعلم أحداً مؤمناً وكفروا أهل القبلة الا من دان بقولهم والأباضية (٤) قالوا : من أخذ بقولنا فهو مؤمن ومن أعرض عنه فهو منافق والثعلبية (٥) قالوا : ان الله لم يقض ولم يقدر . والحازمية (٦) قالوا : ماندرى ما الايمان والخلق كلهم معذورون والخلفية (٧)

---

(١) اعلم أن العلماء اختلفوا فى أصول هذه الفرق وتعيينها على أقوال : الاول ان أصولها أربعة : وهى الخوارج والقدرية والروافض والمرجئة ثم تشعبت كل فرقة الى ثماني عشرة فرقة والثالثة والسبعون الناجية : الثانى أنها ثمانية المعتزلة والخوارج والمرجئة والنجارية والجبرية والمشبهة والشيعة والناجية فافترقت المعتزلة عشرين فرقة والخوارج عشرين أيضا والمرجئة خمسا والنجارية ثلاثا والجبرية واحدة وكذلك المشبهة والشيعة ثنتين وعشرين فرقة : والقول الثالث ماذهب اليه المصنف من أنها ست ومن أراد تفاصيل ذلك فعليه بالاعتصام والمواقف . وهذا التقسيم بحسب الظن والتكلف في مطابقة ماذكر للحديث الصحيح اذ ليس هناك دليل شرعي يفيد ذلك ولا دل العقل على انحصار ماذكر فى ذلك العدد من غير زيادة ولا نقصان وبذلك تعلم ما في كلام المصنف من المخالفة لغيره في عد الفرق وتسميتها بأسماء لم توجد في كتاب

(٢) هم الذين خرجوا على علي وانحازوا الى حروراء وهم يومئذ اثنا عشر ألفاً وعبد الله بن كوا حينئذ زعيمهم (٣) نسبة الى ابي راشد نافع بن الازرق ولم يكن للخوارج قط فرقة أكثر عدداً ولا أشد شوكة منهم وبدعهم ثمانية (٤) نسبة الى عبدالله بن أباض (٥) نسبة الى ثعلبة بن مشكان (٦) وهم أصحاب حازم بن علي (٧) وهم أصحاب خلف الخارجي الذى قاتل حمزة الخارجي

زعموا أن من ترك الجهاد من ذكر وأنثى فقد كفر . والمكرمية (١) قالوا ليس لأحد أن يمس أحداً لانه لايعرف الطاهر من النجس ولا أن يؤاكله حتى يتوب ويغتسل (والكنزية) قالوا : لا ينبغي لاحد أن يعطي ماله أحداً لانه ربما لم يكن مستحقا بل يكنزه في الارض حتى يظهر أهل الحق (والشمراخية) قالوا : لا بأس بمس النساء الاجانب لأنهن رياحين والاخنسية (٢) قالوا : لا يلحق الميت بعد موته خير ولا شر (والمحكمية) قالوا : ان من حاكم الى مخلوق فهو كافر و(المعتزلة من الحرورية) قالوا : اشتبه علينا أمر علي ومعاوية فنحن نتبرأ من الفريقين والميمونية (٣) قالوا لا امام الا برضى أهل محبتنا *

(وانقسمت القدرية) اثنتي عشرة فرقة (الاحمرية) وهي التي زعمت أن شرط العدل من الله أن يملك عباده أمورهم ويحول بينهم وبين معاصيهم (والثنوية) وهي التي زعمت أن الخير من الله والشر من ابليس (والمعتزلة) هم الذين قالوا بخلق القرآن وجحدوا الرؤية والكيسانية (٤) هم الذين قالوا لا ندرى هذه الافعال من الله أم من العباد ولا نعلم أيثاب الناس بعد الموت أو يعاقبون والشيطانية (٥) قالوا ان الله لم يخلق شيطاناً (والشريكية) قالوا ان السيئات كلها مقدرة الا الكفر (والوهمية) قالوا ليس لافعال الخلق وكلامهم ذات ولا للحسنة والسيئة ذات (والراوندية) قالوا كل كتاب أنزل من الله فالعمل به حق ناسخاً كان أو منسوخاً والبترية (٦) زعموا أن من عصى ثم تاب لم تقبل توبته (والناكثية) زعموا أن من نكث بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا اثم عليه (والقاسطية) فضلوا طلب الدنيا على الزهد فيها

---

(١) وهم أتباع مكرم بن عبد الله العجلي ويقول تارك الصلاه كافر لامن أجل ترك الصلاة ولكن لجهله بالله تعالى وطرد هذا في كل كبيرة يرتكبها الانسان

(٢) أتباع رجل منهم كان يعرف بالاخنس (٣) وهم أتباع ميمون بن خالد يجيزون نكاح بنات البنات وبنات اولاد الاخوة (٤) أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقيل تلميذ ابن الحنفية (٥) هم أتباع محمد بن النعمان الرافضي الملقب بشيطان الطاق (٦) هم أتباع رجلين الحسن بن صالح بن حي وكثير المنوى الملقب بالابتر

(والنظامية) تبعوا ابراهيم النظام فى قوله من زعم ان الله شيء فهو كافر *

وانقسمت الجهمية (١) اثنتى عشرة فرقة (المعطلة) زعموا أن كل ما يقع عليه وهم الانسان فهو مخلوق ومن ادعى أن الله يرى فهو كافر والمريسية (٢) قالوا أكثر صفات الله مخلوقة (والملتزقة) جعلوا البارى سبحانه وتعالى فى كل مكان (والواردية) قالوا لا يدخل النار من عرف ربه ومن دخلها لم يخرج منها أبداً (والزنادقة) قالوا ليس لاحد أن يثبت لنفسه رباً لان الاثبات لا يكون الا بعد ادراك الحواس وما يدرك فليس باله وما لا يدرك لا يثبت (والحرقية) زعموا أن الكافر تحرقه النار مرة واحدة ثم يبقى محترقا أبداً لا يجد حر النار (والمخلوقية) زعموا أن القرآن مخلوق (والفانية) زعموا أن الجنة والنار تفنيان ومنهم من قال أنهما لم تخلقا (والمغيرية)٣ جحدوا الرسل فقالوا انما هم حكام (والواقفية) قالوا لا نقول إن القرآن مخلوق ولا غير مخلوق (والقبرية) ينكرون عذاب القبر والشفاعة (واللفظية) قالوا لفظنا بالقرآن مخلوق*

(وانقسمت المرجئة) اثنتى عشرة فرقة (التاركية) قالوا ليس لله عز وجل على خلقه فريضة سوى الايمان به فمن آمن به وعرفه فليفعل ماشاء (والسائبية) قالوا ان الله تعالى سيب خلقه ليعملوا ماشاؤا (والراجية) قالوا لا نسمي الطائع طائعاً ولا العاصى عاصياً لانا لا ندرى ماله عند الله (والشاكية) قالوا ان الطاعات ليست من الايمان والبيهسية (٤) قالوا الايمان علم ومن لا يعلم الحق من الباطل والحلال من الحرام فهو كافر (والمنقوصية) قالوا الايمان لا يزيد ولا ينقص (والمستثنية) نفوا الاستثناء فى الايمان (والمشبهة) يقولون لله بصر كبصرى ويد كيدى (والحشوية) جعلوا حكم الاحاديث كلها واحداً فعندهم ان تارك النفل كتارك الفرض والظاهرية (٥) وهم الذين

---

(١) هم أتباع جهم بن صفوان ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم المازني بمرو
(٢) هم أتباع بشر المريسى (٣) وفى نسخة العبدية (٤) نسبة الى بيهس بن الهيصم
(٥) أصحاب الامام المجتهد داود بن على الظاهرى ولد بالكوفة سنة مائتين ونشأ ببغداد وتوفى بها سنة سبعين ومائتين وهو من أئمة أهل السنة والجماعة ولعل عد هذه من المرجئة سبق قلم حمانا الله من الزلل

نفوا القياس (والبدعية) أول من ابتدع الاحداث فى هذه الامة *

(وانقسمت الرافضة) اثنتى عشرة فرقة (العلوية) قالوا ان الرسالة كانت الى على وان جبريل أخطأ (والأمرية) قالوا ان عليا شريك محمد صلى الله عليه وسلم فى أمره (والشيعية) قالوا ان علياً رضى الله عنه وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووليه من بعده وان الامة كفرت بمبايعة غيره (والاسحاقية) قالوا ان النبوة متصلة الى يوم القيامة وكل من يعلم علم أهل البيت فهو نبى (والناووسية) قالوا ان علياً أفضل الامة فمن فضل غيره عليه فقد كفر (والامامية) قالوا لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين وإن الامام يعلمه جبرائيل فاذا مات بدل مكانه مثله . (والبزيدية) قالوا أن ولد الحسين كلهم أئمة فى الصلوات فمتى وجد منهم أحد لم تجز الصلاة خلف غيره برهم وفاجرهم . (والعباسية) زعموا أن العباس كان أولى بالخلافة من غيره . والمتناسخة قالوا ان الارواح تتناسخ فمتى كان محسناً خرجت روحه فدخلت فى خلق تسعد بعيشه .ومن كان مسيئا دخلت روحه في خلق تشقى بعيشه (والرجعية) زعموا أن علياً وأصحابه يرجعون الى الدنيا وينتقمون من اعدائهم. (واللاعنية) الذين يلعنون عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وأبا موسى وعائشة وغيرهم رضى الله عنهم . (والمتربصة) تشبهوا بزى النساك ونصبوا فى كل عصر رجلا ينسبون الامر اليه يزعمون أنه مهدى هذه الامة فاذا مات نصبوا رجلا آخر *

وانقسمت الجبرية اثنتى عشرة فرقة فمنهم (المضطربة) قالوا لافعل للآدمى بل الله عز وجل يفعل الكل (والافعالية) قالوا لنا أفعال ولكن لا استطاعة لنا فيها وانما نحن كالبهائم نقاد بالحبل . (والمفروغية) قالوا كل الاشياء قد خلقت والآن لا يخلق شيء . (والنجارية) (١) زعمت أن الله يعذب الناس على فعله لا على فعلهم (والمتانية) قالوا عليك بما يخطر بقلبك فافعل ماتوسمت به الخير. (والكسبية) قالوا لايكسب العبد ثوابا ولا عقابا . (والسابقية) قالوا من شاء فليعمل ومن شاء لا يعمل فان السعيد لاتضره ذنوبه والشقي لاينفعه بره (والحبية) قالوا من شرب كأس محبة

(١) هم أصحاب الحسين بن محمد النجار وأكثر معتزلة الري وحواليها على مذهبه

الله عز وجل سقطت عنه الاركان والقيام بها . (والخوفية) قالوا أن من أحب الله سبحانه وتعالى لم يسعه أن يخافه لأن الحبيب لايخاف حبيبه . (والفكرية) قالوا إن من ازداد علما سقط عنه بقدر ذلك من العبادة . (والخسية) قالوا الدنيا بين العباد سواء لاتفاضل بينهم فيما ورثهم أبوهم آدم . (والمعية) قالوا منا الفعل ولنا الاستطاعة*

﴿ الباب الثالث ﴾

(في التحذير من فتن إبليس ومكايده)

قال الشيخ أبو الفرج رحمة الله عليه إعلم أن الآدمي لما خلق ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ماينفعه . ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه . وأعطى العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب . وخلق الشيطان محرضا له على الاسراف في اجتلابه واجتنابه . فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم عليه الصلاة والسلام وقد بذل عمره ونفسه في فساد أحوال بني آدم . وقد أمر الله تعالى بالحذر منه فقال سبحانه وتعالى . (لاتتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وقال تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) وقال تعالى : (ويريد الشيطان أن يضلكم ضلالا بعيداً) وقال : (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) . وقال تعالى : (انه عدو مضل مبين) وقال : (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعوحزبه ليكونوامن أصحاب السعير) وقال تعالى : (ولا يغرنكم بالله الغرور) وقال تعالى : ألم أعهد اليكم يابني آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين) وفي القرآن من هذا كثير*

﴿ فصل ﴾ قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله وينبغي أن تعلم أن ابليس الذي شغله التلبيس أول ما التبس عليه الامر فأعرض عن النص الصريح على السجود فأخذ يفاضل بين الاصول فقال خلقتني من نار وخلقته من طين ثم أردف ذلك بالاعتراض على الملك الحكيم . فقال : (أرأيتك هذا الذي كرمت علي)* والمعنى

أخبرني لم كرمته علي: غرر ذلك الاعتراض أن الذي فعلته ليس بحكمة ثم أتبع ذلك بالكبر فقال أنا خير منه. ثم امتنع عن السجود فأهان نفسه التي أراد تعظيمها باللعنة والعقاب*

فمتى سول للانسان أمراً فينبغي أن يحذر منه أشد الحذر وليقل له حين أمره إياه بالسوء انما تريد بما تأمر به نصحي ببلوغي شهوتي. وكيف يتضح صواب النصح للغير لمن لا ينصح نفسه ثم كيف أثق بنصيحة عدو فانصرف فما في لقولك منفذ فلا يبقى إلا أنه يستعين بالنفس لانه يحث على هواها فليستحضر العقل الى بيت الفكر في عواقب الذنب لعل مدد توفيق يبعث جند عزيمته فيهزم عسكر الهوى والنفس *

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا عاصم بن الحسن نا أبو عمر بن مهدى ثنا الحسين بن اسماعيل ثنا زكريا بن يحيى ثنا شامة بن سوار ثنى المغيرة عن مطرف بن الشخير عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأيها الناس ان الله تعالى أمرنى أن أعلمكم ماجهلتم مما علمنى فى يومى هذا ان كل مال نحلته عبدى فهو له حلال. وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم. وأمرتهم أن لا يشركوا بى مالم أنزل به سلطانا. وان الله تعالى نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب*

أخبرنا ابن الحصين قال أخبرنا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا يحيى بن سعيد ثنا هشام ثنا قتادة عن مطرف عن عياض بن حمار* أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم فقال فى خطبته: ان ربى الى آخر الحديث المتقدم*

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبى ثنا أبو معاوية ثنا الاعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ماصنعت شيئا. قال ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته. قال فيدنيه منه أوقال فيلتزمه ويقول نعم أنت* وبه قال أحمد وحدثنا

أبو نعيم ثنا سفيان عن أبي الزبير عن جابر رضى الله عنه يرفعه قال ان ابليس قد يئس أن يعبده المصلون ولكن فى التحريش (١) بينهم قال المصنف : انفرد به البخارى والذى قبله مسلم وفى لفظ حديثه قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب *

أنبأنا اسماعيل السمرقندى نا عاصم بن الحسن نا ابن بشران نا ابن صفوان نا أبو بكر القرشي ثنى الحسين بن السكن ثنا المعلى بن أسد ثنى عدى بن أبى عمارة ثنا زياد النميرى عن أنس بن مالك رضى الله عنه يرفعه . قال : ان الشيطان واضع خطمه (٢) على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس . وان نسي الله التقم قلبه *

أخبرنا محمد بن أبى منصور نا عبد القادر نا الحسن بن على التميمى نا أبو بكر ابن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبى ثنا عبد الرحمن عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود رضى الله عنه . قال : ان الشيطان طاف بأهل مجلس الذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم ، فأتى حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا * قال عبد الله وحدثنى على بن مسلم ثنا سيار ثنا حبان الحريرى ثنا سويد القناوى عن قتادة رضى الله عنه قال ان لابليس شيطاناً يقال له قبقب يجمه (٣) أربعين سنة فاذا دخل الغلام فى هذا الطريق قال له دونك انما كنت أجمك لمثل هذا أجلب عليه وافتنه *

قال سيار وحدثنا جعفر ثنا ثابت البنانى رضى الله عنه . قال : بلغنا أن ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء . فقال يحيى : يا ابليس ما هذه المعاليق التى أرى عليك . قال : هذه الشهوات التى أصيد بهن ابن آدم . قال : فهل لى فيها من شيء : قال . ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وثقلناك

---

(١) أي يسعى بينهم بالخصومات والشحناء والفتن
(٢) الخطم وزان فلس من كل طائر منقاره ومن كل دابة مقدم الانف والفم فاستعير للشيطان (٣) أى يتركه بدون عمل ليقوى

عن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا والله قال لله عليّ أن لا أملأ بطني من طعام أبداً . قال ابليس : ولله على أن لا أنصح مسلماً أبداً * قال عبد الله بن احمد ثنا أبي ثنا وكيع ثنا الاعمش عن حثيمة عن الحارث بن قيس رضى الله عنه . قال : اذا أتاك الشيطان وأنت تصلى فقال انك ترائى فزدها طولا *

أنبأنا اسماعيل السمرقندى نا عاصم بن الحسن نا على بن محمد نا أبو على بن صفوان نا أبو بكر بن عبيد نا عبد الرحمن بن يونس نا سفيان بن عيينة . قال : سمع عمرو بن دينار عروة بن عامر سمع عبيد بن رفاعة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم يقول : كان راهب فى بنى اسرائيل فأخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب . فأتى بها الراهب فأبى أن يقبلها فما زالوا به حتى قبلها فكانت عنده فاتاه الشيطان فسول له إيقاع الفعل بها فأحبلها ـ ثم أتاه فقال له الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فان أتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس لهم وألقى فى قلوبهم انه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها يسألونه عنها . فقال : ماتت فأخذوه فأتاه الشيطان . فقال : أنا الذى ضربتها وخنقتها وأنا الذى ألقيت فى قلوب أهلها وأنا الذى أوقعتك فى هذا فأطعنى تنج . أسجدلى سجدتين فسجد له سجدتين فهو الذي قال عز وجل « كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين) وقد روى هذا الحديث على صفة أخرى عن وهب بن منبه رضي الله عنه ان عابداً كان فى بنى اسرائيل وكان من أعبد أهل زمانه وكان فى زمانه ثلاثة أخوة لهم أخت وكانت بكراً ليس لهم أخت غيرها . فخرج البعث على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون أختهم ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها . قال فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بنى اسرائيل . وكان ثقة في أنفسهم فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون فى كنفه وجواره الى أن يرجعوا (١) من غزاتهم . فأبى ذلك عليهم وتعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم قال فلم يزالوا به حتى أطاعهم فقال انزلوها فى بيت

(١) وفى نسخة يقفلوا .

حذاء صومعتي قال فأنزلوها فى ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها فمكثت فى جوار ذلك العابد زمانا ينزل اليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يغلق بابه ويصعد الى صومعته ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام قال ؛ فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه فى الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهاراً ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم لأجرك قال : فلم يزل به حتى مشى اليها بطعامها ووضعه على باب بيتها ولم يكلمها قال : فلبث على هذه الحالة زماناً . ثم جاءه ابليس فرغبه فى الخير والاجر وحضه عليه . وقال : لو كنت تمشي اليها بطعامها حتى تضعه فى بيتها كان أعظم لأجرك قال فلم يزل به حتى مشى اليها بالطعام ثم وضعه فى بيتهافلبث على ذلك زمانا ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير وحضه عليه فقال لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فانها قد استوحشت وحشة شديدة . قال : فلم يزل به حتى حدثها زمانا يطلع اليها من فوق صومعته قال : ثم أتاه ابليس بعد ذلك فقال لو كنت تنزل اليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد هى على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها . قال فلبثا زماناً يتحدثان . ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع بها وقال : لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريباً من باب بيتها فحدثتها كان آنس لها . فلم يزل به حتى فعل قال فلبثا زمانا . ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير وفيما له عند الله سبحانه وتعالى من حسن الثواب فيما يصنع بها . وقال له : لودنوت منها وجلست عند باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها ففعل فكان ينزل من صومعته فيقف على باب بيتها فيحدثها فلبثا على ذلك حيناً . ثم جاءه ابليس فقال : لو دخلت البيت معها فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهارها كله فاذا مضى النهار صعد الى صومعته . قال : ثم أتاه ابليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها . فلم يزل به ابليس يحسنها في عينه ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها فولدت له غلاما فجاء ابليس فقال : أرأيت ان جاء أخوة الجارية وقد

ولدت منك كيف تصنع لا آمن عليك أن تفتضح أو يفضحوك فاعمد الى ابنها فاذبحه وادفنه فانها ستكتم ذلك عليك مخافة أخوتها أن يطلعوا على ماصنعت بها ففعل فقال له أتراها تكتم أخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها . قال . خذها واذبحها وادفنها مع ابنها فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها فى الحفرة مع ابنها وأطبق عليهما صخرةعظيمة وسوى عليهما وصعد الى صومعته يتعبد فيها فمكث بذلك ماشاء الله أن يمكث حتي أقبل إخوتها من الغزو ، فجاؤا فسألوه عنها فنعاها لهم وترحم عليها و بكاها . وقال : كانت خير امرأة وهذا قبرها فانظروا اليه . فأتى إخوتها القبر فبكوا أختهم وترحموا عليها فأقاموا على قبرها أياماً ثم انصرفوا الى أهاليهم . فلما جن عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان في النوم على صورة رجل مسافر فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف أراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان . وقال : لم يصدقكم أمر أختكم انه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاماً فذبحه وذبحها معه فزعاً منكم وألقاهما فى حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله فانطلقوا فادخلوا البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله فانكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعاً وأتى الأوسط فى منامه فقال له مثل ذلك. ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم. فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم لقد رأيت الليلة عجبا فأخبر بعضهم بعضاً بما رأى . فقال كبيرهم هذا حلم ليس بشيء فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم قال أصغرهم : والله لا أمضي حتى آتي الى هذا المكان فأنظر فيه قال : فانطلقوا جميعاً حتي أتوا البيت الذى كانت فيه أختهم ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذى وصف لهم فى منامهم فوجدوا اختهم وابنها مذبوحين في الحفيرة كما قيل لهم فسألوا عنها العابد فصدق قول ابليس فيما صنع بهما . فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدم ليصلب فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان فقال له قد علمت أنى أنا صاحبك الذى فتنتك بالمرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها فان أنت أطعتنى اليوم وكفرت بالله الذى خلقك وصورك خلصتك مما أنت فيه . قال :

فـكفر العابد فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه و بين أصحابه فصلبوه قال ففيه نزلت هذه الآية (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك الي قوله جزاء الظالمين) وقد تقدم ذكرها

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم نا أبو بكر الآجرى ثنا عبد الله بن محمد العطيني ثنا ابراهيم بن الجنيد ثنى محمد بن الحسين ثنا بشر بن محمد بن أبان ثنى الحسن بن عبد الله بن مسلم القرشي عن وهب بن منبه رضى الله عنه . قال : كان راهب فى صومعته فى زمن المسيح عليه السلام فأراده ابليس فلم يقدر عليه فأتاه بكل رائدة فلم يقدر عليه . فأتاه متشبها بالمسيح . فناداه : أيها الراهب أشرف عليّ أكلمك . قال : انطلق لشأنك فلست أرد ما مضى من عمرى فقال : اشرف عليّ فأنا المسيح فقال ان كنت المسيح فما لى اليك حاجة ألست قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامة انطلق لشأنك فلا حاجة لى فيك فانطلق اللعين عنه وتركه *

أنبأنا اسماعيل بن أحمد نا عاصم بن الحسن نا على بن محمد بن بشران نا أبو على البردعى ثنا أبو بكر القرشى ثنا أبوعبد الله محمد بن موسى الحرشي ثنا جعفر ابن سليمان ثنا عمرو بن دينـار ثنا سالم بن عبد الله رضى الله عنه عن أبيه قال لما ركب نوح عليـه السلام فى السفينة رأى فيها شيخاً لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك قال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك فقال له نوح عليه السلام أخرج يا عدو الله فقال ابليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله تبارك وتعالى الى نوح عليـه الصلاة والسلام انه لا حاجة لك الى الثلاث مره يحدثك بالاثنتين فقال بهما أهلك النـاس وهما لا يكذبان الحسد (١) والحرص(٢) فبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيما وبالحرص

---

(١) الحسد أن يرى الرجل لاخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه والغبطة أن يتمنى أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه والاول مذموم والثاني محمود وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لاحسد الا فى اثنتين*

(٢) الحرص شدة الارادة والشره الى المطلوب وهو نوعان : حرص فاجع

أبيح لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتي منه فأخرج من الجنة * قال ولقى ابليس موسى عليه السلام فقال يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وأنا من خلق الله تعالى أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لى الى ربي عز وجل أن يتوب على فدعا موسى ربه فقيل ياموسى قد قضيت حاجتك فلقى موسي ابليس فقال له قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك فاستكبر وغضب وقال : لم أسجد له حياً أأسجد له ميتاً ثم قال ابليس : يا موسى ان لك علىَّ حقاً بما شفعت الى ربك فاذكرني عند ثلاث لا أهلك فيهن اذكرني حين تغضب فأنا وحي فى قلبك وعيني فى عينك وأجرى منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف فانى آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره ولده وزوجته وأهله حتى يولى * واياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فانى رسولها اليك ورسولك اليها * قال القرشي وحدثنا أبو حفص الصفار ثنا جعفر ابن سليمان ثنا شعبة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال ما بعث الله نبياً إلا لم يأمن ابليس أن يهلكه بالنساء : قال القرشي وثني القاسم بن هاشم عن ابراهيم بن الأشعث عن فضيل بن عياض : قال حدثني بعض أشياخنا ان ابليس لعنه الله جاء الى موسى عليه الصلاة والسلام وهو يناجي ربه تعالى فقال له الملك ويلك ما ترجو منه وهو على هذه الحالة يناجي ربه قال أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو فى الجنة قال القرشي وثنا أحمد بن عبد الاعلى الشيباني ثنا فرج ابن فضالة عن عبد الرحمن بن زياد رضي الله عنه قال بينما موسى عليه السلام جالس فى بعض مجالسه اذ أقبل ابليس وعليه برنس(١) له يتلون فيه ألواناً فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه وقال له السلام عليك يا موسى : فقال له موسى عليه السلام من أنت قال أنا ابليس قال فلا حياك الله ما جاء بك قال جئت لأسلم عليك

وحرص نافع فالاول حرص المرء على الدنيا وهو مشغول معذب بها فلا يفرغ من محبتها والثاني حرصه على طاعة الله تعالى خوف ان تفوت

(١) البرنس هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به من دراعة أوجبة او غيرهما وقد شاع استعماله فى المغرب

لمنزلتك عند الله تعالى ومكانك منه قال فما الذى رأيته عليك قال به أختطف قلوب بنى آدم : قال فما الذى اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا أعجبته نفسه . واستكثر عمله . ونسى ذنوبه . وأحذرك ثلاثاً *

لا تخلون بامرأة لا تحل لك قط . فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أفتنه بها

ولا تعاهد الله عهداً الا وفيت به فانه ما عاهد الله أحد الا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه و بين الوفاء به

ولا تخرجن صدقة الا أمضيتها فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه و بين إخراجها . ثم ولى وهو يقول ياويله ثلاثاً علم موسى ما يحذر به بنى آدم *

قال القرشى وحدثنى محمد بن ادريس ثنا أحمد بن يونس ثنا حسن بن صالح قال سمعت أن الشيطان قال للمرأة أنت نصف جندى وأنت سهمى الذى أرمى به فلا أخطىء وأنت موضع سرى وأنت رسولى فى حاجتى *

قال القرشى وحدثنا اسحق ابن ابراهيم ثنى هشام بن يوسف بن عقيل بن معقل ابن أخي وهب بن منبه قال سمعت وهباً يقول قال راهب للشيطان وقد بدا له أى أخلاق بنى آدم أعون لك عليهم قال الحدة (٢) إن العبد اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة *

قال القرشى وحدثنا سعيد بن سليمان الواسطى عن سليمان بن المغيرة عن ثابت رضى الله عنه قال لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم جعل ابليس لعنه الله يرسل شياطينه الى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيجيئون اليه بصحفهم ليس فيها شىء فيقول لهم مالكم لا تصيبون منهم شيئاً فقالوا ماصحبنا قوماً مثل هؤلاء فقال رويداً بهم فعسى أن تفتح لهم الدنيا هنالك تصيبون حاجتكم منهم *

قال القرشى وأخبرنا أحمد بن جميل المروزى نا ابن المبارك نا سفيان عن عطاء

---

(١) الحدة مايعترى الانسان من الغضب

ابن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى قال : اذا أصبح ابليس بث جنوده فى الارض فيقول من أضل مسلماً ألبسته التاج. فيقول له القائل لم أزل بفلان حتي طلق امرأته قال يوشك أن يتزوج . ويقول آخر لم أزل بفلان حتى عق قال يوشك أن يبر. ويقول آخر لم أزل بفلان حتى زنى قال أنت . ويقول آخر لم أزل بفلان حتى شرب الخمر قال . أنت قال ويقول آخر لم أزل بفلان حتي قتل فيقول أنت أنت *

قال القرشى وسمعت سعيد بن سليمان يحدث عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال . كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء اليها رجل فقال لأقطعن هذه الشجرة فجاء ليقطعها غضباً لله فلقيه ابليس فى صورة انسان فقال ماتريد قال أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله . قال اذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها قال لأقطعنها . فقال له الشيطان هل لك فيما هو خير لك لاتقطعها ولك ديناران كل يوم اذا اصبحت عند وسادتك . قال فمن اين لى ذلك قال أنا لك فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته ثم اصبح بعد ذلك فلم يجد شيئاً ـ فقام غضباً ليقطعها فتمثل له الشيطان في صورته وقال ماتريد قال أريد قطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله تعالي قال كذبت مالك الى ذلك من سبيل : فذهب ليقطعها فضرب به الارض وخنقه حتي كاد يقتله قال أتدرى من أنا أنا الشيطان جئت أول مرة غضباً لله فلم يكن لي عليك سبيل . فخدعتك بالدينارين فتركتها فلما جئت غضبا للدينارين سلطت عليك *

قال القرشى وحدثنا بشر بن الوليد الكندى ثنا محمد بن طلحة عن زيد بن مجاهد قال لابليس خمسة من ولده قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره . ثم سماهم : فذكر ثبر والاعور . ومسوط . وداسم . وزكنبور : فأما ثبر فهو صاحب المصيبات الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية وأما الاعور فهو صاحب الزنا الذى يأمر به ويزينه . وأما مسوط فهو صاحب الكذب الذى يسمع فيلقى الرجل فيخبره بالخبر فيذهب الرجل الى القوم فيقول لهم قد رأيت رجلا أعرف وجهه ولا أدرى ما اسمه حدثني بكذا وكذا . وأما داسم فهو الذى يدخل مع الرجل الى أهله

يريه العيب فيهم و يغضبه عليهم . وأما زكنبور فهو صاحب السوق الذى يركز رايته فى السوق *

أخبرنا محمد بن القاسم نا احمد بن احمد نا أبو نعيم ثنا ابراهيم بن عبد الله ثنا محمد بن اسحاق ثنا اسماعيل بن أبى الحارث ثنا سنيد عن مخلد بن الحسين قال ماندب الله العباد الى شيء الا اعترض فيه ابليس بأمرين ما يبالى بأيهما ظفر إما غلو فيه واما تقصير عنه * وبالاسناد قال محمد بن اسحاق وثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن أبى قبيل سمعت حياة بن شراحيل يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول . ان ابليس موثق فى الارض السفلى فاذا هو تحرك كان كل شر فى الارض بين اثنين فصاعداً من تحركه *

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله . قلت : وفتن الشيطان ومكايده كثيرة وسيأتى فى غضون هذا الكتاب منها مايليق بكل موضع منه ان شاء الله تعالى : ولكثره فتن الشيطان وتشبثها بالقلوب عزت السلامة . فان من يدع الى ما يحث عليه الطبع كمداد سفينة منحدرة فيا سرعة انحدارها * ولما ركب الهوى فى هاروت وماروت لم يستمسكا فاذا رأت الملائكة مؤمناً قدمات على الايمان تعجبت من سلامته *

وأخبرنا محمد بن أبى منصور نا جعفر بن احمد نا الحسن بن على التميمى ثنا أبو بكر بن حمدان ثنا عبدالله بن احمد ثنى ابن سريج قال ثنا عتبة بن عبدالواحد عن مالك بن مغول عن عبدالعزيز بن رفيع قال : اذا عرج بروح المؤمن الى السماء قالت الملائكة سبحان الله الذى نجى هذا العبد من الشيطان يا ويحه كيف نجا *

﴿ ذكر الاعلام بأن مع كل انسان شيطانا ﴾

أخبرنا أبو الحصين الشيباني نا أبو على المذهب نا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله بن احمد بن حنبل ثنى أبى ثنا هرون ثنا عبد الله بن وهب أخبرنى أبو صخر عن ابن قسيط أنه حدثه أن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حدثته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلا قالت فغرت عليه

فجاء فرأى ما أصنع فقال مالك ياعائشة أغرت (١) فقلت ومالى لا يغار مثلى على مثلك فقال أو قد جاءك شيطانك قالت يارسول الله أو معى شيطان قال نعم قلت ومع كل انسان قال نعم قلت ومعك يارسول الله قال نعم ولكن ربى عز وجل أعانني عليه حتى أسلم : انفرد به مسلم ويجيء بلفظ آخر أعانني عليه فأسلم * قال الخطابى عامة الرواة يقولون فأسلم على مذهب الفعل الماضى الا سفيان بن عيينة فانه يقول فأسلم من شره وكان يقول الشيطان لا يسلم *قال الشيخ وقول ابن عيينة حسن وهو يظهر أثر المجاهدة لمخالفة الشيطان الا أن حديث ابن مسعود كأنه يرد قول ابن عيينة وهو ما أخبرنا به ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد ثنا أبى ثنا يحيى عن سفيان ثنى منصور عن سالم بن أبى الجعد عن أبيه عن ابن مسعود يرفعه ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياى ولكن الله عز وجل أعانني عليه فلا يأمرنى الا بحق : وفى رواية فلا يأمرنى الا بخير . قال الشيخ انفرد به مسلم . واسم أبى الجعد رافع وظاهره اسلام الشياطين ويحتمل القول الآخر *

﴿ بيان أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ﴾

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا احمد بن جعفر نا عبد الله بن احمد ثنى أبى ثنى عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهرى عن على بن الحسين عن صفية بنت حيي زوج النبي قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتكفاً فأتيته أزوره ليلا فحدثته ثم قمت لأنقلب فقام معى ليقلبنى (٢) وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الانصار فلما رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعا فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلكما انها صفية بنت حيي فقالا سبحان الله يا رسول الله قال ان الشيطان (٣) يجرى من ابن آدم مجرى الدم وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما

---

(١) وهى الحمية والانفة يقال رجل غيور وامرأة غيور

(٢) ليقلبنى بفتح الياء أى ليردنى الى منزلى

(٣) ظاهر الحديث ان الله تعالى جعل للشيطان قوة وقدرة على الجرى فى

شراً أو قال شيئاً : الحديث فى الصحيحين : قال الخطابي وفى هذا الحديث من العلم استحباب أن يحذر الانسان من كل أمر من المكروه مما تجرى به الظنون ويخطر بالقلوب وأن يطلب السلامة من الناس باظهار البراءة من الريب * ويحكى فى هذا عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال خاف النبي صلى الله عليه وسلم أن يقع فى قلوبهما شيء من أمر فيكفرا وانما قاله صلى الله عليه وسلم شفقة منه عليهما لا على نفسه *

﴿ ذكر التعوذ من الشيطان الرجيم[1] ﴾

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله قد أمر الله تعالى بالتعوذ من الشيطان الرجيم عند التلاوة فقال تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم): وعند السحر . فقال (قل أعوذ برب الفلق) الى آخر السورة . فاذا أمر بالتحرز من شره فى هذين الأمرين فكيف فى غيرهما *

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا احمد بن جعفر نا عبد الله بن احمد ثنا أبى ثنا سيار ثنا جعفر ثنا أبو التياح قال قلت لعبد الرحمن بن حنيش : أدركت النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم قلت كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين فقال ان الشياطين تحدرت[2] تلك الليلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهبط اليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد قل : قال ما أقول . قال قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر

باطن الانسان في مجارى دمه ويحتمل أنه من قبيل الاستعارة لكثرة اغوائه ووسوسته فكأنه لايفارق الانسان كما لايفارقه دمه وقيل انه يلقى وسوسته في مسام لطيفة من البدن فتصل الى القلب

(١) التعوذ التحصن والاعتصام والالتجاء والمعوذتان عوذتا قارأهما أى عصمتاه من كل سوء

(٢) من الحدور اى تنزلت

ماينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق الا طارقا يطرق بخير يا رحمن : قال فطفئت نارهم وهزمهم الله تعالى *

أنبأنا اسماعيل بن احمد السمرقندى نا عاصم بن الحسن نا أبو الحسين بن بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشي حدثنى أبو سلمة المخزومى ثنا ابن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الشيطان يأتى أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه * قال القرشي ثنا هناد بن السرى ثنا أبو الاحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمذانى عن ابن مسعود رضي الله عنه برفعه قال ان للشيطان لمة(١) بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق * وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق * فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم أنه من الله فليحمد الله * ومن وجد الاخرى فليتعوذ من الشيطان * ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) الآية *

قال الشيخ رحمه الله وقد رواه جرير عن عطاء فوقفه على ابن مسعود * أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبى ثنا عبد الرزاق نا سفيان عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما : قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة . من كل شيطان وهامة . ومن كل عين لامة . ثم يقول هكذا كان أبى ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم يعوذ اسماعيل واسحاق أخرجاه فى الصحيحين : قال أبو بكر ابن الانبارى الهامة واحد الهوام ويقال هى كل نسمة تهم بسوء واللامة الملمة وانما قال لامة ليوافق لفظ هامة فيكون ذلك أخف على اللسان *

أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا ابراهيم بن عمر البرمكى نا

---

(٢) اللمة الهمة والخطرة تقع في القلب فما كان من خطرات الخير فهو من الملك وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان

أبو الحسين عبد الله بن ابراهيم الزينبي ثنا محمد بن خلف ثنا عبد الله بن محمد ثنا فضيل بن عبد الوهاب ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت قال قال مطرف نظرت فاذا ابن آدم ملقى بين يدى الله عز وجل و بين ابليس فان شاء أن يعصمه عصمه وان تركه ذهب به ابليس (وحكى) عن بعض السلف أنه قال لتلميذه ما تصنع بالشيطان اذا سول لك الخطايا قال أجاهده قال فان عاد قال أجاهده قال فان عاد قال أجاهده . قال هذا يطول أرأيت ان مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ما تصنع قال أكابده وأرده جهدى . قال هذا يطول عليك ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك *

قال الشيخ : رحمه الله : واعلم أن مثل ابليس مع المتقى والمخلط كرجل جالس بين يديه طعام فمر به كلب فقال له اخسأ فذهب فمر بآخر بين يديه طعام ولحم فكلما أحساه لم يبرح فالأول مثل المتقى يمر به الشيطان فيكفيه فى طرده الذكر : والثانى مثل المخلط لا يفارقه الشيطان لمكان تخليطه نعوذ بالله من الشيطان *

﴿ الباب الرابع ﴾

فى معنى التلبيس والغرور

قال المصنف : التلبيس اظهار الباطل فى صورة الحق والغرور نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحاً والردىء جيداً : وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك . و إنما يدخل إبليس على الناس بقدر ما يمكنه ويزيد تمكنه منهم و يقل على مقدار يقظتهم وغفلتهم وجهلهم وعلمهم * واعلم أن القلب كالحصن وعلى ذلك الحصن سور وللسور أبواب وفيه ثلم (١) وساكنه العقل والملائكة تتردد الى ذلك الحصن والى جانبه ربض (٢) فيه الهوى والشياطين تختلف الى ذلك الربض من غير مانع والحرب قائم بين أهل الحصن وأهل الربض والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة

(١) الثلم جمع ثلمة كغرفة وغرف وهي فى الاصل موضع الكسر من القدح
(٢) الربض بفتحتين المكان الذي يؤوى اليه

الحارس والعبور من بعض الثلم . فينبغي للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذى قد وكل بحفظه وجميع الثلم وأن لا يفتر عن الحراسة لحظة * فان العدو ما يفتر . قال رجل للحسن البصرى أينام ابليس قال لو نام لوجدنا راحة وهذا الحصن مستنير بالذكر مشرق بالايمان وفيه مرآة صقيلة يتراآى فيها صور كل ما يمر به فأول ما يفعل الشيطان فى الربض اكثار الدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة وكمال الفكر يرد الدخان وصقل الذكر يجلو المرآة وللعدو حملات فتارة يحمل فيدخل الحصن . فيكر عليه الحارس فيخرج وربما دخل فعاث [١] وربما أقام لغفلة الحارس وربما ركدت الريح الطاردة للدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة فيمر الشيطان ولا يدرى به وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واستخدم وأقيم يستنبط الحيل فى موافقة الهوى ومساعدته وربما صار كالفقيه فى الشر * قال بعض السلف رأيت الشيطان فقال لى قد كنت ألقى الناس فأعلمهم فصرت ألقاهم فأتعلم منهم : وربما هجم الشيطان على الذكى الفطن ومعه عروس الهوى قد جلاها فيتشاغل الفطن بالنظر اليها فيستأسره وأقوى القيد الذى يوثق به الأسرى الجهل . وأوسطه فى القوة الهوى وأضعفه الغفلة وما دام درع الايمان على المؤمن فان نبل العدو لا يقع فى مقتل *

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ نا ابو محمد بن حيان ثنا احمد بن محمد بن يعقوب ثنا محمد بن يوسف الجوهرى ثنا أبو غسان النهدى قال سمعت الحسن بن صالح رحمه الله يقول : ان الشيطان ليفتح للعبد تسعة وتسعين باباً من الخير يريد به باباً من الشر * أنبأنا على بن عبد الله نا محمد بن محمد النديم نا عمى عبد الواحد بن احمد ثنى أبي احمد بن الحسين العدل ثنا ابو جعفر محمد بن صالح ثنا حيان بن الفلس الجاني ثنا حماد بن شعيب عن الاعمش قال حدثنا رجل كان يكلم الجن قالوا ليس علينا أشد ممن يتبع السنة وأما اصحاب الأهواء فانا نلعب بهم لعباً *

---

(١) عاث يعيث عيثاً أفسد

﴿ الباب الخامس ﴾

« في ذكر تلبيسه في العقائد والديانات »

ذكر تلبيسه على السوفسطائية (١)

قال الشيخ هؤلاء قوم ينسبون الى رجل يقال له سوفسطا : زعموا أن الاشياء لاحقيقة لها وان ما يستبعده يجوز أن يكون على ما نشاهده و يجوز ان يكون على غير ما نشاهده : وقد أورد العلماء عليهم . بأن قالوا لمقالتكم هذه حقيقة ام لا فان قلتم لا حقيقة لها وجوزتم عليها البطلان فكيف يجوز ان تدعوا الى ما لاحقيقة له فكأنكم تقرون بهذا القول انه لا يحل قبول قولكم : وان قلتم لها حقيقة فقد تركتم مذهبكم . وقد ذكر مذهب هؤلاء ابو محمد الحسن بن موسى النوبختي فى كتاب الآراء والديانات : فقال رأيت كثيراً من المتكلمين قد غلطوا فى أمر هؤلاء غلطا بيناً . لانهم ناظروهم وجادلوهم وراموا بالحجاج والمناظرة الرد عليهم وهم لم يثبتوا حقيقة ولا أقروا بمشاهدة فكيف تكلم من يقول لا أدرى ايكلمنى أم لا وكيف تناظر من يزعم أنه لا يدرى أموجود هو أم معدوم وكيف تخاطب من يدعى أن المخاطبة بمنزلة السكوت فى الابانة وأن الصحيح بمنزلة الفاسد * قال ثم انه انما يناظر من يقر بضرورة أو يعترف بأمر فيجعل ما يقر سبباً الى تصحيح ما يجحده * فاما من لا يقر بذلك فمجادلته مطروحة : قال الشيخ وقد رد هذا الكلام ابو الوفاء بن عقيل

---

(١) اعلم ان السوفسطائية انقسمت ثلاثة مذاهب : الاول ينكر حقائق الاشياء ويزعم أنها أوهام وهم العنادية والثاني ينكر العلم بثبوت الشيء ولا بعدم ثبوته ولا ينكر نفس الحقائق ولا يثبتها ويزعم أنه شاك وشاك في أنه شاك وهم اللاأدرية والثالث يزعم أن الحقائق تابعة للاعتقادات مع كونه ينكر ثبوتها وهم العندية وهي مذكورة في كلام المصنف علي هذا الترتيب

فقال ان أقواماً قالوا كيف نكلم هؤلاء وغاية ما يمكن المجادل أن يقرب المعقول الى المحسوس ويستشهد بالشاهد فيستدل به على الغائب : وهؤلاء لا يقولون بالمحسوسات فبم يكلمون . قال وهذا كلام ضيق العطن : ولا ينبغي أن يؤيس من معالجة هؤلاء فان ما اعتراهم ليس بأ كثر من الوسواس ولا ينبغي أن يضيق عطننا عن معالجتهم فانهم قوم أخرجتهم عوارض انحراف مزاج وما مثلنا ومثلهم الا كرجل رزق ولداً أحول فلا يزال يرى القمر بصورة قمرين . حتى أنه لم يشك أن فى السماء قمرين : فقال له أبوه القمر واحد وانما السوء فى عينيك : غض عينك الحولاء وانظر : فلما فعل قال أرى قمراً واحداً لأنى عصبت احدى عينى فغاب أحدهما فجاء من هذا القول شبهة ثانية فقال له أبوه ان كان ذلك كما ذكرت فغض الصحيحة ففعل فرأى قمرين. فعلم صحة ماقال أبوه *

أنبأنا محمد بن ناصر نا الحسن بن احمد بن البنا ثنا ابن دودان نا أبو عبد الله المرزباني ثنى أبو عبد الله الحكيمى ثنى يموت بن المزرع ثنى محمد بن عيسى النظام قال : مات ابن لصالح بن عبد القدوس فمضى اليه أبو الهذيل ومعه النظام وهو غلام حدث كالمتوجع له . فرآه منحرفاً فقال له أبو الهذيل : لا أعرف لجزعك وجهاً اذا كان الناس عندك كالزرع فقال له صالح ياأبا الهذيل : إنما أجزع عليه : لانه لم يقرأ كتاب الشكوك : فقال له أبو الهذيل : وما كتاب الشكوك قال هو كتاب وضعته من قرأه يشك فيما قد كان حتى يتوهم أنه لم يكن : وفيما لم يكن حتى يظن انه قدكان : فقال له النظام فشك أنت فى موت ابنك واعمل على أنه لم يمت . وان كان قد مات فشك أيضاً فى أنه قد قرأ الكتاب وان كان لم يقرأه * وحكى أبوالقاسم البلخي أن رجلا من السوفسطائية كان يختلف الى بعض المتكلمين فأتاه مرة فناظره فأمر المتكلم بأخذ دابته فلما خرج لم يرها فرجع اليه فقال سرقت دابتى فقال ويحك لعلك لم تأت راكباً قال بلى قال فكر : قال هذا أمر أتيقنه : فجعل يقول له تذكر : فقال ويحك ويحك ما هذا موضع تذكر : أنا لا أشك أننى جئت راكباً : قال فكيف تدعى أنه لا حقيقة لشيء وان حال اليقظان كحال النائم فوجم السوفسطائي ورجع عن مذهبه *

(فصل) قال النوبختي قد زعمت فرقة من المتجاهلين انه ليس للأشياء حقيقة واحدة فى نفسها: بل حقيقتها عند كل قوم على حسب ما يعتقد فيها: فان العسل يجده صاحب المرة الصفراء مراً. ويجده غيره حلواً. قالوا وكذلك العالم هو قديم عند من اعتقد قدمه. محدث عند من اعتقد حدوثه. واللون جسم عند من اعتقده جسما وعرض عند من اعتقده عرضاً * قالوا فلو توهمنا عدم المعتقدين وقف الأمر على وجود من يعتقد. وهؤلاء من جنس السوفسطائية فيقال لهم أقولكم صحيح. فسيقولون هو صحيح عندنا. باطل عند خصمنا. قلنا دعواكم صحة قولكم مردودة وإقراركم بأن مذهبكم عند خصمكم باطل شاهد عليكم ومن شهد على قولهم بالبطلان من وجه فقد كفى خصمه بتبيين فساد مذهبه ومما يقال لهم أتثبتون للمشاهدة حقيقة فان قالوا لا. لحقوا بالاولين وان قالوا حقيقتها على حسب الاعتقاد فقد نفوا عنها الحقيقة فى نفسها وصار الكلام معهم كالكلام مع الأولين *

(فصل) قال النوبختي ومن هؤلاء من قال ان العالم فى ذوب وسيلان قالوا ولا يمكن الانسان أن يتفكر فى الشيء الواحد مرتين. لتغير الاشياء دائما فيقال لهم كيف علم هذا وقد أنكرتم ثبوت ما يوجب العلم. وربما كان أحدكم الذى يجيبه الآن غير الذى كلمه

﴿ ذكر تلبيسه على الدهرية ﴾

قال المصنف. قد أوهم إبليس خلقاً كثيراً أنه لا إله ولا صانع. وأن هذه الاشياء كانت بلا مكون. وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس ولم يستعملوا فى معرفته العقل جحدوه وهل يشك ذو عقل فى وجود صانع فان الانسان لو مر بقاع ليس فيه بنيان ثم عاد فرأى حائطاً مبنيا علم أنه لا بد له من بان بناه. فهذا المهاد الموضوع. وهذا السقف المرفوع. وهذه الابنية العجيبة والقوانين الجارية على وجه الحكمة. أما تدل على صانع * وما أحسن ما قال بعض العرب إن البعرة تدل على البعير * فهيكل علوي بهذه اللطافة. ومركز سفلي بهذه الكثافة * أما يدلان على اللطيف الخبير * ثم لو تأمل الانسان نفسه لكفت دليلا * ولشفت غليلا فان في هذا الجسد

من الحكم ما لا يسع ذكره في كتاب * ومن تأمل تحديد الاسنان لتقطع . وتقريض الاضراس لتطحن . واللسان يقلب الممضوغ وتسليط الكبد على الطعام ينضجه . ثم ينفذ الى كل جارحة قدر ما تحتاج اليه من الغذاء . وهذه الاصابع التي هيئت فيها العقد لتطوى وتنفتح . فيمكن العمل بها . ولم تجوف لكثرة عملها إذ لو جوفت لصدمها الشيء القوي فكسرها . وجعل بعضها أطول من بعض لتستوي اذا ضمت . وأخفى فى البدن ما فيه قوامه وهي النفس التي اذا ذهبت فسد العقل الذي يرشد الى المصالح . وكل شيء من هذه الاشياء ينادي أفي الله شك وإنما يخبط الجاحد لانه طلبه من حيث الحس . ومن الناس من جحده لانه لما أثبت وجوده من حيث الجملة لم يدركه من حيث التفصيل فجحد أصل الوجود . ولو أعمل هذا فكره لعلم ان لنا أشياء لا تدرك الا جملة كالنفس والعقل . ولم يمتنع أحد من إثبات وجودهما . وهل الغاية إلا إثبات الخلق جملة . وكيف يقال كيف هو أو ما هو ولا كيفية له ولا ماهية . ومن الادلة القطعية على وجوده ان العالم حادث بدليل أنه لا يخلو من الحوادث . وكل ما لا ينفك عن الحوادث حادث ولا بد لحدوث هذا الحادث من مسبب وهو الخالق سبحانه . وللملحدين اعتراض يتطاولون به على قولنا لا بد للصنعة من صانع فيقولون إنما تعلقتم في هذا بالشاهد واليه تقاضيكم فنقول كما أنه لا بد للصنعة من صانع فلا بد للصورة الواقعة من الصانع من مادة تقع الصورة فيها كالخشب لصورة الباب والحديد لصورة الفأس . قالوا فدليلكم الذي تثبتون به الصانع يوجب قدم العالم . فالجواب أنه لا حاجة بنا الى مادة بل نقول إن الصانع اخترع الاشياء اختراعا فانا نعلم أن الصور والاشكال المتجددة في الجسم كصورة الدولاب ليس لها مادة . وقد اخترعها ولا بد لها من مصور فقد أريناكم صورة وهي شيء جاءت لا من شيء ولا يمكنكم أن ترونا صنعة جاءت لا من صانع *

﴿ ذكر تلبيسه على الطبائعين ﴾ (١)

قال المصنف لما رأى إبليس قلة موافقته على جحد الصانع لكون العقول شاهدة بأنه لا بد للمصنوع من صانع حسن لأقوام أن هذه المخلوقات فعل الطبيعة وقال مامن شيء يخلق إلا من اجتماع الطبائع الأربع فيه * فدل على انها الفاعلة وجواب هذا نقول اجتماع الطبائع دليل على وجودها لا على فعلها ثم قد ثبت أن الطبائع لا تفعل إلا باجتماعها وامتزاجها . وذلك يخالف طبيعتها فدل على أنها مقهورة . وقد سلموا أنها ليست بحية ولا عالمة ولا قادرة ومعلوم أن الفعل المتسق المنتظم لا يكون الا من عالم حكيم فكيف يفعل من ليس عالما وليس قادراً : فان قالوا ولو كان الفاعل حكيما لم يقع فى بنائه خلل . ولا وجدت هذه الحيوانات المضرة فعلم أنه بالطبع * قلنا ينقلب هذا عليكم بما صدر منه من الامور المنتظمة المحكمة التي لا يجوز أن يصدر مثلها عن طبع * فأما الخلل المشار اليه فيمكن أن يكون للابتلاء والردع والعقوبة أو فى طيه منافع لا نعلمها ثم أين فعل الطبيعة من شمس تطلع في نيسان على أنواع من الحبوب فترطب الحصرم والخلالة وتنشف البرة وتيبسها ولو فعلت طبعاً لأيبست الكل أو رطبته فلم يبق الا أن الفاعل المختار استعملها بالمشيئة في يبس هذه للادخار والنضج في هذه للتناول والعجب ان الذى أوصل اليها اليبس فى أكنة (٢) لا يلقى جرمها والذى رطبها يلقى جرمها ثم انها تبيض ورد الخشخاش وتحمر الشقائق وتحمض الرمّان وتحلي العنب . والماء واحد . وقد أشار المولى الى هذا بقوله (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل) *

---

(١) الطبائعين نسبة الى الطبائع الاربعة وهى التراب والماء والنار والهواء على مذهبهم هداهم الله الى صراطه المستقيم ويعتقدون أنها أصول كل شيء

(٢) الأكنة الأغطية واحد الأكنان قال تعالى (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أي أغطية *

﴿ ذكر تلبيسه على الثنوية ﴾

وهم قوم قالوا صانع العالم اثنان . ففاعل الخير نور . وفاعل الشر ظلمة وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا قويين حساسين سميعين بصيرين . وهما مختلفان فى النفس والصورة متضادان فى الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل حسن نير صاف نقي طيب الريح حسن المنظر ونفسه نفس خيرة كريمة حكيمة نفاعة منها الخير واللذة والسرور والصلاح . وليس فيها شيء من الضرر ولا من الشر وجوهر الظلمة على ضد ذلك من الكدر والنقص ونتن الريح وقبح المنظر ونفسه نفس شريرة بخيلة سفيهة منتنة ضرارة منها الشر والفساد . كذا حكاه النوبختي عنهم قال . وزعم بعضهم أن النور لم يزل فوق الظلمة * وقال بعضهم بل كل واحد الى جانب الآخر * وقال أكثرهم النور لم يزل مرتفعا في ناحية الشمال والظلمة منحطة في ناحية الجنوب . ولم يزل كل واحد منهما مباينا لصاحبه قال النوبختي وزعموا أن كل واحد منهما له أجناس خمسة * أربعة منها أبدان وخامس هو الروح * وأبدان النور أربعة * النار والريح * والتراب * والماء وروحه الشبح ولم تزل تتحرك فى هذه الابدان * وأبدان الظلمة أربعة الحريق والظلمة والسموم والضباب * وروحها الدخان وسموا أبدان النور ملائكة * وسموا أبدان الظلمة شياطين وعفاريت * وبعضهم يقول الظلمة تتوالد شياطين والنور يتوالد ملائكة * وأن النور لايقدر على الشر ولايجوز منه * والظلمة لاتقدر على الخير ولا تجوز منه * وذكر لهم مذاهب مختلفة فيما يتعلق بالنور والظلمة* ومذاهب سخيفة * فمنها أنه فرض عليهم ألا يدخرون إلا قوت يوم وقال بعضهم . على الانسان صوم سبع العمر * وترك الكذب والبخل والسحر وعبادة الأوثان والزنى والسرقة * وأن لا يؤذي ذا روح * في مذاهب طريفة اخترعوها بواقعاتهم الباردة * وذكر يحيى بن بشر النهاوندى أن قوما منهم يقال لهم (الديصانية) زعموا أن طبيعة العالم (١) كانت طينة خشنة وكانت تحاكى جسم البارى الذى هو النور

(١) وفي نسخة طينة العالم

زمانا . فتأذى بها . فلما طال عليه ذلك قصد تنحيتها عنه فتوحل فيها واختلط بها فتركب منها هذا العالم النورى والظلمى . فما كان من جهة الصلاح فمن النور : وما كان من جهة الفساد فمن الظلمة وهؤلاء يغتالون الناس ويخنقونهم و يزعمون أنهم يخلصون بذلك النور من الظلمة . مذاهب سخيفة . والذى حملهم على هذا أنهم رأوا في العالم شراً واختلافا فقالوا لا يكون من أصل واحد شيئان مختلفان : كما لايكون من النار التبريد والتسخين * وقد رد العلماء عليهم فى قولهم أن الصانع اثنان : فقالوا لو كان اثنين لم يخل أن يكونا قادرين : أو عاجزين : أو أحدهما قادر والآخر عاجز : لايجوز أن يكونا عاجزين لأن العجز يمنع ثبوت الألوهية : ولايجوز أن يكون أحدهما عاجزا : فبقى أن يقال هما قادران : فتصور أن أحدهما يريد تحريك هذا الجسم فى حالة يريد الآخر فيها تسكينه : ومن المحال وجود ما يريدانه : فان تم مراد أحدهما ثبت عجز الآخر : وردوا عليهم فى قولهم : ان النور يفعل الخير والظلمة تفعل الشر. فانه لوهرب مظلوم فاستتر بالظلمة فهذا خير قد صدر من شر ولاينبغى مد النفس فى الكلام مع هؤلاء فان مذاهبهم خرافات *

* ذكر تلبيسه على الفلاسفة وتابعيهم *

انما تمكن ابليس من التلبيس على الفلاسفة من جهة أنهم انفردوا بآرائهم وعقولهم . وتكلموا بمقتضى ظنونهم من غير التفات الى الانبياء . فمنهم من قال بقول الدهرية أن لاصانع للعالم حكاه النوبختى وغيره عنهم * وحكى النهاوندى أن أرسطاطاليس وأصحابه زعموا أن الارض كوكب فى جوف هذا الفلك وأن فى كل كوكب عوالم كما فى هذا الارض وأنهاراً وأشجاراً وأنكروا الصانع وأكثرهم أثبت علة قديمة للعالم ثم قال بقدم العالم وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ومعلولا له ومساويا غير متأخر عنه بالزمان مساواة المعلول للعلة والنور للشمس بالذات والرتبة لا بالزمان فيقال لهم لم أنكرتم أن يكون العالم حادثاً بارادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذى وجد فيه . فان قالوا فهذا يوجب أن يكون بين وجود البارى و بين المخلوقات زمان . قلنا الزمان مخلوق وليس قبل الزمان زمان . ثم يقال لهم كان الحق سبحانه قادراً على

أن يجعل سمك الفلك الأعلى أكثر مما هو بذراع أو أقل مما هو بذراع * فان قالوا لا يمكن فهو تعجيز. ولان ما لا يمكن أن يكون أكبر منه ولا أصغر فوجوده على ما هو عليه واجب لا ممكن والواجب يستغنى عن علة وقد ستروا مذهبهم بأن قالوا الله عزوجل صانع العالم وهذا تجوز عندهم لا حقيقة . لان الفاعل مريد لما يفعله وعندهم أن العالم ظهر ضروريًا لا أن الله فعله ومن مذاهبهم أن العالم باق أبداً كما لا بداية لوجوده فلا نهاية . قالوا لانه معلول علة قديمة . وكان المعلول مع العلة . ومتى كان العالم ممكن الوجود لم يكن قديما ولا معلولا * وقد قال جالينوس لو كانت الشمس مثلا تقبل الانعدام لظهر فيها ذبول (١) فى هذه المدة الطويلة . فيقال له قد يفسد الشيء بنفسه بغتة لا بالذبول ثم من أين له أنها لا تذبل فانها عندهم بمقدار الارض مائة وسبعين مرة أو نحو ذلك فلو نقص منها مقدار جبل لم يبن ذلك للحس . ثم نحن نعلم ان الذهب والياقوت يقبلان الفساد وقد يبقيان سنين ولا يحس نقصانهما وانما الايجاد والاعدام بارادة القادر والقادر لا يتغير فى نفسه ولا تحدث له صفة وإنما يتغير الفعل بارادة قديمة *

(فصل) وحكى النوبختى في كتاب الآراء والديانات أن سقراط كان يزعم أن أصول الاشياء ثلاثة : علة فاعلة . والعنصر . والصورة * قال والله تعالى هو الفعال (٢) والعنصر هو الموضوع الاول للكون والفساد . والصورة جوهر للجسم . وقال آخر منهم . الله هو العلة الفاعلة . والعنصر المنفعل . و قال آخر منهم : العقل رتب الاشياء هذا الترتيب . وقال آخر منهم بل الطبيعة فعلته *

وحكى يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي أن قوما من الفلاسفة قالوا لما شاهدنا العالم مجتمعاً ومتفرقا ومتحركا وساكناً علمنا أنه محدث ولا بد له من محدث ثم رأينا أن الانسان يقع فى الماء ولا يحسن السباحة فيستغيث بذلك الصانع المدبر فلا يغيثه

---

(١) يقال ذبل الشيء ضعف وذهبت نضارته

(٢) وفي نسخة هو العقل

أو فى النار فعلمنا أن ذلك الصانع معدوم . قال واختلف هؤلاء في عدم هذا الصانع المدبر على ثلاث فرق : فرقة زعمت أنه لما أكمل العالم استحسنه نخشى أن يزيد فيه أو ينقص منه فيفسد فأهلك نفسه وخلا منه العالم : و بقيت الاحكام تجري بين حيواناته ومصنوعاته على ما اتفق . وقالت الفرقة الثانية : بل ظهر فى ذات البارى تولول فلم يزل تنجذب قوته ونوره حتى صارت القوة والنور في ذلك التولول وهو العالم وساء نور البارى وكان الباقى منه سنور

وزعموا أنه سيجذب النور من العالم اليه حتى يعود كما كان و لضعفه عن مخلوقاته أهمل أمرهم فشاع الجور

وقالت الفرقة الثالثة : بل البارى لما أتقن العالم تفرقت أجزاؤه فيه فكل قوته فى العالم فهى من جوهر اللاهوتية * قال الشيخ رحمه الله هذا الذى ذكره النهاوندى نقلته من نسخة بالنظامية قد كتبت منذ مائتين وعشرين سنة : ولولا أنه قد قيل ونقل فى ذكره بيان ما قد فعل ابليس فى تلبيسه لكان الاولى الاضراب عن ذكره تعظيما لله عز وجل أن يذكر بمثل هذا ولكن قد بينا وجه الفائدة فى ذكره *

(فصل) وقد ذهب أكثر الفلاسفة الى أن الله تعالى لا يعلم شيئا وانما يعلم نفسه وقد ثبت أن المخلوق يعلم نفسه ويعلم خالقه فقد زادت مرتبة المخلوق على رتبة الخالق *

قال المصنف وهذا اظهر فضيحة من أن يتكلم عليه . فانظر الى ما زينه ابليس لهؤلاء الحمقاء مع ادعائهم كمال العقل * وقد خالفهم أبو على ابن سينا في هذا فقال بل يعلم نفسه . و يعلم الاشياء الكلية ولا يعلم الجزئيات . وتلقف هذا المذهب منهم المعتزلة وكأنهم استكثروا المعلومات . فالحمد لله الذى جعلنا ممن ينفى عن الله الجهل والنقص ونؤمن بقوله (ألا يعلم من خلق) وقوله (و يعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) وذهبوا الى ان علم الله وقدرته هو ذاته فراراً من ان يثبتوا قديمين وجوابهم ان يقال انما هو قديم موجود واحد موصوف بصفات الكمال

(فصل) قال المصنف وقد انكرت الفلاسفة بعث الاجساد ورد الارواح الى الابدان ووجود جنة ونار جسمانيين وزعموا أن تلك أمثلة ضربت لعوام الناس ليفهموا

الثواب والعقاب الروحانيين * وزعموا أن النفس تبقى بعد الموت بقاء سرمديا أبداً إما فى لذة لا توصف وهى الانفس الكاملة أو ألم لا يوصف وهى النفوس المتلوثة . وقد تتفاوت درجات الألم على مقادير الناس وقد ينمحى عن بعضها الألم ويزول فيقال لهم نحن لا ننكر وجود النفس بعد الموت ولذلك سمي عودها اعادة . ولا أن لها نعيما وشقاء . ولكن ما المانع من حشر الاجساد : ولم تنكر اللذات والآلام الجسمانية فى الجنة والنار وقد جاء الشرع بذلك فنحن نؤمن بالجمع بين السعادتين . و بين الشقاوتين الروحانية والجسمانية وأما اقامتكم الحقائق فى مقام الامثال فتحكم بلا دليل فان قالوا الابدان تنحل وتؤكل وتستحيل . قلنا القدرة لا يقف بين يديها شيء . على أن الانسان انسان بنفسه . فلو صنع له البدن من تراب غير التراب الذى خلق منه لم يخرج عن كونه هو هو كما أنه تتبدل أجزاؤه من الصغر الى الكبر و بالهزال والسمن. فان قالوا لم يكن البدن بدناً حتى يرقى من حالة الى حالة الى أن صار لحماً وعروقاً . قلنا قدرة الله سبحانه وتعالى لا تقف على المفهوم المشاهد ثم قد أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن الاجسام تنبت فى القبور قبل البعث وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار نا أبو محمد الجوهرى نا عمر بن محمد بن الزيات ثنا قاسم بن زكريا المطرز ثنا أبو كريب ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون (١) قالوا يا ابا هريرة أربعون يوما قال أبيت قالوا أربعون شهراً قال أبيت قالوا أربعون سنة قال ابيت قال ثم ينزل الله ماء من السماء فينبتون كما ينبت البقل قال وليس من الانسان شيء إلا يبلي إلا عظماً واحداً وهو عجب (٢) الذنب منه خلق ومنه يركب الخلق يوم القيامة أخرجاه فى الصحيحين *

---

(١) هذه رواية مسلم ورواية البخارى المسؤول فيها هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومعنى أبيت امتنعت عن الاخبار بمالا أعلم وقد جاءت مفسرة من رواية غيره فى غير مسلم أربعون سنة

(٢) هو بفتح العين واسكان الجيم العظم اللطيف الذى في أسفل الصلب وهو رأس العصعص

﴿فصل﴾ وقد لبس ابليس على أقوام من أهل ملتنا فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم وفطنتهم فاراهم أن الصواب اتباع الفلاسفة لكونهم حكماء قد صدرت منهم أفعال وأقوال دلت على نهاية الذكاء وكمال الفطنة كما ينقل من حكمة سقراط وأبقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وجالينوس وهؤلاء قد كانت لهم علوم هندسية ومنطقية وطبيعية واستخرجوا بفطنهم أموراً خفيـة الا أنهم لما تكلموا فى الالهيات خلطوا ولذلك اختلفوا فيها ولم يختلفوا فى الحسيات والهندسيات وقدذكرنا جنس تخليطهم في معتقداتهم . وسبب تخليطهم أن قوى البشر لاتدرك العلوم الا جملة والرجوع فيها الى الشرائع (وقد حكى) لهؤلاء المتأخرين فى أمتنا أن أولئك الحكماء كانوا ينكرون الصانع ويدفعون الشرائع ويعتقدونها نواميس وحيلا فصدقوا فيما حكى لهم عنهم ورفضوا شعار الدين وأهملوا الصلوات ولابسوا المحذورات واستهانوا بحدود الشرع وخلعوا ربقة الاسلام فاليهود والنصارى أعذر منهم لكونهم متمسكين بشرائع دلت عليها معجزات والمبتدعة فى الدين أعذر منهم لانهم يدعون النظر فى الأدلة وهؤلاء لا مستند لكفرهم إلا علمهم بأن الفلاسفة كانوا حكماء أتراهم ما علموا أن الانبياء كانوا حكماء وزيادة (وما قد حكى) لهؤلاء الفلاسفة من جحد الصانع محال : فان اكثر القوم يثبتون الصانع ولا ينكرون النبوات وانما أهملوا النظر فيها وشذ منهم قليل فتبعوا الدهرية الذين فسدت أفهامهم بالمرة وقد رأينا من المتفلسفة من أمتنا جماعة لم يكسبهم التفلسف إلا التحير فلاهم يعملون بمقتضاه ولا بمقتضى الاسلام بل فيهم من يصوم رمضان ويصلى ثم يأخذ فى الاعتراض على الخالق وعلى النبوات ويتكلم فى انكار بعث الاجساد ولا يكاد يرى منهم أحد الا ضر به الفقر فأضر به فهوعامة زمانه في تسخط على الاقدار والاعتراض على المقدر حتى قال لى بعضهم أنا لا أخاصم الا من فوق الفلك وكان يقول أشعاراً كثيرة فى هذا المعنى فمنها قوله فى صفة الدنيا قال :

أتراها صنعة من غير صانعْ * أم تراها رمية من غير رامْ

وقوله

واحيرتا من وجود ما تقدمه * منا (١) اختيار ولا علم فيقتبس
كأنه فى عماء ما يخلصنا * منه ذكاء ولاعقل ولا شرس (٢)
ونحن فى ظلمة ما إن لها قمر * فيها يضىء ولا شمس ولا قبس
مدلهين حيارى قد تكنفنا * جهل يجهمنا (٣) فى وجهه عبس
فالفعل فيه بلا ريب ولا عمل * والقول فيـه كلام كله هوس

(فصل) ولما كانت الفلاسفة قريباً من زمان شريعتنا والرهبنة كذلك مدّ بعض أهل ملتنا يده الى التمسك بهذه و بعضهم مد يده الى التمسك بهذه فترى كثيراً من الحمقى اذا نظروا في باب الاعتقاد تفلسفوا واذا نظروا فى باب التزهد ترهبنوا فنسأل الله ثباتاً على ملتنا وسلامة من عدونا انه ولى الاجابة *

(ذكر تلبيسه على أصحاب الهياكل)

وهم قوم يقولون ان لكل روحانى من الروحانيات العلوية هيكلا أعنى جرماً من الاجرام السماوية هو هيكله ونسبته الى الروحانى المختص به نسبة أبداننا الى أرواحنا فيكون هو مدبره والمتصرف فيه فمن جملة الهياكل العلوية السيارات والثوابت قالوا ولا سبيل لها الى الروحاني بعينه . فيتقرب الى هيكله بكل عبادة وقربان . (وقال آخرون منهم) لكل هيكل سماوى شخص من الأشخاص السفلية على صورته وجوهره فعمل هؤلاء الصور ونحتوا الاصنام و بنوا لها بيوتا*

وقد ذكر يحيى بن بشر النهاوندى أن قوما قالوا الكواكب السبعة وهى زحل والمشترى ، والمريخ ، والشمس ، والزهرة ، وعطارد ، والقمر . هى المدبرات لهذا العالم وهي تصدر عن أمر الملأ الأعلى . ونصبوا لها الاصنام على صورتها . وقربوا لكل واحد منها ما يشبهه من الحيوان . فجعلوا لزحل جسما عظيما من الآنك (٤) أعنى يقرب اليه بثور حسن يؤتى به الى بيت تحته محفور وفوقه الدرابزين من حديد

---

(١) وفي نسخة اختبار (٢) أى سوء خلق (٣) أي يلقى بالغلظة (٤) الآنك الرصاص الخالص

على تلك الحفرة فيضرب الثور حتى يدخل البيت ويمشي على ذلك الدرابزين من الحديد فتغوص رجلاه ويداه هنالك ثم توقد تحته النار حتى يحترق. ويقول له المقربون مقدس أنت أيها الاله الاعمى المطبوع على الشر الذى لا يفعل خيراً قربنا لك ما يشبهك فتقبل منا واكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة : ويقربون للمشترى صبياً طفلا وذلك أنهم يشترون جارية ليطأها السدنة (١) للاصنام السبعة فتحمل وتترك حتى تضع ويأتون بها والصبي على يدها ابن ثمانية أيام فينخسونه بالمسل والابر وهو يبكى على يد أمه فيقولون له أيها الرب الخير الذى لا يعرف الشر قد قربنا لك من لم يعرف الشر يجانسك فى الطبيعة فتقبل قرباننا وارزقنا خيرك وخير أرواحك الخيرة ويقربون للمريخ رجلا أشقر أنمش (٢) أبيض الرأس من الشقرة يأتون به فيدخلون في حوض عظيم ويشدون قيوده الى أوتاد فى قعر الحوض ويملأون الحوض زيتاً حتى يبقي الرجل قائما فيه الى حلقه ويخلطون بالزيت الادوية المقوية للعصب والمعفنة للحم حتى اذا دار عليه الحول بعد أن يغذى بالاغذية المعفنة للحم والجلد قبضوا على رأسه فملخوا عصبه من جلده ولفوه تحت رأسه وأتوا به الى صنمهم الذى هو على صورة المريخ فقالوا أيها الاله الشرير ذو الفتن والجوائح قربنا اليك ما يشبهك فتقبل قرباننا واكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة الشريرة . ويزعمون أن الرأس تبقى فيه الحياة سبعة أيام وتكلمهم بعلم ما يصيبهم تلك السنة من خير وشر ويقربون للشمس تلك المرأة التى قتلوا ولدها للمشترى ويطوفون بصورة الشمس ويقولون مسبحة مهللة أنت أيتها الالهة النورانيــة قربنا اليك ما يشبهك فتقبلى قرباننا وارزقينا من خيرك وأعيذينا من شرك . ويقربون للزهرة عجوزاً شمطاء ماجنة (٣) يقدمونها بين يديها وينادون حولها أيتها الالهة الماجنة أتيناك بقربان بياضه كبياضك ومجانته كمجانتك وظرفه كظرفك فتقبليها منا . ثم يأتون بالحطب فيجعلونه حول العجوز ويضرمون

---

(١) السدنة بالتحريض جمع سادن وهو خادم الكعبة وبيت الاصنام
(٢) النمش بفتحتين نقط بيض وسود
(٣) أى صفقة الوجه لاتستحى من قبح القول

فيه النار الى أن تحترق فيحثون رمادها في وجه الصنم *

ويقربون لعطارد شاباً أسمر حاسباً كاتباً متأدبا يأتون به بحيلة وكذلك يفعلون بالكل يخدعونهم ويبنجونهم ويسقونهم أدوية تزيل العقل وتخرس الالسنة فيقدمون هذا الشاب الى صنم عطارد ويقولون أيها الرب الظريف أتيناك بشخص ظريف وبطبعك اهتدينا فتقبل منا ثم ينشر الشاب نصفين ويربع ويجعل على أربع خشبات حوله ويضرم في كل خشبة النار حتى تحترق ويحترق الربع معها ويحثون رماده في وجهه

ويقربون للقمر رجلا آدم كبير الوجه ويقولون له يابريد الالهة وخفيف الاجرام العلوية *

﴿ ذكر تلبيسه على عبّاد الاصنام ﴾

قال المصنف كل محنة لبس بها ابليس على الناس فسببها الميل الى الحس والاعراض عن مقتضى العقل ولما كان الحس يأنس بالمثل(١) دعا ابليس لعنه الله خلقاً كثيراً الى عبادة الصور وأبطل عند هؤلاء عمل العقل بالمرة . فمنهم من حسن له أنها الآلهة وحدها ومنهم من وجد فيه قليل فطنة فعلم أنه لا يوافقه على هذا فزين له أن عبادة هذه تقرب الى الخالق فقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى *

﴿ ذكر بداية تلبيسه على عباد الاصنام ﴾

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو جعفر بن احمد بن السلم نا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني نا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله الجوهري ثنا أبو على الحسن بن عليل العنزي : ثنا ابو الحسن على ابن الصباح بن الفرات قال أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الحلبي قال أخبرني أبي قال أول ما عبدت الاصنام كان آدم عليه السلام لما مات جعله بنو شيث بن آدم فى مغارة

---

(١) في نسخة بالميل

فى الجبل الذى أهبط عليه آدم بأرض الهند ويقال للجبل بوذ وهو أخصب جبل فى الارض * قال هشام فاخبرنى أبي عن أبى الصالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فكان بنو شيث بن آدم عليه الصلاة والسلام يأتون جسد آدم فى المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه فقال رجل من بني قابيل يابنى قابيل ان لبني شيث دواراً يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شيء فنحت لهم صنما فكان أول من عملها قال * وأخبرني أبى أنه كان ود . وسواع . ويغوث . ويعوق . ونسر . قوما صالحين فماتوا فى شهر فجزع عليهم أقاربهم فقال رجل من بنى قابيل ياقوم هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير أننى لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا فقالوا نعم . فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم فكان الرجل منهم يأتي أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الاول . وعملت على عهد يزد بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد تعظيم من القرن الاول . ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا ماعظم الاولون هؤلاء الاوهم يرجون شفاعتهم عند الله عز وجل ، فعبدوهم وعظموا أمرهم واشتد كفرهم فبعث الله سبحانه وتعالى اليهم إدريس عليه الصلاة والسلام فدعاهم فكذبوه فرفعه الله مكاناً علياً ، ولم يزل أمرهم يشتد فيما قال الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس حتى أدرك نوح فبعثه الله نبياً وهو يومئذ ابن أربعمائة وثمانين سنة فدعاهم الى عبادة الله عز وجل مائة وعشرين سنة فعصوه وكذبوه فأمره الله تعالى أن يصنع الفلك فعملها وفرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق ومكث بعد ذلك ثلاثمائة سنة وخمسين سنة . فكان بين آدم ونوح ألفا سنة ومائتاسنة فأهبط الماء هذه الاصنام من أرض الى أرض حتى قذفها الى أرض جُدة فلما نضبت الماء بقيت على الشط فسفت الريح عليها حتى وارتها .

قال الكلبي : وكان عمرو بن لحى كاهنا وكان يكنى أبا ثمامة له رئًى من الجن . فقال له عجل المسير والظعن من تهامة ، بالسعد والسلامة ، ائت صفا جدة ، تجد فيها أصناما معدة . فأوردها تهامة ولا تهب ، ثم ادع العرب الى عبادتها تجب . فأتى نهر جدة فاستثارها ثم حملها حتى ورد بها تهامة وحضر الحج فدعا العرب الى عبادتها

قاطبة فأجابه عوف بن عذرة بن زيد اللات فدفع اليه وداً فحمله فكان بوادى القرى بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود ، فهو أول من سمى به . وجعل عوف ابنه عامراً سادناً له فلم يزل بنوه يدينون به حتى جاء الله بالاسلام *

قال الكلبي : حدثني مالك بن حارثة أنه رأى وداً . قال وكان أبي يبعثني باللبن اليه ويقول اسق إلهك فأشربه . قال ثم رأيت خالد بن الوليد بعد كسره فجعله جذاذا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه من غزوة تبوك لهدمه فحالت بينه وبين هدمه بنو عبد ود وبنو عامر فقاتلهم فقتلهم وهدمه وكسره وقتل يومئذ رجلا من بنى عبد ود يقال له قطن بن سريج فاقبلت أمه . (وهو مقتول) ـ وهي تقول :

ألا تلك المودة لا تدوم ولا يبقى على الدهر النعيم
ولا يبقى على الحدثان عفر(١) له أم بشاهقه رؤوم

ثم قالت :

ياجامعاً جامع الأحشاء والكبد ياليت أمك لم تولد ولم تلد

ثم أكبت عليه فشهقت وماتت

قال الكلبي : فقلت لمالك بن حارثة صف لى وداً حتى كأني أنظر اليه . قال : كان تمثال رجل أعظم ما يكون من الرجال قد دبر أى نفس ، عليه حلتان متزر بحلة مرتد بأخرى ، عليه سيف قد تقلده وتنكب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة فيها نبل يعنى جعبتها (٢)

قال : وأجابت عمرو بن لحى مضر بن نزار فدفع الى رجل من هذيل يقال له الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سواعا ، وكان بأرض يقال لها رهاط من بطن نخلة يعبده من يليه من مضر . فقال رجل من العرب :

---

(١) العفر بكسر العين وضمها ذكر الخنازير
(٢) الوفضة الجعبة التي تجعل فيها السهام

تراهم حول قبلتهم عكوفا كما عكفت هذيل على سواع
يظل حياته صرعى لديه غنائم من ذخائر كل راع

وأجابته مذحج فدفع الى أنعم بن عمرو المرادى يغوث ، وكان بأكمة باليمن تعبده مذحج ومن والاها *

وأجابته همدان فدفع الى مالك بن مرثد بن جشم يعوق ، وكان بقرية يقال لها جوان تعبده همدان ومن والاها من اليمن *

وأجابته حمير فدفع الى رجل من ذى رعين يقال له معدى كرب نسراً وكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبده حمير ومن والاها . فلم يزالوا يعبدونه حتى هودهم ذو نواس ولم تزل هذه الاصنام تعبد حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فأمر بهدمها *

قال ابن هشام وحدثنا الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رفعت لى النار فرأيت عمرو بن لحى قصيراً أحمر أزرق يجر قصبه فى النار قلت من هذا قيل هذا عمرو بن لحي أول من بحر البحيرة ووصل الوصيلة وسيب السائبة وحمى الحام وغير دين إسماعيل ودعا العرب الى عبادة الاوثان . قال هشام وحدثني أبى وغيره أن إسماعيل عليه الصلاة والسلام لما سكن مكة وولد له بها أولاد فكثروا حتى ملأوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات فأخرج بعضهم بعضاً فتفسحوا فى البلاد والتمسوا المعاش فكان الذى حملهم على عبادة الاوثان والحجارة انه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصيانة لمكة فحيث ما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وصيانة للحرم وحباً له وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على أثر(١) ابراهيم واسماعيل ثم عبدوا ما استحسنوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم واسماعيل عليهما السلام غيره فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم من

(١) وفي نسخة ارث

قبلهم واستخرجوا ما كان يعبد قوم نوح وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة والمزدلفة واهداء البدن والاهلال بالحج والعمرة وكانت نزار تقول اذا ما أهلت لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك *

وكان أول من غير دين اسماعيل ونصب الاوثان وسيب السائبة ووصل الوصيلة عمرو بن ربيعة وهو لحي بن حارثة وهو أبو خزاعة وكانت أم عمرو بن لحي فهيرة بنت عامر بن الحارث وكان الحارث هو الذى يلي أمر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لحي نازعه في الولاية وقاتل جرهم بن اسماعيل فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة البيت من بعدهم ثم انه مرض مرضاً شديداً فقيل له ان بالبلقاء من أرض الشام حمة ان أتيتها برئت فأتاها فاستحم بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الاصنام فقال ما هذه فقالوا نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة واتخذت العرب الاصنام*

وكان أقدمها مناة وكان منصوبا على ساحل البحر من ناحية المسلك بقديد بين مكة والمدينة وكانت العرب جميعاً تعظمه والاوس والخزرج ومن نزل المدينة ومكة وما والاها ويذبحون له ويهدون له*

قال هشام : وحدثنا رجل من قريش عن أبي عبيدة بن عبد الله بن أبي عبيدة ابن محمد بن عامر بن ياسر قال : كانت الاوس والخزرج ومن يأخذ مأخذهم من العرب من أهل يثرب وغيرها يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رؤسهم فاذا نفروا أتوه فحلقوا عنده رؤوسهم وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماما إلا بذلك وكانت مناة لهذيل وخزاعة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضى الله عنه فهدمها عام الفتح*

ثم اتخذوا اللات بالطائف وهي أحدث من مناة وكانت صخرة مرتفعة (١) وكانت سدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء وكانت قريش وجميع العرب

(١) في نسخة مربعة

تعظمها وكانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات وكانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم فلم يزالوا كذلك حتى أسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار *

ثم اتخذوا العزى وهي أحدث من اللات اتخذها ظالم بن أسعد وكانت بوادى نخلة الشامية فوق ذات عرق و بنوا عليها بيتا وكانوا يسمعون منه الصوت

قال هشام : وحدثني أبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت العزى شيطانة تأتى ثلاث سمرات ببطن نخلة فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد فقال ائت بطن نخلة فانك تجد ثلاث سمرات فاعضد الاولى فأتاها فعضدها . فلما جاء اليه قال : هل رأيت شيئاً . قال لا . قال فاعضد الثانية فأتاها فعضدها . ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال هل رأيت شيئاً قال لا . قال فاعضد الثالثة فأتاها فاذا هو بجنية نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقها تصر بأنيابها وخلفها دبية السلمي وكان سادنها . فقال خالد :

ياعز كفرانك لاسبحانك ... انى رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها فاذا هي حممة (١) ثم عضد الشجرة وقتل دبية السادن ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب *

قال هشام : وكان لقريش أصنام فى جوف الكعبة وحولها وأعظمها عندهم هبل . وكان فيما بلغنى من عقيق أحمر على صورة الانسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب . وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكان فى جوف الكعبة وكان قدامه سبعة أقدح مكتوب فى أحدها صريح وفى الآخر ملصق فاذا شكوا في مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقداح فان خرج صريح ألحقوه وان خرج ملصقاً دفعوه . وكانوا اذا اختصموا في أمر أو أرادوا سفراً أو عملا أتوه فاستقسموا بالقداح عنده . وهو الذى قال له أبو سفيان يوم أحد : أعل هبل أى علا دينك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ألا تجيبونه

---

(١) الحممة بضم الحاء وفتح الميمين جمعها حمم الرماد وكل مااحترق من النار

فقالوا وما نقول . قال قولوا : الله أعلى وأجل . وكان لهم أساف ونائلة قال هشام فحدث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن اساف رجل من جرهم يقال له اساف بن يعلي ونائلة بنت زيد من جرهم وكان يتعشقها فى أرض اليمن فأقبلا حجاجا فدخلا البيت فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها في البيت فمسخا فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين فأخرجوهما فوضعوهما موضعهما فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب . قال هشام لما مسخا حجرين وضعا عند البيت ليتعظ الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها . وكان أحدهما ملصقاً بالكعبة والآخر فى موضع زمزم فنقلت قريش الذى كان ملصقاً بالكعبة الى الآخر فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما *

وكان من تلك الاصنام ذو الخلصة وكان مروة (١) بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة (٢) والمدينة على مسيرة سبع ليال من مكة وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجرير رضى الله عنه : ألا تكفنى ذا الخلصة فوجهه اليه فسار بأحمس فقابلته خثعم وباهلة فظفر بهم وهدم بنيان ذى الخلصة وأضرم فيه النار ، وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة .

وكان لدوس صنم يقال له ذو الكفين . فلما أسلموا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الطفيل بن عمرو فحرقه .

وكان لبنى الحارث بن يشكر صنم يقال له ذو الشرى

وكان لقضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان صنم في مشارف الشام يقال له الاقيصر .

وكان لمزينة صنم يقال له فهم وبه كانت تسمى عبد فهم

وكان لعنزة صنم يقال له سعير

---

(١) المروة حجارة براقة تقدح منها النار جمعها مرو (٢) وفي نسخة اليمن : قال ابن الاثير فى النهاية تبالة بفتح التاء وتخفيف الباء بلد باليمن معروف

وكان لطيء صنم يقال له الفلس . وكان لاهل كل واد من مكة صنم فى دارهم يعبدونه فاذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع فى منزله أن يتمسح به واذا قدم من سفره كان أول ما يصنع اذا دخل منزله أن يتمسح به . ومنهم من اتخذ بيتاً ومن لم يكن له صنم ولا بيت نصب حجراً مما استحسن ثم طاف به وسموها الانصاب . وكان الرجل اذا سافر فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار فنظر الى أحسنها فاتخذه رباً وجعله ثالثة الا ثافى (١) تقدره فاذا ارتحل تركه . فاذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك ولما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة دخل المسجد والاصنام منصوبة حول الكعبة فجعل يطعن بسية(٢) قوسه فى عيونها ووجوهها ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً ثم أمر بها فكفئت على وجوهها ثم أخرجت من المسجد فحرقت . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : في زمان يزد برد عبدت الاصنام ورجع من رجع عن الاسلام *

أخبرنا إسماعيل بن احمد نا عمر بن عبيد الله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن احمد الدقاق ثنا جميل ثنا حسن بن الربيع ثنا مهدى بن ميمون . قال سمعت أبا رجاء العطاردى يقول : لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا به لحقنا بمسيلمة الكذاب ، ولحقنا بالنار ، وكنا نعبد الحجر فى الجاهلية فاذا وجدنا حجراً هو أحسن منه نلقى ذاك ونأخذه واذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به * أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد نا احمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم احمد بن عبد الله ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا أبو العباس السراج ثنا احمد بن الحسن بن خراش ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا عمارة المعولى . قال سمعت أبا رجاء العطاردى يقول : كنا نعمد الى الرمل فنجمعه فنحلب عليه فنعبده ، وكنا نعمد الى الحجر الابيض فنعبده زمانا ثم نلقيه * أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر ابن ثابت نا عبد العزيز بن على الوراق نا احمد بن ابراهيم ثنا يوسف بن يعقوب

(١) الاثا في جميع الاثفية مايوضع عليه القدر
(٢) سية القوس بكسر السين و بالياء ماعطف من طرفيها

النيسابوري نا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا يزيد بن هرون نا الحجاج بن أبي زينب . قال سمعت أبا عثمان النهدي قال : كنا في الجاهلية نعبد حجراً فسمعنا مناديا ينادي ياأهل الرحال ان ربكم قد هلك فالتمسوا لكم ربا غيره . قال : فخرجنا على كل صعب وذلول فبينما نحن كذلك نطلب ، اذا نحن بمناد ينادي انا قد وجدنا ربكم أو شبهه قال : فجئنا فاذا حجر فنحرنا عليه الجزر * أنبأنا محمد بن أبي طاهر نا أبو اسحاق البرمكي نا أبو عمر بن حيويه نا احمد بن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا محمد بن عمرو ثني الحجاج بن صفوان عن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن عمرو بن عنبسة قال : كنت امرءاً ممن يعبد الحجارة فينزل الحي ليس معهم آلهة فيخرج الحي منهم فيأتي بأربعة أحجار . فينصب ثلاثة لقدره ويجعل أحسنها . إلهاً يعبد . ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره * أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو الحسن العتيقي نا عثمان ابن عمرو بن الميثاب نا أبو محمد عبد الله بن سليمان الفامي ثني أبو الفضل محمد بن أبي هرون الوراق ثنا الحسن بن عبد العزيز الجروي عن شيخ من ساكني مكة . قال : سئل سفيان بن عيينة كيف عبدت العرب الحجارة والاصنام . فقال أصل عبادتهم الحجارة انهم قالوا البيت حجر فحيث ما نصبنا حجراً فهو بمنزلة البيت . وقال أبو معشر : كان كثير من أهل الهند يعتقد الربوبية ويقرون بأن لله تعالى ملائكة إلا أنهم يعتقدونه صورة كأحسن الصور وأن الملائكة أجسام حسان وأنه سبحانه وتعالى وملائكته محتجبون بالسماء فاتخذوا أصناما على صورة الله سبحانه عندهم وعلى صور الملائكة فعبدوها وقربوا لها لموضع المشابهة على زعمهم . وقيل لبعضهم : أن الملائكة والكواكب والافلاك أقرب الاجسام الى الخالق فعظموها وقربوا لها ثم عملوا الاصنام*

وبنى جماعة من القدماء بيوتاً كانت للاصنام فمنها بيت على رأس جبل بأصبهان كانت فيه أصنام أخرجها كوشتاسب لما تمجس وجعله بيت نار . والبيت الثاني والثالث في أرض الهند . والرابع بمدينة بلخ بناه بنو شهر فلما ظهر الاسلام خربه أهل بلخ . والخامس بيت بصنعاء بناه الضحاك على اسم الزهرة فخربه عثمان بن

عفان رضي الله عنه . والسادس بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة نخربه المعتصم *

وذكر يحيى بن بشير بن عمير النهاوندي : أن شريعة الهند وضعها لهم رجل برهمي ، ووضع لهم أصناما وجعل لهم أعظم بيوتهم بيتاً بالميلتان . (وهي مدينة من مداين السند) . وجعل فيه صنمهم الاعظم الذي هو كصورة الهيولى الا كبر . وهذه المدينة فتحت في أيام الحجاج وأرادوا قلع الصنم فقيل لهم : ان تركتموه ولم تقلعوه جعلنا لكم ثلث ما يجتمع له من مال . فأمر عبد الملك بن مروان بتركه فالهند تحج اليه من ألفي فرسخ ولا بد للحاج أن يحمل معه دراهم على قدر ما يمكنه من مائة الى عشرة آلاف لا يكون أقل من هذا ولا أكثر ومن لم يحمل معه ذلك لم يتم حجه . فيلقيه في صندوق عظيم هناك ويطوفون بالصنم . فاذا ذهبوا قسم ذلك المال فثلثه للمسلمين وثلثه لعمارة المدينة وحصونها وثلثه لسدنة الصنم ومصالحه *

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : فانظر كيف تلاعب الشيطان بهؤلاء وذهب بعقولهم فنحتوا بأيديهم ما عبدوه ، وما أحسن ما عاب الحق سبحانه وتعالى أصنامهم فقال : « ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها » . وكانت الاشارة الى العباد أي أنتم تمشون وتبطشون وتبصرون وتسمعون والاصنام عاجزة عن ذلك وهي جماد وهم حيوان فكيف عبد التام الناقص . ولو تفكروا لعلموا أن الاله يصنع الاشياء ولا يصنع ، ويجمع وليس بمجموع ، وتقوم الاشياء به ولا يقوم بها ، وانما ينبغي للانسان أن يعبد من صنعه لا ما صنعه . وما خيل اليهم أن الاصنام تشفع تخيال ليس فيه شبهة يتعلق بها *

﴿ذكر تلبيسه على عابدى النار والشمس والقمر﴾

قال المصنف : قد لبس ابليس على جماعة فحسن لهم عبادة النار وقالوا هي الجوهر الذى لايستغنى العالم عنه ومن ههنا زين عبادة الشمس *

وذكر أبو جعفر بن جرير الطبرى : أنه لما قتل قابيل هابيل وهرب من أبيه آدم الى اليمن أتاه ابليس . فقال له : ان هابيل انما قبل قربانه وأكلته النار لأنه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت ناراً تكون لك ولعقبك . فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها . قال الجاحظ : وجاء زرادشت من بلخ وهو صاحب المجوس فادعى أن الوحى ينزل اليه على جبل سيلان فدعى أهل تلك النواحي الباردة الذين لايعرفون الا البرد وجعل الوعيد بتضاعف البرد ، وأقر بأنه لم يبعث الا الى الجبال فقط . وشرع لأصحابه التوضؤ بالأبوال وغشيان الأمهات ، وتعظيم النيران ، مع أمور سمجة . قال ومن قول زرادشت كان الله وحده ، فلما طالت وحدته فكر فتولد من فكرته ابليس . فلما مثل بين يديه وأراد قتله امتنع منه فلما رأى امتناعه ودعه الى مدة *

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : وقد بنى عابدوا النار لها بيوتاً كثيرة . فأول من رسم لها بيتاً افريدون فاتخذ لها بيتاً بطرسوس وآخر ببخارى . واتخذ لها بهمن بيتاً بسجستان . واتخذ لها أبو قباذ بيتاً بناحية بخارى . وبنيت بعد ذلك بيوت كثيرة لها . وقد كان زرادشت وضع ناراً زعم أنها جاءت من السماء فأكلت قربانهم . وذلك أنه بنى بيتاً وجعل فى وسطه مرآة ولف القربان فى حطب وطرح عليه الكبريت فلما استوت الشمس فى كبد السماء قابلت كوة قد جعلها فى ذلك البيت فدخل شعاع الشمس فوقع على المرآة فانعكس على الحطب فوقعت فيه النار . فقال لاتطفؤا هذه النار *

(فصل) قال المصنف : وقد حسن ابليس لعنه الله لأقوام عبادة القمر ولآخرين عبادة النجوم . قال ابن قتيبة وكان قوم فى الجاهلية عبدوا الشعرى العبور وفتنوا بها . وكان أبو كبشة الذى كان المشركون ينسبون اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أول

من عبدها . وقال : قطعت السماء عرضاً ولم يقطع السماء عرضاً غيرها وعبدها وخالف قريشاً فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا الى عبادة الله وترك الاوثان قالوا هذا ابن أبي كبشة أى شبهه ومثله فى الخلاف كما قالت بنو اسرائيل لمريم يا أخت هارون أى ياشبيهة هارون فى الصلاح. وهما شعريان إحداهما هذه والشعرى الأخرى هى الغميصاء وهى تقابلها وبينهما المجرة ــ والغميصاء من الذراع المبسوط فى جبهة الأسد وتلك فى الجوزاء *

وزين ابليس لعنه الله لآخرين عبادة الملائكة وقالوا: هى بنات الله تعالى تعالى الله عن ذلك . وزين لآخرين عبادة الخيل والبقر . وكان السامرى من قوم يعبدون البقر فلهذا صاغ عجلا . وجاء فى التعبير أن فرعون كان يعبد تيسا وليس فى هؤلاء من أعمل فكره ولا استعمل عقله فى تدبير مايفعل نسأل الله السلامة فى الدنيا والآخرة *

﴿ ذكر تلبيسه على الجاهلية ﴾

قال المصنف : ذكرنا كيف لبس عليهم فى عبادة الاصنام . ومن أقبح تلبيسه عليهم فى ذلك تقليد الآباء من غير نظر فى دليل كما قال الله عز وجل « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » المعنى أتتبعونهم أيضا *

وقد لبس ابليس على طائفة منهم فقالوا بمذاهب الدهرية وأنكروا الخالق وجحدوا البعث ، وهؤلاء الذين قال الله سبحانه فيهم : « ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر » . وعلى آخرين منهم : فأقروا بالخالق لكنهم جحدوا الرسل والبعث . وعلى آخرين منهم : فزعموا أن الملائكة بنات الله . وأمال آخرين منهم الى مذهب اليهود . وآخرين الى مذهب المجوس ، وكان فى بنى تميم منهم زرارة ابن جديس التميمى وابنه حاجب *

وممن كان يقر بالخالق والابتداء والاعادة والثواب والعقاب عبدالمطلب بن هاشم، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة ، وعامر بن الظرب ــ وكان عبد المطلب اذا رأى ظالما لم تصبه عقوبة . قال : تالله ان وراء هذه الدار لداراً يجزى فيها المحسن

والمسىء . ومنهم زهير بن أبي سلمى وهو القائل

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ثم أسلم ومنهم زيد الفوارس بن حصن ، ومنهم القلمس بن أمية الكنانى . كان يخطب بفناء الكعبة وكانت العرب لاتصدر عن مواسمها حتى يعظها ويوصيها فقال يوما : يامعشر العرب أطيعونى ترشدوا قالوا : وما ذاك . قال انكم تفردتم بآلهة شتى انى لأعلم ماالله بكل هذا راض وان الله رب هذه الآلهة وانه ليحب أن يعبد وحده . فتفرقت عنه العرب لذلك ولم يسمعوا مواعظه . وكان فيهم قوم يقولون من مات فربطت على قبره دابته وتركت حتى تموت حشر عليها ومن لم يفعل ذلك حشر ماشياً وممن قاله عمرو بن زيد الكلبي *

قال المصنف : وأكثر هؤلاء لم يزل عن الشرك وانما تمسك منهم بالتوحيد ورفض الاصنام القليل كقس بن ساعده وزيد وما زالت الجاهلية تبتدع البدع الكثيرة . فمنها النسىء وهو تحريم الشهر الحلال وتحليل الشهر الحرام وذلك أن العرب كانت قد تمسكت من ملة ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه بتحريم الاشهر الاربعة فاذا احتاجوا الى تحليل المحرم للحرب أخروا تحريمه الى صفر ثم يحتاجون الى صفر ثم كذلك حتى تتدافع السنة . واذا حجوا قالوا : لبيك لاشريك لك ، الاشريكا هو لك ، تملكه وماملك . ومنها توريث الذكر دون الأنثى . ومنها أن أحدهم كان اذا مات ورث نكاح زوجته أقرب الناس اليه ومنها البحيرة وهى الناقة تلد خمسة أبطن فان كان الخامس أنثى شقوا أذنها وحرمت على النساء . والسائبة من الانعام كانوا يسيبونها ولا يركبون لها ظهراً ولا يحلبون لها لبناً . والوصيلة الشاة تلد سبعة أبطن فان كان السابع ذكراً أو أنثى قالوا وصلت أخاها فلا تذبح وتكون منافعها للرجال دون النساء فاذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء . والحام الفحل ينتج من ظهره عشرة أبطن فيقولون قد حمى ظهره فيسيبونه لاصنامهم ولا يحمل عليه . ثم يقولون ان الله عز وجل أمرنا بهذا فذلك معنى قوله تعالى : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب » . ثم الله عز وجل رد عليهم فيما حرموه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وفيما أحلوه

بقولهم «خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا» قال الله تعالى «قل آلذكرين حرم أم الانثيين» المعني ان كان الله حرم الذكرين فكل الذكور حرام وان كان حرم الانثيين فكل الاناث حرام وان كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين فانها تشتمل على الذكور والاناث فيكون كل جنين حراماً . وزين لهم ابليس قتل أولادهم فالانسان منهم يقتل ابنته ويغذو كلبه . ومن جملة ما لبس عليهم ابليس أنهم قالوا لو شاء الله ما أشركنا أى لو لم يرض شركنا لحال بيننا وبينه فتعلقوا بالمشيئة وتركوا الأمر ومشيئة الله تعم الكائنات وأمره لا يعم مراداته فليس لأحد ان يتعلق بالمشيئة بعد ورود الامر ومذاهبهم السخيفة التى ابتدعوها كثيرة لا يصلح تضييع الزمان بذكرها ولا هى مما يحتاج الى تكلف ردها *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على جاحدى النبوات ﴾

قال المصنف : قد لبس ابليس على البراهمة والهندوس وغيرهم فزين لهم جحد النبوات ليسد طريق ما يصل من الاله . وقد اختلف أهل الهند فمنهم دهرية ومنهم ثنوية ومنهم على مذاهب البراهمة ومنهم من يعتقد نبوة آدم وابراهيم فقط وقد حكى أبو محمد النوبختى فى كتاب الآراء والديانات ان قوما من الهند من البراهمة أثبتوا الخالق والرسل والجنة والنار وزعموا أن رسولهم مَلَك أتاهم في صورة البشر من غير كتاب له أربعة أيد واثنا عشر رأسا من ذلك رأس انسان ورأس أسد ورأس فرس ورأس فيل ورأس خنزير وغير ذلك من رؤوس الحيوانات وأنه أمرهم بتعظيم النار ونهاهم عن القتل والذبائح الا ما كان للنار ونهاهم عن الكذب وشرب الخمر وأباح لهم الزنا وأمرهم أن يعبدوا البقر ومن ارتد منهم ثم رجع حلقوا رأسه ولحيته وحاجبيه وأشفار عينيه ثم يذهب فيسجد للبقر فى هذيانات يضيع الزمان بذكرها *

قال المصنف : وقد ألقى ابليس الى البراهمة ست شبهات :

(الشبهة الاولى) : استبعاد اطلاع بعضهم على ما خفى عن بعض فقالوا : (ماهذا

الا بشر مثلـكم) والمعنى وكيف اطلع على ما خفى عنكم * وجواب هذه الشبهة أنهم لو ناطقوا العقول لأجازت اختيار شخص بشخص لخصائص يعلو بها جنسه فيصلح بتلك الخصائص لتلقف الوحى اذ ليس كل أحـد يصلح لذلك وقد علم الـكل أن الله سبحانه وتعالى ركب الامزجة متفاوتة وأخرج الى الوجود أدوية تقاوم ما يعرض من الفساد البدنى فاذا أمد النبات والاحجار بخواص لاصلاح أبدان خلقت للفناء ههنا وللبقاء في دار الآخرة لم يبعد أن يخص شخصاً من خلقه بالحـكمة البالغة والدعاية اليه اصلاحا لمن يفسد فى العـالم بسوء الاخلاق والافعال . ومعلوم أن المخالفين لا يستنكرون أن يختص أقوام بالحكمة ليسكنوا فورات الطباع الشريرة بالموعظة فكيف ينكرون امداد البارى سبحانه بعض الناس برسائل ومصالح و وصايا يصلح بها العـالم و يطيب أخلاقهم ويقيم بها سياستهم وقد أشار عز وجل الى ذلك فى قوله عز وجل : « أ كان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس »*

(الشبهة الثانية) قالوا هلا أرسل ملـكا فان الملائكة اليه أقرب ومن الشك فيهم أبعد والآدميون يحبون الرياسة على جنسهم فيوقع هذا شكا وجواب هذا من ثلاثة أوجه : أحدها أن في قوى الملائكة قلبَ الجبال والصخور فلا يمكن اظهار معجزة تدل على صدقهم لان المعجزة ما خرقت العادة وهذه عادة الملائكة وانما المعجزات الظاهرة ما ظهرت على يد بشر ضعيف ليكون دليـلا على صدقه . والثاني أن الجنس الى الجنس أميل فصح أن يرسل اليهم من جنسهم لئلا ينفروا وليعقلوا عنه ثم تخصيص ذلك الجنس بما عجز عنه جنسه دليل على صدقه . والثالث أنه ليس فى قوي البشر رؤية الملك وانما الله تعالى يقوى الانبياء بما يرزقهم من ادراك الملائكة ولهـذا قال الله تعالى « ولو جعلناه ملـكا لجعلناه رجلا » أى لينظروا اليه و يأنسوا به و يفهموا عنه ثم قال « وللبسنا عليهم ما يلبسون » . أى لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدرون أملك هو أم آدمى *

(الشبهة الثالثة) قالوا نرى ماتدعيه الانبياء من علم الغيب والمعجزات وما يلقى اليهم من الوحي يظهر جنسه على الـكهنة والسحرة فلم يبق لنا دليل نفرق به بين الصحيح

والفاسد * والجواب أن نقول : ان الله تبارك وتعالى بين الحجج ثم بث الشبهة وكلف العقول الفرق فلا يقدر ساحر أن يحيي ميتاً ولا أن يخرج من عصا حية وأما الكاهن فقد يصيب ويخطيء بخلاف النبوة التي لا خطأ فيها بوجه *

(الشبهة الرابعة) قالوا لا يخلو اما أن تجيء الأنبياء بما يوافق العقل أو بما يخالفه فان جاءوا بما يخالفه لم يقبل وان جاءوا بما يوافقه فالعقل يغنى عنه * والجواب أن نقول : قد ثبت أن كثيراً من الناس يعجزون عن سياسات الدنيا حتى يحتاجون الى متمم كالحكماء والسلاطين فكيف بأمور الالهية والاخروية *

(الشبهة الخامسة) قالوا قد جاءت الشرائع بأشياء ينفر منها العقل فكيف يجوز أن تكون صحيحة من ذلك ايلام الحيوان * والجواب أن العقل ينكر ايلام الحيوان بعضه لبعض فأما اذا حكم الخالق بالايلام لم يبق للعقل اعتراض وبيان ذلك أن العقل قد عرف حكمة الخالق سبحانه وتعالى وأنه لا خلل فيها ولا نقص فأوجبت عليه هذه المعرفة التسليم لما خفي عنه ومتى اشتبه علينا أمر فى فرع لم يجز أن نحكم على الاصل بالبطلان ثم قد ظهرت حكمة ذلك فانا نعلم أن الحيوان يفضل على الجماد ثم الناطق أفضل مما ليس بناطق بما أوتي من الفهم والفطنة والقوى النظرية والعملية . وحاجة هذا الناطق الى إبقاء فهمه ولا يقوم في إبقاء القوى مقام اللحم شيء ولا يستطرف تناول القوى الضعيف وما فيه فائدة عظيمة لما قلت فائدته . وانما خلق الحيوان البهيم للحيوان الكريم فلو لم يذبح لكثر وضاق به المرعى ومات فيتأذى الحيوان الكريم بجيفته فلم يكن لايجاده فائدة . وأما ألم الذبح فانه يسير وقد قيل انه لا يوجد أصلا لان الحساس للألم أغشية الدماغ لان فيه الاعضاء الحساسة ولذلك اذا أصابها آفة من صرع أو سكتة لم يحس الانسان بألم فاذا قطعت الاوداج سريعا لم يصل ألم الجسم الى محل الحس ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « اذا ذبح أحدكم فليحد شفرته وليرح ذبيحته » *

(الشبهة السادسة) قالوا ربما يكون أهل الشرائع قد ظفروا بخواص من حجارة وخشب * والجواب أن هذا كلام ينبغى أن يستحيى من إيراده فانه لم يبق شيء من العقاقير والاحجار الا وقد وضحت خواصها وبان سترها فلو ظفر واحد منهم بشيء

وأظهر خاصيته لوقع الانـكار من العلماء بتلك الخواص وقالوا ليس هذا منك انما هذه خاصية فى هذا . ثم إن المعجزات ليست نوعا واحداً بل هى بين صخرة خرجت منها ناقة وعصا انقلبت حية وحجر تفجّر عيونا وهذا القرآن الذى له منذ نزل دون الستمائة سنة فالأسماع تدركه والافـكار تتـدبره والتحدى به على الدوام ولم يقـدر أحـد على مدا ناة سورة منه فأين هذا والخاصة والسحر والشعبذة *

قال أبو الوفاء علي بن عقيل رضى الله عنه : صبئت قلوب أهل الالحاد لانتشار كلمة الحق وثبوت الشرائع بين الخلق والامتثال لأوامرها كابن الراوندى ومن شاكله كأبي العلاء . ثم مع ذلك لا يرون لمقالتهم نباهة ولا أثراً بل الجوامع تتـدفق زحاما والاذانات تملأ أسماعهم بالتعظيم لشأن النبي صلى الله عليه وسلم والاقرار بما جاء به ، وانفاق الاموال والانفس فى الحج مع ركوب الاخطار ومعاناة الاسفار ومفارقة الاهل والاولاد . فجعل بعضهم يندس فى أهل النقل فيضع المفاسـد على الاسانيد ويضع السير والاخبار و بعضهم يروى ما يقارب المعجزات من ذكـر خواص فى أحجار وخوارق العادات فى بعض البلاد وأخبار عن الغيوب عن كثير من الكهنة والمنجمين ويبالغ في تقرير ذلك حتى قالوا ان سطيحا قال فى الخبيء الذى خبيء له : حبـة بر ، فى إحليل مهر . والاسود كان يعظ و يقول الشيء قبـل كونه . وههنا اليوم معزمون يكلمون الجنى الذى فى باطن المجنون فيكلمهم بما كان و يكون وما شاكل ذلك من الخرافات فمن رأى مثل هـذا قال بقلة عقله وقلة تلمحه لقصـد هؤلاء الملحدة وهل ماجاءت به النبوات الا مقارب هذا ، وليس قول الـكاهن . حبة بر فى احليل مهر ، وقد أخفيت كل الاخفاء بأ كثر من قوله . « وأنبئـكم بما تأ كلون وما تدخرون فى بيوتـكم » وهل بقى لهذا وقع فى القلوب وهـذا التقويم ينطق بالمنع من الركوب اليوم وهل ترك تلمح هذا الا النبي (١) والله ما قصدوا بذلك الا قصداً ظاهراً ولحوا الا لحاً جلياً فقالوا تعالوا نـكثر الجولان في البلاد والاشخاص والنجوم والخواص فلايخلو مع الـكثرة من مصادفة الاتفاق لواحدة من هذه . فيصدق بها الـكل و يبطل أن

(١) وفي نسخة الا الغبى

يكون ما جاء به الانبياء خرقا للعادات . ثم دس قوم من الصوفية أن فلانا أهوى باناثه الى دجلة فامتلأ ذهباً فصار هذا كالعادة بطريق الـكرامات من المتصوفين . وبطريق العادات فى حق المنجمين . وبطريق الخواص فى حق الطبايعين . وبطريق الـكهانة فى حق المعزمين . والعرافين فأى حكم بقى لقول عيسى عليه السلام . « وأنبئـكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتـكم » . وأى خرق بقى للعادات وهـل العادات الا استمرار الوجود . وكثرة الحصول . فاذا نبههم العاقل المتدين على مافى هذا من الفساد قال الصوفى ، أتنـكر كرامات الاولياء . وقال أهـل الخواص . أتنـكر المغناطيس الذى يجذب الحديد والنعامة تبلع النار فتسكت عن جحد ما لم يكن لاجل ما كان فويل للمحق معهم هذا والباطنية من جانب والمنجمون من جانب مع أرباب المناصب لا يحاون ولا يعقدون الا بقولهم فسبحان من يحفظ هذه الملة ويعـلي كلمتها حتى ان كـل الطوائف تحت قهرها إقبالا من الله عز وجـل على حراسـة النبوات وقمعاً لأهل المحال *

﴿ فصل ﴾ ومن الهند البراهمة قوم قد حسن لهم إبليس أن يتقربوا باحراق نفوسهم فيحفر للانسان منهم أخدود وتجتمع الناس فيجيء مضمخاً بالخلوق والطيب وتضرب المعازف والطبول والصنوج ويقولون طوبى لهذه النفس التي تعلق الى الجنة ويقول هو ليكن هـذا القربان مقبولا ويكون ثوابي الجنة ثم يلقى نفسـه في الاخدود فيحترق فان هرب نابذوه ونفوه وتبرأوا منه حتى يعود ومنهم من يحمى له الصخر فلا يزال يلزم صخرة صخرة حتى ينقب جوفه ويخرج معاه فيموت ومنهم من يقف قريباً من النار الى أن يسيل ودكه فيسقط . ومنهم من يقطع من ساقه وفخذه قطعاً ويلقيها الى النار والناس يزكونه ويمدحونه ويسألون مثل مرتبته حتى يموت : ومنهم من يقف فى اخثاء البقر الى ساقه ويشعل النار فيحترق . ومنهم من يعبد الماء ويقول هو حياة كل شيء فيسجد له . ومنهم من يجهز له أخدود قريب من الماء فيقع في الأخدود حتى اذا التهب قام فانغمس في الماء ثم رجع الى الاخدود حتى يموت فان مات وهو بينهما حزن أهله وقالوا حرم الجنة وان مات فى أحدهما شهدوا له بالجنة . ومنهم من يزهق نفسه بالجوع والعطش فيسقط أولا عن المشي ثم عن الجلوس ثم ينقطع كلامه ثم تبطل حواسـه ثم

تبطل حركته ثم يخمد . ومنهم من يهيم فى الارض حتى يموت : ومنهم من يغرق نفسه فى النهر . ومنهم من لا يأتى النساء ولا يوارى الا العورة ولهم جبل شاهق تحته شجرة وعندها رجل بيده كتاب يقرأ فيه يقول : طوبى لمن ارتقى هذا الجبل و بعج بطنه وأخرج أمعاءه بيده . ومنهم من يأخذ الصخور فيرض بها جسده حتى يموت : والناس يقولون طوبى لك.وعندهم نهران فيخرج أقوام من عبادهم يوم عيدهم وهناك رجال فيأخذون ما على العباد من الثياب و يبطحونهم فيقطعونهم نصفين ثم يلقون أحد النصفين فى نهر والنصف الآخر فى نهر و يزعمون أنهما يجريان الى الجنة . ومنهم من يخرج الى براح ومعه جماعة يدعون له و يهنئونه بنيته فاذا أضجر جلس وجمع له سباع الطير من كل جهة فيتجرد من ثيابه ثم يمتد والناس ينظرون اليه فتبتدره الطير فتأ كله فاذا تفرقت الطير جاءت الجماعة فأخذوا عظامه وأحرقوها وتبركوا بها ، فى أفعال طويلة قد ذكرها أبو محمد النوبختي يضيع الزمان في كتابتها والعجب ان الهند قوم تؤخذ الحكمة عنهم و يؤخذ عنهم دقائق الحكمة وتلهم دقائق الاعمال فسبحان من أعمى قلوبهم حتى قادهم ابليس هذا المقاد قال وفيهم من يزعم أن الجنة ثنتان وثلاثون مرتبة وأن مكث أهل الجنة في أدنى مرتبة منها أربع مائة الف سنة وثلاثة وثلاثون الف سنة وستمائة وعشرون سنة وكل مرتبة أضعاف ما دونها . وأن النار اثنتان وثلاثون مرتبة منها ست عشرة مرتبة فيها الزمهرير وصنوف عذابه وست عشرة مرتبة فيها الحريق وصنوف عذابه *

﴿ ذكر تلبيسه على اليهود ﴾

قال المصنف . قد لبس عليهم في أشياء كثيرة نذكر منها نبذة ليستدل بها على تلك . فمن ذلك تشبيههم الخالق بالخلق ولو كان تشبيههم حقا لجاز عليه ما يجوز عليهم وحكى أبو عبد الله بن حامد من أصحابنا . أن اليهود تزعم أن الاله المعبود رجل من نور على كرسى من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء كما للآدميين . ومن ذلك

قولهم عزير ابن الله ولو فهموا أن حقيقة البنوة لا تكون الا بالتبعيض والخالق ليس بذي أبعاض لانه ليس بمؤلف لم يثبتوا بنوة . ثم ان الولد فى معنى الوالد وقد كان عزير لا يقوم الا بالطعام والاله من قامت به الاشياء لا من قام بها والذى دعاهم الى هذا مع جهلهم بالحقائق أنهم رأوه قد عاد بعد الموت وقرأ التوراة من حفظه فتكلموا بذلك من ظنونهم الفاسدة و يدل على أن القوم كانوا في بعد من الذهن أنهم لما رأوا أثر القدرة في فرق البحر لهم ثم مروا على أصنام طلبوا مثلها فقالوا (اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة) فلما زجرهم موسى عن ذلك بقى فى نفوسهم فظهر المستور بعبادتهم العجل والذى حملهم على هذا شيئان . أحدهما جهلهم بالخالق والثانى أنهم أرادوا ما يسكن اليه الحس لغلبة الحس عليهم و بعد العقل عنهم ولولا جهلهم بالمعبود ما اجترأوا عليه بالكلمات القبيحة كقولهم (ان الله فقير ونحن أغنياء) وقولهم (يد الله مغلولة) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً *

ومن تلبيسه عليهم أنهم قالوا · لا يجوز نسخ الشرائع . وقد علموا أن من دين آدم جواز نكاح الاخوات ، وذوات المحارم ، والعمل فى يوم السبت ، ثم نسخ ذلك بشريعة موسى قالوا اذا أمر الله عز وجل بشيء كان حكمه فلا يجوز تغييره . قلت . قد يكون التغيير في بعض الاوقات حكمة فان تقلب الآدمى من صحة الى مرض ومن مرض الى موت كله حكمة وقد حظر عليكم العمل يوم السبت وأطلق لكم العمل يوم الاحد وهذا من جنس ما أنكرتم وقد أمر الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه ثم نهاه عن ذلك *

ومن تلبيسه عليهم أنهم قالوا : « لن تمسنا النار الا أياما معدودة » وهى الايام التي عبد فيها العجل وفضائحهم كثيرة ثم حملهم ابليس على العناد المحض فجحدوا ما كان فى كتابهم من صفة نبينا صلى الله عليه وسلم وغيروا ذلك وقد أمروا أن يؤمنوا به ورضوا بعذاب الآخرة فعلماؤهم عاندوا وجهالهم قلدوا ثم العجب أنهم غيروا ما أمروا به وحرفوا ودانوا بما يريدون فأين العبودية ممن يترك الامر و يعمل بالهوى

ثم انهم كانوا يخالفون موسى ويعيبونه حتى قالوا انه آدر (١) واتهموه بقتل هارون واتهموا داود بزوجة أوريا *

أخبرنا محمد بن عبد الباقى البزار نا الحسن بن على الجوهرى نا أبو عمر بن حياة نا ابن معروف نا الحارث بن أبى أسامة ثنا محمد بن سعد نا على بن محمد عن على بن مجاهد عن محمد بن اسحاق عن سالم مولى عبد الله بن مطيع عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس (٢) فقال اخرجوا الىَّ أعلمكم فخرج اليه عبد الله بن صوريا فخلا به فناشده الله بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المنّ والسلوى وظللهم به من الغمام أتعلمون أنى رسول الله . قال : اللهم نعم . وان القوم ليعرفون ما أعرف وإن صفتك ونعتك لمبين فى التوراة ولكنهم حسدوك . قال : فما يمنعك أنت . قال : أكره خلاف قومى وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم *

أخبرنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد قال : أخبرنا الحسن بن على قال أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال ثنا عبد الله بن أحمد قال حدثنى أبى قال ثنا يعقوب قال ثنا أبى عن ابن اسحاق قال حدثنى صالح بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلامة بن وقش . قال : كان لنا جار من اليهود فى بنى عبد الاشهل فخرج علينا يوما من بيته قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم حتى وقف على مجلس بنى عبد الاشهل قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيهم سناً علىّ بردة مضطجعاً فيها بفناء أهلى فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار فقال ذلك لقوم أهل شرك وأصحاب أوثان لايرون بعثاً كائناً بعد الموت . فقالوا له ويحك : يافلان أترى هذا كائنا ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال نعم والذى يحلف به يود أحدهم أن له لحظة من تلك النار بأعظم تنور فى الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه وأن ينجو من تلك النار غداً قال له ويحك وما آية ذلك قال نبى مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن قالوا ومتى

(١) الآدر منتفخ الخصية وهو عيب بالفحولية .
(٢) المدراس كنيسة اليهود وجمعه مداريس .

نراه قال فنظر الىَّ وأنا من أحدثهم سناً ان يستنفد هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة فوالله ماذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حى بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغياً وحسداً فقلنا له ويلك يافلان ألست الذى قلت لنا فيه ماقلت قال بلى ولكن ليس به *

﴿ ذكر تلبيسه على النصارى ﴾

قال المصنف : تلبيسه عليهم كثير فمن ذلك أن ابليس أوهمهم أن الخالق سبحانه جوهر فقال اليعقوبية أصحاب يعقوب والملكية أهل دين الملك والنسطورية أصحاب نسطورس : ان الله جوهر واحد اقانيم ثلاثة فهو واحد فى الجوهرية ثلاثة فى الاقنومية فأحد الاقانيم عندهم الأب والآخر الابن والآخر روح القدس فبعضهم يقول : الاقانيم خواص . وبعضهم يقول : صفات . وبعضهم يقول : أشخاص وهؤلاء قد نسوا أنه لوكان الاله جوهراً لجاز عليه ما يجوز على الجواهر من التحيز بمكان والتحرك والسكون والاوان ثم سول لبعضهم أن المسيح هو الله * قال أبو محمد النوبختى زعمت الملكية واليعقوبية أن الذى ولدته مريم هو الاله وسول الشيطان لبعضهم أن المسيح هو ابن الله وقال بعضهم المسيح جوهران أحدهما قديم والآخر محدث ومع قولهم هذا فى المسيح يقرون بحاجته الى الطعام ولا يختلفون فى هذا وفى أنه صلب ولم يقدر على الدفع عن نفسه ويقولون انما فعل هذا بالناسوت فهلا دفع عن الناسوت ما فيه من اللاهوت . ثم لبس عليهم أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حتى جحدوه بعد ذكره فى الانجيل ومن الكتابيين من يقول عن نبينا أنه نبى إلا أنه مبعوث الى العرب خاصة وهذا تلبيس من ابليس استغفلهم فيه لانه متى ثبت أنه نبى فالنبى لايكذب وقد قال بعثت الى الناس كافة وقد كتب الى قيصر وكسرى وسائر ملوك الاعاجم *

﴿ ومن تلبيس ابليس على اليهود والنصارى ﴾

انهم قالوا لا يعذبنا الله لاجل أسلافنا فمنا الاولياء والانبياء فأخبرنا الله عز وجل عنهم بذلك : « نحن أبناء الله واحباؤه » . أى منا ابنه عزير وعيسى . وكشف

هذا التلبيس ان كان شخص مطالب بحق الله عليه فلا يدفعه عنه ذو قرابته ولو تعدت المحبة شخصاً الى غيره لموضع القرابة لتعدى البعض وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة لاأغنى عنك من الله شيئاً وانما فضل المحبوب بالتقوى فمن عدمها عدم المحبة ثم أن محبة الله عز وجل للعبد ليست بشغف كمحبة الآدميين بعضهم بعضاً اذ لو كانت كذلك لكان الأمر يحتمل *

﴿ذكر تلبيسه على الصابئين﴾

قال المصنف : أصل هذه الكلمة أعنى الصابئين من قولهم صبأت اذا خرجت من شيء الى شيء وصبأت النجوم اذا ظهرت وصبأ به اذا خرج . والصابئون الخارجون من دين الى دين وللعلماء فى مذاهبهم عشرة أقوال : أحدها أنهم قوم بين النصارى والمجوس رواه سالم عن سعيد بن جبير وليث عن مجاهد : والثاني أنهم بين اليهود والمجوس رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد : والثالث أنهم بين اليهود والنصارى. رواه القاسم بن أبى بزة عن مجاهد : والرابع أنهم صنف من النصارى ألين قولا منهم رواه أبو صالح عن ابن عباس. والخامس أنهم قوم من المشركين لا كتاب لهم رواه القاسم أيضاً عن مجاهد . والسادس أنهم كالمجوس قاله الحسن . والسابع أنهم فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور قاله أبو العالية . والثامن أنهم قوم يصلون الى القبلة ويعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور قاله قتادة ومقاتل : والتاسع أنهم طائفة من أهل الكتاب قاله السدى . والعاشر أنهم كانوا يقولون لا إله الا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبى إلا قول لا إله إلا الله قاله ابن زيد قال المصنف : هذه أقوال المفسرين مثل ابن عباس والقاسم والحسن وغيرهم فأما المتكلمون فقالوا مذهب الصابئين مختلف فيه فمنهم من يقول ان هناك هيولى كان لم يزل ولم يزل يصنع العالم من ذلك الهيولى وقال أكثرهم العالم ليس بمحدث وسموا الكواكب ملائكة وسماها قوم منهم آلهة وعبدوها وبنوا لها بيوت عبادات وهم يدعون أن بيت الله الحرام واحد منها وهو بيت زحل وزعم بعضهم أنه لا يوصف الله عز وجل الا بالنفى دون الاثبات ويقال ليس بمحدث ولا موات ولا جاهل ولا عاجز قالوا لئلا يقع تشبيه ولهم تعبدات في شرائع

منها أنهم زعموا أن عليهم ثلاث صلوات فى كل يوم أولها ثمان ركعات وثلاث سجدات فى كل ركعة وانقضاء وقتها عند طلوع الشمس والثاني خمس ركعات والثالثة كذلك وعليهم صيام شهر أوله الثمان ليال يمضين من آذار وسبعة أيام أولها التسع يبقين من كانون الاول وسبعة أيام أولها الثمان ليال يمضين من شباط ويختمون صيامهم بالصدقة والذبائح وحرموا لحم الجزور فى خرافات يضيع الزمان بذكرها وزعموا أن الارواح الخيرة تصعد الى الكواكب الثابتة والى الضياء وأن الشريرة تنزل الى أسفل الارضين والى الظلمة . وبعضهم يقول هذا العالم لا يفنى وأن الثواب والعقاب فى التناسخ ومثل هذه المذاهب لا يحتاج الى تكلف فى ردها اذ هي دعاو بلا دليل وقدحسن ابليس لاقوام من الصابئين أنهم رأوا الكمال فى تحصيل مناسبة بينهم وبين الروحانيات العلوية باستعمال الطهارات وقوانين ودعوات واشتغلو بالتنجيم والتسخير وقالوا لا بد من متوسط بين الله وبين خلقه فى تعريف المعارف والارشاد للمصالح الا أن ذلك المتوسط ينبغي أن يكون روحانياً لا جسمانياً قالوا فنحن نحصل لأنفسنا مناسبة قدسية بيننا وبينه فيكون ذلك وسيلة لنا اليه وهؤلاء لا ينكرون بعث الأجساد *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على المجوس ﴾

قال يحيي بن بشر بن عمير النهاوندي كان أول ملوك المجوس كومرث فجاءهم بدينهم ثم تتابع مدعو النبوة فيهم حتى اشتهر بها زرادشت وكانوا يقولون ان الله تعالى عن ذلك شخص روحاني ظهر فظهرت معه الاشياء روحانية تامة فقال لا يتهيأ لغيرى أن يبتدع مثل هذه التى ابتدعتها فتولد من فكرته هذه ظلمة اذ كان فيها جحود لقدرة غيره فقامت الظلمة تغالبه . وكان مما سنه زرادشت عبادة النار والصلاة الى الشمس يتأولون فيها انها ملكة العالم وهي التى تأتى بالنهار وتذهب بالليل وتحيي النبات والحيوانات وترد الحرارات إلى أجسادها . وكانوا لا يدفنون موتاهم في الارض تعظيما لها ويقولون انها نشوء الحيوانات فلا نقذرها وكانوا لا يغتسلون بالماء تعظيما له وقالوا لأن به حياة كل شيء الا أن يستعملوا قبله بول البقر ونحوه ولا يبزقون فيه ولا

يرون قتل الحيوانات ولا ذبحها وكانوا يغسلون وجوههم ببول البقر تبركا به واذا كان عتيقا كان أكثر بركة ويستحلون فروج الامهات قالوا الابن أحرى بتسكين شهوة أمه واذا مات الزوج فابنه أولى بالمرأة فان لم يكن له ابن اكترى رجل من مال الميت ويجيزون للرجل ان يتزوج بمائة والف واذا أرادت الحائض أن تغتسل دفعت ديناراً الى الموبذ ويحملها الى بيت النار ويقيمها على أربع وينظفها بسبابته وأظهر هذا الامر مزدك فى أيام قباذ وأباح النساء لكل من شاء ونكح نساء قباذ لتقتدى به العامة فيفعلون في النساء مثله فلما بلغ الى أم انوشروان قال لقباذ أخرجها الي فانك ان منعتني شهوتي لم يتم ايمانك فهم باخراجها فجعل انوشروان يبكى بين يدى مزدك ويقبل رجله بين يدي أبيه قباذ ويسأله أن يهب له أمه فقال قباذ لمزدك ألست تزعم أن المؤمن لا ينبغى أن يرد عن شهوته قال بلى قال فلم ترد انوشروان عن شهوته قال قد وهبتها له ثم أطلق للناس في أكل الميتة فلما ولى انوشروان أفنى المزدكية هو. ومن أقوال المجوس أن الارض لا نهاية لها من أسفلها وان السماء جلد من جلود الشياطين والرعد انما هو حركة خرخرة العفاريت المحبوسة فى الافلاك المأسورة في حرب والجبال من عظامهم والبحر من أبوالهم ودمائهم (ونبغ للمجوس) رجل في زمان انتقال دولة بني أمية الى بني العباس واستغوى خلقاً وجرت له قصص يطول الامر بذكرها فهو آخر من ظهر للمجوس وذكر بعض العلماء انه كان للمجوس كتب يدرسونها وانهم أحدثوا دينا فرفعت كتبهم *

ومن أظرف تلبيس ابليس عليهم . أنهم رأوا في الافعال خيراً وشراً فسول لهم أن فاعل الخير لا يفعل الشر فأثبتوا إلهين وقالوا أحدهما نور حكيم لا يفعل الا الخير والآخر شيطان هو ظلمة لا يفعل الا الشر على نحو ما ذكرنا عن الثنوية *

قال المصنف : وقد سبق ذكر شبههم وجوابها وقال بعضهم : البارى قديم فلا يكون منه الا الخير والشيطان محدث فلا يكون منه الا الشر فيقال لهم اذا أقررتم أن النور خلق الشيطان فقد خلق رأس الشر وزعم بعضهم أن الخالق هو النور ففكر فكرة رديئة فقال أخاف أن يحدث فى ملكى من يضادني وكانت فكرته رديئة فحدث منها ابليس فرضى ابليس أن ينسب الى الرداءة بعد إثبات أنه شريك

وحكى النوبختي أن بعضهم قال ان الخالق شك في شيء فكان الشيطان من ذلك الشك : قال وزعم بعضهم أن الاله والشيطان جسمان قديمان كان بينهما فضاء وكانت الدنيا سليمة من آفة والشيطان بمعزل عنها فاحتال ابليس حتى خرق السماء بجنوده فهرب الرب عز وجل من فعلتهم وتقدس عن قولهم فاتبعه ابليس حتى حاصره وحاربه ثلاثة آلاف سنة لا هو يصل اليه ولا الرب عز وجل يدفعه ثم صالحه على أن يكون ابليس وجنوده في الدنيا سبعة آلاف سنة ورأى الرب أن الصلاح في احتمال مكروه ابليس الى ان ينقضي الشرط فالناس في بلايا الى انقضائه ثم يعودون الى النعيم وشرط ابليس عليه أن يمكنه من أشياء رديئة فوضعها في هذا العالم وانهما لما فرغا من شرطهما أشهدا عدلين ودفعا سيفيهما الى العدلين وقالا من نكث فاقتلاه في هذيانات كثيرة يضيع الوقت لذكرها فتنكبناها لذلك ونذكر ما انتهى تلبيس ابليس اليه ما آثرنا ذكر شيء من هـذا التخليط (والعجب) أنهم يجعلون الخالق خيراً ثم يجعلون أنه حدثت منه فكرة رديئة فعلى قولهم يجوز أن تحدث من فكرة ابليس ملك ثم يقال لهم أيجوز أن يفي الشيطان بما ضمن : فان قالوا لا قيل لهم فلا يليق بالحكمة استبقاؤه وان قالوا نعم فقد أقروا بوجود الوفاء المحمود من الشرير : وكيف أطاع الشيطان العدلين وقد عصى ربه وكيف يجوز الافتيات على الاله : وهذه الخرافات لولا التفرج فيما صنعه ابليس بالعقول ما كان لذكرها فائدة ولا معنى *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على المنجمين واصحاب الفلك ﴾

قال أبو محمد النوبختي ذهب قوم الي أن الفلك قديم لا صانع له : وحكى جالينوس عن قوم انهم قالوا زحل وحده قديم . وزعم قوم أن الفلك طبيعة خالصة ليست فيها حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة وليس بخفيف ولا ثقيل . وكان بعضهم يرى أن الفلك جوهر ناري وأنه اختطف من الارض بقوة دورانه : وقال بعضهم الكواكب من جسم تشابه الحجارة : وقال بعضهم هي من غيم تطفأ كل يوم وتستنير بالليل مثل الفحم يشتعل وينطفيء . وقال بعضهم جسم القمر مركب من نار وهوى . وقال آخرون الفلك من الماء والريح والنار وانه

بمنزلة الكرة وانه يتحرك بحركتين من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق قالوا وزحل يدور الفلك في نحو من ثلاثين سنة والمشترى فى نحومن اثنتى عشرة سنة والمريخ فى نحو من سنتين والشمس والزهرة وعطارد فى سنة والقمر فى ثلاثين يوماً : وقال بعضهم أفلاك الكواكب سبعة فالذى يلينا فلك القمر ثم فلك عطارد ثم فلك الزهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ ثم فلك المشترى ثم فلك زحل ثم فلك الكواكب الثابتة : واختلفوا فى مقادير أجرام الكواكب فقال أكثر الفلاسفة أعظمها جرما الشمس وهو نحو من مائة وست وستين مرة مثل الارض . والكواكب الثابتة مقدار كل واحد منها نحو من أربع وتسعين مرة مثل الارض . والمشترى نحو من اثنتين وثمانين مرة مثل الارض والمريخ نحو من مرة ونصف مثل الارض . قالوا ومن كل موضع من أعلى الفلك الى أن يعود اليه مائة ألف فرسخ وألف فرسخ وأربعة وستون فرسخاً. وقال بعضهم الفلك حى والسماء حيوان وفى كل كوكب نفس قال قدماء الفلاسفة النجوم تفعل الخير والشر وتعطى وتمنع على حسب طبائعها من السعود والنحوس وتؤثر فى النفوس وانها حية فعالة *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على جاحدى البعث ﴾

قال المصنف . قد لبس على خلق كثير فجحدوا البعث واستهولوا الاعادة بعد البلاء وأقام لهم شبهتين إحداهما أنه أراهم ضعف المادة والثانية اختلاط الاجزاء المتفرقة في أعماق الارض قالوا وقد يأكل الحيوان الحيوان فكيف يتهيأ إعادته وقد حكى القرآن شبهتهم فقال تعالى في الاولى . (أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم تراباً وعظاماً انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون)

وقال فى الثانية . « أئذا ضللنا في الارض أئنا لفى خلق جديد » . وهذا كان مذهب أكثر الجاهلية قال قائلهم

يخبرنا الرسول بأن سنحيي وكيف حياة أصداء وهام

وقال آخر : (هو أبو العلاء المعرى)

حياة ثم موت ثم بعث   حديث خرافة يا أم عمرو

(والجواب) عن شبهتهم الاولى أن ضعف المادة فى الثانى وهو التراب يدفعه كون البداية من نطفة ومضغة وعلقة : ثم أصل الآدميين وهو آدم من تراب على أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئاً مستحسناً الا من مادة سخيفة . فانه أخرج هذا الآدمى من نطفة ، والطاووس من البيضة المدرة والطرفة الخضراء من الحبة العفنة. فالنظر ينبغي أن يكون الى قوة الفاعل وقدرته لا الى ضعف المواد . و بالنظر الى قدرته يحصل جواب الشبهة الثانية ثم قد أرانا كالانموذج في جمع التمزق فان سحالة (١) الذهب المتفرقة فى التراب الكثير اذا ألقى عليها قليل من زئبق اجتمع الذهب مع تبدده فكيف بالقدرة الالهية التى من تأثيرها خلق كل شىء لا من شىء على أنا لو قدرنا أن نحيل هذا التراب ما استحالت اليه الابدان لم يصر بنفسه لان الآدمى بنفسه لا ببدنه فانه ينحل و يسمن و يهزل و يتغير من صغر الى كبر و هو هو : ومن أعجب الادلة على البعث أن الله عز وجل قد أظهر على يدى أنبيائه ما هو أعظم من البعث وهو قلب العصا حية حيواناً وأخرج ناقة من صخرة وأظهر حقيقة البعث على يدى عيسى صلوات الله وسلامه عليه . قال المصنف : وقد زدنا هذا شرحا في الرد على الفلاسفة *

(فصل) وقد لبس ابليس على أقوام شاهدوا قدرة الخالق سبحانه وتعالى ثم اعترضت لهم الشبهتان اللتان ذكرناهما فترددوا في البعث فقال قائلهم (ولئن رددت الى ربى لأجدن خيراً منها منقلباً) وقال العاص بن وائل (لأوتين مالا وولداً) وانما قالوا هذا لموضع شكهم وقد لبس ابليس عليهم في ذلك . فقالوا ان كان بعث. فنحن على خير : لان من أنعم علينا في الدنيا بالمال لا يمنعناه في الآخرة *

قال المصنف . وهذا غلط منهم لانه لم لا يجوز أن يكون الاعطاء استدراجا أو عقوبة والانسان قد يحمى ولده و يطلق فى الشهوات عبده *

---

(١) السحالة بالضم كالبرادة ما سقط من الذهب والفضة

﴿ذكر تلبيسه على القائلين بالتناسخ﴾

قال المصنف وقد لبس ابليس على أقوام فقالوا بالتناسخ وان أرواح أهل الخير اذا خرجت دخلت فى أبدان خيرة فاستراحت وأرواح أهل الشر إذا خرجت تدخل في أبدان شريرة فيتحمل عليها المشاق وهذا المذهب ظهر في زمان فرعون موسى (وذكر أبو القاسم البلخى) ان أرباب التناسخ لما رأوا ألم الاطفال والسباع والبهائم استحال عندهم أن يكون ألمها ليمتحن به غيرها أو ليتعوض أو لالمعنى أكثر من أنها مملوكة فصح عندهم أن ذلك لذنوب سلفت منها قبل تلك الحال (وذكر يحيي بن بشر بن عمير النهاوندى) ان الهند يقولون الطبائع أربع هيولى مركبة ونفس وعقل وهيولى مرسلة. فالمركبة هى الرب الاصغر والنفس هى الهيولى الاصغر والعقل الرب الاكبر والهيولى هو أيضا اكبر وان الانفس اذا فارقت الدنيا صارت الى الرب الاصغر وهو الهيولى المركبة فان كانت محسنة صافية قبلها فى طبعه فصفاها حتى يخرجها الى الهيولي الاصغر وهو النفس حتى تصير الى الرب الاكبر فيتخلصه الى الهيولى المركب الاكبر. فان كان محسنا تام الاحسان أقام عنده فى العالم البسيط وان كان محسنا غير تام أعاده الى الرب الاكبر ثم يعيده الرب الاكبر الى الهيولي الاصغر ثم يعيده الهيولى الاصغر الى الرب الاصغر فيخرجه مازجا لشعاع الشمس حتى ينتهي الى بقلة خسيسة يأكلها الانسان فيتحول إنسانا ويولد ثانية فى العالم وهكذا تكون حاله فى كل موتة يموتها. (وأما المسيئون) فانهم اذا بلغت نفوسهم الى الهيولى الاصغر انعكست فصارت حشائش تأكلها البهائم فتصير الروح في بهيمة ثم تنسخ من بهيمة فى أخرى عند موت تلك البهيمة فلا يزال منسوخا مترددا في العلل: ويعود كل الفسنة الى صورة الانس. فان أحسن فى صورة الانس لحق بالمحسنين*

قال المصنف: قلت فانظر الى هذه التلبيسات التي رتبها لهم ابليس على ما عن له لا يستند الى شيء * أنبأنا محمد بن أبى طاهر البزار قال أنبأنا على بن المحسن عن أبيه قال حدثنى أبو الحسن على بن نظيف المتكلم قال كان يحضر معنا ببغداد شيخ الامامية يعرف بأبي بكر بن الفلاس فحدثنا أنه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع

ثم صار يقول بمذهب التناسخ قال فوجدته بين يديه سنور أسود وهو يمسحها ويحك بين عينيها ورأيتها وعينها تدمع كما جرت عادة السنانير بذلك وهو يبكي بكاء شديداً فقلت له لم تبك فقال ويحك أما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها هذه أمي لا شك وانما تبكي من رؤيتها الي حسرة قال وأخذ يخاطبها خطاب من عنده أنها تفهم عنه وجعلت السنور تصيح قليلا قليلا فقلت له فهي تفهم عنك ما تخاطبها به فقال نعم فقلت أتفهم أنت صياحها قال لا قلت فأنت المنسوخ وهي الانسان *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على امتنا فى العقائد والديانات ﴾

قال المصنف : دخل إبليس على هذه الامة فى عقائدها من طريقين أحدهما التقليد للآباء والاسلاف . والثانى الخوض فيما لا يدرك غوره ويعجز الخائض عن الوصول الى عمقه فأوقع أصحاب هذا القسم فى فنون من التخليط . فأما الطريق الاول فان إبليس زين للمقلدين أن الادلة قد تشتبه والصواب قد يخفى والتقليد سليم : وقد ضل فى هذه الطريق خلق كثير وبه هلاك عامة الناس فان اليهود والنصارى قلدوا آباءهم وعلماءهم فضلوا وكذلك أهل الجاهلية واعلم أن العلة التي بها مدحوا التقليد بها يذم لانه اذا كانت الادلة تشتبه والصواب يخفى وجب هجر التقليد لئلا يوقع فى ضلال . وقد ذم الله سبحانه وتعالى الواقفين مع تقليد آبائهم وأسلافهم فقال عز وجل (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) المعنى أتتبعونهم وقد قال عز وجل (أنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) *

قال المصنف : اعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلد فيه وفى التقليد ابطال منفعة العقل لانه إنما خلق للتأمل والتدبر . وقبيح بمن أعطى شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي فى الظلمة . واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم فى قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال : وهذا عين الضلال لان النظر ينبغى أن يكون الى القول لا الى القائل كما قال على رضي الله عنه للحرث بن حوط وقد قال له أتظن أنا نظن أن طلحة

والزبير كانا على باطل فقال له ياحارث انه ملبوس عليك ان الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله ، وكان احمد بن حنبل يقول من ضيق علم الرجل أن يقلد فى اعتقاده رجلا ولهذا أخذ احمد بن حنبل بقول زيد فى الجد وترك قول أبى بكر الصديق رضي الله عنه « فان قال قائل » فالعوام لا يعرفون الدليل فكيف لا يقلدون . فالجواب إن دليل الاعتقاد ظاهر على ما أشرنا اليه فى ذكر الدهرية ومثل ذلك لا يخفى على عاقل وأما الفروع فانها لما كثرت حوادثها واعتاص على العامى عرفانها وقرب لها أمر الخطأ فيها كان أصلح ما يفعله العامى التقليد فيها لمن قد سبر ونظر إلا أن اجتهاد العامى فى اختيار من يقلده *

قال المصنف . وأما الطريق الثانى فان إبليس لما تمكن من الاغبياء فورطهم فى التقليد وساقهم سوق البهائم . ثم رأى خلقاً فيهم نوع ذكاء وفطنة فاستغواهم على قدر تمكنه منهم فمنهم من قبح عنده الجمود على التقليد وأمره بالنظر ثم استغوى كلا من هؤلاء بفن فمنهم من أراه أن الوقوف مع ظواهر الشرائع عجز . فساقهم الى مذهب الفلاسفة ولم يزل بهؤلاء حتى أخرجهم عن الاسلام وقد سبق ذكرهم فى الرد على الفلاسفة . ومن هؤلاء من حسن له أن لا يعتقد الا ما أدركته حواسه . فيقال لهؤلاء بالحواس علمتم صحة قولكم . فان قالوا نعم كابروا لان حواسنا لم تدرك ما قالوا إذ ما يدرك بالحواس لا يقع فيه خلاف وان قالوا بغير الحواس . ناقضوا قولهم : ومنهم من نفره إبليس عن التقليد وحسن له الخوض في علم الكلام والنظر فى أوضاع الفلاسفة ليخرج بزعمه عن غمار العوام . وقد تنوعت أحوال المتكلمين وأفضى الكلام بأ كثرهم الى الشكوك و ببعضهم الى الالحاد . ولم تسكت القدماء من فقهاء هذه الامة عن الكلام عجزاً ولكنهم رأوا أنه لا يشفى غليلا ثم يرد الصحيح عليلا فأمسكوا عنه ونهوا عن الخوض فيه . حتى قال الشافعى رحمه الله لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر فى الكلام . قال واذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد انه من أهل الكلام ولا دين له . قال وحكمي فى علماء الكلام أن يضربوا بالجريد و يطاف بهم في العشائر و القبائل ويقال هذا

جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام . وقال احمد بن حنبل لا يفلح صاحب كلام أبداً علماء الكلام زنادقة *

قال المصنف : قلت وكيف لا يذم الكلام وقد أفضى بالمعتزلة الى أنهم قالوا إن الله عز وجل يعلم جمل الاشياء ولا يعلم تفاصيلها . وقال جهم بن صفوان علم الله وقدرته وحياته محدثة . وقال أبو محمد النوبختي عن جهم انه قال ان الله عز وجل ليس بشيء . وقال أبو على الجبائى وأبو هاشم ومن تابعهما من البصريين المعدوم شيء وذات ونفس وجوهر و بياض وصفرة وحمرة و إن البارى سبحانه وتعالى لا يقدر على جعل الذات ذاتاً ولا العرض عرضاً ولا الجوهر جوهراً وإنما هو قادر على إخراج الذات من العدم الى الوجود . وحكى القاضي أبو يعلي فى كتاب المقتبس قال قال لى العلاف المعتزلى لنعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أمر لا يوصف الله بالقدرة على دفعه ولا تصح الرغبة حينئذ اليه ولا الرهبة منه لانه لا يقدر اذ ذاك على خير ولا شر ولا نفع ولا ضر . قال و يبقى أهل الجنة جموداً سكوتاً لا يقضون بكلمة ولا يتحركون ولا يقدرون هم ولا ربهم على فعل شيء من ذلك . لان الحوادث كلها لا بد لها من آخر تنتهي اليه لا يكون بعده شيء تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً *

قال المصنف : قلت وذكر أبو القاسم عبد الله بن احمد بن محمد البلخى فى كتاب المقالات . ان أبا الهذيل إسمه محمد بن الهذيل العلاف وهو من أهل البصرة من عبد القيس مولى لهم وانفرد بأن قال أهل الجنة تنقضي حركاتهم فيصيرون الى سكون دائم وان لما يقدر الله عليه نهاية لو خرج الى الفعل ولن يخرج استحال أن يوصف الله عز وجل بالقدرة علي غيره . وكان يقول إن علم الله هو الله و إن قدرة الله هى الله . وقال أبو هاشم من تاب عن كل شيء إلا أنه شرب جرعة من خمر فانه يعذب كعذاب أهل الكفر أبداً . وقال النظام إن الله عز وجل لا يقدر على شيء من الشر وان إبليس يقدر على الخير والشر . وقال هشام القوطى أن الله لا يوصف بأنه عالم لم يزل وقال بعض المعتزلة يجوز علي الله سبحانه وتعالى الكذب إلا أنه لم يقع منه . وقالت المجبرة لا قدرة للآدمى بل هو كالجماد مسلوب الاختيار والفعل . وقالت المرجئة إن من أقر بالشهادتين وأتى بكل المعاصي لم يدخل النار أصلا وخالفوا

الأحاديث الصحاح فى إخراج الموحدين من النار قال ابن عقيل ما أشبه أن يكون واضع الارجاء زنديقاً فان صلاح العالم باثبات الوعيد واعتقاد الجزاء فالمرجئة لما لم يمكنهم جحد الصانع لما فيه من نفور الناس ومخالفة العقل أسقطوا فائدة الاثبات وهى الخشية والمراقبة وهدموا سياسة الشرع فهم شر طائفة على الاسلام *

قال المصنف : قلت وتبع أبو عبد الله محمد بن كرام فاختار من المذاهب أردأها ومن الاحاديث أضعفها ومال الى التشبيه وأجاز حلول الحوادث فى ذات البارى سبحانه وتعالى . وقال ان الله لا يقدر على إعادة الاجسام والجواهر إنما يقدر على ابتدائها . وقالت السالمية ان الله عز وجل يتجلى يوم القيامة لكل شيء فى معناه فيراه الآدمى آدمياً والجني جنياً . وقالوا لله سر لو أظهره لبطل التدبير *

قال المصنف : قلت أعوذ بالله من نظر وعلوم أوجبت هذه المذاهب القبيحة : وقد زعم أرباب الكلام أنه لا يتم الايمان الا بمعرفة ما رتبوه وهؤلاء على الخطأ لان الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بالايمان ولم يأمر ببحث المتكلمين ودرجة الصحابة الذين شهد لهم الشارع بأنهم خير الناس على ذلك . وقد ورد ذم الكلام على ما قد أشرنا اليه . وقد نقل الينا أقلاع منطقى المتكلمين عما كانوا عليه لما رأوا من قبح غوائله *

فأخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر احمد بن علي بن ثابت نا أبو منصور محمد ابن عيسى بن عبد العزيز البزار ثنا صالح الوفاة بن احمد بن محمد الحافظ ثنا احمد بن عبيد بن ابراهيم ثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال سمعت احمد بن سنان قال . كان الوليد بن أبان الكرابيسي خالى فلما حضرته الوفاة قال لبنيه تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني قالوا لا قال . فتتهموننى قالوا لا قال فانى أوصيكم أتقبلون قالوا نعم قال عليكم بما عليه أصحاب الحديث فانى رأيت الحق معهم . وكان أبو المعالى الجويني يقول لقد جلت أهل الاسلام جولة وعلومهم وركبت البحر الاعظم وغصت في الذى نهوا عنه كل ذلك فى طلب الحق وهربا من التقليد والآن فقد رجعت عن الكل الى كلمة الحق عليكم بدين العجائز فان لم يدركني الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز ويختم عاقبة أمرى عند الرحيل بكلمة الاخلاص فالويل لابن الجويني . وكان

يقول لاصحابه يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به . وقال أبو الوفاء ابن عقيل لبعض أصحابه أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وماعرفوا الجوهر و العرض فان رضيت أن تكون مثلهم فكن وان رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت .قال وقد أفضى الكلام بأهله الى الشكوك وكثير منهم الى الالحاد تشم روائح الالحاد من فلتات كلام المتكلمين . واصل ذلك انهم ما قنعوا بما قنعت به الشرائع وطلبوا الحقائق وليس في قوة العقل إدراك ماعند الله من الحكمة التي انفرد بها ولا أخرج الباري من علمه لخلقه ماعلمه هو من حقائق الامور : قال ولقد بالغت فى الاول طول عمرى ثم عدت القهقرى الى مذهب الكتب و إنما قالوا إن مذهب العجائز أسلم لأنهم لما انتهوا الى غاية التدقيق فى النظر لم يشهدوا ما يشفى العقل من التعليلات والتأويلات فوقفوا مع مراسم الشرع وجنحوا عن القول بالتعليل وأذعن العقل بأن فوقه حكمة إلهية فسلم . و بيان هذا أن نقول أحب أن يعرف أراد أن يذكر فيقول قائل هل شغف باتصال النفع هل دعاه داع الى إفاضة الاحسان : ومعلوم أن للداعى عوارض على الذات وتطلبات من النفس وما تعقل ذلك إلا الذات يدخل عليها داخل من شوق إلى تحصيل ما لم يكن لها وهى اليه محتاجة فاذا وجد ذلك العرض سكن الشغف وفتر الداعي وذلك الحاصل يسمى غني والقديم لم يزل موصوفاً بالغنى منعوتاً بالاستقلال بذاته الغنية عن استزادة أو عارض ثم إذا نظرنا فى إنعامه رأيناه مشحوناً بالنقص والآلام وأذى الحيوانات فاذا رام العقل أن يعلل بالانعام جاء تحقيق النظر فرأى أن الفاعل قادر على الصفاء ولاصفاء ورآه منزهاً بأدلة العقل عن البخل الموجب لمنع ما يقدر على تحصيله . وعن العجز عن دفع ما يعرض لهذه الموجودات من الفساد فاذا عجز عن التعليل كان التسليم أولى : و إنما دخل الفساد من أن الخلق اقتضاؤه الفوائد ودفع المضار على مقتضى قدرته : ولو مزجوا فى ذلك العلم بأنه الحكيم لاقتضت نفوسهم له التسليم بحسب حكمته فعاشوا فى بحبوحة التفويض بلا اعتراض *

﴿ فصل ﴾ وقد وقف أقوام مع الظواهر فحملوها على مقتضى الحس فقال بعضهم ان الله جسم تعالى الله عن ذلك : وهذا مذهب هشام بن الحكم وعلى بن منصور

ومحمد ابن الخليل و يونس بن عبد الرحمن . ثم اختلفوا فقال بعضهم جسم كالاجسام. ومنهم من قال لا كالاجسام .ثم اختلفوا فمنهم من قال هو نور ومنهم من قال هو على هيئة السبيكة البيضاء . هكذا كان يقول هشام بن الحكم وكان يقول ان الاله سبعة أشبار بشبر نفسه « تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً » وانه يرى ما تحت الثرى بشعاع متصل منه بالمرئي قلت ما أعجب الا من حده سبعة أشبار حتى علمت أنه جعله كالآدميين والآدمى طوله سبعة أشبار بشبر نفسه وذكر أبو محمد النوبختى عن الجاحظ عن النظام أن هشام بن عبد الحكم قال في التشبيه فى سنة واحدة خمسة أقاويل قطع فى آخرها أن معبوده أشبر نفسه سبعة أشبار : فان قوما قالوا انه على هيئة السبيكه وان قوماً قالوا هو على هيئة البلورة الصافية المستوية الاستدارة التى من حيث أتيتها رأيتها على هيئة واحدة وقال هشام : هو متناهي الذات حتى قال ان الجبل اكبر منه قال وله ماهية يعلمها هو *

قال المصنف : وهذا يلزمه أن يكون له كيفية أيضا وذلك ينقض القول بالتوحيد وقد استقر أن الماهية لا تكون الا لمن كان ذا جنس وله نظائر فيحتاج أن يفرد منها و يبان عنها والحق سبحانه ليس بذى جنس ولا مثل له ولا يجوز أن يوصف بأن ذاته ارادته ومتناهية لا على معنى انه ذاهب فى الجهات بلا نهاية : انما المراد أنه ليس بجسم ولا جوهر فتلزمه النهاية قال النوبختى وقد حكى كثير من المتكلمين ان مقاتل بن سليمان ونعيم بن حماد وداود الحوارى يقولون ان لله صورة وأعضاء *

قال المصنف: أترى هؤلاء كيف يثبتون له القدم دون الآدميين ولم لا يجوز عليه عندهم ما يجوز على الآدميين من مرض أو تلف : ثم يقال لكل من ادعى التجسيم بأى دليل أثبت حدث الاجسام فيدلك بذلك على أن الاله هو الذى اعتقدته جسما محدثا غير قديم . ومن قول المجسمة ان الله عز وجل يجوز أن يمس و يلمس : فيقال له فيجوز على قولكم أن يمس ويلمس ويعانق وقال بعضهم انه جسم هو فضاء والأجسام كلها فيه . وكان بيان بن سمعان يزعم أن معبوده نور كله وأنه على صورة رجل وأنه يهلك جميع أعضائه الا وجهه فقتله خالد بن عبد الله وكان المغيرة بن سعد العجلى يزعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج من

نور وله أعضاء وقلب تنبع منه الحكمة وأعضاؤه على صورة حروف الهجاء : وكان هـذا يقول بامامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن وكان زرارة بن أعين يقول : لم يكن البارى قادراً حياً عالما فى الأزل حتى خلق لنفسه هـذه الصفات تعالى الله عن ذلك . وقال داود الحوارى هو جسم لحم ودم وله جوارح وأعضاء وهو أجوف من فمه الى صدره ومصمت ما سوى ذلك : ومن الواقفين مع الحس أقوام قالوا هو على العرش بذاته على وجه المماسة فاذا نزل انتقل وتحرك وجعلوا لذاته نهاية وهؤلاء قد اوجبوا عليه المساحة والمقدار واستدلوا على أنه على العرش بذاته بقول النبي صلى الله عليه وسلم ينزل الله الى سماء الدنيا : قالوا ولا ينزل الا من هو فوق . وهؤلاء حملوا نزوله على الامر الحسى الذى يوصف به الاجسام : وهؤلاء المشبهة الذين حملوا الصفات على مقتضى الحس وقد ذكرنا جمهور كلامهم فى كتابنا المسمى بمنهاج الوصول الى علم الاصول . وربما تخيل بعض المشبهة فى رؤية الحق يوم القيامة لما يراه في الاشخاص فيمثله شخصاً يزيد حسنه على كل حسن : فتراه يتنفس من الشوق اليه ويمثل الزيادة فيزداد توقه ويتصور رفع الحجاب فيقلق ويتذكر الرؤية فيغشى عليه . ويسمع فى الحديث أنه يدنى عبده المؤمن اليه فيتخايل القرب الذاتى كما يجالس الجنس . وهذا كله جهل بالموصوف . ومن الناس من يقول لله وجه هو صفة زائدة على صفة ذاته لقوله عز وجل ويبقى وجه ربك وله يد وله أصبع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع السموات علي أصبع وله قدم الى غير ذلك مما تضمنته الاخبار وهذا كله انما استخرجوه من مفهوم الحس : وانما الصواب قراءة الآيات والاحاديث من غير تفسير ولا كلام فيها وما يؤمن هؤلاء أن يكون المراد بالوجه الذات لا أنه صفة زائدة وعلى هذا فسر الآية المحققون فقالوا ويبقى ربك وقالوا فى قوله يريدون وجهه يريدونه وما يؤمنهم أن يكون أراد بقوله قلوب العباد بين إصبعين ان الاصبع لما كانت هي المقلبة للشيء وأن ما بين الاصبعين يتصرف فيه صاحبها كيف شاء ذكر ذلك لا ان ثم صفة زائدة *

قال المصنف . والذى أراه السكوت عن هذا التفسير أيضا الا أنه يجوز أن يكون مراداً ولا يجوز أن يكون ثم ذات تقبل التجزىء والانقسام ومن أعجب

أحوال الظاهرية قول السالمية ان الميت يأكل فى القبر و يشرب و ينكح لانهم سمعوا بنعيم ولم يعرفوا من النعيم الا هـذا ولو قنعوا بما ورد فى الآثار من أن أرواح المؤمنين وتجعل في حواصل طير تأكل من شجر الجنة لسلموا لكنهم أضافوا ذلك الى الجسد قال ابن عقيل . ولهذا المذهب مرض يضاهى الاستشعار الواقع للجاهليـة وما كانوا يقولونه فى الهام والصدا والمكالة لهؤلاء ينبغى أن تكون على سبيل المداراة لاستشعارهم لا على وجه المناظرة فان المقاومة تفسدهم . وانما لبس ابليس على هؤلاء اتركهم البحث عن التأويل المطابق لأدلة الشرع والعقل . فانه لما ورد النعيم والعذاب للميت علم أن الاضافة حصلت الى الاجساد والقبور تعريفاً كأنه يقول صاحب هذا القبر الروح التى كانت فى هذا الجسد منعمة بنعيم الجنة معذبة بعذاب النار *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف فان قال قائل قد عبت طريق المقلدين فى الاصول وطريق المتكلمين فما الطريق السليم من تلبيس ابليس . فالجواب أنه ما كان عليـه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وتابعوهم باحسان من اثبات الخالق سبحانه واثبات صفاته على ما وردت به الآيات والاخبار من غير تفسير ولا بحث عماليس فى قوة البشر ادراكه وان القرآن كلام الله غير مخلوق . قال على كرم الله وجهه . والله ما حكمت مخلوقا انما حكمت القرآن وانه المسموع لقوله عزوجل (حتى يسمع كلام الله) وانه في المصاحف لقوله عز وجل (في رقّ منشور) ولا نتعدى مضمون الآيات ولا نتكلم في ذلك برأينا . وقد كان احمد بن حنبل ينهى أن يقول الرجل لفظى بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق لئلا يخرج عن الاتباع للسلف الى حدث *

والعجب ممن يدعى اتباع هذا الامام ثم يتكلم في المسائل المحدثة * أخبرنا سعد الله بن على البزار نا أبو بكر الطريثيثى نا هبة الله بن الحسن الطبرى نا أبو حامد احمـد بن أبى طاهر الفقيه نا عمر بن احمد الواعظ ثنا محمد بن هرون الحضرمى ثنا القاسم بن العباس الشيبانى ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال أدركت تسعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون من قال القرآن مخلوق فهو كافر * وقال مالك بن أنس من قال القرآن مخلوق فيستتاب فان تاب والا ضربت عنقه . أخبرنا أبو البركات بن على البزار نا احمد بن على الطريثيثى نا هبة الله الطبرى ثنا .

محمد بن احمد بن القاسم ثنا احمد بن عثمان ثنا محمد بن ماهان ثنا عبدالرحمن بن مهدى عن سفيان عن جعفر بن برقان أن عمر بن عبد العزيز قال لرجل : وسأله عن الاهواء فقال عليك بدين الصبي فى الكتاب والاعرابى واله عما سواهما قال ابن مهدى وثنا عبد الله بن المبارك عن الاوزاعي قال : قال : عمر بن عبد العزيز اذا رأيت قوما يتناجون في دينهم بشيء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة *

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا احمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد بن احمد ابن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا خلاد بن يحيي عن سفيان الثورى : قال بلغنى عن عمر أنه كتب الى بعض عماله أوصيك بتقوى الله عز وجل . واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . وترك ما أحدث المحدثون بعده بما قد كفوا مؤنته : واعلم أن من سن السنن قد علم ما فى خلافها من الخطأ والزلل والتعمق فان السابقين الماضين عن علم توقفوا وتبصر ناقد كفوا . وفى رواية أخرى عن عمر . وأنهم كانوا على كشف الامور أقوى وما أحدث الا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم لقد قصر دونهم أقوام نخفوه وطمح عنهم آخرون فملوه *

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا احمد بن احمد نا احمد بن عبد الله الحافظ ثنا سليمان بن احمد ثنا بشر بن موسى ثنا عبد الصمد بن حسان قال سمعت سفيان الثورى يقول عليكم بما عليه الحمالون والنساء فى البيوت والصبيان فى الكتاب من الاقراء والعمل *

قال المصنف : فان قال قائل هذا مقام عجز لا مقام الرجال فقد أسلفنا جواب هذا . وقلنا ان الوقوف على العمل ضرورة لان بلوغ ما يشفى العقل من التعليل لم يدركه من غاص من المتكلمين فى البحار فلذلك أمروا بالوقوف على الساحل كما ذكرنا عنهم .

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الخوارج ﴾

قال المصنف : أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا محمد بن فضيل ثنا عمارة بن القعقاع عن ابن أبي يعمر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بعث على رضى الله عنه من اليمن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهبة فى أديم مقروظ(١) لم تخلص من ترابها فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة بين زيد الخيل والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وعلقمة بن علاثة أوعامر بن الطفيل شك عمارة فوجد من ذلك بعض أصحابه والانصار وغيرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء ثم أتاه رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتئ الجبهة كث اللحية مشمر الازار محلوق الرأس فقال اتق الله يارسول الله فرفع رأسه اليه فقال ويحك أليس أحق الناس أن يتقى الله أنا ثم أدبر فقال خالد يارسول الله ألا أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعله يكون يصلى فقال انه رب مصل يقول بلسانه ماليس فى قلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم ثم نظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقف فقال أما انه سيخرج من ضئضىء(٢) هذا قوم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة .

قال المصنف : هذا الرجل يقال له ذو الخويصرة التميمي وفى لفظ انه قال له إعدل فقال ويلك ومن يعدل اذا لم أعدل فهذا أول خارجي خرج فى الاسلام وآفته أنه رضى برأى نفسه ولو وقف لعلم أنه لارأى فوق رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا على بن أبي طالب كرم الله وجهه . وذلك انه لما

---

(١) المقروظ المدموغ بالقرظ وفي نسخة لم تحصل أى تميز

(٢) الضئضىء وهو بضادين معجمتين مكسورتين وآخره مهموز وهو أصل الشيء وروى بالمهملتين

طالت الحرب بين معاوية وعلى رضى الله عنهما رفع أصحاب معاوية المصاحف ودعوا أصحاب على الى مافيها وقال . تبعثون منكم رجلا ونبعث منا رجلا . ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما فى كتاب الله عز وجل : فقال الناس قد رضينا فبعثوا عمرو بن العاص فقال أصحاب على ابعث أبا موسى فقال على لا أرى أن أولى أبا موسى : هذا ابن عباس قالوا لانريد رجلا منك فبعث أبا موسى وأخر القضاء الى رمضان فقال عروة ابن أذينة تحكمون فى أمر الله الرجال لاحكم الالله : ورجع على من صفين فدخل الكوفة ولم تدخل معه الخوارج فأتوا حروراء (١) فنزل بها منهم اثنا عشر الفا وقالوا لاحكم الا لله وكان ذلك أول ظهورهم ونادى مناديهم أن أمير القتال شبيب بن ربعى التميمى وأمير الصلاة عبد الله بن الكوا اليشكرى . وكانت الخوارج تتعبد الا أن إعتقادهم أنهم أعلم من على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهذا مرض صعب *

أخبرنا اسماعيل بن احمد نا محمد بن هبة الله الطبرى نا محمد بن الحسين بن الفضل نا عبد الله بن جعفر بن درستويه نا يعقوب بن سفيان ثنى موسى بن مسعود ثنا عكرمة بن عمار عن سماك بن رميل قال . قال عبد الله بن عباس إنه لما اعتزلت الخوارج دخلوا داراً وهم ستة آلاف وأجمعوا على أن يخرجوا على علي بن أبى طالب فكان لايزال يجيء انسان فيقول يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك فيقول دعوهم فانى لاأقاتلهم حتى يقاتلونى وسوف يفعلون . فلما كان ذات يوم أتيته قبل صلاة الظهر فقلت له ياأمير المؤمنين أبرد بالصلاة لعلى أدخل على هؤلاء القوم فأ كلمهم . فقال انى أخاف عليك . فقلت كلا وكنت رجلا حسن الخلق لا أؤذى أحداً فأذن لى فلبست حلة من أحسن ما يكون من اليمن وترجلت فدخلت عليهم نصف النهار فدخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهاداً . جباههم قرحة من السجود وأياديهم كأنها ثفن (٢) الابل . وعليهم قمص مرحضة مشمرين مسهمة وجوههم من السهر فسلمت عليهم فقالوا مرحبا بابن عباس ماجاء بك . فقلت أتيتكم من عند المهاجرين

(١) حروراء قرية بالعراق قريبة من الكوفة

(٢) الثفن جمع ثفنة ركبة البعير وغيرها مما يحصل فيه غلظ من أثر البروك

والانصار ومن عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم : فقالت طائفة منهم لا تخاصموا قريشاً فان الله عز وجل يقول (بل هم قوم خصمون) فقال إثنان أو ثلاثة لنكلمنه : فقلت هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار وعليهم نزل القرآن وليس فيكم منهم أحد : وهم أعلم بتأويله . قالوا ثلاثا : قلت هاتوا : قالوا أما إحداهن فانه حكم الرجال فى أمر الله . وقد قال الله عز وجل (إن الحكم إلا لله) فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل . فقلت هذه واحدة وماذا : قالوا وأما الثانية فانه قاتل وقتل ولم يسب ولم يغنم فأن كانوا مؤمنين فلم حل لنا قتالهم وقتلهم ولم يحل لنا سبيهم قلت وما الثالثة قالوا فانه محا عن نفسه أمير المؤمنين فانه ان لم يكن أمير المؤمنين فانه لأمير الكافرين . قلت هل عندكم غير هذا . قالوا كفانا هذا . قلت لهم أما قولكم حكم الرجال فى أمر الله أنا أقرأ عليكم فى كتاب الله ما ينقض هذا . فاذا نقض قولكم أترجعون قالوا نعم قلت فان الله قد صير من حكمه إلى الرجال فى ربع درهم ثمن أرنب وتلى هذه الآية (لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) إلى آخر الآية وفى المرأة وزوجها (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) إلى آخر الآية فنشدتكم بالله هل تعلمون حكم الرجال فى إصلاح ذات بينهم وفى حقن دمائهم أفضل أم حكمهم فى أرنب وبضع امرأة فأيهما ترون أفضل . قالوا بل هذه . قلت خرجت من هذه . قالوا نعم . قلت وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم فتسبون أمكم عائشة رضى الله تعالى عنها . فوالله لئن قلتم ليست بأمنا لقد خرجتم من الاسلام . ووالله لئن قلتم لنسبينها ونستحل منها ما نستحل من غيرها لقد خرجتم من الاسلام . فأنتم بين ضلالتين لان الله عز وجل قال (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) أخرجت من هذه . قالوا نعم . قلت وأما قولكم محا عن نفسه أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون ان النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية صالح المشركين ابا سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو . فقال لعلي رضى الله عنه اكتب لهم كتاباً فكتب لهم علي . هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله فقال المشركون والله ما نعلم انك رسول الله لو نعلم انك رسول الله ما قاتلناك فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى

آله وصحبه وسلم اللهم انك تعلم اني رسول الله امح ياعلى . ا كتب هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله فوالله لرسول الله خير من على وقد محا نفسه . قال فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا * اخبرنا ابو منصور القزاز نا ابو بكر احمد بن علي بن ثابت نا ولاد بن على الكوفى نا محمد بن على بن دحيم الشيبانى ثنا احمد بن حازم ثنا احمد بن عبد الرحمن يعني ابن ابى ليلى ثنا سعيد بن حثيم عن القعقاع بن عمارة عن ابى الخليل عن ابي الشائعة عن جندب الازدى . قال لما عدلنا الى الخوارج ونحن مع على بن ابي طالب كرم الله وجهه قال فانتهينا الى معسكرهم فاذا لهم دوى كدوى النحل من قراءة القرآن *

قال المصنف . وفى رواية اخرى ان علياً رضى الله عنه لما حكم اتاه من الخوارج زرعة بن البرج الطائى وحرقوص بن زهير السعدى فدخلا عليه فقالا له لا حكم إلا لله . فقال على لا حكم إلا لله فقال له حرقوص تب من خطيئتك وارجع عن قضيتنا واخرج بنا الى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا ولئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عز وجل لأقاتلنك اطلب بذلك وجه الله واجتمعت الخوارج فى منزل عبد الله بن وهب الراسبي فحمد الله واثنى عليه ثم قال ماينبغى لقوم يؤمنون بالرحمن وينسبون الى حكم القرآن ان تكون هذه الدنيا التي إيثارها عناء آثر عنده من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحق فاخرجوا بنا . فكتب اليهم على ابن ابى طالب كرم الله وجهه . اما بعد فان هذين الرجلين اللذين ارتضيا حكمين فقد خالفا كتاب الله واتبعا اهواءهما ونحن على الأمر الاول . فكتبوا اليه انك لم تغضب لربك وانما غضبت لنفسك فان شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك . والا فقد نابذناك على سواء والسلام ولقي الخوارج فى طريقهم عبد الله بن خباب فقالوا هل سمعت من أبيك حديثاً تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدثناه قال نعم سمعت أبي يحدث عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم . والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي فان أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول . قالوا أنت سمعت هذا من أبيك تحدثه عن رسول الله قال نعم فقدموه الى شفير النهر فضربوا عنقه فسال دمه

كأنه شراك نعل. و بقروا بطن أم ولده عما فى بطنها وكانت حبلي و نزلوا تحت نخل مواقير بنهروان. فسقطت رطبة فأخذها أحدهم فقذف بها فى فيه . فقال أحدهم أخذتها بغير حدها و بغير ثمنها فلفظها من فيه . واخترط أحدهم سيفه فأخذ يهزه فمر به خنزير لأهل الذمة فضرب به به يجربه فيه فقالوا هذا فساد فى الارض فلقى صاحب الخنزير فأرضاه فى ثمنه . قال فبعث اليهم علي رضى الله عنه اخرجوا الينا قاتل عبد الله بن خباب فقالوا كلنا قتله . فناداهم ثلاثا كل ذلك يقولون هذا القول . فقال علي رضى الله عنه لاصحابه دونكم القوم . فما لبثوا أن قتلوهم و كان وقت القتال يقول بعضهم لبعض تهيأ للقاء الرب الرواح الرواح الى الجنة ! وخرج على علي رضى الله عنه بعدهم جماعة منهم فبعث اليهم من قاتلهم ثم اجتمع عبد الرحمن بن ملجم بأصحابه وذكروا أهل النهروان فترحموا عليهم وقالوا والله ماقنعنا بالبقاء فى الدنيا شيء بعد اخواننا الذين كانوا لايخافون فى الله لومة لائم فلو انا شرينا انفسنا لله والتمسنا غير هؤلاء الأئمة الضلال فثأرنا بهم اخواننا وأرحنا منهم العباد *

اخبرنا محمد بن أبي طاهر البزار نا ابومحمد الجوهرى نا ابن حياة نا ابوالحسن بن معروف نا الحسين بن الفهم نا محمد بن سعد عن أشياخ له . فقالوا انتدب ثلاثة نفر من الخوارج عبد الرحمن بن ملجم والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمى فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا لنقتلن هؤلاء الثلاثة عليا ومعاوية وعمرو بن العاص ونريح العباد منهم فقال ابن ملجم أنا لكم بعلي وقال البرك أنا لكم بمعاوية وقال عمرو أنا لكم بعمرو فتواثقوا لا ينقض رجل منهم رجلا عن صاحبه ، فقدم ابن ملجم الكوفة فلما كانت الليلة التى عزم على قتل علي رضى الله عنه فيها خرج علي رضى الله عنه لصلاة الصبح فضربه فأصاب جبهته الى قرنه ووصل الى دماغه . فقال علي رضي الله عنه لايفوتنكم الرجل فاخذ : فقالت أم كلثوم ياعدو الله قتلت أمير المؤمنين . فقال ماقتلت إلا أباك . قالت والله انى لارجو أن لا يكون على أمير المؤمنين بأس قال فلم تبكين اذن ثم قال والله لقد سممته شهرا يعني سيفه فان أخلفنى فابعده الله وأسحقه. فلما مات علي رضى الله عنه أخرج ابن ملجم ليقتل فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع ولم يتكلم . فكحل عينيه بمسمار محمى . فلم يجزع وجعل يقرأ اقرأ باسم ربك الذى

خلق خلق الانسان من علق حتى ختمها وان عينيه لتسيلان . فعولج على قطع لسانه فجزع . فقيل له لم تجزع فقال أكره أن أكون فى الدنيا مواتا لاأذكر الله وكان رجلا أسمر فى جبهته أثر السجود لعنه الله *

قال المصنف . قلت ولما أراد الحسن رضى الله عنه أن يصالح معاوية خرج عليه من الخوارج الجراح بن سنان . وقال أشركت كما أشرك أبوك ثم طعنه فى أصل فخذه . وما زالت الخوارج تخرج على الامراء ولهم مذاهب مختلفة . وكان أصحاب نافع بن الازرق يقولون نحن مشركون مادمنا في دار الشرك فاذا خرجنا فنحن مسلمون . قالوا ومخالفونا فى المذهب مشركون . ومرتكبوا الكبائر مشركون والقاعدون عن موافقتنا فى القتال كفرة وأباح هؤلاء قتل النساء والصبيان من المسلمين وحكموا عليهم بالشرك . وكان نجدة بن عامر الثقفى من القوم فخالف نافع بن الازرق وقال بتحريم دماء المسلمين وأموالهم : وزعم أن أصحاب الذنوب من موافقيه يعذبون فى غير نار جهنم وان جهنم لا يعذب بها الا مخالفوه فى مذهبه : وقال ابراهيم الخوارج قوم كفار وتحل لنا مناكحتهم وموارثتهم كما كان الناس في بدء الاسلام . وكان بعضهم يقول لو ان رجلا اكل من مال يتيم فلسين وجبت له النار . ولو قتله أو قطع يديه أو بقر بطنه لم تجب له النار . لأن الله عز وجل أوعد على ذلك النار *

قال المصنف . ولهم قصص تطول ومذاهب عجيبة لهم لم أر التطويل بذكرها وانما المقصود النظر في حيل ابليس وتلبيسه على هؤلاء الحمقى الذين عملوا بواقعاتهم واعتقدوا أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه على الخطأ ومن معه من المهاجرين والانصار على الخطأ وأنهم على الصواب . واستحلوا دماء الاطفال ولم يستحلوا أكل ثمرة بغير ثمنها وتعبوا في العبادات وسهروا . وجزع ابن ملجم عند قطع لسانه من فوات الذكر . واستحل قتل على كرم الله وجهه . ثم شهروا السيوف على المسلمين ولا أعجب من اقتناع هؤلاء بعلمهم واعتقادهم أنهم أعلم من على رضى الله عنه . فقد قال ذو الخويصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعدل فما عدلت وما كان ابليس ليهتدي الى هذه

المخازى نعوذ بالله من الخذلان *

اخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا ابو بكر بن ملك ثنا عبد الله بن احمد ابن حنبل ثنى ابى قال قرأت على عبد الرحمن بن ملك عن يحيى بن سعيد عن محمد ابن ابراهيم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم فيكم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرميّة (١) . أخرجاه في الصحيحين *

أخبرنا سعد الله بن على نا أبو بكر الطريثيثى ثنا هبة الله بن الحسن الطبرى نا أحمد بن عبيد ثنا على بن عبد الله بن مبشر ثنا احمد بن سنان ثنا اسحاق بن يوسف الازرق عن الاعمش عن عبد الله بن أبي أوفى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخوارج كلاب أهل النار *

(فصل) قال المصنف ومن رأى الخوارج أنه لا تختص الامامة بشخص الا أن يجتمع فيه العلم والزهد فاذا اجتمعا كان اماما ولو كان نبطياً (١) ومن رأى هؤلاء أحدث المعتزلة فى التحسين والتقبيح الى العقل وأن العدل ما يقتضيه ثم حدث القدرية في زمن الصحابه وصار معبد الجهنى وغيلان الدمشقى والجعد بن درهم الى القول بالقدر ونسج على منوال معبد الجهنى واصل بن عطاء وانضم اليه عمرو بن عبيد . وفى ذلك الزمان حدثت سنة المرجئة حين قالوا لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . ثم طالعت المعتزلة مثل أبي الهذيل العلاف والنظام ومعمر والجاحظ كتب الفلاسفة في زمان المأمون واستخرجوا منها ما خلطوه بأوضاع الشرع مثل لفظ الجوهر والعرض والزمان والمكان والكون . وأول مسألة أظهروها القول بخلق القرآن . وحينئذ سمي هذا الفصل فصل علم الكلام . وتلت هذه المسألة مسائل الصفات مثل العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر . فقال قوم هي معانى زائدة

(١) الرمية الصيد الذى ترميه فينفذ فيه السهم

(٢) النبطى نسبة الى النبط بفتحتين أخلاط الناس وأوباشهم

على الذات ونفتها المعتزلة وقالوا عالم لذاته قادر لذاته . وكان ابو الحسن الاشعرى على مذهب الجبائى ثم انفرد عنه الى مثبتي الصفات . ثم اخذ بعض مثبتي الصفات فى اعتقاد التشبيه وإثبات الانتقال فى النزول والله الهادى لما يشاء *

﴿ذكر تلبيسه على الرافضة﴾

قال المصنف . وكما لبس إبليس على هؤلاء الخوارج حتى قاتلوا على بن أبي طالب . حمل آخرين على الغلو فى حبه . فزادوه على الحد فمنهم من كان يقول هو الاله : ومنهم من يقول هو خير من الانبياء . ومنهم من حمله على سب أبي بكر وعمر حتى إن بعضهم كفر أبا بكر وعمر الى غير ذلك من المذاهب السخيفة التي يرغب عن تضييع الزمان بذكرها . وإنما نشير الى بعضها *

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت قال حدث أبو يعقوب إسحق بن محمد النخعى عن عبيد الله بن محمد بن عائشة وأبي عثمان المازنى وغيرهما وسمعت عبد الواحد بن علي بن برهان الاسدي يقول إسحق بن محمد النخعى الاحمر كان يقول : ان علياً هو الله : تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً : وبالمدائن جماعة من الغلاة يعرفون بالاسحاقية ينسبون اليه : قال الخطيب ووقع اليّ كتاب لابي محمد الحسن بن يحيى النوبختي من تصنيفه في الرد على الغلاة : وكان النوبختي هذا من متكلمي الشيعة الامامية : فذكر أصناف مقالات الغلاة الى أن قال وقد كان ممن جرد الجنون فى الغلو فى عصرنا إسحق بن محمد المعروف بالاحمر كان يزعم أن علياً هو الله عز وجل : وأنه يظهر في كل وقت فهو الحسن فى وقت وكذلك هو الحسين : وهو الذى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم *

قال المصنف . قلت : وقد اعتقد جماعة من الرافضة أن أبا بكر وعمر كانا كافرين : وقال بعضهم ارتدا بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومنهم من يقول بالتبرى من غير علي . وقد روينا أن الشيعة طالبت زيد بن علي بالتبرى ممن خالف

علياً فى إمامته فامتنع من ذلك فرفضوه فسموا الرافضة : ومنهم أقوام قالوا الامامة فى موسى بن جعفر ثم فى إبنه على ثم إلى محمد بن علي ثم إلى علي بن محمد ثم الى الحسن بن محمد العسكرى ثم الى إبنــه محمد وهو الامام الثانى عشر الامام المنتظر الذى يزعمون أنه لم يمت وأنه سيرجع في آخر الزمان فيملأ الأرض عـدلا : وكان أبو منصور العجلي يقول بانتظار محمد بن علي الباقر ويدعي أنه خليفة . وأنه عرج به الى السماء فمسح الرب بيده على رأسه . وزعم أنه الـكسف الساقط من السماء وكانت طائفة من الرافضة يقال لها الجناحية وهم أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبـد الله بن جعفر ذى الجناحين يقولون إن روح الاله دارت فى أصلاب الانبياء والأولياء الى أن انتهى الى عبد الله وأنه لم يمت : وهو المنتظر : ومنهم طائفة يقال لها الغرابية يثبتون شركة علي في النبوة . وطائفة يقال لها المفوضة يقولون إن الله عزوجل خلق محمداً ثم فوض خلق العالم اليه . وطائفة يقال لها الذمامية يذمون جبريل ويقولون كان مأموراً بالنزول على علي فنزل على محمد : ومنهم من يقول ان أبا بكر ظلم فاطمــة ميراثها . وقد روينا عن السـفاح أنه خطب يوماً فقام رجل من آل على رضي الله عنه قال أنا من أولاد على رضى الله عنه . فقال يا أمير المؤمنين اعدنى على من ظلمني قال ومن ظلمك قال أنا من أولاد على رضى الله عنه والذى ظلمني أبو بكر رضى الله عنه حين أخذ فدك من فاطمة قال ودام على ظلمـكم قال نعم . قال ومن قام بعده قال عمر رضى الله عنه قال ودام على ظلمـكم قال نعم قال ومن قام بعده قال عثمان رضى الله عنه قال ودام على ظلمـكم قال نعم . قال ومن قام بعده فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكاناً يهرب اليه *

قال ابن عقيل الظاهر ان من وضع مذهب الرافضة قصد الطعن في أصل الدين والنبوة وذلك ان الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر غائب عنا وانما نثق فى ذلك بنقل السلف وجودة نظر الناظرين الى ذلك منهم . فـكأننا نظرنا اذ نظر لنا من نثق بدينه وعقله فاذا قال قائل انهم أول ما بدأوا بعد موته بظلم أهل بيته فى الخلافة وابنته فى إرثها وما هذا الا لسوء اعتقاد فى المتوفى . فان الاعتقادات الصحيحة سيما فى الانبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم لا سيما في أهليهم وذريتهـم . فاذاقالت

الرافضة ان القوم استحلوا هذا بعده خابت آمالنا فى الشرع . لانه ليس بيننا و بينه الا النقل عنهم والثقة بهم . فاذا كان هـذا محصول ما حصل لهم بعـد موته خبنا فى المنقول . وزالت ثقتنا فيما عولنا عليه من اتباع ذوى العقول . ولم نأمن أن يكون القوم لم يروا ما يوجب اتباعه فراعوه مدة الحياة وانقلبوا عن شريعته بعـد الوفاة ولم يبق على دينه الا الأقل من أهله . فطاحت الاعتقادات . وضعفت النفوس . عن قبول الروايات فى الاصل وهو المعجزات فهذا من أعظم المحن على الشريعة *

قال المصنف . وغلو الرافضة فى حب على رضى الله عنـه حملهم على أن وضعوا أحاديث كثيرة في فضائله أ كثرها تشينه وتؤذيه . وقد ذكرت منها جملة فى كتاب الموضوعات . منها أن الشمس غابت ففاتت علياً صـلاة العصر فردت له الشمس . وهـذا من حيث النقل موضوع : لم يروه ثقـة ومن حيث المعنى فان الوقت قد فات وعودها طلوع متجدد فلا يرد الوقت. وكذلك وضعوا أن فاطمة اغتسلت ثم ماتت وأوصت أن تـكتفى بذلك الغسل . وهذا من حيث النقل كذب . ومن حيث المعنى قلة فهم . لان الغسل عن حدث الموت فـكيف يصح قبله ثم لهم خرافات لا يسندونها الى مستند . ولهم مذاهب في الفقه ابتدعوها و خرافات تخالف الاجماع . فنقلت منها مسائل من خط ابن عقيل . قال نقلتها من كتاب المرتضي فيما انفردت به الامامية . منها أنه لا يجوز السـجود على ما ليس بأرض ولا من نبات الارض . فأما الصوف والجلود والوبر فلا . وأن الاستجمار لا يجزىء فى البول بل فى الغائط خاصـة . ولا يجزىء مسح الرأس الا بباقي البلل الذى فى اليد فان استأنف للرأس بللا مستأنفاً لم يجزه حتى لو نشفت يده من البـلل احتاج الى استئناف الطهارة . وانفردوا بتحريم من زنى بها وهى تحت زوج أبداً فلو طلقها زوجها لم تحل للزانى بها بنـكاح أبداً . وحرموا الـكتابيات وأن الطلاق المعلق على شرط لا يقع وان وجـد شرطه . وأن الطلاق لا يقع الا بحضور شاهدين عدلين . وأن من نام عن صـلاة العشاء الى أن مضى نصف الليل وجب عليـه اذا استيقظ القضاء وأن يصـبح صائماً كفارة لذلك التفريط . وأن المرأة اذا جزت شعرها فعليها الـكفارة مثل قتل الخطأ . وأن من شق ثوبه في موت ابن له أو زوجة فعليـه كفارة يمين . وأن من تزوج امرأة ولها زوج

وهو لا يعلم لزمه الصدقة بخمسة دراهم . وأن شارب الخمر اذا حد ثانية قتل فى الثالثة . ويحد شارب الفقاع كشارب الخمر ، وأن قطع السارق من أصول الاصابع ويبقى له الكف فان سرق مرة أخرى قطعت الرجل اليسرى . فان سرق الثالثة خلد فى الحبس الى أن يموت . وحرموا السمك الجرى (كذا) . وذبائح أهل الكتاب. واشترطوا فى الذبح استقبال القبلة . فى مسائل كثيرة يطول ذكرها خرقوا فيها الاجماع وسول لهم إبليس وضعها على وجه لا يستندون فيه الى أثر ولا قياس . بل الى الواقعات ومقابح الرافضة أكثر من أن تحصى . وقد حرموا الصلاة لكونهم لا يغسلون أرجلهم فى الوضوء والجماعة لطلبهم إماماً معصوماً وابتلوا بسب الصحابة . وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لا تسبوا أصحابى فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ماأدرك مد أحدهم ولا نصيفه . وقد أخبرنا محمد بن عبد الملك ويحيى بن على قالا أخبرنا محمد بن احمد بن المسلمة نا أبو طاهر المخلص ثنا البغوى ثنا محمد بن عباد المكى ثنا محمد بن طلحة المدني عن عبد الرحمن بن سالم بن عبد الله بن عويم ابن ساعدة عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان الله اختارنى واختار لي أصحابا فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا *

قال المصنف . والمراد بالعدل الفريضة والصرف النافلة . أخبرنا أبو البركات بن على البزار نا أبو بكر الطريثيثي ناهبة الله بن الحسن الطبرى نا عبيد الله بن محمد بن احمد نا على بن محمد بن احمد بن يزيد الرياحى ثنا أبى ثنا الحسن بن عمارة عن المنهال ابن عمرو عن سويد بن غفلة قال . مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وينتقصونهما فدخلت على على بن أبي طالب فقلت يا أمير المؤمنين مررت بنفر من أصحابك يذكرون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما بغير الذى هما له أهل ولولا أنهم يرون أنك تضمر لهما على مثل ما أعلنوا ما اجترأوا على ذلك . قال على . أعوذ بالله أعوذ بالله أن أضمر لهما الا الذى ائتمننى النبي عليه . لعن الله من أضمر لهما الا الحسن الجميل أخوا رسول الله وصاحباه ووزيراه رحمة الله عليهما ثم نهض دامع العينين يبكى قابضا على يدى حتى دخل المسجد فصعد المنبر وجلس عليه متمكنا قابضا على

لحيته وهو ينظر فيها وهي بيضاء حتى اجتمع لنا الناس : ثم قام فتشهد بخطبة موجزة بليغة . ثم قال ما بال أقوام يذكرون سيدى قريش وأبوى المسلمين بما أنا عنه متنزه. ومما قالوه بريء . وعلى ما قالوا معاقب أما والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما الا مؤمن تقى ولا يبغضهما الا فاجر شقى صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدق والوفاء يأمران وينهيان ويغضبان ويعاقبان فما يتجاوزان فيما يصنعان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى غير رأيهما . ولا يحب كحبهما أحداً مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهما . ومضيا والمؤمنون عنهما راضون . أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على صلاة المؤمنين فصلى بهم تسعة أيام فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض الله نبيه واختار له ماعنده . ولاه المؤمنون ذلك . وفوضوا اليه الزكاة ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرهين . وأنا أول من سن له ذلك من بنى عبد المطلب وهو لذلك كاره يود لو أن منا أحداً كفاه ذلك . وكان والله خير من أبقى أرحمه رحمة وأرأفه رأفة وأسنه ورعا وأقدمه سنا واسلاما . شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بميكائيل رأفة ورحمة وبابراهيم عفواً ووقاراً فسار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مضى على ذلك رحمة الله عليه . ثم ولى الامر بعده عمر رضى الله عنه وكنت فيمن رضى . فأقام الامر على منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه . يتبع أثرهما كما يتبع الفصيل أثر أمه وكان والله رفيقا رحيما بالضعفاء ناصراً للمظلومين على الظالمين . لا يأخذه فى الله لومة لائم وضرب الله الحق على لسانه . وجعل الصدق من شأنه : حتى ان كنا لنظن أن ملكا ينطق على لسانه أعز الله باسلامه الاسلام. وجعل هجرته للدين قواما وألقى له فى قلوب المنافقين الرهبة . وفى قلوب المؤمنين المحبة . شبهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجبريل فظا غليظا على الاعداء . فمن لكم بمثلهما رحمة الله عليهما ورزقنا المضى فى سبيلهما فمن أحبنى فليحبهما ومن لم يحبهما فقد أبغضنى وأنا منه بريء . ولو كنت تقدمت اليكم فى أمرهما لعاقبت فى هذا أشد العقوبة الا فمن أوتيت به يقول بعد هذا اليوم فان عليه ما على المفترى . الا وخير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر وعمر رضى الله عنهما ثم الله أعلم بالخير أين هو . أقول قولي واستغفر الله لي ولكم *

اخبرنا سعد الله بن علي نا الطريثيثي نا هبة الله الطبري نا محمد بن عبد الرحمن نا البغوي ثنا سويد بن سعيد ثنا محمد بن حازم عن ابي خباب الكلبي عن ابي سليمان الهمداني عن علي كرم الله وجهه قال يخرج في آخر الزمان قوم لهم نبز يقال لهم الرافضة ينتحلون شيعتنا وليسوا من شيعتنا وآية ذلك انهم يشتمون ابا بكر وعمر رضي الله عنهما اينما ادركتموهم فاقتلوهم اشد القتل فانهم مشركون *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الباطنية ﴾

قال المصنف : الباطنية قوم تستروا بالاسلام ومالوا الى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تباين الاسلام بالمرة فمحصول قولهم تعطيل الصانع وابطال النبوة والعبادات وانكار البعث ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم . بل يزعمون أن الله حق وأن محمداً رسول الله والدين صحيح لكنهم يقولون لذلك سر غير ظاهر وقد تلاعب بهم ابليس فبالغ وحسن لهم مذاهب مختلفة ولهم ثمانية أسماء *

﴿الاسم الاول الباطنية﴾ سموا بذلك لانهم يدعون أن لظواهر القرآن والاحاديث بواطن تجري من الظواهر مجرى اللب من القشر وانها بصورتها توهم الجهال صوراً جلية وهي عند العقلاء رموز واشارات الى حقائق خفية وان من تقاعد عقله من الغوص على الخفايا والاسرار والبواطن والاغوار وقنع بظواهرها كان تحت الاغلال التي هي تكليفات الشرع . ومن ارتقى الى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه قالوا وهم المرادون بقوله تعالى (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) ومرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظواهر ليقدروا بالتحكم بدعوى الباطل على ابطال الشرائع *

﴿ الاسم الثاني الاسماعيلية ﴾ نسبوا الى زعيم لهم يقال له محمد بن اسماعيل ابن جعفر ويزعمون أن دور الامامة انتهى اليه . لأنه سابع . واحتجوا بأن السموات سبع والارضين سبع وأيام الاسبوع سبعة . فدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة . وعلى هذا فيما يتعلق بالمنصور فيقولون العباس ثم ابنه عبد الله ثم ابنه علي ثم ابنه محمد بن علي ثم ابراهيم ثم السفاح ثم المنصور * وذكر أبو جعفر الطبري في تاريخه قال قال علي بن

محمد عن أبيه إن رجلا من الراوندية كان يقال له الابلق وكان أبرص . فبكى بالغلو ودعا الراوندية اليه وزعم أن الروح التى كانت في عيسى بن مريم صارت الى على ابن أبي طالب كرم الله وجهه ثم في الأئمة واحداً بعد واحد الى أن صارت الى ابراهيم ابن محمد . واستحلوا الحرمات فكان الرجل منهم يدعو الجماعة الى منزله فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته . فبلغ ذلك أسد بن عبد الله فقتلهم وصلبهم . فلم يزل ذلك فيهم الى اليوم وعبدوا أبا جعفر وصعدوا الخضراء وألقوا نفوسهم كأنهم يطيرون فلا يبلغون الأرض إلا وقد هلكوا وخرج جماعتهم على الناس فى السلاح وأقبلوا يصيحون يا أبا جعفر أنت أنت *

﴿الاسم الثالث السبعية﴾ لقبوا بذلك لأمرين أحدهما اعتقادهم أن دور الامامة سبعة سبعة على ما بينا وأن الانتهاء الى السابع هو آخر الادوار وهو المراد بالقيامة وأن تعاقب هذه الادوار لا آخر له والثانى لقولهم ان تدبير العالم السفلى منوط بالكواكب السبعة : زحل ثم المشتري ثم المريخ . ثم الزهرة ثم الشمس ثم عطارد . ثم القمر *

﴿الاسم الرابع البابكية﴾ قال المصنف وهو اسم لطائفة منهم تبعوا رجلا يقال له بابك الخرمى وكان من الباطنية وأصله أنه ولد زناً فظهر فى بعض الجبال بناحية أذربيجان سنة احدى ومائتين وتبعه خلق كثير واستفحل أمرهم واستباح المحظورات وكان اذا علم أن عند أحد بنتاً جميلة أو أختاً جميلة طلبها فان بعثها اليه والا قتله وأخذها ومكث على هذا عشرين سنة فقتل ثمانين ألفاً وقيل خمسة وخمسين الفاً وخمسمائة انسان[1] وحار به السلطان وهزم خلقاً من الجيوش حتى بعث المعتصم أفسين فحار به فجاء ببابك وأخيه فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين فلما دخلا قال لبابك أخوه يابابك قد عملت ما لم يعمله أحد فاصبر الآن صبراً لم يصبره أحد . فقال سترى صبرى فأمر المعتصم بقطع يديه ورجليه فلما قطعوا مسح بالدم وجهه فقال المعتصم أنت فى الشجاعة كذا وكذا ما بالك قد مسحت وجهك بالدم أجزعاً من الموت فقال لا . ولكنى لما

---

(١) وفى نسخة فقتل مائتى ألف وخمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة إنسان

قطعت أطرافى نزف الدم . فخفت أن يقال عنى إنه اصفر وجهه جزعاً من الموت قال فيظن ذلك بى فسترت وجهى بالدم كيلا يرى ذلك منى .ثم بعد ذلك ضربت عنقه وأضرمت عليـه النار وفعل مثل ذلك بأخيه فما فيهما مَن صاح ولا تأوه ولا أظهر جزعاً لعنهما الله وقد بقى من البابكية جماعة يقال ان لهم ليلة في السنة تجتمع فيها رجالهم ونساؤهم و يطفئون السرج ثم يتناهضون للنســاء فيثب كل رجل منهم الى امرأة ويزعمون أن من احتوى على امرأة يستحلها بالاصطياد لان الصيد مباح *

﴿الاسم الخامس المحمرة﴾ قال المصنف: سموا بذلك لانهم صبغوا ثيابهم بالحمرة في أيام بابك ولبسوها *

﴿الاسم السادس القرامطة﴾ قال المصنف وللمؤرخين فى سبب تسميتهم بهذا قولان · أحدهما أن رجلا من ناحية خوزستان قدم سواد الـكوفة فأظهر الزهد ودعا الى امام من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ونزل على رجل يقال له كرميتة لقب بهذا لحمرة عينيه وهو بالنبطية حاد العين فأخذه أمير تلك الناحية فحبسه وترك مفتاح البيت تحت رأسه ونام فرقت له جاريةفأخذت المفتاح ففتحت البيت وأخرجته وردت المفتاح الى مكانه . فلما طلب فلم يوجد زاد افتتان الناس به فخرج الى الشام فسمى كرميتة باسم الذى كان نازلا عليه ثم خفف فقيل قرمط ثم توارث مكانه أهله وأولاده . والثانى أن القوم قد لقبوا بهذا نسبة الى رجل يقال له حمدان قرمط كان أحد دعاتهم فى الابتداء فاستجاب له جمـاعة فسموا قرامطة وقرمطية . وكان هـذا الرجل من أهل الـكوفة وكان يميل الى الزهـد فصادفه أحد دعاة الباطنية فى فريق وهو متوجه الى قرية و بين يديه بقر يسوقها . فقال حمدان لذلك الراعى وهو لا يعرفه أين مقصدك فذكر قرية حمدان فقال له اركب بقرة من هذه لئلا تتعب فقال انى لم أؤمر بذلك فقال وكأنك لا تعمل الا بأمر قال نعم قال و بأمر من تعمل قال بأمر مالـكى ومالـكك ومالك الدنيا والآخرة . فقال ذلك اذن هو الله رب العالمين . فقال صدقت قال له فما غرضك في هذه القرية التى تقصدها قال أمرت أن أدعو أهلها من الجهل الى العلم ومن الضلالة الى الهدى ومن الشقاء الى السعادة . وأن أستنقذهم من ورطات الذل والفقر وأملـكهم ما يستغنون به عن الـكد : فقال له حمدان أنقذنى أنقذك الله

وأفض على من العلم ما تحيينى به فما أشد احتياجي الى مثل هذا فقال ما أمرت أن أخرج السر المخزون الى كل احد الا بعد الثقة به والعهد اليه . فقال اذ كر عهدك فانى ملتزم به فقال له أن تجعل لى وللامام على نفسك عهد الله وميثاقه ألا تخرج سر الامام الذى ألقيه اليك ولا نفس سرى أيضاً فالتزم حمدان عهده ثم اندفع الداعى في تعليمه فنون جهله حتى استغواه فاستجاب له ثم انتدب للدعاء وصار أصلا من أصول هذه البدعة فسمى أتباعه القرامطة والقرمطية . ثم لم يزل بنوه وأهله يتوارثون مكانه وكان أشدهم بأساً رجل يقال له أبو سعيد ظهر فى سنة ست وثمانين ومائتين وقوى أمره وقتل مالا يحصى من المسلمين وخرب المساجد وأحرق المصاحف. وفتك بالحاج وسن لاهله وأصحابه سننا وأخبرهم بمحالات. وكان اذا قاتل يقول وعدت النصر فى هذه الساعة . فلما مات بنوا على قبره قبة وجعلوا على رأسها طائراً من جص . وقالوا اذا طار هـذا الطائر خرج أبو سعيد من قبره وجعلوا عنـد القبر فرساً وخلعة ثياب وسلاحا وقد سول ابليس لهذه الجماعة أنه من مات وعلى قبره فرس حشر راكبا وان لم يكن له فرس حشر ماشيا . وكان أصحاب أبي سعيد يصلون عليه اذا ذكروه ولا يصلون على رسول الله ﷺ فاذا سمعوا من يصلى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون أتأكل رزق أبي سعيد وتصلى على أبي القاسم. وخلف بعده ابنه أبا طاهر ففعل مثل فعله وهجم على الكعبة فأخذ ما فيها من الذخائر وقلع الحجر الاسود فحمله الى بلده وأوهم الناس أنه الله عز وجل *

﴿ الاسم السابع الخرمية ﴾ وخرم (١) لفظ أعجمي ينبي عن الشيء المستلذ المستطاب الذى يرتاح الانسان له . ومقصود هـذا الاسم تسليط الناس على اتباع اللذات وطلب الشهوات كيف كانت وطى بساط التكليف وحط أعباء الشرع عن العبـاد وقد كان هـذا الاسم لقباً للمزدكية وهم أهـل الاباحة من المجوس الذين تبعوا فى أيام قباذ وأباحوا النساء المحرَّمات وأحلوا كل محظور .

---

(١) خرم بضم الخاء وتشديد الراء مفتوحة بوزن سكر صفة مشبهة بالفارسى بمعني جذلان ومسرور

فسموا هؤلاء بهذا الاسم لمشابهتهم اياهم في نهاية هذا المذهب وان خالفوهم في مقدماته *

﴿ الاسم الثامن التعليمية ﴾ لقبوا بذلك لأن مبدأ مذهبهم ابطال الرأى وافساد تصرف العقول ودعاء الخلق الى التعليم من الامام المعصوم وأنه لا يدرك العلوم الا بالتعليم *

(فصل) فى ذكر السبب الباعث لهم على الدخول فى هذه البدعة قال المصنف اعلم أن القوم أرادوا الانسلال من الدين فشاوروا جماعة من المجوس والمزدكية والثنوية وملحدة الفلاسفة فى استنباط تدبير يخفف عنهم مانابهم من استيلاء أهل الدين عليهم حتى اخرسوهم عن النطق بما يعتقدونه من انكار الصانع وتكذيب الرسل وجحد البعث وزعمهم أن الانبياء ممخرقون ومنمسون[1] و رأوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم قد استطار في الاقطار وانهم قد عجزوا عن مقاومته فقالوا سبيلنا أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم أركاهم عقلا وأسخفهم رأيا وأقبلهم للمحالات والتصديق بالأكاذيب وهم الروافض فنتحصن بالانتساب اليهم ونتودد اليهم بالحزن على ما جرى على آل محمد من الظلم والذل ليمكننا شتم القدماء الذين نقلوا اليهم الشريعة فاذا هان اولئك عندهم لم يلتفتوا الى ما نقلوه فأمكن استدراجهم الى الانخداع عن الدين فان بقي منهم معتصم بظواهر القرآن والاخبار أوهمناه أن تلك الظواهر لها أسرار و بواطن وأن المنخدع بظواهرها أحمق وانما الفطنة في اعتقاد بواطنها ثم نبث اليهم عقائدنا ونزعم أنها المراد بظواهرها عندكم فاذا تكثرنا بهؤلاء سهل علينا استدراج باقى الفرق . ثم قالوا وطريقنا أن نختار رجلا ممن يساعد على المذهب ويزعم انه من أهل البيت وانه يجب على كل الخلق كافة متابعته ويتعين عليهم طاعته لكونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمعصوم من الخطأ والزلل من جهة الله عز وجل : ثم لا تظهر هذه الدعوة على القرب من جوار

---

(١) ممخرقون أى كذبون مموهون ومنمسون أى ملبسون على الناس الحق بالباطل

هذا الخليفة الذي وسمناه بالعصمة ؛ فان قرب الدار يهتك الاستار . واذا بعدت الشقة وطالت المسافة فمتى يقدر المستجيب للدعوة ان يفتش عن حال الامام أو يطلع على حقيقة أمره . وقصدهم بهذا كله الملك والاستيلاء على أموال الناس : والانتقام منهم لما عاملوهم به من سفك دمائهم ونهب أموالهم قديما فهذا غاية مقصودهم ومبدأ أمرهم *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وللقوم حيل فى استدلال الناس فهم يميزون من يجوز أن يطمع فى استدراجه ممن لا يطمع فيه . فاذا طمعوا فى شخص نظروا فى طبعه: فان كان مائلا الى الزهد دعوه الى الأمانة والصدق وترك الشهوات . وان كان مائلا الى الخلاعة قرروا فى نفسه ان العبادة بله . وان الورع حماقة . وانما الفطنة فى اتباع اللذات من هـذه الدنيا الفانية . ويثبتون عند كل ذى مذهب ما يليق بمذهبه ثم يشككونه فيما يعتقده فيستجيب لهم اما رجل ابله أو رجل من أبناء الاكاسرة وأولاد المجوس ممن قد انقطعت دولة أسلافه بدولة الاسلام أو رجل يميل الى الاستيلاء ولا يساعده الزمان فيعدونه بنيل آماله . أو شخص يحب الترفع عن مقامات العوام ويروم بزعمه الاطلاع على الحقائق . أو رافضى يتدين بسب الصحابة رضى الله عنهم. أوملحد من الفلاسفة والثنوية والمتحيرين فى الدين أو من قد غلبت عليه حب اللذات. وثقل عليه التكليف*

﴿ فصل ﴾ فى ذكر نبذة من مذاهبهم . قال أبو حامد الطوسى . الباطنية قوم يدعون الاسلام ويميلون الى الرفض . وعقائدهم وأعمالهم تباين الاسلام . فمن مذهبهم القول بآلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان الا أن أحدهما علة لوجود الثانى. قالوا . والسابق لا يوصف بوجود ولا عدم ولا هو موجود ولا هو معـدوم . ولا هو معلوم ولا هو مجهول . ولا هو موصوف ولا غير موصوف وحدث عن السابق الثانى . وهو أول مبدع . ثم حديث النفس الكلية . وعندهم أن النبى عليه السلام عبارة عن شخص(١) فاضت عليه من السابق بواسطة الثانى قوة قدسية صافية . وزعموا أن جبريل عليه السلام عبارة عن العقل الفائض عليه لا أنه شخص . واتفقوا على أنه لا بد لكل عصر

---

(١) ومن هذا القول الفاسد انتحل البهائيون مذهبهم فضلوا وأضلوا .

من إمام معصوم قائم بالحق يرجع اليه فى تأويل الظواهر مساو للنبي عليـه السلام فى العصمة . وأنكروا المعاد وقالوا معنى المعاد عود الشيء إلى أصله وتعود النفس الى أصلها . وأما التكليف . فالمنقول عنهم الاباحة المطلقة واستباحة المحظورات وقد ينكرون هـذا اذا حكى عنهم وانما يقرون بأنه لابد للانسان من التكليف . فاذا اطلع على بواطن الظواهر ارتفعت التكاليف . ولما عجزوا عن صرف الناس عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها اذ لو صرحوا بالنفى المحض لقتلوا : فقالوا معنى الجنابة مبادرة المستجيب بافشاء السر . ومعنى الغسل . تجديد العهد على من فعل ذلك . ومعنى الزنا القاء نطفة العلم الباطن فى نفس من لم يسبق معه عقد العهد : والصيام الامساك عن كشف السر والكعبة هي النبي . والباب على. والطوفان طوفان العلم أغرق به المتمسكون بالشبهة والسفينة الحرز الذى يحصن به من استجاب لدعوته . ونار ابراهيم عبارة عن غضب نمرود لاعن نار حقيقة . وذبح اسحاق معناه أخذ العهد عليه . وعصى موسى حجته ، ويأجوج ومأجوج هم أهل الظاهر ، وذكر غيره أنهم يقولون إن الله عز وجل لما اوجد الارواح ظهر لهم فيما بينهم كهم فلم يشكوا أنه واحد منهم فعرفوه فأول من عرفه سلمان الفارسى . والمقداد . وأبو ذر واول المنكرين الذى يسمى ابليس : عمر بن الخطاب . في خرافات ينبغي أن يصان الوقت العزيز عن التضييع بذكرها : ومثل هؤلاء لم يتمسكوا بشبهة فتكون معهم مناظرة وانما اخترعوا بواقعاتهم ما أرادوا فان اتفقت مناظرة لأحدهم فليقل له أعرفتم هذه الاشياء التى تذكرونها عن ضروة . أوعن نظر . أوعن نقل عن الامام المعصوم . فان قلتم ضرورة . فكيف خالفكم ذووا العقول السليمة . ولوساغ للانسان أن يهذى بدعوى الضرورة فى كل ما يهواه جاز لخصمه دعوى الضرورة فى نقض ما ادعاه . وان قلتم بالنظر فالنظر عندكم باطل . لانه تصرف بالعقل وقضايا العقول عندكم لايوثق بها ، وان قلتم عن امام معصوم قلنا فما الذى دعاكم الى قبول قوله بلا معجزة ، وترك قول محمد صلى الله عليه وسلم مع المعجزات . ثم مايؤمنكم أن يكون ماسمع من الامام المعصوم له باطن غير ظاهر . ثم يقال لهم هذه البواطن والتأويلات يجب إخفاؤها أم إظهارها . فان قالوا يجب أظهارها قلنا فلم كتمها محمد صلى الله عليه وسلم . وان قالوا يجب إخفاؤها

قلنا ماوجب على الرسول اخفاؤه كيف حل لكم إفشاؤه . قال ابن عقيل هلك الاسلام بين طائفتين بين الباطنية والظاهرية . فأما أهل البواطن فانهم عطلوا ظواهر الشرع بما ادعوه من تفاسيرهم التى لا برهان لهم عليها حتى لم يبق فى الشرع شيء الا وقد وضعوا وراءه معنى . حتى أسقطوا إيجاب الواجب . والنهى عن المنهى . وأما أهل الظاهر فانهم أخذوا بكل ما ظهر مما لابد من تأويله . فحملوا الاسماء والصفات على ما عقلوه . والحق بين المنزلتين . وهوأن نأخذ بالظاهر مالم يصرفنا عنه دليل . ونرفض كل باطن لايشهد به دليل من أدلة الشرع *

قال المصنف . ولو لقيت مقدم هذه الطائفة المعروفة بالباطنية لم أكن سالكا معه طريق العلم . بل التوبيخ والازدراء على عقله وعقول أتباعه . بأن أقول أن للآمال طرقا تسلك وجوها توصل . ووضع الامل فى جهة اليأس حمق ومعلوم أن هذه الملل التى قد طبقت الارض أقربها شريعة الاسلام التى تتظاهرون بها . وتطمعون فى افسادها قد تمكنت تمكنا يكون الطمع فى تمحيقها فضلا عن ازالتها حمقاً . فلها مجمع كل سنة بعرفة ومجمع كل أسبوع فى الجوامع ومجمع كل يوم فى المساجد . فمتى تحدثكم نفوسكم بتكدير هذا البحر الزاخر وتمحيق هذا الامر الظاهر : فى الآفاق يؤذن كل يوم على ما بين الوف منابر بأشهد أن لا إله إلا الله وأشهدأن محمداً رسول الله ، وغاية ما أنتم عليه حديث في خلوة : أو متقدم فى قلعة : ان نبس بكلمة يرمى رأسه وقتل قتل الكلاب فمتى يحدث العاقل منكم نفسه بظهور ماأنتم عليه على هذا الامر الكلى الذى طبق البلاد فما أعرف أحمق منكم الى أن يجيء الى باب المناظرة بالبراهين العقلية *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : والتهبت جمرة الباطنية المتأخرين فى سنة أربع وتسعين وأربعمائة فقتل السلطان جلال الدولة برقيارق خلقاً منهم لماتحقق مذهبهم فبلغت عدة القتلى ثلثمائة ونيفاً وتتبعت أموالهم فوجد لاحدهم سبعون بيتاً من اللآلى المحفور وكتب بذلك كتاب الى الخليفة : فتقدم بالقبض على قوم يظن فيهم ذلك المذهب ولم يتجاسر أحد أن يشفع فى أحد لئلا يظن ميله الى ذلك المذهب : وزاد تتبع العوام لكل من أرادوا . وصار كل من فى نفسه شيء من إنسان يرميه بهذا المذهب

فيقصيه و ينتهب ماله . وأول ما عرف من أحوال الباطنية في أيام الملك شاه جلال الدوله انهم اجتمعوا فصلوا صلاة العيد فى ساوة . ففطن بهم الشحنة فأخذهم وحبسهم ثم أطلقهم . ثم اغتالوا مؤذنا من أهل ساوة فاجتهدوا أن يدخل معهم فلم يفعل تخافوه أن ينم عليهم فاغتالوه فقتلوه فبلغ الخبر الى نظام الملك فتقدم بأخذ من يتهم فيقتله فقتل المتهم وكان نجارا وكانت أول فتكة لهم فتكهم بنظام الملك . وكانوا يقولون قتلتم منا نجاراً فقتلنا به نظام الملك . واستفحل أمرهم بأصبهان فلما مات ملك شاه وآل الامر الى أنهم كانوا يسرقون الانسان و يقتلونه و يلقونه فى البئر . وكان الانسان اذا دنا وقت العصر ولم يعد الى منزله أيسوا منه . وفتش الناس المواضع فوجدوا امرأة فى دار لا تبرح فوق حصير . فأزالوها فوجدوا تحت الحصير أربعين قتيلا . فقتلوا المرأة وأحرقوا الدار والمحلة . وكان يجلس رجل ضرير على باب الزقاق الذى فيه هذه الدار ، فاذا مر إنسان سأله أن يقوده خطوات الى الزقاق فاذا حصل هناك جذبه من في الدار واستولوا عليه ، فجد المسلمون فى طلبهم باصبهان وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وأول قلعة تملكها الباطنية قلعة فى ناحية يقال لها الروزباد من نواحى الديلم وكانت هذه القلعة لقماح صاحب ملكشاه وكان يستحفظها متهما بمذهب القوم . فأخذ الفا ومائتى دينار وسلم اليهم القلعة فى سنة ثلاث وثمانين فى أيام ملكشاه وكان مقدمها الحسن بن الصباح وأصله من مرو وكان كاتباً للرئيس عبد الرزاق بن بهرام اذ كان صبيا ثم صار الى مصر وتلقى من دعاتهم المذهب وعاد داعية القوم ورأسا فيهم وحصلت له هذه القلعة وكانت سيرته فى دعاته ألا يدعو الاغبيا لا يفرق بين يمينه وشماله مثلا ومن لا يعرف أمور الدنيا و يطعمه الجوز والعسل والشونيز حتى ينبسط دماغه ثم يذكر له حينئذ ما تم على أهل بيت المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعليهم من الظلم والعدوان حتى يستقر ذلك فى نفسه ، ثم يقول اذا كانت الازارقة والخوارج سمحوا بنفوسهم في قتال بني أمية فما سبب بخلك بنفسك فى نصرة إمامك فيتركه بهذه المقالة طعمة للسيف ، وكان ملكشاه قد أرسل الى هذا ابن الصباح يدعوه الى الطاعة ويتهدده ان خالفه و يأمره بالكف عن بث أصحابه لقتل العلماء والامراء ، فقال فى جواب الرسالة والرسول حاضر الجواب ما تراه ، ثم قال لجماعة

وقوف بين يديه أريد أن أنفذكم الى مولاكم في حاجة فمن ينهض لها فاشرأب كل منهم لذلك ، فظن رسول السلطان أنها رسالة يحملها إياهم ، فأومأ الى شاب منهم فقال له اقتل نفسك فجذب سكينة وضرب بها غلصمته (١) فخر ميتاً وقال لآخر إرم نفسك من القلعة فألقى نفسه فتمزق ، ثم التفت الى رسول السلطان فقال أخبره أن عندى من هؤلاء عشرين الفاً هذا حد طاعتهم لي وهذا هو الجواب ، فعاد الرسول الى السلطان ملكشاه فأخبره بما رأى فعجب من ذلك وترك كلامهم وصارت بأيديهم قلاع كثيرة ثم قتلوا جماعة من الامراء والوزراء قال المصنف . وقد ذكرنا من صفة القوم في التاريخ أحوالا عجيبة فلم نر التطويل بها هنا *

﴿ فصل ﴾ وكم من زنديق في قلبه حقد على الاسلام خرج فبالغ واجتهد فزخرف دعاوى يلقى بها من يصحبه : وكان غور مقصده في الاعتقاد الانسلال من ربقة الدين . وفي العمل نيل الملذات واستباحة المحظورات : فمنهم بابك الخرّمى حصل له مقصوده من اللذات ولكن بعد أن قتل الناس و بالغ فى الاذى ثم القرامطة وصاحب الزنج الذى خرج فاستغوى المماليك السودان ووعدهم الملك: فنهب وفتك وقتل و بالغ وكانت عواقبهم فى الدنيا أقبح العواقب فما وفى ما نالوا بما نيل منهم ومنهم من لم يبرح على تعثيره ففاتته الدنيا والآخرة مثل ابن الراوندى والمعرى * أنبأنا محمد بن أبي طاهر عن أبي القاسم على بن المحسن التنوخي عن أبيه قال كان ابن الراوندى ملازم الرافضة وأهل الالحاد فاذا عوتب قال انما أريد أن أعرف مذاهبهم ثم كاشف وناظر *

قال المصنف : من تأمل حال (٢) ابن الراوندى وجده من كبار الملحدة

---

(١) الغلصمة رأس الحلقوم وهو الموضع الناتىء فى الحلق والجمع غلاصم

(٢) ومن تتبع شعر ابي العلاء المعرى وسيرة ابن الراوندي علم أنهما على جانب عظيم من الالحاد والزندقة الأان المعرى يتستر كثيراً بخلاف ابن الراوندى وقد ظهر فى زماننا بعض من يتمذهب بمذهبهما : وانفرد الاعمى المتفلسف يؤلف في سيرة ابي العلاء المعرى ويرغب الناس في مذهبه وشعره ويروج مؤلفاته وينشرها بين الناس للاضلال وقد سرى هذا المذهب اليهم من رحلتهم الى مدارس

وصنف كتاباً سماه الدامغ زعم أنه يدمغ به هـذه الشريعة فسبحان من دمغه فأخذه وهو فى شرخ الشباب وكان يعترض على القرآن و يدعى عليه التناقض وعدم الفصاحة : وهو يعلم أن فصحاء العرب تحيرت عند سماعه فكيف بالألكن وأما أبو العلاء المعرى فأشعاره ظاهرة الالحاد : وكان يبالغ في عداوة الانبياء ولم يزل متخبطاً في تعثيره خائفاً من القتل الى أن مات بخسرانه . وما خلا زمانٌ من خَلَفٍ للفريقين الا أن جمرة المنبسطين قد خبت بحمد الله . فليس الاباطني مستتر ومتفلسف متكاتم هو أعثر الناس وأخسأهم قدرا . وأردأهم عيشاً وقد شرحنا أحوال جماعة من الفريقين في "التاريخ" فلم نر التطويل بذلك والله الموفق *

﴿ الباب السادس في ذكر تلبيس ابليس على العلماء في فنون العلم ﴾

قال المصنف : اعلم أن ابليس يدخل على الناس في التلبيس من طرق منها ظاهر الامر . ولكن يغلب الانسان فى ايثار هواه فيغـمض على علم بذلك . ومنها غامض وهو الذى يخفى على كثير من العلماء . ونحن نشير الى فنون من تلبيسه يستدل بمذكورها على مغفلها اذحصر الطرق يطول والله العاصم*

﴿ ذكر تلبيسه على القراء ﴾ فمن ذلك أن أحدهم يشتغل بالقرآآت الشاذة وتحصيلها فيفنى أكثر عمره فى جمعها . وتصنيفها والاقراء بها و يشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات . فربما رأيت امام مسجد يتصدى للاقراء ولا يعرف مايفسد الصلاة . وربما حمله حب التصدر حتى لايرى بعين الجهل على أن يجلس بين يدي العلماء ويأخذ عنهم العلم (١) ولو تفكروا لعلموا ان المراد حفظ القرآن وتقويم الفاظه ثم فهمه ثم العمل به ثم الاقبال على ما يصلح النفس و يطهر اخلاقها ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع . ومن الغبن الفاحش تضييع الزمان فيما غيره الاهم . قال الحسن

أوروبا وتلقيهم العلوم الفلسفية عن أعداء الدين وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. كلا والله انهم لفي سكرتهم يعمهون وفى شقاوتهم يسبحون وللخذلان أنفسهم يعملون ولا يعلمون فانا لله وانا اليه راجعون *

(١) وفي نسخة وربما حمله حب التصدر حتى اجترىء بعين الجهل على أن يجيب فى فتوى بما يقع له وان لم يجز في مذهبه

البصرى أنزل القرآن ليعمل به : فاتخذ الناس تلاوته عملا : يعنى أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به : ومن ذلك أن أحدهم يقرأ فى محرابه بالشاذ ويترك المتواتر المشهور : والصحيح عند العلماء ان الصلاة لا تصح بهذا الشاذ وانما مقصود هذا اظهار الغريب لاستجلاب مدح الناس واقبالهم عليه وعنده أنه متشاغل بالقرآن : ومنهم من يجمع القراآت فيقول ملك مالك ملاك وهذا لا يجوز لأنه اخراج للقرآن عن نظمه : ومنهم من يجمع السجدات والتهليلات والتكبيرات وذلك مكروه : وقد صاروا يوقدون النيران الكثيرة للختمة فيجمعون بين تضييع المال والتشبه بالمجوس والتسبب الى اجتماع النساء والرجال بالليل للفساد ويريهم ابليس أن في هذا اعزازاً للاسلام : وهذا تلبيس عظيم لان اعزاز الشرع باستعمال المشروع : ومن ذلك أن منهم من يتسامح بادعاء القراءة على من لم يقرأ عليه وربما كانت له اجازة منه : فقال أخبرنا تدليسا وهو يرى أن الأمر فى ذلك قريب لكونه يروى القراآت ويراها فعل خير وينسى أن هذا كذب يلزمه اثم الكذابين : ومن ذلك أن المقرىء المجيد يأخذ على اثنين وثلاثة ويتحدث مع من يدخل عليه والقلب لا يطيق جمع هذه الاشياء ثم يكتب خطه بأنه قد قرأ على فلان بقراءة فلان : وقد كان بعض المحققين يقول ينبغي أن يجتمع اثنان أوثلاثة ويأخذوا على واحد ومن ذلك أن أقواما من القراء يتبارون بكثرة القراءة وقد رأيت من مشايخهم من يجمع الناس ويقيم شخصاً ويقرأ فى النهار الطويل ثلاث ختمات : فان قصر عيب وان أتم مدح : وتجتمع العوام لذلك ويحسنونه كما يفعلون فى حق السعاة ويريهم ابليس أن فى كثرة التلاوة ثوابا : وهذا من تلبيسه لان القراءة تنبغي أن تكون لله تعالى لا للتحسين بها : وتنبغى أن تكون على تمهل : وقال عز وجل (لتقرأه على الناس على مكث) وقال عز وجل (ورتل القرآن ترتيلا) ومن ذلك أن جماعة من القراء أحدثوا قراءة الالحان وقد كانت الى حد قريب : وعلى ذلك فقد كرهها أحمد بن حنبل وغيره ولم يكرهها الشافعى : أنبأنا محمد ابن ناصر نا أبوعلى الحسين بن سعد الهمذاني نا أبو بكر احمد بن علي بن لال ثنا الفضل ابن الفضل ثنا السياحى ثنا الربيع بن سليمان قال قال الشافعى أما استماع الحداء ونشيد

الأعراب فلا بأس به ولا بأس بقراءة الالحان وتحسين الصوت *

قال المصنف وقلت انما أشار الشافعي الى ما كان في زمانه وكانوا يلحنون يسيراً فأما اليوم فقد صيروا ذلك على قانون الاغاني وكلما قرب ذلك من مشابهة الغناء زادت كراهته . فان أخرج القرآن عن حد وضعه حرم ذلك . ومن ذلك أن قوماً من القراء يتسامحون بشيء من الخطايا كالغيبة للنظراء وربما أتوا أكبر من ذلك الذنب واعتقدوا أن حفظ القرآن يرفع عنهم العذاب واحتجوا بقوله عليه الصلاة والسلام . لو جعل القرآن في اهاب ما احترق . وذلك من تلبيس ابليس عليهم لأن عذاب من يعلم أكثر من عذاب من لايعلم اذ زيادة العلم تقوي الحجة وكون القارىء لم يحترم مايحفظ ذنب آخر . قال الله عز وجل « أفمن يعلم أن ما انزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى » وقال في أزواج رسول الله ﷺ « من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » *

وقد أخبرنا أحمد بن أحمد المتوكلي نا أحمد بن على بن ثابت نا أبو الحسن بن زرقويه نا اسماعيل الصفار ثنا زكريا بن يحيى ثنا معروف الكرخي قال قال بكر بن حبيش : ان فى جهنم لواديا تتعوذ جهنم من ذلك الوادى كل يوم سبع مرات . وان فى الوادى لجبا يتعوذ الوادى وجهنم من ذلك الجب كل يوم سبع مرات . وان فى الجب لحية يتعوذ الجب والوادى وجهنم من تلك الحية كل يوم سبع مرات . يبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون . أى رب يبدأ بنا قبل عبدة الاوثان . فقيل لهم . ليس من يعلم كمن لايعلم . قال المصنف فلنقتصر على هذا الانموذج فيمايتعلق بالقراء *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على أصحاب الحديث ﴾

من ذلك أن قوما استغرقوا أعمارهم فى سماع الحديث والرحلة فيه وجمع الطرق الكثيرة وطلب الأسانيد العالية والمتون الغريبة وهؤلاء على قسمين قسم قصدوا حفظ الشرع بمعرفة صحيح الحديث من سقيمه وهم مشكورون على هذا القصد الا أن ابليس يلبس عليهم بأن يشغلهم بهذا عما هو فرض عين من معرفة ما يجب عليهم والاجتهاد فى أداء اللازم والتفقه في الحديث (فان قال قائل) فقد فعل هذا خلق كثير من السلف

كيحيي بن معين وابن المديني والبخاري ومسلم فالجواب أن أولئك جمعوا بين معرفة المهم من أمور الدين والفقه فيه و بين ماطلبوا من الحديث وأعانهم على ذلك قصر الاسناد وقلة الحديث فاتسع زمانهم للأمرين فأما في هذا الزمان فان طرق الحديث طالت والتصانيف فيه اتسعت وما في هذا الكتاب في تلك الكتب وانما الطرق تختلف فقل ان يمكن أحداً أن يجمع بين الأمرين فترى المحدث يكتب و يسمع خمسين سنة ويجمع الكتب ولا يدري مافيها ولو وقعت له حادثة في صلاته لافتقر الى بعض احداث المتفقهة الذين يترددون اليه لسماع الحديث منه وبهؤلاء تمكن الطاعنون على المحدثين فقالوا : زوامل أسفار لايدرون ما معهم . فان أفلح أحدهم ونظر في حديثه فربما عمل بحديث منسوخ وربما فهم من الحديث ما يفهم العامي الجاهل وعمل بذلك وليس بالمراد من الحديث كما روينا أن بعض المحدثين روى عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن يسقي الرجل ماءه زرع غيره فقال جماعة ممن حضر قد كنا اذا فضل عنا ماء في بساتيننا سرحناه الى جيراننا ونحن نستغفر الله . فما فهم القارىء ولا السامع ولا شعروا أن المراد وطء الحبالى من السبايا . قال الخطابي : وكان بعض مشايخنا يروى الحديث ان النبي ﷺ نهى عن الحلق قبل الصلاة يوم الجمعة باسكان اللام . قال وأخبرني : أنه بقي أربعين سنة لا يحلق رأسه قبل الصلاة قال فقلت له انما هو الحلق جمع حلقة وانما كره الاجتماع قبل الصلاة للعلم والمذاكرة وأمر أن يشتغل بالصلاة وينصت للخطبة . فقال قد فرجت عليّ وكان من الصالحين . وقد كان ابن صاعد كبير القدر في المحدثين لكنه لما قلت مخالطته للفقهاء كان لايفهم جواب فتوى حتى أنه قد أخبرنا أبو منصور البزار نا ابو بكر احمد بن علي بن ثابت قال سمعت البرقاني يقول قال أبو بكر الابهري الفقيه قال كنت عند يحيي بن محمد بن صاعد فجاءته امرأة فقالت: أيها الشيخ ما تقول في بئر سقطت فيها دجاجة فماتت فهل الماء طاهر أو نجس . فقال يحيي ويحك . كيف سقطت الدجاجة في البئر قالت لم تكن البئر مغطاة فقال يحيي الا غطيتها حتى لايقع فيها شيء قال الابهري فقلت يا هذه ان كان الماء تغير فهو نجس و إلا فهو طاهر *

قال المصنف : وكان ابن شاهين قد صنف في الحديث مصنفات كثيرة أقلها جزء وأكثرها التفسير وهو الف جزء وما كان يعرف من الفقه شيئاً . وقد كان فيهم من

يقدم على الفتوى بالخطأ لئلا يرى بعين الجهل فكان فيهم من يصير بما يفتي به ضحكة فسئل بعضهم عن مسألة من الفرائض فكتب فى الفتوى تقسم على فرائض الله سبحانه وتعالى *

وأنبأنا محمد بن ابى منصور نا احمد بن الحسين بن حيرون نا احمد بن محمد العتيقى نا أبو عمر بن حياة نا سليمان بن اسحاق الحلاب ثنا ابراهيم الحربى قال بلغنى أن امرأة جاءت الى على بن داود وهو يحدث و بين يديه مقدار الف نفس فقالت له : حلفت بصدقة ازارى فقال لها بكم اشتريتيه قالت باثنين وعشرين درهما قال اذهبي فصومى اثنين وعشرين يوماً فلما مرت جعل يقول آه. آه غلطنا والله أمرناها بكفارة الظهار *

قال المصنف قلت فانظروا الى هاتين الفضيحتين فضيحة الجهل وفضيحة الاقدام على الفتوى بمثل هذا التخليط . واعلم ان عموم المحدثين حملوا ظاهر ماتعلق من صفات البارى سبحانه على مقتضى الحس فشبهوا لأنهم لم يخالطوا الفقهاء فيعرفوا حمل المتشابه على مقتضى الحكم وقد رأينا فى زماننا من يجمع الكتب منهم و يكثر السماع ولا يفهم ما حصل . ومنهم من لا يحفظ القرآن ولا يعرف أركان الصلاة فتشاغل هؤلاء على زعمهم بفروض الكفاية عن فروض الاعيان وايثار ما ليس بمهم على المهم من تلبيس ابليس *

القسم الثاني قوم أكثروا سماع الحديث ولم يكن مقصودهم صحيحاً ولا أرادوا معرفة الصحيح من غيره بجمع الطرق وانما كان مرادهم العوالى والغرائب فطافوا البلدان ليقول أحدهم لقيت فلاناً ولى من الاسانيد ما ليس لغيرى وعندى أحاديث ليست عند غيرى . وقد كان دخل الينا الى بغداد بعض طلبة الحديث وكان يأخذ الشيخ فيقعده فى الرقة وهى البستان الذى على شاطىء دجلة فيقرأ عليه و يقول فى مجموعاته حدثنى فلان وفلان بالرقة و يوهم الناس أنها البلدة التي بناحية الشام ليظنوا أنه قد تعب فى الاسفار لطلب الحديث . وكان يقعد الشيخ بين نهرعيسى والفرات و يقول حدثنى فلان من وراء النهر يوهم أنه قد عبر خراسان فى طلب الحديث . وكان يقول حدثنى فلان في رحلتى الثانية والثالثة ليعلم الناس قدر تعبه في طلب الحديث فما بورك له ومات فى زمان الطلب *

قال المصنف : وهذا كله من الاخلاص بمعزل و إنما مقصودهم الرياسة والمباهاة ولذلك يتبعون شاذ الحديث وغريبه وربما ظفر أحدهم بجزء فيه سماع أخيه المسلم فأخفاه ليتفرد هو بالرواية وقديموت هو ولا يرويه فيفوت الشخصين. وربما رحل أحدهم الى شيخ أول اسمه قاف أو كاف ليكتب ذلك فى مشيخته فحسب *

ومن تلبيس ابليس على أصحاب الحديث قدح بعضهم فى بعض طلباً للتشفى ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذى استعمله قدماء هذه الامة للذب عن الشرع والله أعلم بالمقاصد ودليل مقصد خبث هؤلاء سكوتهم عمن أخذوا عنه وما كان القدماء هكذا فقد كان علي بن المديني يحدث عن أبيه وكان ضعيفاً ثم يقول وفى حديث الشيخ ما فيه * اخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعيد بن أبي صادق نا أبو عبد الله بن باكويه ثنا بكران بن أحمد الجيلى قال سمعت يوسف بن الحسين يقول: سألت حارثا المحاسبي عن الغيبة فقال احذرها فانها شر مكتسب وما ظنك بشيء يسلبك حسناتك فيرضي به خصماءك ومن تبغضه فى الدنيا كيف ترضي به خصمك يوم القيامة يأخذ من حسناتك أو تأخذ من سيئاته اذ ليس هناك درهم ولا دينار فاحذرها وتعرف منبعها فان منبع غيبة الهمج والجهال من اشفاء الغيظ والحمية والحسد وسوء الظن وتلك مكشوفة غير خفية وأما غيبة العلماء فمنبعها من خدعة النفس على ابداء النصيحة وتأويل مالا يصح من الخبر ولو صح ما كان عونا على الغيبة وهو قوله أترغبون عن ذكره اذكروه بما فيه ليحذره الناس . ولو كان الخبر محفوظاً صحيحاً لم يكن فيه ابداء شناعة على أخيك المسلم من غير أن تسأل عنه وانما اذا جاءك مسترشد فقال أريد أن أزوج كريمتى من فلان فعرفت منه بدعة أو أنه غير مأمون على حرم المسلمين صرفته عنه بأحسن صرف أو يجيئك رجل آخر فيقول لك أريد أن أودع مالى فلاناً وليس ذلك الرجل موضعاً للأمانة فتصرفه عنه بأحسن الوجوه أو يقول لك رجل أريد أن أصلي خلف فلان أو أجعله إمامي في علم فتصرفه عنه بأحسن الوجوه ولا تشف غيظك من غيبته *

وأما منبع الغيبة من القراء والنساك فمن طريق التعجب يبدي عوار الاخ ثم يتصنع بالدعاء في ظهر الغيب فيتمكن من لحم أخيه المسلم ثم يتزين بالدعاء له وأما منبع

الغيبة من الرؤساء والاساتذة فمن طريق إبداء الرحمة والشفقة حتى يقول مسكين فلان ابتلى بكذا وامتحن بكذا نعوذ بالله من الخذلان فيتصنع بابداء الرحمة والشفقة على أخيه . ثم يتصنع بالدعاء له عند إخوانه ويقول إنما أبديت لكم ذاك لتكثروا دعاءكم له ونعوذ بالله من الغيبة تعريضاً أو تصريحاً فاتق الغيبة فقد نطق القرآن بكراهتها فقال عز وجل : « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه » وقد روى عن النبي ﷺ فى ذلك أخبار كثيرة *

ومن تلبيس إبليس على علماء المحدثين رواية الحديث الموضوع من غير أن يبينوا أنه موضوع وهذه جناية منهم على الشرع ومقصودهم ترويج أحاديثهم وكثرة رواياتهم وقد قال صلى الله عليه وسلم من روى عنى حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين . ومن هذا الفن تدليسهم فى الرواية فتارة يقول أحدهم فلان عن فلان أو قال فلان عن فلان يوهم أنه سمع منه المنقطع ولم يسمع وهذا قبيح لانه يجعل المنقطع في مرتبة المتصل . ومنهم من يروى عن الضعيف والكذاب فيعمى اسمه فربما سماه بغير اسمه وربما كناه وربما نسبه الى جده لئلا يعرف وهذه جناية على الشرع لانه يثبت حكما بما لا يثبت به فاما اذا كان المروىّ عنه ثقة فنسبه الى جده أو اقتصر على كنيته لئلا يرى انه قد ردد الرواية عنه أو يكون المروى عنه في مرتبة الراوى فيستحى الراوى من ذكره فهذا على الكراهة والبعد من الصواب قريب بشرط أن يكون المروى عنه ثقة والله الموفق *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الفقهاء ﴾

قال المصنف : كان الفقهاء في قديم الزمان هم أهل القرآن والحديث فما زال الامر يتناقص حتى قال المتأخرون يكفينا أن نعرف آيات الاحكام من القرآن وأن نعتمد على الكتب المشهورة فى الحديث كسنن أبى داود ونحوها ثم استهانوا بهذا الامر أيضاً وصار أحدهم يحتج بآية لا يعرف معناها وبحديث لا يدرى أصحيح هو أم لا وربما اعتمد على قياس يعارضه حديث صحيح ولا يعلم لقلة التفاته الى معرفة النقل وإنما الفقه استخراج من الكتاب والسنة فكيف يستخرج من شيء لا يعرفه

ومن القبيح تعليق حكم على حديث لا يدرى أصحيح هو أم لا ولقد كانت معرفة هذا تصعب ويحتاج الانسان الى السفر الطويل والتعب الكثير حتى يعرف ذلك فصنفت الكتب وتقررت السنن وعرف الصحيح من السقيم ولكن غلب على المتأخرين الكسل بالمرة عن ان يطالعوا علم الحديث حتى إنى رأيت بعض الاكابر من الفقهاء يقول فى تصنيفه عن ألفاظ فى الصحاح لا يجوز أن يكون رسول الله ﷺ قال هذا ورأيته يحتج فى مسألة فيقول دليلنا ما روى بعضهم أن رسول الله قال كذا ويجعل الجواب عن حديث صحيح قد احتج به خصمه أن يقول هذا الحديث لا يعرف وهذا كله جناية على الاسلام *

ومن تلبيس إبليس على الفقهاء . أن جل اعتمادهم على تحصيل علم الجدل يطلبون بزعمهم تصحيح الدليل على الحكم والاستنباط لدقائق الشرع وعلل المذاهب ولو صحت هذه الدعوى منهم لتشاغلوا بجميع المسائل وإنما يتشاغلون بالمسائل الكبار ليتسع فيها الكلام فيتقدم المناظر بذلك عند الناس فى خصام النظر فهم أحدهم بترتيب المجادلة والتفتيش على المناقضات طلباً للمفاخرات والمباهاة وربما لم يعرف الحكم فى مسألة صغيرة تعم بها البلوى *

* ذكر تلبيسه عليهم بادخالهم فى الجدل كلام الفلاسفة *
واعتمادهم على تلك الاوضاع

ومن ذلك إيثارهم للقياس على الحديث المستدل به فى المسألة ليتسع لهم المجال فى النظر . وان استدل أحد منهم بالحديث هجن ومن الادب تقديم الاستدلال بالحديث . ومن ذلك أنهم جعلوا النظر جل اشتغالهم ولم يمزجوه بما يرقق القلوب من قراءة القرآن وسماع الحديث وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه . ومعلوم أن القلوب لا تخشع بتكرار إزالة النجاسة والماء المتغير . وهى محتاجة الى التذكار والمواعظ لتنهض لطلب الآخرة . ومسائل الخلاف وان كانت من علم الشرع إلا أنها لا تنهض بكل المطلوب. ومن لم يطلع على أسرار سير السلف وحال الذى تمذهب له لم

يمكنهم سلوك طريقهم . وينبغي أن يعلم أن الطبع لص فاذا ترك مع أهل هذا الزمان سرق من طبائعهم فصار مثلهم . فاذا نظر فى سير القدماء زاحمهم وتأدب بأخلاقهم وقد كان بعض السلف يقول حديث يرق له قلبي أحب الى من مائة قضية من قضايا شريح . وإنما قال هذا لان رقة القلب مقصودة ولها أسباب . ومن ذلك أنهم اقتصروا على المناظرة وأعرضوا عن حفظ المذهب وباقى علوم الشرع فترى الفقيه المفتى يسأل عن آية أو حديث فلا يدرى . وهذا غبن فأين الأنفة من التقصير . ومن ذلك أن المجادلة إنما وضعت ليستبين الصواب . وقد كان مقصود السلف المناصحة باظهار الحق . وقد كانوا ينتقلون من دليل الى دليل واذا خفى على أحدهم شيء نبهه الآخر لان المقصود كان إظهار الحق فصار هؤلاء إذا قاس الفقيه على أصل بعلة يظنها . فقيل له ما الدليل على أن الحكم فى الاصل معلل بهذه العلة فقال هذا الذى يظهر لى فان ظهر لكم ما هو أولى من ذلك فاذكروه فان المعترض لا يلزمني ذكر ذلك . ولقد صدق فى أنه لا يلزمه ولكن فيما ابتدع من الجدل . بل فى باب النصح وإظهار الحق يلزمه ومن ذلك أن أحدهم يتبين له الصواب مع خصمه ولا يرجع ويضيق صدره كيف ظهر الحق مع خصمه . وربما اجتهد فى رده مع علمه أنه الحق . وهذا من أقبح القبيح لان المناظرة إنما وضعت لبيان الحق . وقد قال الشافعي رحمه الله ما ناظرت أحداً فأنكر الحجة الا سقط من عيني . ولا قبلها الا هبته : وما ناظرت أحداً فباليت مع من كانت الحجة ان كانت معه صرت اليه . ومن ذلك أن طلبهم للرياسة بالمناظرة تثير الكامن فى النفس من حب الرياسة فاذا رأى أحدهم فى كلامه ضعفاً يوجب قهر خصمه له خرج الى المكابرة فان رأى خصمه قد استطال عليه بلفظ أخذته حمية الكبر فقابل ذلك بالسب فصارت المجادلة مخاذلة ومن ذلك ترخصهم فى الغيبة بحجة الحكاية عن المناظرة فيقول أحدهم : تكلمت مع فلان فما قال شيئاً . ويتكلم بما يوجب التشفى من غرض خصمه بتلك الحجة . ومن ذلك أن إبليس لبس عليهم بأن الفقه وحده علم الشرع ليس ثم غيره فان ذكر لهم محدث قالوا ذاك لا يفهم شيئاً وينسون أن الحديث هو الاصل فان ذكر لهم كلام يلين به القلب قالوا هذا كلام الوعاظ ومن ذلك إقدامهم على الفتوى وما بلغوا مرتبتها

وربما أفتوا بواقعاتهم المخالفة للنصوص ولو توقفوا فى المشكلات كان أولى *

فقد أخبرنا إسماعيل بن احمد السمرقندى نا محمد بن هبة الله الطبرى ثنا محمد ابن الحسين بن الفضل نا عبد الله بن جعفر بن درستويه ثنا يعقوب بن سفيان ثنا الحميدى ثنا سفيان ثنا عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن أبى ليلى . قال . أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا الى هذا وهذا الى هذا حتى ترجع الى الاول قال يعقوب وثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن عطاء بن السائب قال سمعت عبدالرحمن بن أبى ليلى أيضاً . يقول أدركت في هذا المسجد عشرين ومائة من الانصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم من يحدث حديثاً الا ود أن أخاه كفاه الحديث ولا يسأل عن فتيا الا ود أن أخاه كفاه الفتيا *

قال المصنف : وقد روينا عن إبراهيم النخعى أن رجلا سأله عن مسألة فقال . ما وجدت من تسأله غيرى . وعن مالك بن أنس رضي الله عنه قال . ما أفتيت حتى سألت سبعين شيخاً هل ترون لى أن أفتى . فقالوا نعم . فقيل له فلو نهوك قال لو نهونى انتهيت . وقال رجل لاحمد بن حنبل : انى حلفت ولا أدرى كيف حلفت قال ليتك إذ دريت كيف حلفت دريت أنا كيف أفتيك *

قال المصنف . وانما كانت هذه سجية السلف لخشيتهم الله عز وجل وخوفهم منه ومن نظر فى سيرتهم تأدب *

ومن تلبيس ابليس على الفقهاء . مخالطتهم الامراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الانكار عليهم مع القدرة على ذلك . وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضاً فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه . الاول الامير يقول لولا أنى على صواب لأنكر علي الفقيه وكيف لا أكون مصيباً وهو يأكل من مالى . والثانى العامى أنه يقول لا بأس بهذا الامير ولا بماله ولا بأفعاله فان فلاناً الفقيه لا يبرح عنده . والثالث الفقيه فانه يفسد دينه بذلك *

وقد لبس إبليس عليهم فى الدخول على السلطان فيقول انما ندخل لنشفع فى مسلم وينكشف هذا التلبيس بأنه لو دخل غيره يشفع لما أعجبه ذلك وربما قدح

فى ذلك الشخص لتفرده بالسلطان . ومن تلبيس إبليس عليه فى أخذ أموالهم فيقول لك فيها حق . ومعلوم أنها إن كانت من حرام لم يحل له منها شيء وان كانت من شبهة فتركها أولى وان كانت من مباح جاز له الأخذ بمقدار مكانه من الدين لا على وجه إتفاقه في إقامة الرعونة وربما اقتدى العوام بظاهر فعله واستباحوا مالا يستباح *

وقد لبس إبليس على قوم من العلماء . ينقطعون عن السلطان إقبالا على التعبد والدين فيزين لهم غيبة من يدخل على السلطان من العلماء فيجمع لهم آفتين غيبة الناس ومدح النفس . وفى الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم لان النية قد تحسن فى أول الدخول ثم تتغير باكرامهم وانعامهم أو بالطمع فيهم ولا يتماسك عن مداهنتهم وترك الانكار عليهم . وقد كان سفيان الثورى رضى الله عنه يقول : ما أخاف من إهانتهم لى انما أخاف من إكرامهم فيميل قلبي اليهم . وقد كان علماء السلف يبعدون عن الامراء لما يظهر من جورهم فتطلبهم الامراء لحاجتهم اليهم فى الفتاوى والولايات فنشأ أقوام قويت رغبتهم فى الدنيا فتعلموا العلوم التي تصلح للامراء وحملوها اليهم لينالوا من دنياهم . ويدلك على أنهم قصدوا بالعلوم الامراء ان الامراء كانوا قديماً يميلون الى سماع الحجج فى الاصول فأظهر الناس علم الكلام . ثم مال بعض الامراء الى المناظرة فى الفقه فمال الناس الى الجدل . ثم مال بعض الامراء الى المواعظ فمال خلق كثير من المتعلمين اليها ولما كان جمهور العوام يميلون الى القصص كثر القصاص وقل الفقهاء *

ومن تلبيس إبليس على الفقهاء : ان أحدهم يأكل من وقف المدرسة المبنية على المتشاغلين بالعلم فيمكث فيها سنين ولا يتشاغل ويقنع بما قد عرف أو ينتهي فى العلم فلا يبقى له فى الوقف حظ لانه إنما جعل لمن يتعلم الا أن يكون ذلك الشخص معيداً أو مدرساً فان شغله دائم . ومن ذلك ما يحكى عن بعض الاحداث المتفقهة من الانبساط فى المنهيات فبعضهم يلبس الحرير ويتحلى بالذهب ويحال على المكث فيأخذه الى غير ذلك من المعاصي . وسبب إنبساط هؤلاء مختلف . فمنهم من يكون فاسد العقيدة في أصل الدين وهو يتفقه ليستر نفسه أو ليأخذ من الوقف أو ليرأس أو ليناظر . ومنهم من عقيدته صحيحة لكن يغلبه الهوى وحب الشهوات

وليس عنده صارف عن ذلك لان نفس الجدل والمناظرة تحرك الى الكبر والعجب وانما يتقوم الانسان بالرياضة ومطالعة سير السلف وأكثر القوم فى بعد عن هذا وليس عندهم الا ما يعين الطبع على شموخه فحينئذ يسرح الهوى بلا زاد . ومنهم من يلبس عليه إبليس بأنك عالم وفقيه ومفت والعلم يدفع عن أربابه وهيهات فان العلم اولى ان يحاجه ويضاعف عذابه كما ذكرنا فى حق القراء . وقد قال الحسن البصرى : انما الفقيه من يخشى الله عز وجل . قال ابن عقيل : رأيت فقيها خراسانيا عليه حرير وخواتم ذهب فقلت له .ما هذا فقال خلع السلطان وكمد الاعداء فقلت بل هو شماتة الاعداء بك ان كنت مسلماً لان ابليس عدوك واذا بلغ منك مبلغك ألبسك ما يسخط الشرع فقد أشمته بنفسك وهل خلع السلطان سائغة لنهى الرحمن يامسكين. خلع عليك السلطان فانخلعت به من الايمان وقد كان ينبغي أن يخلع بك السلطان لباس الفسق ويلبسك لباس التقوى رماكم الله بخزيه حيث هونتم أمره هكذا ليتك قلت هذه رعونات الطبع الآن تمت محنتك لان عدوانك دليل على فساد باطنك*

ومن تلبيسه عليهم : أن يحسن لهم ازدراء الوعاظ ويمنعهم من الحضور عندهم فيقولون من هؤلاء هؤلاء قصاص ومراد الشيطان أن لا يحضروا فى موضع يلين فيه القلب ويخشع. والقصاص لا يذمون من حيث هذا الاسم لان الله عز وجل قال « نحن نقص عليك أحسن القصص » وقال : « فاقصص القصص » وانما ذم القصاص لان الغالب منهم الاتساع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيد ثم غالبهم يخلط فيما يورده . وربما اعتمد على ما أكثره محال فأما اذا كان القصص صدقاً ويوجب وعظا فهو ممدوح . وقد كان احمد بن حنبل يقول : ما أحوج الناس الى قاص صدوق *

﴿ ذكر تلبيسه على الوعاظ والقصاص ﴾

قال المصنف: كان الوعاظ فى قديم الزمان علماء فقهاء .وقد حضر مجلس عبيد بن عمير عبد الله بن عمر رضى الله عنه . وكان عمر بن عبد العزيز يحضر مجلس القاص . ثم خست هذه الصناعة فتعرض لها الجهال فبعد عن الحضور عندهم المميزون من الناس:

وتعلق بهم العوام والنساء فلم يتشاغلوا بالعلم وأقبلوا على القصص وما يعجب الجهلة وتنوعت البدع فى هذا الفن *

وقد ذكرنا آفاتهم فى كتاب القصاص والمذكرين . الا أنا نذكر هنا جملة فمن ذلك : إن قوماً منهم كانوا يضعون أحاديث الترغيب والترهيب ولبس عليهم ابليس: بأننا نقصد حث الناس على الخير وكفهم عن الشر وهذا افتيات منهم على الشريعة لأنها عندهم على هذا الفعل ناقصة تحتاج الى تتمة ثم قد نسوا قوله ﷺ من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . ومن ذلك أنهم تلمحوا ما يزعج النفوس ويطرب القلوب فنوعوا فيه الكلام فتراهم ينشدون الأشعار الرائقة الغزلية في العشق . ولبس عليهم ابليس بأننا نقصد الاشارة الى محبة الله عز وجل ومعلوم أن عامة من يحضرهم العوام الذين بواطنهم مشحونة بحب الهوى فيضل القاص ويضل . ومن ذلك من يظهر من التواجد والتخاشع زيادة على ما في قلبه وكثرة الجمع توجب زيادة تعمل فتسمح النفس بفضل بكاء وخشوع فمن كان منهم كاذباً فقد خسر الآخرة. ومن كان صادقاً لم يسلم صدقه من رياء يخالطه . ومنهم من يتحرك الحركات التى يوقع بها على قراءة الألحان والألحان التى قد أخرجوها اليوم مشابهة للغناء فهى الى التحريم أقرب منها الى الكراهة والقارىء يطرب والقاص ينشد الغزل مع تصفيق بيديه وإيقاع برجليه فتشبه السكر ويوجب ذلك تحريك الطباع وتهييج النفوس وصياح الرجال والنساء وتمزيق الثياب لما في النفوس من دفائن الهوى ثم يخرجون فيقولون كان المجلس طيباً ويشيرون بالطيبة الى ما لا يجوز . ومنهم من يجرى في مثل تلك الحالة التى شرحناها لكنه ينشد أشعار النوح على الموتى ويصف ما يجرى لهم من البلاء ويذكر الغربة ومن مات غريباً فيبكى بها النساء ويصير المكان كالمأتم وإنما ينبغى أن يذكر الصبر على فقد الأحباب لا ما يوجب الجزع . ومنهم من يتكلم في دقائق الزهد ومحبة الحق سبحانه فلبس عليه ابليس : أنك من جملة الموصوفين بذلك لأنك لم تقدر على الوصف حتى عرفت ما تصف وسلكت الطريق . وكشف هذا التلبيس أن الوصف علم والسلوك غير العلم . ومنهم من يتكلم بالطامات والشطح الخارج عن الشرع ويستشهد بأشعار العشق وغرضه أن يكثر في مجلسه الصياح ولو

على كلام فاسد . وكم منهم من يزوق عبارة لا معنى تحتها وأكثر كلامهم اليوم في موسى والجبل وزليخا ويوسف ولا يكادون يذكرون الفرائض ولا ينهون عن ذنب فمتى يرجع صاحب الزنا ومستعمل الربا وتعرف المرأة حق زوجها وتحفظ صلاتها هيهات هؤلاء تركوا الشرع وراء ظهورهم ولهذا نفقت سلعهم لأن الحق ثقيل والباطل خفيف . ومنهم من يحث على الزهد وقيام الليل ولا يبين للعامة المقصود فربما تاب الرجل منهم وانقطع الى زاوية أوخرج الى جبل فبقيت عائلته لاشيء لهم . ومنهم من يتكلم في الرجاء والطمع من غير أن يمزج ذلك بما يوجب الخوف والحذر فيزيد الناس جرأة على المعاصي ثم يقوى ماذكر بميله الى الدنيا من المراكب الفارهة والملابس الفاخرة فيفسد القلوب بقوله وفعله *

﴿فصل﴾ وقد يكون الواعظ صادقاً قاصداً للنصيحة الا أن منهم من شرب الرئاسة فى قلبه مع الزمان فيجب أن يعظم وعلامته أنه اذا ظهر واعظ ينوب عنه أو يعينه على الخلق كره ذلك ولو صح قصده لم يكره أن يعينه على خلائق الخلق *

﴿فصل﴾ ومن القصاص من يخلط فى مجلسه الرجال والنساء وترى النساء يكثرن الصياح وجداً على زعمهن فلا ينكر ذلك عليهن جمعاً للقلوب عليه ولقد ظهر في زماننا هذا من القصاص مالا يدخل فى التلبيس لأنه أمر صريح من كونهم جعلوا القصص معاشاً يستمنحون به الامراء والظلمة والأخذ من أصحاب المكوس والتكسب به فى البلدان ، وفيهم من يحضر المقابر فيذكر البلى وفراق الاحبة فيبكى النسوة ولا يحث على الصبر .

﴿فصل﴾ وقد يلبس ابليس على الواعظ المحقق فيقول له : مثلك لا يعظ وانما يعظ متيقظ فيحمله على السكوت والانقطاع وذلك من دسائس ابليس لأنه يمنع فعل الخير ويقول : انك تلتذ بما تورده وتجد لذلك راحة . فربما دخل الرياء فى قولك وطريق الوحدة أسلم . ومقصوده بذلك سد باب الخير . وعن ثابت قال . كان الحسن فى مجلس فقيل للعلاء تكلم فقال أوهناك أنا ثم ذكر الكلام ومؤنته وتبعته . قال ثابت . فأعجبني . قال ثم تكلم الحسن واننا هناك يود الشيطان أنكم أخذتموها عنه فلم يأمر أحداً بخير ولم ينهه عن شر *

﴿ ذكر تلبيسه على أهل اللغة والأدب ﴾

قال المصنف : قد لبس على جمهورهم فشغلهم بعلوم النحو واللغة من المهمات اللازمة التي هي فرض عين عن معرفة ما يلزمهم عرفانه من العبادات وما هو أولى بهم من آداب النفوس وصلاح القلوب. وبما هو أفضل من علوم التفسير والحديث والفقه. فأذهبوا الزمان كله في علوم لا تراد لنفسها بل لغيرها فان الانسان اذا فهم الكلمة فينبغي أن يترقى الى العمل بها اذ هي مرادة لغيرها. فترى الانسان منهم لا يكاد يعرف من آداب الشريعة الا القليل ولا من الفقه ولا يلتفت إلى تزكية نفسه وصلاح قلبه . ومع هذا ففيهم كبر عظيم وقد خيل لهم ابليس أنكم من علماء الاسلام لان النحو واللغة من علوم الاسلام وبها يعرف معنى القرآن العزيز . ولعمرى ان هذا لا ينكر ولكن معرفة ما يلزم من النحو لاصلاح اللسان وما يحتاج اليه من اللغة فى تفسير القرآن والحديث أمر قريب وهو أمر لازم وما عدا ذلك فضل لا يحتاج اليه وانفاق الزمان فى تحصيل هذا الفاضل وليس بمهم مع ترك المهم غلط و إيثاره على ما هو أنفع وأعلى رتبة كالفقه والحديث غبن . ولو اتسع العمر لمعرفة الكل كان حسناً . ولكن العمر قصير فينبغى إيثار الأهم والأفضل *

(فصل) ومما ظنوه صوابا وهو خطأ ما أخبرنا به أبو الحسين بن فارس قال : قيل لفقيه العرب هل يجب على الرجل اذا أشهد الوضوء قال : نعم . قال والاشهاد أن يمذى الرجل *

قال المصنف : وذكر من هذا الجنس مسائل كثيرة وهذا غاية فى الخطأ لأنه متى كان الاسم مشتركا بين مسميين كان اطلاق الفتوى على أحدهما دون الآخر خطأ مثاله أن يقول : المستفتي . ما تقول : في وطء الرجل زوجته فى قرئها . فان القرء يقع عند اللغويين على الاطهار وعلى الحيض . فيقول الفقيه : يجوز اشارة الى الطهر أو لا يجوز اشارة الى الحيض خطأ . وكذلك لو قال السائل . هل يجوز للصائم أن يأ كل

بعد طلوع الفجر . لم يجز أطلاق الجواب . فما ذكره فقيه العرب هو خطأ من وجهين أحدها أنه لم يستفصل فى المحتملات والثانى أنه صرف الفتوى الى أبعد المحتملات وترك الاظهر . وقد استحسنوا هذا وقلة الفقه أوجبت هذا الزلل *

* فصل * ولما كان عموم اشتغالهم بأشعار الجاهلية ولم يجد الطبع صادا عما وضع عليه من مطالعة الاحاديث ومعرفة سير السلف الصالح سالت بهم الطباع الى هوة الهوى فانبث شرع البطالة يعبث فقل أن ترى منهم متشاغلا بالتقوى أو ناظراً فى مطعم فان النحو يغلب طلبه على السلاطين فيأكل النحاة من أموالهم الحرام كما كان أبو على الفارسي فى ظل عضد الدولة وغيره . وقد يظنون جواز الشيء وهو غير جائز لقلة فقههم كما جرى للزجاج أبي اسحاق ابراهيم بن السرى . قال : كنت أؤدب القاسم بن عبدالله فأقول له إن بلغت الى مبلغ أبيك ووليت الوزارة ماذا تصنع بى . فيقول : ما أحببت . فأقول له : ان تعطينى عشرين ألف دينار . وكانت غاية أمنيتى فما مضت إلا سنون حتى ولى القاسم الوزارة وأنا على ملازمتى له . وقد صرت نديمه فدعتنى نفسي الى اذكاره بالوعد ثم هبته . فلما كان فى اليوم الثالث من وزارته قال لى : يا أبا اسحق . لم أرك أذكرتنى بالنذر . فقلت : عولت على رعاية الوزير أيده الله وأنه لا يحتاج الى اذكار لنذر عليه فى أمر خادم واجب الحق. فقال لى: انه المعتضد . ولولاه ماتعاظمنى دفع ذلك اليك فى مكان واحد ولكن أخاف أن يصير لى معه حديث فاسمح بأخذه متفرقا . فقلت افعل . فقال . اجلس للناس وخذ رقاعهم فى الحوائج الكبار واستجعل عليها ولا تمتنع من مسائلتى شيئاً تخاطب فيه صحيحاً كان أو محالا الى أن يحصل لك مال النذر ففعلت ذلك وكنت أعرض عليه كل يوم رقاعا فيوقع فيها وربما قال لى كم ضمن لك على هذا فأقول كذا وكذا فيقول غبنت هذا يساوى كذا وكذا فاستزد فأراجع القوم ولا أزال أماكسهم ويزيدوننى حتى أبلغ الحد الذى رسمه . قال . فعرضت عليه شيئاً عظيما فحصل عندى عشرون الف دينار وأكثر منها فى مدة مديدة . فقال لى بعد شهور . ياأبا اسحق حصل مال النذر : فقلت . لا فسكت وكنت أعرض ثم يسألنى في كل شهر أو نحوه هل حصل المال فأقول لا خوفا من انقطاع الكسب الى أن حصل عندى ضعف المال . وسألنى يوما فاستحييت من الكذب المتصل . فقلت . قد حصل

ذلك بسعادة الوزير فقال فرجت والله عنى فقد كنت مشغول القلب الى أن يحصل لك . قال ثم اخذ الدواة ووقع لى الى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة فأخذتها وامتنعت أن أعرض عليه شيئا ولم أدر كيف أقع منــه فلما كان من الغد جئته وجلست على رسمى فأومأ الى هات مامعك ليستدعى منى الرقاع على الرسم فقلت ما أخذت من أحد رقعة لان النذر قد وقع الوفاء به ولم أدر كيف أقع من الوزير فقال ياسبحان الله أترانى كنت أقطع عنك شيئاً قد صار لك عادة وعلم به الناس وصارت لك به منزلة عنــدهم وجاه وغدو ورواح الى بابك ولا يعــلم سبب انقطاعه فيظن ذلك لضعف جاهك عندي أو تغير رتبتك أعرض على رسمك وخذ بلا حساب . فقبلت يده وباكرته من غــد بالرقاع وكنت أعرض عليه كل يوم شيئاً الى أن مات وقد تأثلت مالى هذا .

قال المصنف . انظروا ما يصنع قلة الفقه فان هذا الرجل الكبير القدر فى معرفته النحو واللغة لوعلم أن هذا الذى جرى له لم يجز شرعاً ماحكاه وتبجح به . فان ايصال الظلامات واجب ولا يجوز أخذ البرطيل عليها ولاعلى شىء مما نصب الوزير له من أمور الدولة وبهذا تبين مرتبة الفقه على غيره *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الشعراء ﴾

قال المصنف . وقد لبس عليهم فأراهم أنهم من أهل الادب وانهم قد خصوا بفطنة تميزوا بها عن غيرهم . ومن خصكم بهذه الفطنة ربما عفا عن زللكم . فتراهم يهيمون فى كل واد من الـكذب والقذف والهجاء وهتــك الاعراض والاقرار بالفواحش . وأقل أحوالهم . أن الشاعر يمدح الانسان فيخاف أن يهجوه فيعطيــه اتقاءشره او يمدحــه بين جماعــة فيعطيه حياء من الحاضرين . وجميــع ذلك من جنس المصادرة . وترى خلقا من الشعراء وأهل الادب لا يتحاشون من لبس الحرير . والكذب فى المدح خارجا عن الحــد . ويحكون اجتماعهم على الفسق وشرب الخمر وغير ذلك . ويقول أحــدهم : اجتمعت أنا وجماعــة من الادباء ففعلنا

كذا وكذا — هيهات هيهات ليس الأدب الا مع الله عز وجل باستعمال التقوى له. ولا قدر للفطن في أمور الدنيا ولا تحسن العبارة عند الله اذا لم يتقه. وجمهور الادباء والشعراء اذا ضاق بهم رزق تسخطوا فكفروا وأخذوا فى لوم الأقدار كقول بعضهم:

لئن سمت همتى فى الفضل عالية فان حظى ببطن الارض ملتصق
كم يفعل الدهر بى ما لا أسرّ به وكم يسىء زمان جائر حنق

وقد نسى هؤلاء أن معاصيهم تضيق أرزاقهم فقد رأوا أنفسهم مستحقين للنعم مستوجبين للسلامة من البلاء ولم يتلمحوا ما يجب عليهم من امتثال أوامر الشرع فقد ضلت فطنتهم فى هذه الغفلة *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الكاملين من العلماء ﴾

قال المصنف: ان أقواما علت هممهم فحصلوا علوم الشرع من القرآن والحديث والفقه والأدب وغير ذلك. فأتاهم ابليس بخفى التلبيس فأراهم أنفسهم بعين عظيمة لما نالوا وأفادوا غيرهم. فمنهم من يستفزه لطول عنائه فى الطلب فحسن له اللذات وقال له الى متى هذا التعب فأرح جوارحك من كلف التكاليف وافسح لنفسك فى مشتهاها. فان وقعت فى زلة فالعلم يدفع عنك العقوبة. وأورد عليه فضل العلماء. فان خذل هذا العبد وقبل هذا التلبيس يهلك وان وفق فينبغي له أن يقول. جوابك من ثلاثة أوجه. أحدها انه انما فضل العلماء بالعمل ولولا العمل به ما كان له معنى. واذا لم أعمل به كنت كمن لم يفهم المقصود به ويصير مثلى كمثل رجل جمع الطعام وأطعم الجياع ولم يأكل فلم ينفعه ذلك من جوعه. والثانى أن يعارضه بما ورد في ذم من لم يعمل بالعلم لقوله ﷺ « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وحكايته ﷺ عن رجل يلقى فى النار فتندلق أقتابه فيقول كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه وقول أبى الدرداء رضى الله عنه ويل لمن يعلم مرة وويل لمن علم ولم يعمل سبع مرات. والثالث أن يذكر له عقاب من هلك من العلماء التاركين للعمل بالعلم

كابليس و بلعام . ويكفي فى ذم العالم اذا لم يعمل قوله تعالى « كمثل الحمار يحمل أسفاراً » *

﴿ فصل ﴾ وقد لبس ابليس على أقوام من المحكمين في العلم والعمل من جهة أخرى : فحسن لهم الكبر بالعلم ، والحسد للنظير ، والرياء لطلب الرياسة فتارة يريهم أن هذا كالحق الواجب لهم . وتارة يقوى حب ذلك عندهم فلا يتركونه مع علمهم بأنه خطأ — وعلاج هذا لمن وفق ادمان النظر فى اثم الكبر والحسد والرياء واعلام النفس أن العلم لا يدفع شر هذه المكتسبات . بل يضاعف عذابها لتضاعف الحجة بها . ومن نظر في سير السلف من العلماء العاملين استحقر نفسه فلم يتكبر . ومن عرف الله لم يراء ومن لاحظ جريان أقداره على مقتضى ارادته لم يحسد *

وقد يدخل ابليس على هؤلاء بشبهة ظريفة . فيقول : طلبكم للرفعة ليس بتكبر لانكم نواب الشرع فانكم تطلبون اعزاز الدين ودحض أهل البدع واطلاقكم اللسان فى الحساد غضب للشرع اذ الحساد قد ذموا من قام به وما تظنونه رياء فليس برياء لان من تخاشع منكم وتباكى اقتدى به الناس كما يقتدون بالطبيب اذا احتمى اكثر من اقتدائهم بقوله اذا وصف *

وكشف هذا التلبيس : أنه لو تكبر متكبر على غيرهم من جنسهم وصعد فى المجلس فوقه أو قال حاسد عنه شيئاً لم يغضب هذا العالم لذلك كغضبه لنفسه وان كان المذكور من نواب الشرع فعلم أنه انما لم يغضب لنفسه بل للعلم . وأما الرياء فلا عذر فيه لأحد ولا يصلح أن يجعل طريقاً لدعاية الناس . وقد كان أيوب السختياني اذا حدث بحديث فرق ومسح وجهه وقال . ما أشد الزكام — و بعد هذا فالاعمال بالنيات والناقد بصير وكم من ساكت عن غيبة المسلمين اذا اغتيبوا عنده فرح قلبه . وهو آثم بذلك من ثلاثة أوجه . أحدها الفرح فانه حصل بوجود هذه المعصية من المغتاب . والثانى لسروره بثلب المسلمين . والثالث أنه لا ينكر *

﴿ فصل ﴾ وقد لبس ابليس على الكاملين فى العلوم فيسهرون ليلهم ويدأبون نهارهم في تصانيف العلوم و يريهم ابليس أن المقصود نشر الدين . ويكون

مقصودهم الباطن انتشار الذكر وعلو الصيت والرياسة وطلب الرحلة من الآفاق الى المصنف*

وينكشف هـذا التلبيس بأنه لو انتفع بمصنفاته الناس من غير تردد اليه أو قرئت على نظيره في العلم فرح بذلك ان كان مراده نشر العلم وقد قال بعض السلف ما من علم علمته الا أحببت أن يستفيده الناس من غير أن ينسب اليّ ومنهم من يفرح بكثرة الاتباع ويلبس عليه ابليس بأن هذا الفرح لـكثرة طلاب العلم وانما مراده كثرة الاصحاب واستطارة الذكر ومن ذلك العجب بكلماتهم وعلمهم وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انقطع بعضهم الى غيره ممن هو أعلم منه ثقل ذلك عليه . وما هذه صفة المخلص في التعليم لان مثل المخلص مثل الاطباء الذين يداوون المرضى لله سبحانه وتعالى فاذا شفي بعض المرضى على يد طبيب منهم فرح الآخر . وقدذ كرنا آنفاً حديث ابن أبي ليلى ونعيده باسـناد (١) آخر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ من الانصار ما منهم رجل يسأل عن شيء الا ود أن أخاه كفاه ولا يحدث بحديث الا ود أن أخاه كفاه *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وقد يتخلص العلمـاء الـكاملون من تلبيسات ابليس الظاهرة فيأتيهم بخفي من تلبيسه . بأن يقول له . مالقيت مثلك ما أعرفك بمداخلي ومخارجي؟ فان سكن الى هـذا هلك بالعجب وان سلم من المسالة له سلم . وقد قال السري السقطي : لو أن رجلا دخل بستاناً فيه من جميع ما خلق الله عز وجل من الاشجار عليها من جميع ما خلق الله تعالى من الاطيار نخـاطبه كل طائر بلغته وقال السـلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الي ذلك كان في أيديها أسيراً : والله الهادى لا إله الا هو *

﴿ الباب السابع فى ذكر تلبيس ابليس على الولاة والسلاطين ﴾

قال المصنف : قد لبس عليهم ابليس من وجوه كثيرة نذكر أمهاتها . فالوجه

(١) كذا فى الاصول بدون ذكر السند

الاول أنه يريهم أن الله عز وجل يحبهم ولولا ذلك ماولاهم سلطانه ولاجعلهم نواباً عنه فى عباده . وينكشف هذا التلبيس بأنهم انكانوا نواباً عنه في الحقيقة فليحكموا بشرعه وليتبعوا مراضيه . فحينئذ يحبهم لطاعته . فأما صورة الملك والسلطنة فانه قد أعطاها خلقاً ممن يبغضه وقد بسط الدنيا لكثير ممن لا ينظر اليه . وسلط جماعة من اولئك على الاولياء والصالحين فقتلوهم وقهروهم فكان ما أعطاهم عليهم لا لهم . ودخل ذلك فى قوله تعالى « انما نملي لهم ليزدادوا اثما » والثانى أنه يقول لهم الولاية تفتقر الى هيبة فيتكبرون عن طلب العلم ومجالسة العلماء فيعملون بآرائهم فيتلفون الدين والمعلوم أن الطبع يسرق من خصال المخالطين فاذا خالطوا مؤثرى الدنيا الجهال بالشرع سرق الطبع من خصالهم مع ما عنده منها ولا يرى ما يقاومها ولا ما يزجره عنها وذلك سبب الهلاك . والثالث أنه يخوفهم الاعداء ويأمرهم بتشديد الحجاب فلا يصل اليهم أهل المظالم . ويتوانى من جعل بصدد رفع المظالم . وقد روى أبو مريم الاسدى عن النبي ﷺ . قال : من ولاه الله شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله عز وجل دون حاجته وخلته وفقره . والرابع أنهم يستعملون من لا يصلح ممن لا علم عنده ولا تقوى . فيجتلب الدعاء عليهم بظلمه الناس . ويطعمهم الحرام بالبيوع الفاسدة ويحد من لا يجب عليه الحد . ويظنون أنهم يتخلصون من الله عز وجل مما جعلوه فى عنق الوالى — هيهات إن العامل على الزكاة اذا وكل الفساق بتفرقتها فخانوا ضمن * والخامس أنه يحسن لهم العمل برأيهم فيقطعون من لا يجوز قطعه ويقتلون من لا يحل قتله . ويوهمهم أن هذه سياسة وتحت هذا من المعنى أن الشريعة ناقصة تحتاج الى اتمام ونحن نتمها بآرائنا *

وهذا من أقبح التلبيس لان الشريعة سياسة إلاهية ومحال أن يقع فى سياسة الاله خلل يحتاج معه الى سياسة الخلق قال الله عز وجل . « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » . وقال . « لا معقب لحكمه » . فمدعى السياسة مدعى الخلل فى الشريعة . وهذا يزاحم الكفر . وقد روينا عن عضد الدولة أنه كان يميل الى جارية فكانت تشغل قلبه فأمر بتغريقها لئلا يشتغل قلبه عن تدبير الملك . وهذا هو الجنون المطبق لان قتل مسلم بلا جرم لا يحل . واعتقاده أن هذا جائز كفر وان اعتقده غير

جائز لكنه رآه مصلحة فلا مصلحة فيما يخالف الشرع . والسادس أنه يحسن لهم الانبساط فى الاموال ظانين أنها بحكمهم *

وهذا تلبيس يكشفه وجوب الحجر على المفرط فى مال نفسه فكيف بالمستأجر فى حفظ مال غيره . وانما له من المال بقدر عمله فلا وجه للانبساط قال ابن عقيل . وقد روى عن حماد الراوية أنه أنشد الوليد بن يزيد أبياتاً فأعطاه خمسين ألفاً وجاريتين . قال وهذا مما يروى على وجه المدح لهم وهو غاية القدح فيهم لانه تبذير فى بيت مال المسلمين . وقد يزين لبعضهم منع المستحقين وهو نظير التبذير * والسابع أنه يحسن لهم الانبساط فى المعاصى ويلبس عليهم أن حفظكم للسبيل وأمن البلاد بكم يمنع عنكم العقاب . وجواب هذا أن يقال : انما وليتم لتحفظوا البلاد وتؤمنوا السبل . وهذا واجب عليهم .وما انبسطوا فيه من المعاصي منهى عنه فلا يرفع هذا ذلك* والثامن أنه يلبس على أكثرهم بأنه قد قام بما يجب من جهة أن ظواهر الاحوال مستقيمة . ولو حقق النظر لرأى اختلالا كثيراً . وقد روينا عن القاسم بن طلحة بن محمد الشاهد . قال : رأيت علي بن عيسى الوزير وقد وكل بدور البطيخ رجلا يرزق يطوف على باعة العنب فاذا اشترى أحد سلة عنب خمرى لم يعرض له وان اشترى سلتين فصاعداً طرح عليها الملح لئلا يتمكن من عملها خمراً . قال : وأدركت السلاطين يمنعون المنجمين من القعود فى الطرق حتى لا يفشو العمل بالنجوم . وأدركنا الجند ليس فيهم أحد معه غلام أمرد له طرة ولا شعر الى أن بدىء بحكم العجم* والتاسع أنه يحسن لهم استجلاب الاموال واستخراجها بالضرب العنيف وأخذ كل ما يملكه الخائن واستحلافه وانما الطريق اقامة البينة على الخائن . وقد روينا عن عمر بن عبد العزيز أن غلاماً كتب له : ان قوماً خانوا في مال الله ولا أقدر على استخلاص ما فى أيديهم الا أن أنالهم بعذاب . فكتب اليه : لان يلقوا الله بخيانتهم أحب إليّ من أن ألقاه بدمائهم * والعاشر أنه يحسن لهم التصدق بعد الغصب . يريهم أن هذا يمحو ذلك . ويقول . إن درهما من الصدقة يمحو إثم عشرة من الغصب . وهذا محال لان إثم الغصب باق ودرهم الصدقة ان كان من الغصب لم يقبل وان كانت الصدقة من الحلال لم يدفع أيضاً إثم الغصب لان إعطاء الفقير لا يمنع تعلق

الذمة بحق آخر * والحادى عشر . أنه يحسن لهم مع الاصرار على المعاصي زيارة الصالحين وسؤالهم الدعاء ويريهم أن هـذا يخفف ذلك الاثم . وهذا الخير لا يدفع ذلك الشر . وفى الحديث عن الحسين بن زياد قال سمعت منيعا يقول مر تاجر بعشار فحبسوا عليه سفينته فجاء الى مالك بن دينار فذكر له ذلك . فقام مالك فمشى معه الى العشار . فلما رأوه . قالوا يا أبا يحيى ألا بعثت الينا في حاجتك قال : حاجتى أن تخلوا عن سفينة هذا الرجل . قالوا قد فعلنا قال وكان عندهم كوز يجعلون ما يأخذون من الناس من الدراهم فيه . فقالوا : ادع لنا يا أبا يحيى قال : قولوا للكوز يدعو لكم كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم : أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لالف * والثانى عشر : أن من الولاة من يعمل لمن فوقه فيأمره بالظلم فيظلم و يلبس عليهم ابليس بأن الاثم على الامير لا عليك . وهذا باطل لانه معين على الظلم وكل معين على المعاصي عاص فان رسول الله ﷺ . لعن فى الخمر عشرة . ولعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه . ومن هذا الفن أن يجبى المال لمن هو فوقه وقد علم أنه يبذر فيه و يخون فهذا معين على الظلم أيضا . وفى الحديث باسناد مرفوع الى جعفر بن سليمان . قال . سمعت مالك بن دينار يقول . كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة . والله الهادى الى الصواب *

﴿ الباب الثامن ﴾

﴿ ذكر تلبيس ابليس على العباد فى العبادات ﴾

قال المصنف : إعلم أن الباب الاعظم الذى يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل . فهو يدخل منه على الجهال بأمان . وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة وقد لبس إبليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم لان جمهورهم يشتغل بالتعبد ولم يحكم العلم. وقد قال الربيع بن خثيم . تفقه ثم اعتزل *

فأول تلبيسه عليهم إيثارهم التعبد على العلم والعلم أفضـل من النوافل فأراهم أن المقصود من العلم العمل . وما فهموا من العمل الا عمـل الجوارح وما علموا أن العمل عمل القلب وعمل القلب أفضل من عمل الجوارح قال مطرف بن عبد الله : فضـل

العلم خير من فضل العبادة . وقال يوسف بن أسباط . باب من العلم تتعلمه أفضل من سبعين غزاة ، وقال المعافي بن عمران : كتابة حديث واحد أحب إلي من صلاة ليلة *

قال المصنف : فلما مر عليهم هذا التلبيس وآثروا التعبد بالجوارح على العلم تمكن إبليس من التلبيس عليهم فى فنون التعبد *

(ذكر تلبيسه عليهم فى الاستطابة والحدث)

من ذلك . أنه يأمرهم بطول المكث فى الخلاء . وذلك يؤذى الكبد وانما ينبغي أن يكون بمقدار . ومنهم من يقوم فيمشي ويتنحنح ويرفع قدما ويحط أخرى وعنده أنه يستنقى بهذا وكلما زاد في هذا نزل البول — وبيان هذا أن الماء يرشح الى المثانة ويجمع فيها فاذا تهيأ الانسان للبول خرج ما اجتمع فاذا مشى وتنحنح وتوقف رشح شيء آخر فالرشح لا ينقطع وانما يكفيه أن يجتلب ما فى الذكر بين أصبعيه ثم يتبعه الماء : ومنهم من يحسن له استعمال الماء الكثير وانما يجزيه بعد زوال العين سبع مرات على أشد المذاهب . فان استعمل الاحجار فيما لم يتعد المخرج أجزأه ثلاثة أحجار اذا أنقى بهن ومن لم يقنع بما قنع الشرع به فهو مبتدع شرعا لا متبع والله الموفق *

(ذكر تلبيسه عليهم فى الوضوء)

منهم من يلبس عليه فى النية فتراه يقول . أرفع الحدث . ثم يقول . أستبيح الصلاة ثم يعيد فيقول : ارفع الحدث . وسبب هذا التلبيس الجهل بالشرع لان النية بالقلب لا باللفظ فتكلف اللفظ امر لا يحتاج اليه ثم لا معنى لتكرار اللفظ . ومنهم من يلبس عليه بالنظر فى الماء المتوضأ به . فيقول : من أين لك أنه طاهر ويقدر له فيه كل احتمال بعيد . وفتوى الشرع يكفيه بأن أصل الماء الطهارة فلا يترك الاصل بالاحتمال . ومنهم من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء وذلك يجمع أربعة أشياء مكروهة . الاسراف فى الماء ، وتضييع العمر القيم فيما ليس بواجب ولا مندوب ،

والتعاطى على الشريعة اذا لم يقنع بما قنعت به من استعمال الماء القليل . والدخول فيما نهت عنه من الزيادة على الثلاث ، وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة أو فات أوله وهو الفضيلة أو فاتته الجماعة *

وتلبيس إبليس على هذا : بأنك فى عبادة ما لم تصح لا تصح الصلاة ، ولو تدبر أمره لعلم أنه فى مخالفة وتفريط ، وقد رأينا من ينظر فى هذه الوساوس ولا يبالى بمطعمه ومشربه ولا يحفظ لسانه من غيبة فليته قلب الامر ، وفى الحديث عن عبدالله ابن عمرو بن العاص ، أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ ، فقال ، ما هذا السرف ياسعد ، قال ، أفى الوضوء سرف ، قال ، نعم وان كنت على نهر جار ، وفى الحديث عن أبي عن النبي ﷺ ، قال ، للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوه ، أوقال ، فاحذروه ، وعن الحسن رضى الله عنه قال ، شيطان الوضوء يدعى الولهان يضحك بالناس فى الوضوء ، وباسناد مرفوع الى أبى نعامة إن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم إنى أسألك الفردوس وأسألك ، فقال عبد الله ، سل الله الجنة وتعوذ به من النار ، فانى سمعت النبي ﷺ يقول ، سيكون فى هذه الامة قوم يعتدون فى الدعاء والطهور ، وعن ابن شوذب ، قال ، كان الحسن يعرض بابن سيرين يقول ، يتوضأ أحدهم بقربة ويغتسل بمزادة صباً صباً ، ودلكا دلكا ، تعذيباً لانفسهم . وخلافاً لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو الوفاء بن عقيل يقول ، أجلّ محصول عند العقلاء الوقت ، وأقل متعبد به الماء . وقد قال صلى الله عليه وسلم ، صبوا على بول الاعرابى ذنوباً من ماء ، وقال في المني امطه عنك باذخرة ، قال ، وفي الحذاء طهوره بان يدلك بالارض ، وفي ذيل المرأة يطهره ما بعده ، وقال ، يغسل بول الجارية وينضح بول الغلام . وكان يحمل بنت أبي العاص بن الربيع فى الصلاة . ونهى الراعي عن اعلام السائل له عن الماء وما يرده . وقال ما أبقيت لنا طهور : وقال . ياصاحب الماء لا تخبره . وقد صالح رسول الله ﷺ الاعراب . وركب الحمار معروريا . وما عرف من خلقه التعبد بكثرة الماء . وتوضأ من سقاية المسجد . ومعلوم حال الاعراب الذين يأتى أحدهم من البادية كأنه بهيمة ، أوما سمعت أن أحدهم أقدم على البول فى المسجد كل ذلك لتعليمنا واعلامنا أن الماء على أصل الطهارة ، وتوضأ

من غدير كأن ماءه نقاعة الحناء ، فأما قوله استنزهوا البول فان للتنزه حداً معلوما وهو أن لا يغفل عن محـل قد أصابه حتى يتبعه المـاء ، فاما الاستنثار فانه اذا علق تما واقطع الوقت بما لا يقضى بمثله الشرع *

قال المصنف : وكان أسود بن سالم وهومن كبار الصالحين يستعمل ماءاً كثيراً في وضوئه ثم ترك ذلك فسأله رجل عن سبب تركه ، فقال ، نمت ليلة فاذا بهاتف يهتف بى يا أسود ما هذا . يحيى بن سعيد الانصارى حدثني عن سعيد بن المسيب . قال : اذا جاوز الوضوء ثلاثاً لم يرفع الى السماء . قال: قلت لاأعود لاأعود ، فانا اليوم يكفينى كف من ماء *

(ذكر تلبيسه عليهم فى الأذان)

ومن ذلك التلحين فى الاذان وقد كرهه مالك بن أنس وغيره من العلماء كراهية شديدة لانه يخرجه عن موضع التعظيم الى مشابهة الغناء . ومنه أنهم يخلطون اذان الفجر بالتذكير والتسبيح والمواعظ ويجعلون الاذان وسطا فيختلط . وقد كره العلماء كل ما يضاف الى الاذان . وقد رأينا من يقوم بالليل كثيراً على المنارة فيعظ ويذكر . ومنهم من يقرأ سوراً من القرآن بصوت مرتفع فيمنع الناس من نومهم ويخلط على المتهجدين قراءتهم وكل ذلك من المنكرات *

(ذكر تلبيسه عليهم فى الصلاة)

فمن ذلك تلبيسه عليهم فى الثياب التي يستتر بها فترى أحدهم يغسـل الثوب الطاهر مراراً وربما لمسه مسلم فيغسله . ومنهم من يغسل ثيابه في دجلة لا يرى غسلها في البيت يجزئ ، ومنهم من يدليها في البئر كفعل اليهود وما كانت الصحابة تعمل هذا بل قد صلوا فى ثياب فارس لمـا فتحوها واستعملوا أوطئتهم وا كسيتهم . ومن الموسوسين من يقطر عليه قطرة ماء فيغسل الثوب كله وربما تأخر لذلك عن صـلاة الجماعة ، ومنهم من ترك الصلاة جماعة لاجل مطر يسير يخاف أن ينتضح عليه — ولا يظن ظان أني أمتنع من النظافة والورع ولـكن المبالغة الخارجة عن حد الشرع

المضيعة للزمان هى التي ننهى عنها . ومن ذلك تلبيسه عليهم في نيةالصلاة فمنهم من يقول أصلى صلاة كذا ثم يعيد هذا ظنا منه أنه قد نقض النية والنية لاتنقض وان لم يرض اللفظ . ومنهم من يكبر ثم ينقض ثم يكبر ثم ينقض فاذا ركع الامام كبر الموسوس وركع معه — فليت شعرى ما الذى أحضر النية حينئذ وما ذاك الا لان إبليس أراد أن يفوته الفضيلة . وفى الموسوسين من يحلف بالله لا كبرت غير هذه المرة . وفيهم من يحلف بالله بالخروج من ماله أو بالطلاق وهذه كلها تلبيسات إبليس . والشريعة سمحة سهلة سليمة من هذه الآفات وما جرى لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه شيء من هذا . وقد بلغنا عن أبى حازم أنه دخل المسجد فوسوس اليه إبليس أنك تصلى بغير وضوء فقال ما بلغ نصحك الى هذا *

وكشف هذا التلبيس أن يقال للموسوس : ان كنت تريد احضار النية فالنية حاضرة لانك قمت لتؤدى الفريضة وهذه هي النية ومحلها القلب لا اللفظ ان كنت تريد تصحيح اللفظ فاللفظ لايجب ثم قد قلته صحيحا فما وجه الاعادة اقتراك تظن وقد قلت انك ماقلت هذا مرض *

قال المصنف : وقد حكى لى بعض الاشياخ عن ابن عقيل حكاية عجيبة أن رجلا لقيه فقال . انى أغسل العضو وأقول ماغسلته . وأكبر وأقول ما كبرت . فقال له ابن عقيل . دع الصلاة فانها ما تجب عليك . فقال قوم لابن عقيل : كيف تقول هذا . فقال لهم قال النبى ﷺ : رفع القلم عن المجنون حتى يفيق . ومن يكبر ويقول ما كبرت فليس بعاقل والمجنون لاتجب عليه الصلاة *

قال المصنف . واعلم أن الوسوسة فى نية الصلاة سببها خبل فى العقل وجهل بالشرع . ومعلوم أن من دخل عليه عالم فقام له وقال : نويت أن أنتصب قائما تعظيما لدخول هذا العالم لأجل علمه مقبلا عليه بوجهي : — سفه فى عقله فان هذا قد تصور فى ذهنه منذ رأى العالم . فقيام الانسان الى الصلاة ليؤدى الفرض أمر يتصور فى النفس فى حالة واحدة لايطول زمانه وانما يطول زمان نظم هـذه الالفاظ والالفاظ لاتلزم والوسواس جهل محض . وإن الموسوس يكلف نفسه أن يحضر فى قلبه الظهرية والادائية والفرضية فى حالة واحدة مفصلة بالفاظها وهو يطالعها وذلك محال . ولو كاف

نفسه ذلك في القيام للعالم لتعذر عليه فمن عرف هذا عرف النية . ثم انه يجوز تقديمها على التكبير بزمان يسير مالم يفسخها . فما وجه هذا التعب فى الصاقها بالتكبير على أنه اذا حصلها ولم يفسخها فقد التصقت بالتكبير . وعن مسور . قال : أخرج الي معن ابن عبد الرحمن كتابا وحلف بالله أنه خط أبيه واذا فيه قال عبد الله : والذى لا اله غيره مارأيت أحدا كان أشد على المتنطعين من رسول الله ﷺ ولارأيت بعده أشد خوفا عليهم من أبي بكر . وإني لاظن عمر كان أشد أهل الارض خوفا عليهم *

﴿ فصل ﴾ ومن الموسوسين من اذا صحت له النية وكبر ذهل عن باقى صلاته كأن المقصود من الصلاة التكبير فقط . وهذا تلبيس يكشفه أن التكبير يراد للدخول فى العبادة . فكيف تهمل العبادة وهى كالدار ويقتصر على التشاغل بحفظ الباب *

﴿ فصل ﴾ ومن الموسوسين من تصح له التكبيرة خلف الامام وقد بقى من الركعة يسير فيستفتح ويستعيذ فيركع الامام . وهذا تلبيس أيضاً لأن الذى شرع فيه من التعوذ والاستفتاح مسنون والذى تركه من قراءة الفاتحة وهو لازم للمأموم عند جماعة من العلماء فلا ينبغي أن يقدم عليه سنة *

قال المصنف: وقد كنت أصلي وراء شيخنا ابى بكر الدينورى الفقيه فى زمان الصبا فرآنى مرة أفعل هذا فقال : يابنى ان الفقهاء قد اختلفوا فى وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يختلفوا في أن الاستفتاح سنة فاشتغل بالواجب ودع السنن *

﴿ فصل ﴾ وقد لبس ابليس على قوم فتركوا كثيراً من السنن لواقعات وقعت لهم . فمنهم من كان يتخلف عن الصف الاول ويقول انما أراد قرب القلوب ومنهم من لم ينزل يداً على يد في الصلاة وقال أكره أن أظهر من الخشوع ما ليس فى قلبي ـ وقد روينا هذين الفعلين عن بعض أكابر الصالحين . وهذا أمر أوجبه قلة العلم ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ . انه قال : لو يعلم الناس مالهم فى النداء والصف الاول ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه لاستهموا . وفى أفراد مسلم من حديثه عن النبي ﷺ أنه قال . خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وأما وضع اليد على اليد فسنة روى أبو داود في سننه أن ابن الزبير قال . وضع اليد على

اليد من السنة . و إن ابن مسعود كان يصلى فوضع يده اليسرى على اليمنى فرآه النبي ﷺ فوضع يده اليمنى على اليسرى *

قال المصنف . ولا يكبرن عليك انكارنا على من قال . أراد قرب القلوب ولا أضع يداً على يد ـ وان كان من الأ كابر. فان الشرع هوالمنكر لانحن. وقد قيل لاحمد ابن حنبل رحمة الله عليه ان ابن المبارك يقول . كذا وكذا . فقال . ان ابن المبارك لم ينزل من السماء . وقيل له قال : ابراهيم بن أدهم . فقال. جئتمونى ببنيات الطريق عليكم بالاصل. فلا ينبغى أن يترك الشرع لقول معظم فى النفس . فان الشرع أعظم والخطأ فى التأويل على الناس يجرى . ومن الجائز أن تكون الاحاديث لم تبلغه *

﴿ فصل ﴾ وقد لبس ابليس على بعض المصلين فى مخارج الحروف فتراه يقول الحمد . الحمد . فيخرج باعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة . وتارة يلبس عليه فى تحقيق التشديد . وتارة فى اخراج ضاد المغضوب . ولقد رأيت من يقول المغضوب فيخرج بصاقه مع إخراج الضاد لقوة تشديده وانما المراد تحقيق الحرف فحسب: وابليس يخرج هؤلاء بالزيادة عن حد التحقيق و يشغلهم بالمبالغة فى الحروف عن فهم التلاوة وكل هذه الوساوس من ابليس * وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء أن سهل بن أبي أمامة حدثه: أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك رضى الله عنه وهو يصلى صلاة خفيفة كأنها صلاة مسافر فلما سلم قال يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة المكتوبة كصلاة رسول الله ﷺ أم شيء تنفلته . قال . انها لصلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت الاشيئاً سهوت عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول لاتشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فان قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم فى الصوامع والديورات « رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » وفى أفراد مسلم من حديث عثمان بن ابي العاص قال . قلت لرسول الله ﷺ ان الشيطان قد حال بيني و بين صلاتى وقراءتي يلبسها عليّ . فقال رسول الله ﷺ . ذاك الشيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه ثلاثاً واتفل عن يسارك . ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى *

﴿ فصل ﴾ وقد لبس ابليس على خلق كثير من جهلة المتعبدين فرأوا ان العبادة هى القيام والقعود فحسب . وهم يدأبون في ذلك و يخلون فى بعض واجباتهم ولا يعلمون وقد تأملت

جماعة يسهون اذا سلم الامام وقد بقى عليهم من التشهد الواجب شيء وذلك لا يحمله الامام عنهم . ولبس على آخرين منهم فهم يطيلون الصلاة و يكثرون القراءة و يتركون المسنون فى الصلاة ويرتكبون المكروه فيها . وقد دخلت على بعض المتعبدين وهو يتنفل بالنهار ويجهر بالقراءة فقلت له إن الجهر بالقراءة بالنهار مكروه فقال لى انا أطرد النوم عني بالجهر فقلت له إن السنن لا تترك لاجل سهرك ومتى غلبك النوم فنم فان للنفس عليك حقاً . وعن بريدة قال . قال رسول الله ﷺ . من جهر بالقراءة في النهار فارجموه بالبعر *

﴿ فصل ﴾ وقد لبس ابليس على جماعة من المتعبدين فأكثروا من صلاة الليل وفيهم من يسهره كله ويفرح بقيام الليل وصلاة الضحى أكثر مما يفرح بأداء الفرائض ثم يقع قبيل الفجر فتفوته الفريضة . أو يقوم فيتهيأ لها فتفوته الجماعة أو يصبح كسلان فلا يقدر على الكسب لعائلته . ولقد رأيت شيخاً من المتعبدين يقال له حسين القزوينى يمشى كثيراً من النهار فى جامع المنصور فسألت عن سبب مشيه فقيل لى لئلا ينام . فقلت : هذا جهل بمقتضى الشرع والعقل . أما الشرع فان النبى ﷺ قال : ان لنفسك عليك حقاً فقم ونم . وكان يقول : عليكم هديا قصداً فانه من يشاد هذا الدين يغلبه . وعن أنس بن مالك قال دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال ما هذا قالوا لزينب تصلى فاذا كسلت أو فترت أمسكت به . فقال : حلوه . ثم قال : ليصلى أحدكم نشاطه فاذا كسل أو فتر فليقعد . وعن عائشة قالت . قال رسول الله ﷺ . اذا نعس أحدكم فليرقد حتى يذهب عنه النوم فانه اذا صلى وهو ينعس لعله يذهب ليستغفر فيذهب فيسب نفسه *

قال المصنف : هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم وانفرد بالذى قبله البخارى . وأما العقل فان النوم يجدد القوى التى قد كلت بالسهر فتى دفعه الانسان وقت الحاجة اليه أثر فى بدنه وعقله فنعوذ بالله من الجهل ﴿فان قال قائل﴾ فقد رويت لنا أن جماعة من السلف كانوا يحيون الليل . فالجواب : أولئك تدرجوا حتى قدروا على ذلك وكانوا على ثقة من حفظ صلاة الفجر فى الجماعة . وكانوا يستعينون بالقائلة مع قلة المطعم وصح لهم ذلك . ثم لم يبلغنا أن رسول الله ﷺ سهر ليلة لم ينم فيها فسنته هى المتبوعة *

﴿ فصل ﴾ وقد لبس ابليس على جماعة من قوام الليل فتحدثوا بذلك بالنهار . فربما قال أحدهم فلان المؤذن أذن بوقت ليعلم الناس أنه كان منتبها . فأقل ما فى هذا إن سلم من الرياء أن ينقل من ديوان السر الى ديوان العلانية فيقل الثواب *

﴿ فصل ﴾ وقد لبس على آخرين انفردوا في المساجد للصلاة والتعبد فعرفوا بذلك واجتمع اليهم ناس فصلوا بصلاتهم وشاع بين الناس حالهم وذلك من دسائس ابليس وبه تقوى النفس على التعبد لعلمها أن ذلك يشيع ويوجب المدح وعن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ قال . ان أفضل صلاة المرء فى بيته ألا الصلاة المكتوبة . قال المصنف . أخرجاه فى الصحيحين وكان عامر بن عبد قيس يكره أن يروه يصلى وكان لا يتنفل فى المسجد وكان يصلى كل يوم الف ركعة . وكان ابن أبي ليلى اذا صلى ودخل عليه داخل اضطجع *

﴿ فصل ﴾ وقد لبس على قوم من المتعبدين وكانوا يبكون والناس حولهم وهذا قد يقع عليه فلا يمكن دفعه فمن قدر على ستره فأظهره فقد تعرض للرياء . وعن عاصم قال كان أبو وائل اذا صلى في بيته نشج نشيجا ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه ما فعله . وقد كان أيوب السختيانى . اذا غلبه البكاء قام *

﴿ فصل ﴾ وقد لبس على جماعة من المتعبدين فتراهم يصلون الليل والنهار ولا ينظرون فى اصلاح عيب باطن ولا فى مطعم : والنظر في ذلك أولى بهم من كثرة التنفل *

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى قراءة القرآن ﴾

وقد لبس على قوم بكثرة التلاوة فهم يهزون هزاً من غير ترتيل ولا تثبت وهذه حالة ليست بمحمودة وقد روى عن جماعة من السلف أنهم كانوا يقرأون القرآن فى كل يوم أوفي كل ركعة . وهذا يكون نادراً منهم ومن داوم عليه فانه وان كان جائزاً الا

أن الترتيل والتثبت أحب الى العلماء. وقد قال رسول الله ﷺ. لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث *

قال المصنف. وقد لبس ابليس علي قوم من القراء فهم يقرأون القرآن فى منارة المسجد بالليل بالاصوات المجتمعة المرتفعة الجزء والجزأين فيجمعون بين أذى الناس فى منعهم من النوم و بين التعرض للرياء. ومنهم من يقرأ فى مسجده وقت الاذان لأنه حين اجتماع الناس فى المسجد *

قال المصنف. ومن أعجب مارأيت فيهم أن رجلا كان يصلى بالناس صلاة الصبح يوم الجمعة ثم يلتفت فيقرأ المعوذتين و يدعو دعاء الختمة ليعلم الناس أنى قد ختمت الختمة. وما هذه طريقة السلف فان السلف كانوا يسترون عبادتهم وكان عمل الربيع ابن خثيم كله سراً فربما دخل عليه الداخل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه. وكان احمد بن حنبل يقرأ القرآن كثيراً ولا يدرى متى يختم *

قال المصنف قد سبق ذكر جملة من تلبيس ابليس على القراء والله أعلم بالصواب وهو الموفق *

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى الصوم ﴾

قال المصنف. وقد لبس على أقوام فحسن لهم الصوم الدائم. وذلك جائز اذا أفطر الانسان الايام المحرم صومها إلا أن الآفة فيه من وجهين. أحدهما أنه ربما عاد بضعف القوى فاعجز الانسان عن الكسب لعائلته ومنعه من إعفاف زوجته وفي الصحيحين عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال، ان لزوجك عليك حقا، فكم من فرض يضيع بهذا النفل. والثانى أنه يفوت الفضيلة فانه قد صح عن رسول الله ﷺ انه قال، أفضل الصيام صيام داود عليه الصلاة والسلام كان يصوم يوما ويفطر يوما * وبالاسناد عن عبد الله بن عمرو قال لقيني رسول الله ﷺ، فقال، ألم أحدث عنك أنك تقوم الليل، وأنت الذى تقول لأقومن الليل ولأصومن النهار، قال أحسبه قال، نعم يارسول الله قد قلت ذلك. فقال فقم ونم وصم وافطر. وصم من كل شهر ثلاثة أيام، ولك مثل صيام الدهر، قال قلت يا رسول الله انى أطيق أكثر

من ذلك قال . فصم يوما وافطر يومين ، قلت انى أطيق أفضل من ذلك . قال . فصم يوما وافطر يوما وهو أعدل الصوم وهو صيام داود عليه السلام . قلت انى أطيق أفضل من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ ، لا أفضل من ذلك ، أخرجاه فى الصحيحين (فان قال قائل) فقد بلغنا عن جماعة من السلف أنهم كانوا يسردون الصوم ، فالجواب ، انهم كانوا يقدرون على الجمع بين ذلك و بين القيام بحقوق العائلة ولعل أكثرهم لم تكن له عائلة ولا حاجة الى الكسب ، ثم ان فيهم من فعل هذا فى آخر عمره على أن قول رسول الله ﷺ ، لا أفضل من ذلك قطع هذا الحديث ، وقد داوم جماعة من القدماء على الصوم مع خشونة المطعم وقلته ومنهم من ذهبت عينه ، ومنهم من نشف دماغه ، وهذا تفريط فى حق النفس الواجب وحمل عليها ما لا تطيق فلا يجوز *

﴿ فصل ﴾ وقد يشيع عن المتعبد أنه يصوم الدهر فيعلم بشياع ذلك فلا يفطر أصلا وان أفطر أخفى إفطاره لئلا ينكسر جاهه وهذا من خفي الرياء ، ولو أراد الاخلاص وستر الحال لافطر بين يدى من قد علم أنه يصوم ثم عاد الى الصوم ولم يعلم به ، ومنهم من يخبر بما قد صام فيقول اليوم منذ عشرين سنة ما أفطرت ، و يلبس عليه بانك انما تخبر ليقتدى بك والله أعلم بالمقاصد ، قال سفيان الثورى رضى الله عنه ، ان العبد ليعمل العمل فى السر فلا يزال به الشيطان حتى يتحدث به فينتقل من ديوان السر الى ديوان العلانية ، وفيهم من عادته صوم الاثنين والخميس فاذا دعي الى طعام ، قال ، اليوم الخميس ، ولو قال أنا صائم كانت محنة وانما قوله اليوم الخميس معناه أنى أصوم كل خميس ، وفى هؤلاء من يرى الناس بعين الاحتقار لكونه صائما وهم مفطرون ، ومنهم من يلازم الصوم ولا يبالى على ماذا أفطر ، ولا يتحاشى في صومه عن غيبة ولا عن نظرة ولا عن فضول كلمة وقد خيل له ابليس أن صومك يدفع إثمك وكل هذا من التلبيس *

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى الحج ﴾

قال المصنف . قد يسقط الانسان الفرض بالحج مرة ثم يعود لا عن رضاء

الوالدين وهذا خطأ . وربما خرج وعليه ديون اومظالم وربما خرج للنزهة وربما حج بمال فيه شبهة . ومنهم من يحب ان يتلقى ويقال الحاج وجمهورهم يضيع في الطريق فرائض من الطهارة والصلاة ويجتمعون حول الكعبة بقلوب دنسة وبواطن غير نقية . وابليس يريهم صورة الحج فيغرهم وانما المراد من الحج القرب بالقلوب لا بالابدان . وانما يكون ذلك مع القيام بالتقوى وكم من قاصد الى مكة همته عدد حجاته فيقول لي عشرون وقفة ، وكم من مجاور قد طال مكثه ولم يشرع فى تنقية باطنه وربما كانت همته متعلقة بفتوح يصل اليه ممن كان وربما قال ان لى اليوم عشرين سنة مجاوراً . وكم قد رأيت فى طريق مكة من قاصد الى الحج يضرب رفقاءه على الماء ويضايقهم في الطريق *

وقد لبس ابليس على جماعة من القاصدين الى مكة فهم يضيعون الصلوات ويطففون اذا باعوا ويظنون أن الحج يدفع عنهم . وقد لبس ابليس على قوم منهم فابتدعوا فى المناسك ما ليس منها فرأيت جماعة يتصنعون فى احرامهم فيكشفون عن كتف واحدة ويبقون فى الشمس أياما فنكشط جلودهم وتنتفخ رؤوسهم ويتزينون بين الناس بذلك . وفى أفراد البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ . رأى رجلا يطوف بالكعبة بزمام فقطعه . وفي لفظ آخر . رأى رجلا يقود انساناً بخزامة فى أنفه فقطعها بيده ثم أمره أن يقوده بيده *

قال المصنف . وهذا الحديث يتضمن النهى عن الابتداع في الدين وان قصدت بذلك الطاعة *

﴿ فصل ﴾ وقد لبس على قوم يدعون التوكل فخرجوا بلا زاد وظنوا أن هذا هو التوكل وهم على غاية الخطأ . قال رجل للامام احمد بن حنبل رضى الله عنه أريد أن أخرج الى مكة على التوكل من غير زاد . فقال له احمد فاخرج فى غير القافلة . قال: لا الا معهم : قال فعلى جراب الناس توكلت فنسأل الله أن يوفقنا *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الغزاة ﴾

قال المصنف : قد لبس ابليس على خلق كثير فخرجوا الى الجهاد ونيتهم المباهاة والرياء ليقال فلان غاز وربما كان المقصود أن يقال شجاع أو كان طلب الغنيمة وانما الاعمال بالنيات . وعن أبي موسي قال جاء رجل الى النبي ﷺ . فقال . يارسول الله أرأيت الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأى ذلك في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله . أخرجاه فى الصحيحين . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال اياكم أن تقولوا مات فلان شهيداً أو قتل فلان شهيداً فان الرجل ليقاتل ليغنم و يقاتل ليذكر و يقاتل ليرى مكانه . و بالاسناد عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال . أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال هو جرىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . فقال . ما عملت فيها قال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت القرآن فقال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم فقد قيل وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل وسع الله عليه فاعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها فقال ما تركت من سبيل أنت تحبه أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك . قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . انفرد باخراجه مسلم . وباسناد مرفوع عن أبي حاتم الرازى قال سمعت عبدة بن سليمان . يقول . كنا فى سرية مع عبد الله بن المبارك فى بلاد الروم فصادفنا العدو فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا الى البراز فخرج اليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله ثم آخر فقتله ثم آخر فطعنه فقتله ثم آخر فقتله ثم دعا الى البراز فخرج اليه رجل فطارده ساعة فطعنه الرجل فقتله . فازدحم الناس عليه فكنت فيمن ازدحم عليه

فاذا هو ملثم وجهه بكمه فاخذت بطرف كمه فمددته فاذا هو عبد الله بن المبارك فقال . وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا . قلت فانظروا رحمكم الله الى هذا السيد المخلص . كيف خاف على اخلاصه برؤية الناس له ومدحهم اياه فستر نفسه . وقد كان ابراهيم بن أدهم : يقاتل فاذا غنموا لم يأخذ شيئاً من الغنيمة ليوفر له الأجر *

﴿ فصل ﴾ وقد لبس ابليس على المجاهد اذا غنم . فربما أخذ من الغنيمة ما ليس له أخذه فاما أن يكون قليل العلم فيرى أن أموال الكفار مباحة لمن أخذها ولا يدرى أن الغلول من الغنائم معصية . وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة . قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى خيبر ففتح الله علينا . فلم نغنم ذهباً ولا ورقا غنمنا المتاع والطعام والثياب : ثم انطلقنا الى الوادى ومع رسول الله ﷺ عبد له فلما نزلنا قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه . فلما قلنا له هنيئاً له الشهادة يارسول الله فقال كلا والذى نفس محمد بيده ان الشملة لتلتهب عليه ناراً أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس . فجاء رجل بشراك أو شراكين . فقال . أصبته يوم خيبر فقال رسول الله ﷺ شراك من نار أو شرا كان من نار *

﴿ فصل ﴾ وقد يكون الغازي عالما بالتحريم الا أنه يرى الشيء الكثير فلا يصبر عنه . وربما ظن أن جهاده يدفع عنه ما فعل . وهاهنا يتبين أثر الايمان والعلم . روينا باسناد عن هبيرة بن الاشعث عن أبي عبيدة العنبرى . قال . لما هبط المسلمون المداين وجمعوا الاقباض . أقبل رجل بحق معه فدفعه الى صاحب الاقباض فقال الذين معه . ماراينا مثل هذا قط . ما يعدله ماعندنا ولا ما يقاربه فقال له هل أخذت منه شيئا . فقال . أما والله . لولا الله ما أتيتكم به ، فعرفوا أن للرجل شأنا . فقالوا . من أنت . فقال والله لا أخبركم لتحمدوني ولا أغريكم لتقرظوني ، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه ، فاتبعوه رجلا حتى انتهى الى اصحابه ، فسأل عنه فاذا هو عامر بن عبد قيس *

﴿ ذكر تلبيسه على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ﴾

وهم قسمان عالم وجاهل ، فدخول إبليس على العالم من طريقين

الطريق الاول ، التزين بذلك وطلب الذكر والعجب بذلك الفعل ، روينا باسناد عن احمد بن أبي الحوارى ، قال سمعت أبا سلمان يقول ، سمعت أبا جعفر المنصور يبكي في خطبته يوم الجمعة فاستقبلني الغضب وحضرتني نية أن أقوم فأعظه بما أعرف من فعله اذا نزل ، قال ، فكرهت أن أقوم الى خليفة فأعظه والناس جلوس يرمقونني بأبصارهم فيعرض لى تزين فيأمر بي فأقتل على غير صحيح فجلست وسكت *

والطريق الثاني . الغضب للنفس : وربما كان ابتداء . وربما عرض فى حالة الامر بالمعروف لاجل ما يلقى به المنكر من الاهانة فتصير خصومة لنفسه كما قال عمر ابن عبد العزيز لرجل ، لولا أني غضبان لعاقبتك ، وانما أراد أنك أغضبتني فخفت أن تمتزج العقوبة من غضب الله ولى *

﴿ فصل ﴾ فأما اذا كان الآمر بالمعروف جاهلا فان الشيطان يتلاعب به وانما كان افساده في أمره أكثر من اصلاحه . لانه ربما نهى عن شيء جائز بالاجماع وربما أنكر ما تأول فيه صاحبه وتبع فيه بعض المذاهب. وربما كسر الباب وتسور الحيطان وضرب أهل المنكر وقذفهم فان أجابوه بكلمة تصعب عليه صار غضبه لنفسه : وربما كشف ما قد أمر الشرع بستره وقد سئل احمد بن حنبل عن القوم يكون معهم المنكر مغطى مثل طنبور ومسكر قال . اذا كان مغطى فلا تكسره . وقال في رواية أخرى . اكسره . وهذا محمول على أنه يكون مغطى بشيء خفيف يصفه فيتبين والاولى على أنه لا يتبين . وسئل عن الرجل يسمع صوت الطبل والمزمار ولا يعرف مكانه فقال . ولا عليك ما غاب عنك فلا تفتش . وربما رفع هذا المنكر أهل المنكر الى من يظلمهم وقد قال احمد بن حنبل : ان علمت أن السلطان يقيم الحدود فارفع اليه *

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيس ابليس على المنكر أنه اذا أنكر جلس في مجمع يصف ما فعل ويتباهى به ويسب أصحاب المنكر سب الحنق عليهم ويلعنهم ولعل القوم قد تابوا وربما كانوا خيراً منه لندمهم وكبره ويندرج في ضمن حديثه كشف عورات المسلمين لانه يعلم من لا يعلم والستر على المسلم واجب مهما أمكن . وسمعت عن بعض الجهلة بالانكار أنه يهجم على قوم ما يتيقن ما عندهم ويضربهم الضرب المبرح ويكسر الاواني وكل هـذا يوجبه الجهل . فأما العالم اذا أنكر فأنت منه على أمان . وقد كان السلف يتلطفون فى الانكار ورأى صلة بن أشيم رجلا يكلم امرأة . فقال : ان الله يرا كما . سترنا الله وايا كما . وكان يمر بقوم يلعبون فيقول . ياإخواني ما تقولون فيمن أراد سفراً فنام طول الليل ولعب طول النهار متى يقطع سفره . فانتبه رجل منهم فقال : ياقوم انما يعنينا هذا فتاب وصحبه *

﴿ فصل ﴾ وأولى الناس بالتلطف فى الانكار على الامراء فيصلح أن يقال لهم : ان الله قد رفعكم فاعرفوا قدر نعمته . فان النعم تدوم بالشكر فلا يحسن أن تقابل بالمعاصى *

﴿ فصل ﴾ وقد لبس ابليس على بعض المتعبدين فيرى منكراً فلا ينكره . ويقول انما يأمر وينهى من قد صلح وأنا ليس بصالح فكيف آمر غيرى . وهـذا غلط لانه يجب عليه أن يامر وينهى ولو كانت تلك المعصية فيه . الا أنه متى أنكر متنزها عن المنكر أثر إنكاره واذا لم يكن متنزهاً لم يكد يعمل انكاره فينبغى للمنكر أن ينزه نفسه ليؤثر انكاره . قال ابن عقيـل رأينا في زماننا أبا بكر الاقفالى في أيام القائم اذا نهض لانكار منكر استتبع معه مشايخ لا يأكلون الا من صنعة أيديهم كأبى بكر الخباز شيخ صالح أضر من اطلاعه فى التنور وتبعه : وجماعة مافيهم من يأخذ صدقة ولا يدنس بقبول عطاء صوام النهار قوام الليل أرباب بكاء فاذا تبعه مخلط رده وقال متى لقينا الجيش بمخلط انهزم الجيش *

﴿ الباب التاسع ﴾

فى ذكر تلبيس ابليس على الزهاد والعباد

قد يسمع العامى ذم الدنيا فى القرآن المجيد والاحاديث فيرى أن النجاة تركها ولا يدرى ما الدنيا المذمومة فيلبس عليه ابليس : بأنك لا تنجو فى الآخرة الا بترك الدنيا فيخرج على وجهه الى الجبال فيبعد عن الجمعة والجماعة والعلم ويصير كالوحش ويخيل اليه أن هذا هو الزهد الحقيقى . كيف لا وقد سمع عن فلان أنه هام على وجهه وعن فلان أنه تعبد فى جبل وربما كانت له عائلة فضاعت أو والدة فبكت لفراقه وربما لم يعرف أركان الصلاة كما ينبغى وربما كانت عليه مظالم لم يخرج منها : وانما يتمكن ابليس من التلبيس على هذا لقلة علمه ومن جهله رضاه عن نفسه بما يعلم ولو أنه وفق لصحبة فقيه يفهم الحقائق لعرفه أن الدنيا لا تذم لذاتها وكيف يذم ما منّ الله تعالى به وما هو ضرورة في بقاء الآدمى وسبب في اعانته على تحصيل العلم والعبادة من مطعم ومشرب وملبس ومسجد يصلى فيه وانما المذموم أخذ الشيء من غير حله أو تناوله على وجه السرف لا على مقدار الحاجة : ويصرف النفس فيه بمقتضى رعوناتها لا باذن الشرع : وان الخروج الى الجبال المنفردة منهى عنه فان النبى ﷺ : نهى أن يبيت الرجل وحده وان التعرض لتركه الجماعة والجمعة خسران لا ربح والبعد عن العلم والعلماء يقوي سلطان الجهل : وفراق الوالد والوالدة فى مثل هذا عقوق والعقوق من الكبائر وأما من سمع عنه أنه خرج الى جبل فأحوالهم تحتمل أنهم لم يكن لهم عيال ولا والد ولا والدة فخرجوا الى مكان يتعبدون فيه مجتمعين : ومن لم يحتمل حالهم وجها صحيحاً فهم على الخطأ من كانوا : وقد قال بعض السلف : خرجنا الى جبل نتعبد فجاءنا سفيان الثورى فردنا *

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيسه على الزهاد . إعراضهم عن العلم شغلا بالزهد فقد استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير وبيان ذلك :أن الزاهد لا يتعدى نفعه عتبة بابه

والعالم نفعه متعد . وكم قد رد الى الصواب من متعبد *

« فصـل » ومن تلبيسه عليهم : أنه يوهمهم أن الزهد ترك المباحات فمنهم من لا يزيد على خبز الشعير . ومنهم من لا يذوق الفاكهة . ومنهـم من يقلل المطعم حتى ييبس بدنه ويعذب نفسه بلبس الصوف ويمنعها الماء البارد وما هذه طريقة الرسول ﷺ ولا طريق أصحابه وأتباعهم. وانما كانوا يجوعون اذا لم يجدوا شيئاً فاذا وجدوا أكلوا . وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحبه ويأكل الدجاج ويحب الحلوى ويستعذب له الماء البارد ويختار الماء البائت فان الماء الجاري يؤذى المعدة ولا يروى . وقد كان رجل يقول : أنا لا آكل الخبيص لأنى لا أقوم بشكره . فقال الحسن البصرى : هذا رجل أحمق وهل يقوم بشكر الماء البارد . وقد كان سـفيان الثورى اذا سافر حمل فى سفرته اللحم المشوى والفالوذج . وينبغى للانسان أن يعلم أن نفسه مطيته ولا بد من الرفق بها ليصل بها الى المقصود فليأخـذ ما يصلحها وليترك ما يؤذيها من الشبع والافراط فى تناول الشهوات فان ذلك يؤذى البدن والدين *

ثم إن الناس يختلفون فى طباعهم فان الاعراب اذا لبسوا الصوف واقتصروا على شرب اللبن لم نلمهم لان مطايا أبدانهم تحمل ذلك . وأهل السواد اذا لبسوا الصوف وأكلوا الـكوامخ لم نلمهم أيضاً ولا نقول فى هؤلاء من قد حمل على نفسه لان هذه عادة القوم . فاما اذا كان البدن مترفاً قد نشأ على التنعم فانا ننهى صاحبه أن يحمل عليه ما يؤذيه . فان تزهد وآثر ترك الشـهوات إما لأن الحلال لا يحتمل السرف أو لان الطعام اللذيذ يوجب كثرة التناول فيكثر النوم والـكسل فهذا يحتاج أن يعلم ما يضر تركه وما لا يضر فيأخذ قدر القوام من غير أن يؤذى النفس . وقد ظن قوم أن الخبز القفار يكفى فى قوام البدن ولو كفى الا أن الاقتصار يؤذى من جهة أن اخلاط البدن تفتقر الى الحامض والحلو والحار والبارد والممسك والمسهل . وقد جعل فى الطبع ميل الى الملايم فتارة يميل الى الحامض وتارة يميل الى الحلو ولذلك أسباب مثل أن يقل عندها البلغم الذى لا بد فى قوامها منه فتشتاق الى اللبن ويكثر عندها الصفراء فتميل الى الحموضة فمن كفها عن التصرف على مقتضي ما قد وضع فى طبعها مما يصلحها فقد

آذاها الا أن يكفها عن الشبع والشره وما يخاف عاقبتــه فان ذلك يفســدها . فاما الــكف المطلق فخطأ فافهم هذا ولا يلتفت الى قول الحارث المحاسبي وأبي طالب المكى فيما ذكرا من تقليل المطعم ومجاهدة النفس بترك مباحاتها فان اتباع الشارع وصحابته أولى . وكان ابن عقيل يقول: ما أعجب أموركم فى المتدين اما أهواء متبعة ، أو رهبانية مبتدعة ، بين تجرير أذيال المرح فى الصبا واللعب . وبين إهمال الحقوق واطراح العيال واللحوق بزوايا المساجد . فهلا عبدوا على عقل وشرع *

(فصل) ومن تلبيسه عليهم أنه يوهمهم أن الزهد هو القناعة بالدون من المطعم والملبس فحسب . فهم يقنعون بذلك وقلوبهم راغبــة فى الرياســة وطلب الجاه فتراهم يترصدون لزيارة الامراء إياهم . ويكرمون الاغنياء دون الفقراء . ويتخاشعون عند لقاء الناس كأنهم قد خرجوا من مشاهدة . وربما رد أحدهم المال لئلا يقال قد بدا له من الزهد وهم من تردد الناس اليهم وتقبيل أيديهم في أوسع باب من ولايات الدنيا لأن غاية الدنيا الرياسة *

(فصل) وأكثر ما يلبس به إبليس على العباد والزهاد خفى الرياء . فأما الظاهر من الرياء فلا يدخل فى التلبيس مثل إظهار النحول وصفار الوجه وشعث الشــعر ليستدل به على الزهد . وكذلك خفض الصوت لاظهار الخشوع وكذلك الرياء بالصلاة والصدقة . ومثل هذه الظواهر لا تخفى . وانما نشير الى خفى الرياء . وقد قال النبي ﷺ : انمــا الاعمال بالنيات . ومتى لم يرد بالعمل وجه الله عز وجــل لم يقبل : قال مالك بن دينار : قولوا لمن لم يكن صادقا لا تتعب *

واعلم أن المؤمن لا يريد بعمله الا الله سبحانه وتعالى . وانما يدخل عليه خفي الرياء فيلبس الامر فنجاته منه صعبة . وفى الحديث مرفوعا عن يسار قال قال لي يوسف ابن أسباط : تعلموا صحة العمل من سقمه فاني تعلمته فى اثنتين وعشرين سنة . وفى الحديث مرفوعا عن إبراهيم الحنظلي قال سمعت بقية بن الوليد يقول سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان . دخلت عليــه في صومعته فقلت له يا سمعان منذ كم أنت فى صومعتك هذه ، قال منذ سبعين سنة قلت: ما طعامك ، قال : ياحنيفى وما دعاك الى هذا قلت أحببت أن أعلم ، قال ، في كل ليـلة حمصة .

قلت . فما الذى يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة ، قال ، ترى الذين بحذائك ، قلت نعم قال ، انهم يأتونى فى كل سنة يوماً واحداً فيزينون صومعتي ويطوفون حولها يعظمونى بذلك وكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها تلك الساعة. فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة ، فاحتمل ياحنيفى جهد ساعة لعز الابد ، فوقر فى قلبي المعرفة ، فقال أزيدك قلت ، نعم ، قال انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى الى ركوة فيها عشرون حمصة فقال لى أدخل الدير فقد رأوا ما أدليت اليك فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى فقالوا ياحنيفى ما الذى أدلى اليك الشيخ ، قلت ، من قوته قالوا وما تصنع به نحن أحق به ، ساوم قلت عشرين دينارا فاعطونى عشرين دينارا فرجعت الى الشيخ فقال أخطأت لو ساومتهم عشرين ألفاً لاعطوك ، هذا عز من لا يعبده فانظر كيف تكون بعز من تعبده يا حنيفى ، اقبل على ربك *

قلت ، ولخوف الرياء ستر الصالحون أعمالهم حذراً عليها ويبهرجوها بضدها ، فكان ابن سيرين ، يضحك بالنهار ويبكى بالليل ، وكان في ذيل أيوب السختيانى بعض الطول ، وكان ابن أدهم اذا مرض يرى عنده ما يأكله الاصحاء * وبالاسناد عن عبد الله بن المبارك عن بكار بن عبد الله أنه سمع وهب بن منبه يقول ، كان رجل من أفضل أهل زمانه وكان يزار فيعظهم فاجتمعوا اليه ذات يوم ، فقال ، انا قد خرجنا من الدنيا وفارقنا الاهل والاموال مخافة الطغيان وقد خفت أن يكون قد دخل علينا في هذه حالة من الطغيان أكثر مما يدخل على أهل الاموال فى أموالهم ، أرانا يحب أحدنا أن تقضى له حاجته ، وان اشترى بيعاً أن يقارب لمكان دينه ، وان لقى حيي ووقر لمكان دينه فشاع ذلك الكلام حتى بلغ الملك فعجب به فركب اليه ليسلم عليه وينظر اليه فلما رآه الرجل قيل له ، هذا الملك قد أتاك ليسلم عليك ، فقال وما يصنع قال للكلام الذى وعظت به ، فسأل غلامه هل عندك طعام فقال شيء من ثمر الشجر مما كنت تفطر به فأمر به فأتي على مسح فوضع بين يديه ، فاخذ يأكل منه وكان يصوم النهار ولا يفطر ، فوقف عليه الملك فسلم عليه فأجابه باجابة خفية وأقبل على طعامه يأكله ، فقال الملك ، أين الرجل فقيل له ، هو هذا ، قال هذا الذى يا كل قالوا نعم ، قال ، فما عند هذا من خير فادبر ، فقال الرجل ، الحمد لله الذى صرفك عني بما

صرفك به * وفي رواية أخرى عن وهب ، انه لما أقبل الملك قدم الرجل طعامه فجعل يجمع البقول في اللقمة الكبيرة و يغمسها فى الزيت فيأ كل أكلا عنيفاً ، فقال له الملك : كيف أنت يافلان فقال كالناس . فرد الملك عنان دابته وقال ما فى هذا من خير . فقال : الحمد لله الذى أذهبه عنى وهو لائم لى * وباسناد عن عطاء قال : أراد أبو الوليد بن عبد الملك أن يولى يزيد بن مرثد فبلغ ذلك يزيد فلبس فروة فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجا وأخذ بيده رغيفاً وعرقا وخرج بلا رداء ولا قلنسوة ولا نعل ولا خف فجعل يمشى فى الاسواق ويأ كل . فقيل للوليد . ان يزيد قد اختلط وأخبر بما فعل فتركه ومثل هذا كثير *

﴿ فصل ﴾ ومن الزهاد من يستعمل الزهد ظاهراً وباطنا ، لكنه قد علم أنه لا بد أن يتحدث بتركه للدنيا أصحابه أو زوجته . فيهون عليه الصبر كما هان على الراهب الذى ذكرنا قصته مع إبراهيم بن أدهم . ولو أنه أراد الاخلاص فى زهده لأ كل مع أهله قدر ما ينمحى به جاه النفس ويقطع الحديث عنه ، فقد كان داود بن أبى هند ، صام عشرين سنة ولم يعلم به أهله . كان يأخذ غذاءه ويخرج الى السوق فيتصدق به فى الطريق ، فأهل السوق يظنون انه قد أ كل فى البيت . وأهل البيت يظنون أنه قد أ كل فى السوق ، هكذا كان الناس *

﴿ فصل ﴾ ومن المتزهدين : من قوته الانقطاع فى مسجد أو رباط أو جبل فلذته علم الناس بانفراده وربما احتج لانقطاعه باني أخاف أن أرى فى خروجي المنكرات. وله فى ذلك مقاصد : منها الكبر واحتقار الناس . ومنها أنه يخاف أن يقصروا في خدمته . ومنها حفظ ناموسه ورياسته فان مخالطة الناس تذهب ذلك وهو يريد أن يبقى اطراؤه وذكره . وربما كان مقصوده ستر عيوبه ومقابحه وجهله بالعلم فيرى هذا. ويحب أن يزار ولا يزور ويفرح بمجيء الامراء اليه واجتماع العوام على بابه وتقبيلهم يده . فهو يترك عيادة المرضى وشهود الجنائز ويقول أصحابه : أعذروا الشيخ فهذه عادته ـ لا كانت عادة تخالف الشريعة - ولو احتاج هذا الشخص الى القوت، ولم يكن عنده من يشتريه له صبر على الجوع لئلا يخرج لشراء ذلك بنفسه فيضيع جاهه لمشيه بين العوام . ولو أنه خرج فاشترى حاجته لانقطعت عنه الشهرة ولكن فى باطنه

حفظ الناموس . وقد كان رسول الله ﷺ . يخرج الى السوق ويشترى حاجته ويحملها بنفسه . وكان أبو بكر رضى الله عنه يحمل الثياب على كتفه فيبيع ويشترى . والحديث باسناد عن محمد بن القاسم . قال : روى عن عبد الله بن حنظلة قال : مر عبد الله بن سلام وعلى رأسه حزمة حطب . فقال له ناس . مايحملك على هذا وقد أغناك الله قال . أردت أن أدفع به الكبر وذلك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول. لايدخل الجنة عبد فى قلبه مثقال ذرة من الكبر *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف . وهذا الذى ذكرته من الخروج لشراء الحاجة ونحوها من التبذل كان عادة السلف القدماء وقد تغيرت تلك العادة كما تغيرت الاحوال والملابس. فلا أرى للعالم أن يخرج اليوم لشراء حاجته لأن ذلك يكشف نور العلم عند الجهلة وتعظيمه عندهم مشروع . ومراعاة قلوبهم فى مثل هذا لايخرج الى الرياء واستعمال مايوجب الهيبة فى القلوب لايمنع منه . وليس كل ما كان فى السلف مما لايتغير به قلوب الناس يومئذ ينبغى أن يفعل اليوم قال الاوزاعي : كنا نضحك ونمزح فاذا صرنا يقتدى بنا فلا أرى ذلك يسعنا . وقد روينا عن ابراهيم بن أدهم . أن أصحابه كانوا يوما يتمازحون فدق رجل الباب فأمرهم بالسكوت والسكون . فقالوا له . تعلمنا الرياء فقال . انى أكره أن يعصى الله فيكم *

قال المصنف . وانما خاف قول الجهلة ، انظروا الى هؤلاء الزهاد كيف يفعلون . وذلك أن العوام لايحتملون مثل هذا للمتعبدين *

﴿ فصل ﴾ ومن هؤلاء قوم لوسئل أحدهم أن يلبس اللين من ثوبه مافعل لئلا يتوكس جاهه فى الزهد ولوخرج روحه لايأكل والناس يرونه . ويحفظ نفسه فى التبسم فضلا عن الضحك . ويوهمه ابليس أن هذا لاصلاح الخلق وانما هو رياء يحفظ به قانون الناموس فتراه مطاطىء الرأس عليه آثار الحزن فاذا خلا رأيته ليث شرى *

﴿ فصل ﴾ وقد كان السلف يدفعون عنهم كل مايوجب الاشارة اليهم ويهربون من المكان الذي يشار اليهم فيه والحديث باسناد عن عبد الله بن خفيف . قال قال يوسف بن اسباط . خرجت من سبج راجلا حتى أتيت المصيصة وجرابي على عنقى . فقام ذا من حانوته يسلم عليّ وذا يسلم . فطرحت جرابي ودخلت المسجد

أصلي ركعتين فاحدقوا بي واطلع رجل في وجهي فقلت في نفسي كم بقاء قلبي على هذا ، فأخذت جرابي ورجعت بعرقي وعنائي الى سبج فما رجع الىّ قلبي سنتين *

(فصل) ومن الزهاد من يلبس الثوب المخرق ولا يخيطه ويترك اصلاح عمامته وتسريح لحيته ليرى أنه ماعنده من الدنيا خبر ، وهذا من أبواب الرياء فان كان صادقا في إعراضه عن أغراضه كما قيل لداود الطائي . ألا تسرح لحيتك فقال . اني عنها لمشغول فليعلم أنه سلك غير الجادة . اذ ليست هذه طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه فانه كان يسرح شعره وينظر في المرآة ويدهن ويتطيب وهو أشغل الخلق بالآخرة . وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يخضبان بالحناء والكتم وهما أخوف الصحابة وأزهدهم . فمن ادعى رتبة تزيد على السنة وأفعال الاكابر لم يلتفت اليه *

(فصل) ومن الزهاد من يلزم الصمت الدائم وينفرد عن مخالطة أهله فيؤذيهم بقبح اخلاقه وزيادة انقباضه وينسى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان لأهلك عليك حقاً . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ويلاعب الاطفال ويحدث أزواجه . وسابق عائشة الى غير ذلك من الاخلاق اللطيفة فهذا المتزهد الجاعل زوجته كالأيم وولده كاليتيم لانفراده عنهم وقبح أخلاقه لانه يرى أن ذلك يشغله عن الآخرة ولا يدري لقلة علمه أن الانبساط الى الاهل من العون على الآخرة ، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ . قال لجابر ، هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك ، وربما غلب على هذا المتزهد التجفف فترك مباضعة الزوجة فيضيع فرضاً بنافلة غير ممدوحة *

(فصل) ومن الزهاد من يرى عمله فيعجبه فلو قيل له . أنت من أوتاد الارض رأى ذلك حقا . ومنهم من يترصد لظهور كرامته ويخيل اليه أنه لو قرب من الماء قدر أن يمشي عليه ، فاذا عرض له أمر فدعا فلم يجب تذمر في باطنه فكأنه أجير يطلب اجر عمله . ولو رزق الفهم لعلم انه عبد مملوك والمملوك لايمن بعمله ، ولو نظر الى توفيقه للعمل لرأى وجوب الشكر فخاف من التقصير فيه . وقد كان ينبغي ان يشغله خوفه على العمل من التقصير فيه عن النظر اليه كما كانت رابعة تقول . أستغفر الله من قلة صدقي في قولي . وقيل لها هل عملت عملا ترين انه يقبل منك . فقالت ، اذا كان فمخافتي أن يرد عليّ *

﴿فصل﴾ ومن تلبيس ابليس على قوم من الزهاد الذى دخل عليهم فيه من قلة العلم أنهم يعملون بواقعاتهم ولا يلتفتون الى قول الفقيه ، قال ابن عقيل . كان أبو اسحق الخراز صالحا وهو أول من لقننى كتاب الله وكان من عادته الامساك عن الكلام فى شهر رمضان . فكان يخاطب بآى القرآن فيما يعرض له من الحوائج فيقول : فى اذنه « أدخلوا عليهم الباب » . ويقول لابنه فى عشية الصوم« من بقلها وقثائها » آمراً له أن يشترى البقل . فقلت له هذا الذى تعتقده عبادة هو معصية . فصعب عليه . فقلت : ان هذا القرآن العزيز أنزل فى بيان أحكام شرعية فلا يستعمل في أغراض دنيوية وما هذا الا بمثابة صرك السدر والاشنان فى ورق المصحف أو توسدك له . فهجرنى ولم يصغ الى الحجة *

قال المصنف قلت : وقد يسمع الزاهد القليل العلم أشياء من العوام فيفتي به حدثنى أبو حكيم ابراهيم بن دينار الفقيه ، أن رجلا استفتاه فقال ما تقول : فى امرأة طلقت ثلاثاً فولدت ذكراً هل تحل لزوجها . قال : فقلت لا . وكان عندى الشريف الدحالى (١) وكان مشهوراً بالزهد عظيم القدر بين العوام. فقال لى . بلى تحل.فقلت : ما قال بهذا أحد ، فقال : والله لقد أفتيت بهذا من ههنا الى البصرة*

قال المصنف : فانظر ما يصنع الجهل بأهله و يضاف اليه حفظ الجاه خوفاً أن يرى الزاهد بعين الجهل : وقد كان السلف ينكرون على الزاهد مع معرفته بكثير من العلم أن يفتى لانه لم يجمع شروط الفتوى فكيف لو رأوا تخبيط المتزهدين اليوم فى الفتوى بالواقعات وبالاسناد عن اسماعيل بن شبة قال دخلت علي احمد بن حنبل وقد قدم احمد بن حرب من مكة فقال لى احمد بن حنبل من هذا الخراسانى الذى قد قدم . قلت : من زهده كذا وكذا ومن ورعه كذا وكذا . فقال : لا ينبغى لمن يدعى ما يدعيه أن يدخل نفسه فى الفتيا *

﴿فصل﴾ ومن تلبيسه على الزهاد . احتقارهم العلماء وذمهم إياهم فهم يقولون المقصود العمل ولا يفهمون أن العلم نور القلب . ولو عرفوا مرتبة العلماء فى حفظ

---

(١) وفى النسخة الثانية الرحالى

الشريعة وأنها مرتبة الانبياء لعدوا أنفسهم كالبكم عند الفصحاء والعمى عند البصراء والعلماء أدلة الطريق والخلق وراءهم . وسليم هؤلاء يمشي وحده . وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن النبي ﷺ . قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه . والله لان يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم *

﴿فصل﴾ ومما يعيبون به العلماء . تفسح العلماء فى بعض المباحات التى يتقوون بها على دراسة العلم . وكذلك يعيبون جامع الاموال . ولو فهموا معنى المباح لعلموا أنه لا يذم فاعله . وغاية الامر أن غيره أولى منه . أفيحسن لمن صلى الليل أن يعيب على من أدى الفرض ونام . ولقد روينا باسناد عن محمد بن جعفر الخولاني . قال . حدثنى أبو عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الاصم . قال . دخلنا مع حاتم البلخى الى الرى ومعه ثلاثمائة وعشرون رجلا من أصحابه يريد الحج . وعليهم الصوف والزرمانقات ليس فيهم من معه جراب ولا طعام . فنزلنا على رجل من التجار متنسك فضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد . قال لحاتم . ياأبا عبد الرحمن لك حاجة فانى أريد أن أعود فقيهاً لنا هو عليل فقال حاتم ان كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل كبير والنظر الى الفقيه عبادة وأنا أجيء معك ، وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الرى ، فقال له مر بنا ياأبا عبد الرحمن ، فجاؤا الى باب داره فاذا البواب فبقى حاتم متفكراً يقول يارب دار عالم على هذه الحال ، ثم أذن لهم فدخلوا فاذا بدار قوراء وآلة حسنة وبزة وفرش وستور ، فبقى حاتم متفكراً ينظر حتى دخلوا الى المجلس الذى فيه محمد بن مقاتل ، واذا بفراش حسن وطيء وهو عليه راقد وعند رأسه مذبة وناس وقوف ، فقعد الرازى وبقى حاتم قائما فأومى اليه محمد بن مقاتل بيده أن اجلس فقال حاتم ، لا أجلس ، فقال له ابن مقاتل فلك حاجة قال نعم ، قال وماهى قال مسألة أسألك عنها قال فاسئلنى قال حاتم قم فاستو جالساً حتى أسألك عنها فأمر غلمانه فأسندوه ، فقال حاتم علمك هذا من أين جئت به فقال حدثنى الثقات عن الثقات من الأئمة قال عمن أخذوه قال عن التابعين قال والتابعون عمن أخذوه قال عن أصحاب رسول الله ﷺ ، قال وأصحاب رسول الله ﷺ عمن أخذوه قال عن رسول الله ﷺ ، قال ورسول الله ﷺ من أين جاء به قال عن جبريل عن الله عز وجل ،

فقال حاتم ففيم أداه جبريل عن الله عز وجل الى النبي ﷺ وأداه النبي ﷺ الى الصحابة وأداه الصحابة الى تابعيهم وأداه التابعون الى الأئمة وأداه الأئمة الى الثقات، وأداه الثقات اليك ، هل سمعت فى هذا العلم من كانت داره فى الدنيا أحسن وفراشه ألين وزينته أكثر كان له المنزلة عند الله عز وجل أكبر ، قال ، لا ، قال ، فكيف سمعت قال سمعت من زهد فى الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كان عند الله عز وجل له المنزلة أكثر واليه أقرب ، قال حاتم ، وأنت بمن اقتديت أبالنبي صلى الله عليه وسلم وبأصحابه والتابعين من بعدهم والصالحين على أثرهم أو بفرعون ونمروذ فانهما أول من بنى بالجص والآجر . ياعلماء السوء ان الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها يقول : هذا العالم على هذه الحالة ألا أكون أنا قال فخرج من عنده وازداد محمد بن مقاتل مرضاً وبلغ أهل الري ماجرى بين حاتم وبين ابن مقاتل فقالوا لحاتم ان محمد بن عبيد الطنافسي بقزوين أكثر شيئاً من هذا فصار اليه فدخل عليه وعنده الخلق يحدثهم فقال له رحمك الله أنا رجل أعجمي جئتك لتعلمنى مبدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة فقال : نعم وكرامة ، ياغلام اناء فيه ماء فجاءه باناء فيه ماء ، فقعد محمد بن عبيد فتوضأ ثلاثاً ثم قال له هكذا فتوضأ ، قال حاتم مكانك رحمك الله حتى أتوضأ بين يديك ليكون أوكد لما أريد ، فقام الطنافسي وقعد حاتم مكانه فتوضأ وغسل وجهه ثلاثا حتى اذا بلغ الذراع غسل أربعاً ، فقال الطنافسي ، أسرفت قال حاتم فبماذا أسرفت قال غسلت ذراعك أربعا قال ياسبحان الله أنا فى كف ماء أسرفت وأنت فى جميع هذا الذى أراه كله لم تسرف فعلم الطنافسي أنه أراده بذلك فدخل البيت ولم يخرج الى الناس أربعين يوما وخرج حاتم الى الحجاز فلما صار الى المدينة أحب أن يخصم علماء المدينة ، فلما دخل المدينة قال ياقوم أى مدينة هذه قالوا مدينة الرسول ﷺ قال فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أذهب اليه فأصلى فيه ركعتين قالوا ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قصر انما كان له بيت لاط ، قال ، فأين قصور أهله وأصحابه وأزواجه قالوا ما كان لهم قصور انما كان لهم بيوت لاطئة . فقال حاتم فهذه مدينة فرعون . قال : فسبوه وذهبوا به الى الوالى . وقالوا : هذا العجمي يقول . هذه مدينة

فرعون . فقال الوالى . لم قلت ذلك . قال حاتم . لاتعجل على أيها الامير أنا رجل غريب دخلت هـذه المدينة فسألت أى مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله ﷺ . وسألت عن قصر رسول الله ﷺ وقصور أصحابه قالوا . انما كانت لهم بيوت لاطئة. وسمعت الله عز وجل . يقول . « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » . فأنتم بمن تأسيتم برسول الله ﷺ أو بفرعون *

قال المصنف قلت الويل للعلماء من الزاهد الجاهل الذى يقتنع بعلمه فيرى الفضل فرضاً • فان الذى أنكره مباح والمباح مأذون فيه والشرع لا يأذن في شيء ثم يعاتب عليه • فما أقبح الجهل ولو أنه قال لهم : لو قصرتم فيما أنتم فيه لتقتدى الناس بكم كان أقرب حالة ولو سمع هذا بأن عبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام . وعبد الله ابن مسعود رضوان الله عليهم ، وفلانا وفلانا من الصحابة خلفوا مالا عظيما أتراه ماذا كان يقول وقد اشترى تميم الدارى حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل ففرض على الزاهد التعلم من العلماء فاذا لم يتعلم فليسكت والحديث باسناد عن مالك بن دينار رضى الله عنه قال ان الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز * و باسناد عن حبيب الفارسى يقول ، والله ان الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز *

قال المصنف ، قلت المراد بالقراء الزهاد ، وهـذا اسم قديم لهم معروف والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب *

﴿ الباب العاشر ﴾

فى ذكر تلبيسه على الصوفية من جملة الزهاد

قال المصنف : الصوفية من جملة الزهاد وقد ذكرنا تلبيس ابليس على الزهاد الا أن الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات واحوال وتوسموا بسمات فاحتجنا الى افرادهم بالذكر ، والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون اليها بالسماع والرقص فمال اليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد • ومال اليهـم طلاب الدنيا لما يرون عنده من الراحة واللعب فلابد من كشف تلبيس ابليس عليهم فى

طريقة القوم ولا ينكشف ذلك الا بكشف أصل هذه الطريقة وفروعها وشرح أمورها والله الموفق للصواب *

* فصل * قال المصنف . كانت النسبة فى زمن رسول الله ﷺ الى الايمان والاسلام . فيقال . مسلم ومؤمن . ثم حدث اسم زاهد وعابد . ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا الى العبادة واتخذوا فى ذلك طريقة تفردوا بها . وأخلاقا تخلقوا بها و رأوا أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل كان يقال له صوفة واسمه الغوث بن مر فانتسبوا اليه لمشابهتهم اياه فى الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية * أنبأنا محمد بن ناصر عن أبي اسحاق ابراهيم بن سعيد الحبال . قال قال أبو محمد عبد الغنى بن سعيد الحافظ . قال سألت وليد بن القاسم . الى أى شيء ينسب الصوفى . فقال . كان قوم فى الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا الى الله عز وجل وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم فهم الصوفية قال عبد الغني فهؤلاء المعروفون بصوفة ولد الغوث بن مر بن أخى تميم بن مر * و بالاسناد الي الز بير بن بكار قال. كانت الاجازة بالحج للناس من عرفة الى الغوث بن مر بن أد بن طابخة ثم كانت فى ولده وكان يقال لهم صوفة . وكان اذا حانت الاجازة قالت العرب . أجز صوفة . قال الز بير. قال أبو عبيدة وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئاً من غير أهله أو قام بشيء من أمر المناسك يقال لهم صوفة وصوفان . قال الز بير . حدثنى أبو الحسن الاثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي . قال . انما سمى الغوث بن مر صوفة لانه ما كان يعيش لأمه ولد . فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ر بيط الكعبة . ففعلت . فقيل له صوفة ولولده من بعده . قال الز بير. وحدثنى ابراهيم بن المنذرى عن عبد العزيز بن عمران. قال أخبرنى عقال بن شبة قال قالت أم تميم بن مر و قد ولدت نسوة فقالت لله علي ان ولدت غلاما لأعبدنه للبيت . فولدت الغوث بن مر فلما ر بطته عند البيت أصابه الحر فمرت به وقد سقط واسترخى . فقالت ما صار ابني الا صوفة فسمى صوفة . وكان الحج واجازة الناس من عرفة الى منى ومن منى الى مكة لصوفة .

فلم تزل الاجازة في عقب صوفة حتى أخذتها عدوان فلم تزل في عدوان حتى أخذتها قريش *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف . وقد ذهب قوم الى أن التصوف منسوب الى أهل الصفة . وانما ذهبوا الى هـذا لأنهم رأوا أهل الصفة على ما ذكرنا من صفة صوفة فى الانقطاع الى الله عز وجل وملازمة الفقر فان أهـل الصفة كانوا فقراء يقدمون على رسول الله ﷺ وما لهم أهل ولا مال فبنيت لهم صفة فى مسجد رسول الله ﷺ وقيل أهل الصفة * والحديث باسناد عن الحسن . قال . بنيت صفة لضعفاء المسلمين فجعل المسـلمون يوصلون اليها ما استطاعوا من خير . وكان رسول الله ﷺ يأتيهم فيقول . السلام عليكم يا أهل الصفة . فيقولون . وعليك السلام يا رسول الله . فيقول كيف أصبحتم . فيقولون بخير يا رسول الله * وباسناد عن نعيم بن المجمر عن أبيه عن أبي ذر قال . كنت من أهل الصفة وكنا اذا أمسينا حضرنا باب رسول الله ﷺ فيأمر كل رجل فينصرف برجل فيبقى من بقى من أهـل الصفة عشرة أو اقل فيؤثرنا النبى ﷺ بعشائه فنتعشى . فاذا فرغنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ناموا فى المسجد *

قال المصنف . وهؤلاء القوم انما قعدوا في المسجد ضرورة . وانمـا أكلوا من الصدقة ضرورة . فلمـا فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا ونسبة الصوفي الى أهل الصفة غلط لانه لو كان كذلك لقيل صفى . وقد ذهب الى أنه من الصوفانة وهى بقلة رعناء قصـيرة . فنسبوا اليها لاجتزائهم بنبات الصحراء وهذا أيضاً غلط لأنه لو نسبوا اليها لقيل صوفاني . وقال آخرون هو منسوب الى صوفة القفا . وهى الشعرات النابتة فى مؤخره كأن الصوفى عطف به الى الحق وصرفه عن الخلق . وقال آخرون . بل هو منسوب الى الصوف . وهذا يحتمل . والصحيح الاول *

وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس . ومجاهدة الطبع برده عن الاخلاق الرذيلة ، وحمله على الاخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر

والاخلاص والصدق الى غير ذلك من الخصال الحسنة التى تكسب المدائح فى الدنيا والثواب في الاخرى * والحديث باسناد عن الطوسى يقول سمعت أبا بكر بن المشاقف يقول سألت الجنيد بن محمد عن التصوف . فقال الخروج عن كل خلق ردىء ، والدخول فى كل خلق سنى وباسناد عن عبد الواحد بن بكر قال سمعت محمد ابن خفيف يقول : قال . رويم كل الخلق قعدوا على الرسوم . وقعدت هذه الطائفة على الحقائق . وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع . وهم طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق *

قال المصنف : وعلى هذا كان أوائل القوم فلبس ابليس عليهم فى أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم فكلما مضى قرن زاد طمعه فى القرن الثانى فزاد تلبيسه عليهم الى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن*

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا فى الظلمات . فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا فى الجملة . فرفضوا مايصلح أبدانهم . وشبهوا المال بالعقارب ، ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا فى الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع . وهولاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة . وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع اليه من الاحاديث الموضوعة وهو لا يدرى *

ثم جاء أقوام فتكلموا لهم فى الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا فى ذلك مثل الحارث المحاسبى . وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات مميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة : ثم مازال الأمر ينمى والاشياخ يضعون لهم أوضاعا ويتكلمون بواقعاتهم . ويتفق بعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ماهم فيه أوفى العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر . ومنهم من خرج به الجوع الى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان فيه فكأنهم تخايلوا شخصا مستحسن الصورة فهاموا به . وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق . ففسدت عقائدهم . فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد . وما زال ابليس يخبطهم بفنون البدع

حتى جعلوا لانفسهم سنناً وجاء أبو عبد الرحمن السلمي فصنف لهم "كتاب السنن" وجمع لهم حقائق التفسير فذكر عنهم فيه العجب فى تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير اسناد ذلك الى أصل من أصول العلم . وانما حملوه على مذاهبهم . والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن * وقد أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن القزاز . قال : أخبرنا أبو بكر الخطيب قال قال لي محمد بن يوسف القطان النيسابورى قال كان أبو عبد الرحمن السلمى غير ثقة ولم يكن سمع من الاصم الاشيئا يسيراً فلما مات الحاكم أبو عبد الله بن البيع حدث عن الاصم بتاريخ يحيي بن معين و بأشياء كثيرة سواه . وكان يضع للصوفية الاحاديث *

قال المصنف . وصنف لهم أبو نصر السراج كتاباً سماه "لمع الصوفية" ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ما سنذكر منه جمله ان شاء الله تعالى . وصنف لهم أبو طالب المكى "قوت القلوب" فذكر فيه الاحاديث الباطلة وما لا يستند فيه الى أصل من صلوات الايام والليالي وغير ذلك من الموضوع وذكر فيه الاعتقاد الفاسد. وردد فيه قول — قال بعض المكاشفين — وهذا كلام فارغ وذكر فيه عن بعض الصوفية ان الله عز وجل يتجلى في الدنيا لأوليائه * أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا أبو بكر الخطيب قال قال أبو طاهر محمد بن على العلاف . قال : دخل أبو طالب المكى الى البصرة بعد وفاة أبي الحسين (١) بن سالم فانتمى الى مقالته وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ فخلط فى كلامه فحفظ عنه أنه قال . ليس على المخلوق أضر من الخالق . فبدعه الناس وهجروه فامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك قال الخطيب . وصنف أبو طالب المكى كتابا سماه قوت القلوب على لسان الصوفية وذكر فيه أشياء منكرة مستبشعة فى الصفات *

قال المصنف : وجاء أبو نعيم الاصبهانى فصنف لهم "كتاب الحلية" . وذكر فى حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة ولم يستحي أن يذكر فى الصوفية أبابكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة رضي الله عنهم . فذكر عنهم فيه العجب وذكر منهم

---

(١) نسخة أبي الحسن

شريحا القاضي والحسن البصري وسفيان الثوري واحمد بن حنبل وكذلك ذكر السلمي في طبقات الصوفية الفضيل وابراهيم بن أدهم ومعروفا الكرخي وجعلهم من الصوفية بأن أشار الى أنهم من الزهاد *

فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف على ماسيأتي ذكره وصنف لهم عبد الكريم بن هوازن القشيري كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء . والبقاء . والقبض . والبسط . والوقت . والحال . والوجد . والوجود . والجمع . والتفرقة . والصحو . والسكر . والذوق . والشرب . والمحو . والاثبات . والتجلي . والمحاضرة . والمكاشفة واللوائح . والطوالع . واللوامع . والتكوين . والتمكين . والشريعة . والحقيقة . الى غير ذلك من التخليط الذي ليس بشيء وتفسيره أعجب منه ، وجاء محمد بن طاهر المقدسي فصنف لهم "صفوة التصوف" فذكر فيه أشياء يستحي العاقل من ذكرها سنذكر منها ما يصلح ذكره في مواضعه ان شاء الله تعالى *

وكان شيخنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ يقول . كان ابن طاهر يذهب مذهب الاباحة : قال وصنف كتابا في جواز النظر الى المرد أورد فيه حكاية عن يحيى بن معين قال — رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها . فقيل له تصلي عليها فقال صلى الله عليها وعلى كل مليح — قال شيخنا ابن ناصر . وليس ابن طاهر بمن يحتج به ، وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم "كتاب الاحياء" على طريقة القوم وملأه بالاحاديث الباطلة وهو لايعلم بطلانها وتكلم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه . وقال ان المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رآهن ابراهيم صلوات الله عليه أنوار هي حجب الله عز وجل ولم يرد هذه المعروفات . وهذا من جنس كلام الباطنية . وقال في كتابه "المفصح بالاحوال" إن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور الى درجات يضيق عنها نطاق النطق *

قال المصنف : وكان السبب في تصنيف هؤلاء مثل هذه الاشياء قلة علمهم بالسنن والاسلام والآثار واقبالهم على ما استحسنوه من طريقة القوم . وانما استحسنوها لانه

قد ثبت في النفوس مدح الزهد وما رأوا حالة أحسن من حالة هؤلاء القوم فى الصورة ولا كلاما أرق من كلامهم . وفى سير السلف نوع خشونة ثم أن ميل الناس الى هؤلاء القوم شديد لما ذكرنا من أنها طريقة ظاهرها النظافة والتعبد وفي ضمنها الراحة والسماع والطباع تميل اليها . وقد كان أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والامراء فصاروا أصدقاء *

﴿ فصل ﴾ وجمهور هذه التصانيف التى صنفت لهم لا تستند الي أصل وانما هي واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن * والحديث باسناد الي أبي يعقوب اسحق بن حية قال سمعت احمد بن حنبل وقد سئل عن الوساوس والخطرات . فقال . ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون *

قال المصنف ، وقد روينا فى أول كتابنا هذا عن ذى النون نحو هذا وروينا عن احمد بن حنبل أنه سمع كلام الحارث المحاسبي . فقال لصاحب له ، لا أرى لك أن تجالسهم * وعن سعيد بن عمرو البردعي ، قال شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه ، فقال للسائل . اياك وهذه الكتب . هذه الكتب كتب بدع وضلالات ، عليك بالاثر فانك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب ، قيل له . فى هذه الكتب عبرة . قال : من لم يكن له فى كتاب الله عز وجل عبرة فليس له فى هذه الكتب عبرة . بلغكم أن مالك بن أنس ، وسفيان الثورى ، والاوزاعى ، والائمة المتقدمة ، صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الاشياء هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتوننا مرة بالحارث المحاسبي ومرة بعبد الرحيم الدبيلي ومرة بحاتم الاصم ومرة بشقيق ، ثم قال : ماأسرع الناس الي البدع *

أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمى عن أبى عبد الرحمن السلمي قال : أول من تكلم فى بلدته فى ترتيب الاحوال ومقامات أهل الولاية ذو النون المصرى فأنكر عليه ذلك عبد الله بن عبد الحكم وكان رئيس مصر وكان يذهب مذهب مالك وهجره لذلك علماء مصر لما شاع خبره أنه أحدث علما لم يتكلم فيه السلف حتى رموه بالزندقة . قال السلمي . وأخرج أبو سليمان الدارانى من دمشق • وقالوا أنه يزعم أنه يرى الملائكة وأنهم يكلمونه ، وشهد قوم على احمد

ابن أبي الحوارى : أنه يفضل الاولياء على الانبياء فهرب من دمشق الي مكة ، وأنكر أهل بسطام على أبي يزيد البسطامى ما كان يقول حتى أنه ذكر للحسين بن عيسى أنه يقول : لي معراج كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم معراج فأخرجوه من بسطام ، وأقام بمكة سنتين ثم رجع الي جرجان فأقام بها الى أن مات الحسين بن عيسى ثم رجع الي بسطام ، قال السلمى وحكى رجل عن سهل بن عبدالله التسترى أنه يقول : إن الملائكة والجن والشياطين يحضرونه وإنه يتكلم عليهم فانكر ذلك عليه العوام حتى نسبوه الي القبائح فخرج الى البصرة فمات بها ، قال السلمى وتكلم الحارث المحاسبي فى شيء من الكلام والصفات فهجره احمد بن حنبل فاختفى الي أن مات *

قال المصنف وقد ذكر أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن احمد بن حنبل أنه قال : حذروا من الحارث أشد التحذير الحارث أصل البلية (يعنى في حوادث كلام جهم) ذاك جالسه فلان وفلان وأخرجهم الي رأى جهم ما زال مأوى أصحاب الكلام ؛ حارث بمنزلة الاسد المرابط انظر أى يوم يثب على الناس *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف . وقد كان أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة وانما لبس الشيطان عليهم لقلة علمهم * و باسناد عن جعفر الخلدى يقول سمعت الجنيد يقول قال أبو سليمان الدارانى قال ربما تقع في نفسى النكتة من نكت القوم أياما فلا أقبل منه الا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة و باسناد عن طيفور البسطامى يقول سمعت موسى بن عيسى يقول قال لي أبي قال أبو يزيد لو نظرتم الي رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهي وحفظ الحدود *

و باسناد عن أبي موسى يقول سمعت أبا يزيد البسطامي قال : من ترك قراءة القرآن والتقشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادعى بهذا الشأن فهو مبتدع * و باسناد عن عبد الحميد الحبلي يقول سمعت سريا يقول : من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غالط وعن الجنيد أنه قال : مذهبنا هذا مقيد بالاصول الكتاب والسنة ، وقال أيضاً علمنا منوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به ، وقال أيضاً ما أخذنا التصوف عن القيل

والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات لان التصوف من صفاء المعاملة مع الله سبحانه وتعالي وأصله التفرق عن الدنيا كما قال حارثة : عرفت نفسى فى الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى * وعن أبي بكرالشفاف قال : من ضيع حدود الامر والنهى فى الظاهر حرم مشاهدة القلب في الباطن ، وقال الحسين النورى لبعض أصحابه · من رأيته يدعى مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربنه ، ومن رأيته يدعى حالة لا يدل عليها دليل ولا يشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه ، وعن الجريرى قال . أمرنا هذا كله مجموع على فصل واحد وهو أن تلزم قلبك المراقبة ويكون العلم على ظاهرك قائماً . وعن أبي جعفر قال : من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسنة ولم يتهم خاطره فلا تعده فى ديوان الرجال *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : واذ قد ثبت هذا من أقوال شيوخهم وقعت من بعض أشياخهم غلطات لبعدهم عن العلم فان كان ذلك صحيحاً عنهم توجه الرد عليهم اذ لا محاباة فى الحق وان لم يصح عنهم حذرنا من مثل هذا القول وذلك المذهب من أى شخص صدر . فاما المشبهون بالقوم وليسوا منهم فأغلاطهم كثيرة . ونحن نذكر بعض ما بلغنا من أغلاط القوم والله يعلم أننا لم نقصد ببيان غلط الغالط الا تنزيه الشريعة والغيرة عليها من الدخل وما علينا من القائل والفاعل وانما نؤدى بذلك أمانة العلم وما زال العلماء يبين كل واحد منهم غلط صاحبه قصداً لبيان الحق لا لاظهار عيب الغالط . ولا اعتبار بقول جاهل يقول : كيف يرد على فلان الزاهد المتبرك به . لان الانقياد انما يكون الى ما جاءت به الشريعة لا الي الاشخاص . وقد يكون الرجل من الاولياء وأهل الجنة وله غلطات فلا تمنع منزلته بيان زلله *

واعلم ان من نظر الى تعظيم شخص ولم ينظر بالدليل الى ما صدر عنه كان كمن ينظر الي ما جرى على يد المسيح صلوات الله عليه من الامور الخارقة ولم ينظر اليه فادعي فيه الالهية . ولو نظر اليه وانه لا يقوم الا بالطعام لم يعطه ما لا يستحقه . وقد أخبرنا إسماعيل بن احمد السمرقندى باسناده الي يحيي بن سعيد . قال: سألت شعبة وسفيان بن سعيد وسفيان بن عيينة ومالك بن أنس عن الرجل لا يحفظ أو يتهم في الحديث. فقالوا جميعاً يبين أمره . وقد كان الامام احمد بن حنبل . يمدح الرجل و يبالغ ثم

يذكر غلطه في الشيء بعد الشيء . وقال نعم الرجل فلان لولا أن خلة فيه وقال عن سرى السقطى : الشيخ المعروف بطيب المطعم : ثم حكى له عنه أنه قال ان الله عز وجل لما خلق الحروف سجدت الباء . فقال : نفروا الناس عنه *

﴿ سياق مايروى عن الجماعة منهم من سوء الاعتقاد ﴾

ذكر تلبيس ابليس فى السماع وغيره

عن أبي عبد الله الرملي قال تكلم أبو حمزة فى جامع طرسوس فقبلوه . فبينا هو ذات يوم يتكلم إذصاح غراب على سطح الجامع فزعق أبو حمزة وقال : لبيك لبيك . فنسبوه الى الزندقة وقالوا حلولي زنديق . وبيع فرسه بالمناداة على باب الجامع هذا فرس الزنديق ، و باسناد الى أبي بكر الفرغاني أنه قال : كان أبو حمزة اذا سمع شيئاً يقول : لبيك لبيك . فاطلقوا عليه أنه حلولي • ثم قال أبو على وانما جعله داعيا من الحق أيقظه للذكر • وعن أبي على الروزبارى قال أطلق على أبي حمزة أنه حلولي وذلك أنه كان اذا سمع صوتاً مثل هبوب الرياح ، وخرير الماء ، وصياح الطيور كان يصيح و يقول : لبيك لبيك • فرموه بالحلول • قال السراج . وبلغنى عن أبي حمزة أنه دخل دار الحارث المحاسبي فصاحت الشاه ماع فشهق أبو حمزة شهقة وقال ، لبيك ياسيدى فغضب الحارث المحاسبي وعمد الى سكين وقال ان لم تتب من هذا الذى أنت فيه أذبحك . قال أبو حمزة • اذا أنت لم تحسن تسمع هذا الذى أنا فيه فلم تأكل النخالة بالرماد *

وقال السراج وأنكر جماعة من العلماء على أبي سعيد احمد بن عيسى الخرا ونسبوه الى الكفر بألفاظ وجدوها فى كتاب صنفه وهو كتاب السر ومنه قوله . عبد طائع ما أذن له فلزم التعظيم لله فقدس الله نفسه • قال ، وأبو العباس احمد بن عطاء نسب إلى الكفر والزندقة قال وكم من مرة قد أخذ الجنيد مع علمه وشهد عليه بالكفر والزندقة وكذلك أكثرهم • وقال السراج ، ذكر عن أبي بكر محمد بن موسى الفرغاني الواسطى أنه قال من ذكر افترى ومن صبر اجترى • و إياك أن تلاحظ حبيباً أو كليما أو خليلا

وأنت تجد الى ملاحظة الحق سبيلا • فقيل له ، أولا أصلى عليهم . قال . صل عليهم بلا وقار ، ولا تجعل لها فى قلبك مقدار • قال السراج . و بلغنى أن جماعة من الحلوليين زعموا أن الحق عز وجل اصطفى أجساما حل فيها بمعانى الر بو بية وأزال عنها معاني البشرية . ومنهم من قال بالنظر الى الشواهد المستحسنات . ومنهم من قال حالٌ فى المستحسنات . قال و بلغنى عن جماعة من أهل الشام . أنهم يدعون الرؤية بالقلوب فى الدنيا كالرؤية بالعيان في الآخرة . قال السراج . و بلغني أن أبا الحسين النورى شهد عليه غلام الخليل أنه سمعه يقول : أنا أعشق الله عز وجل وهو يعشقنى فقال النورى : سمعت الله يقول « يحبهم ويحبونه » وليس العشق بأكثر من المحبة. قال القاضى أبو يعلى : وقد ذهبت الحلولية إلى أن الله عز وجل يعشق *

قال المصنف . وهذا جهل من ثلاثة أوجه . أحدها من حيث الاسم فان العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما ينكح . والثانى أن صفات الله عز وجل منقولة فهو يُحِب ولا يقال يَعشق و يُحَب ولا يقال يُعشق كما يقال يعلم ولا يقال يعرف والثالث من أين له أن الله تعالى يحبه فهذه دعوى بلا دليل وقد قال النبي ﷺ من قال انى فى الجنة فهو في النار *

وعن أبي عبد الرحمن السلمي . قال حكى عن عمرو المكى أنه قال . كنت أماشى الحسين بن منصور فى بعض أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع قراءتى فقال يمكننى أن أقول مثل هذا ففارقته . وعن محمد بن يحيي الرازى . قال سمعت عمرو بن عثمان . يلعن الحلاج ويقول . لو قدرت عليه لقتلته بيدى فقلت بأى شيء وجد عليه الشيخ فقال قرأت آية من كتاب الله عز وجل فقال يمكننى أن أقول أو أؤلف مثله وأتكلم به * وباسناد عن أبي القاسم الرازى يقول قال أبو بكر بن ممشاد . قال . حضر عندنا بالدينور رجل ومعه مخلاة فما كان يفارقها لا بالليل ولا بالنهار ففتشوا المخلاة فوجدوا فيها كتابا للحلاج عنوانه من الرحمن الرحيم الى فلان بن فلان فوجه الى بغداد فأحضر وعرض عليه . فقال . هذا خطي وأنا كتبته : فقالوا كنت تدعى النبوة فصرت تدعى الربوبية . فقال . ما أدعي الربوبية ولكن هذا عين الجمع عندنا هل الكاتب الا الله تعالى واليد فيه آلة . فقيل له : هل معك أحد . فقال. نعم ابن عطاء

وأبو محمد الجريرى وأبو بكر الشبلى . وأبو محمد الجريرى يتستر والشبلى يتستر فان كان فابن عطاء فاحضر الجريرى وسئل فقال قائل . هذا كفر يقتل من يقول هذا وسئل الشبلى فقال من يقول هذا يمنع وسئل ابن عطاء عن مقالة الحلاج فقال بمقالته وكان سبب قتله * وباسناد عن ابن باكويه قل: سمعت عيسى بن بردل القزوينى وقد سئل أبو عبد الله بن خفيف عن معنى هذه الابيات .

سبحان من أظهر ناسوته ... سرّ سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا فى خلقه ظاهراً ... في صورة الآكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب

فقال الشيخ . على قائله لعنة الله . قال عيسى بن فورك هذا شعر الحسين بن منصور . قال : ان كان هذا اعتقاده فهو كافر الا أنه ربما يكون متقولا عليه* و باسناد عن على بن المحسن القاضى عن أبي القاسم اسماعيل بن محمد بن زنجى عن أبيه أن بنت السمرى أدخلت على حامد الوزير . فسألها عن الحلاج فقالت . حملنى أبى اليه فقال . قد زوجتك من ابنى سلمان وهو مقيم بنيسابور فمتى جرى شيء تنكرينه من جهته فصومى يومك واصعدى في آخر النهار الى السطح وقومى على الرماد واجعلى فطرك عليه وعلى ملح جريش واستقبليني بوجهك واذكرى لي ما أنكرتيه منه فانى أسمع وأرى . قالت : وكنت ليلة نائمة فى السطح فأحسست به قد غشينى فانتبهت مذعورة لما كان منه . فقال انما جئتك لأوقظك للصلاة . فلما نزلنا قالت ابنته . اسجدى له . . فقلت : أو يسجد أحد لغير الله . فسمع كلامى . فقال . نعم إله فى السماء وإله فى الارض *

قال المصنف . اتفق علماء العصر على اباحة دم الحلاج . فأول من قال انه حلال الدم أبو عمرو القاضى ووافقه العلماء . وانما سكت عنه أبو العباس سريج قال وقال لا أدرى ما يقول . والاجماع دليل معصوم من الخطأ وباسناد عن أبى هريرة . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ان الله أجاركم أن تجتمعوا على ضلالة كلكم * وباسناد عن أبي القاسم يوسف بن يعقوب النعماني قال سمعت والدى يقول سمعت أبا بكر محمد بن داود الفقيه الاصبهانى يقول : ان كان

ما أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم حقاً فما يقول الحلاج باطل وكان شديداً عليه *

قال المصنف : وقد تعصب للحلاج جماعة من الصوفية جهلا منهم وقلة مبالاة باجماع الفقهاء * وباسناد عن محمد بن الحسين النيسابورى قال سمعت ابراهيم بن محمد النصر ابادى كان يقول . ان كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج قلت . وعلى هذا أكثر قصاص زماننا وصوفية وقتنا جهلا من الكل بالشرع و بعداً عن معرفة النقل. وقد جمعتُ فى اخبار الحلاج كتاباً بينت فيه حيله ومخاريقه وما قال العلماء فيه والله المعين على قمع الجهال *

و باسناد عن أبي نعيم الحافظ قال سمعت عمر البنا البغدادى بمكة يحكى أنه لما كانت محنة غلام الخليل ونسبة الصوفية الى الزندقة . أمر الخليفة بالقبض عليهم فأُخِذ النورى فى جماعة فادخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم فتقدم النورى مبتدراً الى السياف ليضْرِبَ عنقُه . فقال له السياف . مادعاك الى البدار .قال آثرت حياة أصحابي علي حياتى هذه اللحظة فتوقف السياف فرفع الامر الى الخليفة فرد أمرهم الى قاضى القضاة اسماعيل بن اسحاق فأمر بتخليتهم * و باسناد الى أبي العباس احمد بن عطاء . قال كان يسعى بالصوفية ببغداد غلام الخليل الى الخليفة فقال ههنا قوم زنادقة فأخذ أبو الحسين النورى ، وأبو حمزة الصوفى ، وأبو بكر الدقاق ، وجماعة من أقران هؤلاء واستتر الجنيد بن محمد بالفقه على مذهب أبي ثور. فأدخلوا الى الخليفة فأمر بضرب أعناقهم فأول من بدر أبو الحسين النورى . فقال له السياف لم بادرت أنت من بين أصحابك ولم ترع .قال : أحببت أن أوثر أصحابي بالحياة مقدار هذه الساعة فرد الخليفة أمرهم الى القاضى فأطلقوا *

قال المصنف . ومن أسباب هذه القصة قول النورى . أنا أعشق الله والله يعشقنى . فشهد عليه بهذا . ثم تقدم النورى الي السياف ليقتل إعانة على نفسه فهو خطأ أيضا* و باسناد عن ابن با كويه قال سمعت أبا عمرو تلميذ الرقى قال سمعت الرقي يقول : كان لنا بيت ضيافة فجاءنا فقير عليه خرقتان يكنى بأبي سليمان فقال .

الضـيافة . فقلت لابني امض به الى البيت فاقام عنـدنا تسعة أيام فأ كل فى كل ثلاثة أيام أكلة . فسمته المقام فقال . الضيافة ثلاثة أيام . فقلت له : لا تقطع عنا أخبارك فغاب عنا اثنتى عشرة سنة ثم قدم فقلت من أين . فقال : رأيت شيخا يقال له أبو شعيب المقفع مبتلى فأقمت عنده أخدمه سنة فوقع في نفسى أن اسأله أى شيء كان أصل بلائه فلما دنوت منه ابتدأني قبل ان أسأله فقال وما سؤالك عما لا يعنيك . فصبرت حتى تم لي ثلاثة سنين . فقال فى الثالثة لا بد لك فقلت له ان رأيت . فقال . بينما أنا أصلى بالليل اذ لاح لي من المحراب نور فقلت اخسأ ياملعون فان ربى عز وجل غنى عن أن يبرز للخلق ثلاث مرات قال ثم سمعت نداء من المحراب يا أبا شعيب . فقلت لبيك فقال تحب أن أقبضك فى وقتك أو نجازيك على ما مضى لك أو نبتليك ببلاء نرفعك به فى عليين فاخترت البلاء فسقطت عيناى ويداى ورجلاى قال فمكثت أخدمه تمام اثنتى عشرة سنة : فقال يوماً من الايام أدن منى فدنوت منه فسمعت أعضاءه تخاطب بعضها بعضا ابرز حتى برزت أعضاؤه كلها بين يديه وهو يسبح ويقدس ثم مات *

قال المصنف : وهـذه الحـكاية توهم أن الرجل رأى الله عز وجل فلما أنكر عوقب . وقد ذكرنا أن قوما يقولون ان الله عز وجل يرى فى الدنيا . وقد حكى أبوالقاسم عبـد الله بن احمـد البلخي فى كتاب "المقالات" قال قد حكى قوم من المشبهة أنهم يجيزون رؤية الله تعالى بالابصار فى الدنيا وأنهم لا ينكرون أن يكون بعض من تلقاهم فى السكك وإن قوما يجيزون مع ذلك مصافحته وملازمته وملامسته ويدعون أنهم يزورونه ويزورهم وهم يسمون بالعراق أصحاب الباطن وأصحاب الوساوس وأصحاب الخطرات . قال المصنف : وهذا فوق القبيح نعوذ بالله من الخذلان

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى الطهارة ﴾

قال المصنف : قد ذكرنا تلبيسه على العباد فى الطهارة الا أنه قد زاد فى حق الصوفية على الحـد فقوى وساوسهم فى استعمال المـاء الـكثير حتى بلغنى أن ابن

عقيل : دخل رباطا فتوضأ فضحكوا لقلة استعماله الماء وما علموا أن من أسبغ الوضوء برطل من الماء كفاه . وبلغنا عن أبي حامد الشيرازي انه قال لفقير . من اين تتوضأ ، فقال ، من النهر ، بي وسوسة فى الطهارة ، قال ، كان عهدى بالصوفية يسخرون من الشيطان ، والآن يسخر بهم الشيطان ، ومنهم من يمشى بالمداس على البوارى وهذا لا بأس به الا انه ربما نظر المبتدي الي من يقتدي به فيظن ذلك شريعة وما كان خيار السلف على هذا ، والعجب ممن يبالغ في الاحتراز إلي هذا الحد متصفاً بتنظيف ظاهره و باطنه محشو بالوسخ والكدر و الله الموفق *

﴿ ذكر تلبيس ابليس عليهم فى الصلاة ﴾

قال المصنف ، قد ذكرنا تلبيسه على العباد فى الصلاة وهو بذلك يلبس على الصوفية ويزيد ، وقدذكر محمد بن طاهر المقدسى ان من سنتهم التى ينفردون بها وينتسبون اليها صلاة ركعتين بعد لبس المرقعة والتوبة واحتج عليه بحديث ثمامة بن أثال ان النبي ﷺ امره حين أسلم ان يغتسل *

قال المصنف ، وما اقبح بالجاهل اذا تعاطي ما ليس من شغله فان ثمامة كان كافراً فأسلم واذا اسلم الكافر وجب عليه الغسل في مذهب جماعة من الفقهاء منهم احمد بن حنبل ، واما صلاة ركعتين فما امر بها احد من العلماء لمن اسلم وليس فى حديث ثمامة ذكر صلاة فيقاس عليه ، وهل هذا الا ابتداع فى الواقع سموه سنة . ثم من اقبح الاشياء قوله ان الصوفية ينفردون بسنن ، لأنها إن كانت منسوبة الي الشرع فالمسلمون كلهم فيها سواء والفقهاء أعرف بها فما وجه انفراد الصوفية بها . وان كانت بآرائهم فانما انفردوا بها لأنهم اخترعوها *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى المساكن ﴾

قال المصنف : أما بناء الاربطة فان قوماً من المتعبدين الماضين اتخذوها

للانفراد بالتعبد . وهؤلاء اذا صح قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه . أحدها أنهم ابتدعوا هذا البناء وانما بنيان أهل الاسلام المساجد . والثانى انهم جعلوا للمساجد نظيراً يقلل جمعها . والثالث أنهم أفاتوا أنفسهم نقل الخطا الي المساجد. والرابع انهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم في الأديرة. والخامس انهم تعزبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج الى النكاح . والسادس انهم جعلوا لانفسهم علماً ينطق بأنهم زهاد فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم . وان كان قصدهم غير صحيح فانهم قد بنوا دكا كين للكوبة (١) ومناخا للبطالة وأعلاماً لاظهار الزهد . وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين فى الأربطة من كد المعاش متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا يتورعون من عطاء ماكس . وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة ووقفوا عليها الاموال الخبيثة . وقد لبس عليهم ابليس ان مايصل اليكم رزقكم فأسقطوا عن أنفسكم كلفة الورع . فهمتهم دوران المطبخ والطعام والماء المبرد . فأين جوع بشر . وأين ورع سرى . وأين جد الجنيد . وهؤلاء أكثر زمانهم ينقضى فى التفكه بالحديث أو زيارة أبناء الدنيا فاذا أفلح أحدهم أدخل رأسه في زرمانقته فغلبت عليه السوداء فيقول حدثنى قلبى عن ربى . ولقد بلغنى أن رجلا قرأ القرآن فى رباط فمنعوه وان قوماً قرأوا الحديث فى رباط فقالوا لهم ليس هذا موضعه والله الموفق *

* ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى الخروج عن الاموال والتجرد عنها *

كان ابليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم في الزهد فيريهم عيب المال ويخوفهم من شره فيتجردون من الاموال ويجلسون على بساط الفقر وكانت مقاصدهم صالحة وأفعالهم في ذلك خطأ لقلة العلم . فأما الآن فقد كفى ابليس هذه المؤنة فان

---

(١) الكوبة : النرد وقيل الطبل

أحدهم اذا كان له مال أنفقه تبذيراً وضياعا والحديث باسناد عن محمد بن الحسين السليمي قال سمعت أبا نصر الطوسى ، قال سمعت جماعة من مشايخ الرى يقولون ورث أبو عبد الله المقرى من أبيه خمسين ألف دينار سوي الضياع والعقار فخرج عن ذلك كله وأنفقه على الفقراء *

وقد روى مثل هذا عن جماعة كثيرة وهذا الفعل لا ألوم صاحبه اذا كان يرجع الي كفاية قد ادخرها لنفسه أو ان كانت له صناعة يستغنى بها عن الناس أوكان المال عن شبهة فتصدق به فأما اذا أخرج المال الحلال كله ثم احتاج الي مافي أيدى الناس وأفقر عياله فهو اما أن يتعرض لمنن الاخوان أو لصدقاتهم أو أن يأخذ من أرباب الظلم والشبهات فهذا هو الفعل المذموم المنهى عنه . ولست أتعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة علمهم وانما العجب من أقوام لهم عقل وعلم كيف حثوا على هذا وأمروا به مع مضادمته للعقل والشرع وقد ذكر الحارث المحاسبي في هذا كلاماً طويلا وشيده أبو حامد الغزالي ونصره والحارث عندى أعذر من أبى حامد لان أبا حامد كان أفقه غير أن دخوله فى التصوف اوجب عليه نصرة ما دخل فيه *

فمن كلام الحارث المحاسبى فى هذا أنه قال : أيها المفتون متى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه • فقد ازريت بمحمد ﷺ والمرسلين وزعمت أن محمداً ﷺ لم ينصح الامة اذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خيرلهم وزعمت أن الله لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم •وماينفعك الاحتجاج بمال الصحابة • ود ابن عوف فى القيامة أن لو لم يؤت من الدنيا الاقوتا • قال ولقد بلغنى أنه لما توفى عبد الرحمن بن عوف قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ انا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك قال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيباً وأنفق طيباً فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضباً يريد كعباً فمر بلحى بعير فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب ان أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر فأقبل أبو ذر يقتص الاثر فى طلب كعب حتى انتهي الي دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من أبى ذر فقال له أبو ذر هيه يا ابن اليهودية تزعم أنه لا بأس بما ترك عبدالرحمن بن

عوف لقد خرج رسول الله ﷺ يوما فقال الا كثرون هم الاقلون يوم القيامة الامن قال هكذا وهكذا ثم قال يا أبا ذر وأنت تريد الا كثر وأنا أريد الاقل فرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف . كذبت وكذب من قال بقولك . فلم يرد عليه حرفا حتى خرج *

قال الحارث . فهذا عبد الرحمن مع فضله يوقف فى عرصة القيامة بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف فيمنع من السعى الى الجنة مع فقراء المهاجرين وصار يحبو فى آثارهم حبواً . وقد كان الصحابة رضى الله عنهم اذا لم يكن عندهم شيء فرحوا وأنت تدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثماً . وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها ولذاتها وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال من أسف على دنيا فاتته قرب من النار مسيرة سنة . وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله عز وجل . ويحك هل تجد فى دهرك من الحلال كما وجدت الصحابة وأين الحلال فتجمعه . ويحك اني لك ناصح أرى لك أنك تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر فقد سئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لاعمال البر فقال تركه أبر منه . و بلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه والآخر جانبها ولم يطلبها ولم يبذلها فأيهما أفضل فقال . بعيد والله ما بينهما الذى جانبها أفضل كما بين مشارق الارض ومغاربها *

قال المصنف : فهذا كله كلام الحارث المحاسبي ذكره أبو حامد وشيده وقواه بحديث ثعلبة فانه أعطي المال فمنع الزكاة قال أبو حامد . فمن راقب أحوال الانبياء والاولياء وأقوالهم لم يشك فى ان فقد المال أفضل من وجوده . وان صرف الى الخيرات اذ أقل ما فيه اشتغالهم باصلاحه عن ذكر الله عز وجل . فينبغي للمريد أن يخرج من ماله حتى لا يبقى له الا قدر ضرورته فما بقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو محجوب

عن الله عز وجل * قال المصنف . وهـذا كله بخلاف الشرع والعقـل وسوء فهم المراد بالمال *

﴿ فصل ﴾ فى رد هـذا الـكلام أما شرف المال فان الله عز وجل عظم قدره وأمر بحفظه اذ جعله قواما للآدمى وما جعل قواما للآدمى الشريف فهو شريف . فقال تعالى « ولا تؤتوا السفهاء أموالـكم التى جعل الله لـكم قياما » ونهى عز وجل أن يسلم المال الى غير رشيد . فقال : « فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم » وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن اضاعة المال . وقال لسـعد . لأن تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس . وقال : ما نفعنى مال كمال أبى بكر * والحديث باسناد مرفوع عن عمرو بن العاص . قال . بعث الىّ رسول الله ﷺ فقال . خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتنى . فأتيته فقال. انى أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك . وأرغب لك من المال رغبة صالحة . فقلت يارسول الله ما أسلمت من أجل المال ولـكنى أسلمت رغبة فى الاسلام . فقال يا عمرو نعم المال الصالح للرجل الصالح . والحديث باسناد عن أنس بن مالك . أن رسول الله ﷺ دعا له بكل خير . وكان في آخر دعائه أن قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له وباسناد عن عبـد الرحمن بن كعب بن مالك أن عبيد الله بن كعب بن مالك قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديث توبته . قال : فقلت يا رسول الله ان من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة الى الله عز وجل والى رسوله ﷺ فقال : أمسك بعض مالك فهو خير لك *

قال المصنف . فهذه الاحاديث مخرجة فى الصحاح وهى على خلاف ما تعتقده المتصوفة من أن اكثار المـال حجاب وعقوبة . وان حبسه ينافى التوكل . ولا ينـكر أنه يخاف من فتنته وان خلقاً كثيراً اجتنبوه لخوف ذلك . وان جمعه من وجهه يعز وسلامة القلب من الافتتان به يبعد . واشـتغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة يندر . ولهذا خيف فتنته . فاما كسب المال فان من اقتصر على كسب البلغة من حلها فذلك أمر لا بد منه . وأما من قصد جمعه والاستـكثار منه من الحلال . نظرنا فى مقصوده . فان قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبئس المقصود . وان قصد اعفاف نفسه

وعائلته وادخر لحوادث زمانه و زمانهم . وقصد التوسعة على الاخوان واغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب على قصده وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات . وقد كان نيات خلق كثير من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فى جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم لجمعه فحرصوا عليه وسألوا زيادته . وباسناد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أقطع الزبير حضر (١) فرسه بأرض يقال لها ثرثر . فأجرى فرسه حتى قام . ثم رمى سوطه . فقال : أعطوه حيث بلغ السوط . وكان سعدبن عبادة يدعو فيقول . اللهم وسع على *

قال المصنف : وأبلغ من هذا : أن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما قال له بنوه « ونزداد كيل بعير » . مال الى هذا وأرسل ابنه بنيامين معهم . وان شعيباً طمع فى زيادة ما يناله فقال . «فان أتممت عشراً فمن عندك» . وان أيوب عليه السلام لما عوفى نثر عليه رجل[٢] جراد من ذهب فأخذ يحثو فى ثوبه يستكثر منه . فقيل له : أما شبعت . قال : يا رب من يشبع من فضلك . وهذا أمر مركوز فى الطباع فاذا قصد به الخير كان خيراً محضاً *

وأما كلام المحاسبى فخطأ يدل على الجهل بالعلم وقوله . ان الله عز وجل نهى عباده عن جمع المال . وان رسول الله ﷺ نهى أمته عن جمع المال . فهذا محال انما النهى عن سوء القصد بالجمع أو عن جمعه من غير حله . وما ذكره من حديث كعب وأبي ذر فمحال من وضع الجهال وخفاء صحته عنه ألحقه بالقوم . وقد روى بعض هذا وان كان طريقه لا يثبت . وباسناد عن مالك بن عبد الله الزيادى عن أبي ذر أنه جاء يستأذن على عثمان فاذن له وبيده عصاه : فقال عثمان : يا كعب ان عبد الرحمن توفى وترك مالا فما ترى فيه ، فقال ، ان كان يصل فيه حق الله تعالى فلا بأس به ، فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعباً وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . ما أحب لو أن لى هذا الجبل ذهباً أنفقه ويتقبل منى . أذر خلفى ست أواقى . أنشدك الله يا عثمان أسمعت هذا — ثلاث مرات قال نعم *

---

(١) الحضر بضم المعجمة عدو الفرس (٢) هو الجراد الكثير

قال المصنف : وهذا الحديث لا يثبت وابن لهيعة مطعون فيه . قال يحيى لا يحتج بحديثه . والصحيح فى التاريخ أن أباذر توفى سنة خمس وعشرين وعبد الرحمن توفي سنة اثنتي وثلاثين ، فقد عاش بعد أبي ذر سبع سنين • ثم لفظ ماذكروه من حديثهم يدل على أن حديثهم موضوع • ثم كيف تقول الصحابة رضى الله عنهم . إنا نخاف على عبد الرحمن ، أوليس الاجماع منعقداً على اباحة جمع المال من حله ، فما وجه الخوف مع الاباحة ، أو يأذن الشرع فى شيء ثم يعاقب عليه ، هذا قلة فهم وفقه ، ثم أينكر أبو ذر على عبد الرحمن وعبد الرحمن خير من أبي ذر بما لا يتقارب ، ثم تعلقه بعبد الرحمن وحده دليل على أنه لم يسبر سير الصحابة ، فانه قد خلف طلحة ثلاثمائة بهار فى كل بهار ثلاثة قناطير، والبهار ، الحمل ، وكان مال الزبير خمسين الف الف ومائتي الف ، وخلف ابن مسعود رضي الله عنه تسعين ألفاً ، وأكثر الصحابة كسبوا الاموال وخلفوها ولم ينكر أحد منهم على أحد *

وأما قوله : ان عبد الرحمن يحبو حبواً يوم القيامة . فهذا دليل على انه لا يعرف الحديث : او كان هذا مناما وليس هو فى اليقظة . أعوذ بالله من أن يحبو عبد الرحمن فى القيامة . أفترى . من يسبق اذا حبا عبد الرحمن بن عوف وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة . ومن أهل بدر المغفور لهم ومن أصحاب الشوري . ثم الحديث يرويه عمارة بن زاذان . وقال البخارى . ربما اضطرب حديثه . وقال احمد . يروى عن أنس أحاديث مناكير . وقال أبو حاتم الرازى . لا يحتج به . وقال الدارقطنى . ضعيف . أخبرنا ابن الحصين مرفوعاً الى عمارة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه . قال : بينما عائشة رضى الله عنها في بيتها سمعت صوتاً فى المدينة . فقالت . ماهذا . فقالوا عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شيء. قال وكانت سبعمائة بعير : فارتجت المدينة من الصوت . فقالت عائشة رضى الله عنها : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً . فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف . فقال : ان استطعت لأدخلنها قائماً . فجعلها بأقتابها وأحمالها في سبيل الله عز وجل *

وقوله : ترك المال الحلال أفضل من جمعه . ليس كذلك بل متى صح القصد

فجمعه أفضل بلا خلاف عند العلماء . والحديث الذى ذكره عن رسول الله ﷺ : من أسف على دنيا فاتته الخ محال : ماقاله رسول الله ﷺ قط . وقوله . هل تجد فى دهرك حلالا . فيقال له . وما الذى أصاب الحلال والنبى ﷺ يقول . الحلال بين والحرام بين . أترى يريد بالحلال وجود حبة مذ خرجت من المعدن ماتقلبت في شبهة. هذا يبعد وماطولبنا به . بل لو باع المسلم يهوديا كان الثمن حلالا بلا شك . هذا مذهب الفقهاء . وأعجب لسكوت أبي حامد بل لنصرته ماحكى وكيف يقول ان فقد المال أفضل من وجوده و إن صرف إلى الخيرات . ولوادعى الاجماع على خلاف هذا لصح . ولكن تصوفه غير فتواه . وعن المروزى قال سمعت رجلا يقول لأبى عبد الله اني في كفاية . فقال . الزم السوق تصل به الرحم وتعود المرضى *

وقوله ينبغى للمريد أن يخرج من ماله . قد بينا أنه ان كان حراماً أوفيه شبهة أو إن يقنع هو باليسير أو بالكسب جاز له أن يخرج منه . والا فلا وجه لذلك . وأما ثعلبة فما ضره المال انما ضره البخل بالواجب *

وأما الانبياء فقد كان لابراهيم عليه الصلاة والسلام زرع ومال . ولشعيب ولغيره وكان سعيد بن المسيب رضى الله عنه يقول لاخير فيمن لايطلب المال يقضى به دينه ويصون به عرضه ويصل به رحمه . فان مات تركه ميراثا لمن بعده وخلف ابن المسيب أربعمائة دينار . وقد ذكرنا ماخلفت الصحابة . وقد خلف سفيان الثورى رضى الله عنه مائتين . وكان يقول . المال فى هذا الزمان سلاح . ومازال السلف يمدحون المال ويجمعونه للنوائب و إعانة الفقراء . وانما تجافاه قوم منهم إيثارا للتشاغل بالعبادات وجمع الهمم . فقنعوا باليسير ولو قال هذا القائل أن التقلل منه أولى قرب الأمر ولكنه زاحم به مرتبة الاثم *

﴿ فصل ﴾ واعلم أن الفقر مرض فمن ابتلى به فصبر أثيب على صبره . ولهذا يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام لمكان صبرهم على البلاء والمال نعمة والنعمة تحتاج الى شكر . والغني وان تعب وخاطر كالمفتى والمجاهد . والفقير كالمعتزل فى زاوية . وقد ذكر ابو عبد الرحمن السلمى فى كتاب سنن الصوفية باب كراهية أن يخلف الفقير شيئاً . فذكر حديث الذى مات من أهل الصفة وخلف دينارين . فقال

رسول الله ﷺ . كيتان *

قال المصنف . وهذا احتجاج من لايفهم الحال فان ذلك الفقير كان يزاحم الفقراء فى أخذ الصدقة وحبس مامعه . فلذلك قال : كيتان ، ولوكان المكروه نفس ترك المال لما قال رسول الله ﷺ لسعد . انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ولما كان أحد من الصحابة يخلف شيئاً . وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه . حث رسول الله ﷺ على الصدقة فجئت بنصف مالى . فقال رسول الله ﷺ . وما أبقيت لأهلك . فقلت مثله . فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ . قال ابن جرير الطبرى . وفى هذا الحديث دليل على بطلان مايقوله جهلة المتصوفة أن ليس للانسان ادخار شيء فى يومه لغده . وان فاعل ذلك قد أساء الظن بربه . ولم يتوكل عليه حق توكله . قال ابن جرير . وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام . اتخذوا الغنم فانها بركة . فيه دلالة على فساد قول من زعم من المتصوفة أنه لايصح لعبد التوكل على ربه إلا بأن يصبح ولاشيء عنده من عين ولاعرض ويمسى كذلك . الا ترى كيف ادخر رسول الله ﷺ لازواجه قوت سنة *

﴿فصل﴾ وقد خرج أقوام من أموالهم الطيبة ثم عادوا يتعرضون للأوساخ و يطلبون وهذا لأن حاجة الانسان لاتنقطع • والعاقل يعد للمستقبل ، وهؤلاء مثلهم في اخراج المال عند بداية تزهدهم مثل من روى في طريق مكة فبددالماء الذى معه * والحديث باسناد عن جابر بن عبد الله • قال قدم أبو حصين السلمى بذهب من معدنهم فقضى دينا كان عليه وفضل معه مثل بيضة الحمامة ، فأتى بها رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ضع هذه حيث أراك الله أو حيث رأيت ، قال فجاءه عن يمينه فأعرض عنه ثم جاءه عن يساره فأعرض عنه ثم جاءه من بين يديه فنكس رسول الله ﷺ رأسه • فلما أكثر عليه أخذها من يده فحذفه بها لو أصابته لعقرته ، ثم أقبل عليه رسول الله ﷺ ، فقال يعمد أحدكم الى ماله فيتصدق به ثم يقعد فيتكفف الناس ، وانما الصدقة عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول • وقد رواه أبو داود فى سننه من حديث محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله • قال كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل بمثل البيضة من ذهب فقال ، يارسول الله أصبت هـذه من معدن فخذها فهى صدقة ما أملك

غيرها . فأعرض عنه رسول الله ﷺ . ثم أتاه من قبل ركنه الايمن فقال مثل ذلك فأعرض عنه ثم أتاه من قبل ركنه الايسر فأعرض عنه رسول الله ﷺ . ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله ﷺ فحذفه بها فلو أصابته لأوجعته أو لعقرته ، فقال رسول الله ﷺ . يأتي أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يتكفف الناس خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى * وفى رواية أخرى : خذ عنا مالك لاحاجة لنابه *
وروى أبو داود من حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال : دخل رجل المسجد فأمر رسول الله ﷺ أن يطرحوا ثيابا فطرحوا ، فأمر له منها بثوبين ثم حث على الصدقة ، فجاء فطرح أحد الثوبين فصاح به : خذ ثوبك *

قال المصنف : ونقلت من خط أبي الوفاء بن عقيل . قال قال : ابن شاذان دخل جماعة من الصوفية على الشبلي ، فأنفذ الى بعض المياسير يسأله مالا ينفقه عليهم ، فرد الرسول وقال ياأبا بكر . أنت تعرف الحق فهلا طلبت منه ، فقال للرسول : إرجع اليه وقل له الدنيا سفلة اطلبها من سفلة مثلك واطلب الحق من الحق . فبعث اليه بمائة دينار ، قال ابن عقيل : ان كان انفذ اليه المائة دينار للافتداء من هذا الكلام القبيح وأمثاله . فقد أكل الشبلي الخبيث من الرزق وأطعم أضيافه منه » *

﴿ فصل ﴾ وقد كان لبعضهم بضاعة فأنفقها ، وقال . ما أريد أن تكون ثقتي الا بالله وهذا قلة فهم لانهم يظنون أن التوكل قطع الاسباب واخراج الاموال *
أخبرنا القزاز قال أخبرنا الخطيب قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال أنبأنا جعفر الخلدى في كتابه قال سمعت الجنيد يقول دققت على أبي يعقوب الزيات بابه في جماعة من أصحابنا ، فقال : ما كان لكم شغل فى الله عز وجل يشغلكم عن المجىء إلي ، فقلت له : اذا كان مجيئنا اليك من شغلنا به فلم ننقطع عنه : فسألته عن مسألة فى التوكل فأخرج درهما كان عنده ثم أجابنى . فأعطى التوكل حقه ثم قال : استحييت من الله أن أجيبك وعندى شيء *

قال المصنف : لو فهم هؤلاء معنى التوكل وأنه ثقة القلب بالله عز وجل لا لاخراج صور المال ، ماقال هؤلاء هذا الكلام . ولكن قل فهمهم وقد كان سادات الصحابة والتابعين يتجرون ويجمعون الاموال وما قال مثل هذا أحد منهم . وقد روينا عن أبي

بكر الصديق رضى الله عنه . أنه قال حين أمر بترك الكسب لاجل شغله بالخلافة ، فمن أين أطعم عيالى . وهذا القول منكر عند الصوفية يخرجون قائله من التوكل *
وكذلك ينكرون على من قال هذا الطعام يضرنى . وقد رووا فى ذلك حكاية عن أبي طالب الرازى قال : حضرت مع أصحابنا فى موضع فقدموا اللبن وقالوا لى كل فقلت لا آكله فانه يضرنى فلما كان بعد أربعين سنة صليت يوماً خلف المقام ودعوت الله عز وجل وقلت : اللهم انك تعلم أنى ما أشركت بك طرفة عين . فسمعت هاتفاً يهتف بي و يقول : — ولا يوم اللبن *

قال المصنف . وهذه الحكاية الله أعلم بصحتها : — واعلم أن من يقول هذا يضرنى . لا يريد أن ذلك يفعل الضرر بنفسه وانما يريد أنه سبب الضرر كما قال الخليل صلوات الله وسلامه عليه . « رب انهن أضللن كثيراً من الناس » . وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال ما نفعني مال كمال أبي بكر . وقوله — مانفعنى مقابل لقول القائل — ماضرنى . وصح عنه أنه قال . ما زالت أكلة خيبر تعادّني فهذا أوان قطعت أبهرى (١) . وقد ثبت أنه لا رتبة أولى من رتبة النبوة وقد نسب النفع الى المال والضرر الى الطعام فالتحاشي عن سلوك طريقه ﷺ تعاط على الشريعة فلا يلتفت الى هذيان من هذى فى مثل هذا *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف . وقد بينا أنه كان أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم زهداً فيها . وذكرنا أنهم قصدوا بذلك الخير الا أنهم غلطوا في هذا الفعل . كما ذكرناه من مخالفتهم بذلك الشرع والعقل . فأما متأخروهم فقد مالوا الى الدنيا وجمع المال من أى وجه كان إيثاراً للراحة وحباً للشهوات . فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل و يجلس فى الرباط أو المسجد و يعتمد على صدقات الناس وقلبه معلق بطرق الباب . ومعلوم أن الصدقة لا تحل لغني ولا لذى مرة (٢) سوى ولا يبالون من بعث اليهم فربما بعث الظالم والماكس فلم يردوه . وقد وضعوا فى ذلك بينهم كلمات منها تسمية ذلك — بالفتوح ومنها أن رزقنا لابد أن يصل الينا . ومنها أنه من الله فلا

(١) الأبهر عرق في الظهر فاذا انقطع لم تبق معه حياة : وتعادنى بالدال المشددة تأتيني المرة بعد المرة (٢) المرة بكسر الميم القوة

يرد عليه ولا نشكر سواه . وهذا كله خلاف الشريعة وجهل بها وعكس ما كان السلف الصالح عليه . فان النبي ﷺ قال . الحلال بين والحرام بين و بينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وقد قاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه من أ كل الشبهة . وكان الصالحون لا يقبلون عطاء ظالم ولا ممن في ماله شبهة • وكثير من السلف لم يقبل صلة الاخوان عفافا وتنزها وعن أبي بكر المروزى قال ذكرت لابي عبد الله رجلا من المحدثين فقال رحمه الله أى رجل كان لولا خلة واحدة • ثم سكت • ثم قال • ليس كل الخلال يكملها الرجل فقلت له أليس كان صاحب سنة • فقال • لعمرى لقد كتبت عنه ولكن خلة واحدة كان لا يبالي ممن أخذ *

قال المصنف • ولقد بلغنا أن بعض الصوفيـة دخل على بعض الامراء الظلمة فوعظه فأعطاه شيئاً فقبله • فقال الامير كلنا صيادون وانما الشباك تختلف • ثم أين هؤلاء من الأنفة من الميل للدنيا فان النبي ﷺ قال اليد العليا خير من اليد السفلى — واليد العليا هى المعطية هكذا فسره العلماء وهو الحقيقة وقد تأوله بعض القوم فقال العليا هى الآخذة قال ابن قتيبة ولا أرى هذا الاتأويل قوم استطابوا السؤال *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف • ولقد كان أوائل الصوفيـة ينظرون فى حصول الاموال من أى وجه و يفتشون عن مطاعمهم وسئل احمد بن حنبل عن السرى السقطى فقال الشيخ المعروف بطيب المطعم وقال السرى صحبت جماعة الى الغزو فاكترينا دارا فنصبت فيها تنوراً فتورعوا أن يأكلوا من خبز ذلك التنور فأما من يرى ما قد تجدد من صوفية زماننا من كونهم لا يبالون من أين أخذوا فانه يعجب • ولقد دخلت بعض الأربطة فسألت عن شيخه فقيل لي قد مضى الى الامير فلان يهنئه بخلعة قد خلعت عليه وكان ذلك الامير من كبار الظلمة فقلت ويحكم ما كفاكم أن فتحتم الدكان حتى تطوفون على رؤسكم بالسلع يقعد أحدكم عن الكسب مع قدرته عليه معولا على الصدقات والصلات ثم لا يكفيه حتى يأخذ ممن كان ثم لا يكفيه حتى يدور على الظلمة فيستعطى منهم ويهنئهم بملبوس لا يحل وولاية لا عدل فيها والله انكم أضر على الاسلام من كل مضر *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف وقد صار جماعة من أشياخهم يجمعون المال من الشبهات ثم ينقسمون فمنهم من يدعى الزهد مع كثرة المال وحرصه على الجمع وهذه الدعوى مضادة للحال ومنهم من يظهر الفقر مع جمعه المال وأكثر هؤلاء يضيقون على الفقراء بأخذهم الزكاة ولا يجوز لهم ذلك وقد كان أبو الحسن البسطامى شيخ رباط ابن المجيان (١) يلبس الصوف صيفاً وشتاء وتقصده الناس يتبركون به فمات فخلف أربعة آلاف دينار *

قال المصنف وهذا فوق القبيح وقد صح عن النبى ﷺ أن رجلا من أهل الصفة مات فخلف دينارين فقال ﷺ كيتان *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الصوفية في لباسهم ﴾

قال المصنف لما سمع أوائل القوم ان النبى ﷺ كان يرقع ثوبه وانه قال لعائشة رضى الله عنها لا تخلعى ثوبا حتى ترقعيه وان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان فى ثوبه رقاع وان اويسا القرني كان يلتقط الرقاع من المزابل فيغسلها فى الفرات ثم يخيطها فيلبسها اختاروا المرقعات ولقد أبعدوا فى القياس فان رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يؤثرون البذاذة ويعرضون عن الدنيا زهدا وكان اكثرهم يفعل هذا لاجل الفقر كما روينا عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن العزيز وعليه قميص وسخ فقال لامرأته فاطمة اغسلى قميص امير المؤمنين فقالت والله ماله قميص غيره • فأما اذا لم يكن هذا لفقر وقصد البذاذة فما له من معنى *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف فأما صوفية زماننا فانهم يعمدون الى ثوبين او ثلاثة كل واحد منها على لون فيجعلوها خرقا ويلفقونها فيجمع ذلك الثوب وصفين الشهرة والشهوة فان لبس مثل هذه المرقعات اشهى عند خلق كثير من الديباج وبها يشتهر صاحبها أنه من الزهاد افتراهم يصيرون بصورة الرقاع كالسلف كذا قد ظنوا وان ابليس قد لبس عليهم وقال انتم صوفية لان الصوفية كانوا يلبسون المرقعات وانتم

(١) وفي النسخة الثانية المحليان . وفي نسخة أخرى الملحيان

كذلك اتراهم ما علموا ان التصوف معنى لا صورة وهؤلاء قد فاتهم التشبيه في الصورة والمعنى أما الصورة فان القدماء كانوا يرقعون ضرورة ولا يقصدون التحسن بالمرقع ولا يأخذون أثوابا جددا مختلفة الالوان فيقطعون من كل ثوب قطعة و يلفقونها على أحسن التوقيع ويخيطونها و يسمونها مرقعة وأما عمر رضي الله عنه لما قدم بيت المقدس حين سأل القسيسون والرهبان عن امير المسلمين فعرضوا عليهم امراء العساكر مثل أبي عبيدة وخالد بن الوليد وغيرهما ، فقالوا ، ليس هذا المصور عندنا ، ألكم امير اولا ، فقالوا ، لنا امير غير هؤلاء ، فقالوا هو امير هؤلاء ، قالوا ، نعم هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقالوا ارسلوا اليه ننظره فان كان هو سلمنا اليكم من غير قتال وان لم يكن هو فلا ، فلو حاصرتمونا ما تقدرون علينا فأرسلوا المسلمين الى عمر رضى الله عنه واعلموه بذلك فقدم عليهم وعليه ثوب مرقع سبع عشرة رقعة بينها رقعة من اديم فلما رأوه الروحانية والقسوس على هذه الصفة سلموا بيت المقدس اليه من غير قتال ، فأين هذا مما يفعله جهال الصوفية في زماننا فنسأل الله العفو والعافية ، واما المعنى فان اولئك كانوا اصحاب رياضة وزهد *

* فصل * قال المصنف ، ومن هؤلاء المذمومين من يلبس الصوف تحت الثياب ويلوح بكمه حتى يرى لباسه ، وهذا لص ليلى ، ومنهم من يلبس الثياب اللينة على جسده ثم يلبس الصوف فوقها وهذا لص نهارى مكشوف ، وجاء آخرون فأرادوا التشبه بالصوفية وصعب عليهم البذاذة وأحبوا التنعم ولم يروا الخروج من صورة التصوف لئلا يتعطل المعاش فلبسوا الفوط الرفيعة واعتموا بالرومى الرفيع الا انه بغير طراز فالقميص والعمامة على احدهم بثمن خمسة اثواب من الحرير *

وقد لبس ابليس عليهم انكم صوفية بنفيس النفس . وانما أرادوا أن يجمعوا بين رسوم التصوف وتنعم أهل الدنيا . ومن علاماتهم مصادقة الامراء ومفارقة الفقراء كبرا وتعظما . وقد كان عيسي بن مريم صلوات الله وسلامه عليه يقول : يابنى اسرائيل :

ما لكم تأتوني وعليكم ثياب الرهبان ، وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى . البسوا لباس الملوك وألينوا قلوبكم بالخشية *

وأخبرنا محمد بن أبي القاسم قال أخبرنا حمد بن احمد الحداد قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ ثنا احمد بن جعفر بن معبد ثنا يحيي بن مطرف ثنا أبو ظفر ثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار ، قال . ان من الناس ناساً اذا لقوا القراء ضربوا معهم بسهم ، واذا لقوا الجبابرة وأبناء الدنيا أخذوا معهم بسهم ، فكونوا من قراء الرحمن بارك الله فيكم *

أخبرنا محمد نا حمد نا أبو نعيم ثنا الحسين بن محمد بن العباس الفقيه ثنا احمد ابن محمد اللالى ثنا أبو حاتم ثنا هدبة ثنا حزم ، قال سمعت مالك بن دينار يقول : انكم في زمان أشهب لا يبصر زمانكم الا البصير ، انكم فى زمان كثير تفاحشهم قد انتفخت ألسنتهم في أفواههم فطلبوا الدنيا بعمل الآخرة فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعوكم فى شباكهم *

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى قالا اخبرنا حمد بن احمد نا احمد بن عبد الله الحافظ ثنا احمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن احمد ثني مهنى الشامى ثنا ضمرة عن سعيد بن شبل قال : نظر مالك بن دينار الى شاب ملازم المسجد فجلس اليه . فقال له : هل لك أن أكلم بعض العشارين يجرون عليك شيئا وتكون معهم ، قال : ماشئت يا أبا يحيي : قال فأخذ كفاً من تراب فجعله على رأسه *

أخبرنا المحمدان قال نا حمد نا احمد ثنا قارون بن عبد الكبير الخطابى ثنا هشام بن على السيرافى ثنا قطن بن حماد بن واقد ثنا أبى ثنا مالك بن دينار . قال : كان فتى يتفرى فكان يأتيني . فابتلى : فولى الجسر فبينما هو يصلى اذ مرت سفينة فيها بط ، فنادى بعض أعوانه : قرب لنأخذ للعامل بطة : فأشار بيده سبحان الله أى بطتين قال فكان أبى اذا حدث بهذا الحديث بكى وأضحك الجلساء *

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا ابو سعيد بن ابى صادق نا ابن باكويه قال سمعت محمد بن خفيف يقول قلت لرويم اوصنى فقال هو بذل الروح والا فلا تشتغل بترهات

الصوفية * اخبرنا ابن ناصر نا أبو عبد الله الحميدى نا ابو بكر احمد بن محمد الاردستانى ثنا عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبي يقول بلغنى ان رجلا قال للشبلى : قد ورد جماعة من اصحابك وهم فى الجامع فمضى فرأي عليهم المرقعات والفوط فأنشأ يقول

اما الخيام فانها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائها

قال المصنف رحمه الله قلت واعلم أن هذه البهرجة في تشبيه هؤلاء بأولئك لا تخفى الا على كل غبي في الغاية . فأما أهل الفطنة فيعلمون أنه تنميس بارد والامر في ذلك على نحو قول الشاعر

تشبهت حور الظباء بهم ان سكنت فيك ولامثل سكن
أصامت بناطق ونافر بآنس وذو خلا بذى شجن
مشتبه أعرفه وإنما مغالطا قلت لصحبي دار من

﴿ فصل ﴾ قال المصنف . وانما أكره لبس الفوط المرقعات لأربعة أوجه أحدها أنه ليس من لباس السلف وانما كان السلف يرقعون ضرورة . والثانى أنه يتضمن ادعاء الفقر وقد أمر الانسان أن يظهر نعمة الله عليه . والثالث أنه اظهار للزهد وقد أمرنا بستره . والرابع أنه تشبه بهؤلاء المتزحزحين عن الشريعة ومن تشبه بقوم فهو منهم *

وقد أخبرنا ابن الحسين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبي ثنا أبو النضر ثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ثنا حسان بن عطية عن أبي منيب الحرسي عن ابن عمر . قال قال رسول الله ﷺ من تشبه بقوم فهو منهم * وقد أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال أخبرني أبي . قال : لما دخلت بغداد في رحلتي الثانية قصدت الشيخ أبا محمد عبد الله بن احمد السكرى لأقرأ عليه أحاديث — وكان من المنكرين على هذه الطائفة — فأخذت فى القراءة فقال أيها الشيخ انك لو كنت من هؤلاء الجهال الصوفية لعذرتك . أنت رجل من أهل العلم تشتغل بحديث رسول الله ﷺ وتسعى في طلبه . فقلت . أيها الشيخ وأى شيء أنكرت عليّ حتى أنظر فان كان له أصل فى الشريعة لزمته ، وان لم يكن له اصل في الشريعة تركته فقال

ما هذه الشوازك (١) التي في مرقعتك فقلت أيها الشيخ هذه أسماء بنت ابي بكر رضى الله عنهما تخبر أن رسول الله ﷺ كان له جبة مكفوفة الجيب والكمين والفرجين بالديباج وانما وقع الانكار لان هذه الشوازك ليست من جنس الثوب والديباج ليس من جنس الجبة فاستدللنا بذلك على ان لهذا اصلا فى الشرع يجوز مثله

قال المصنف قلت لقد أصاب السكرى فى انكاره وقل فقه ابن طاهر فى الرد عليه فان الجبة المكفوفة الجيب والكمين قد جرت العادة بلبسها كذلك فلاشهرة فى لبسها . فأما الشوازك فتجمع شهرة الصورة ، وشهرة دعوى الزهد . وقد أخبرتك انهم يقطعون الثياب الصحاح ليجعلوها شوازك لا عن ضرورة يقصدون الشهرة لحسن ذلك والشهرة بالزهد ولهذا وقعت الكراهية . وقد كرهها جماعة من مشايخهم كما بينا *

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبي صادق ثنا أبو عبد الله ابن با كويه قال سمعت الحسين بن احمد الفارسى يقول سمعت الحسين بن هند يقول سمعت جعفر الحذاء يقول : لما فقد القوم الفوائد من القلوب اشتغلوا بالظواهر وتزيينها يعني بذلك — أصحاب المصبغات والفوط — * أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق ثنا ابن با كويه أخبرنى أبو يعقوب الخراط . قال سمعت الثورى يقول : كانت المرقعات غطاء على الدر فصارت جيفاً على مزابل قال ابن باكويه : وأخبرني أبو الحسن الحنظلى . قال نظر محمد بن محمد بن علي الكتاني الى أصحاب المرقعات فقال : اخواني ان كان لباسكم موافقاً لسرائركم لقد أحببتم أن يطلع الناس عليها ، وان كانت مخالفة لسرائركم فقد هلكتم ورب الكعبة * أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أبو بكر بن خلف ثنا محمد بن الحسين السلمى . قال سمعت نصر بن أبي نصر يقول: قال أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق الدينورى لبعض أصحابه . لا يعجبنك ما ترى من هذه اللبسة الظاهرة عليهم ، فما زينوا الظواهر الا بعد أن خربوا البواطن . وقال ابن عقيل . دخلت يوماً الحمام فرأيت على بعض أوتاد السلخ جبة مشوزكة مرقعة

---

(١) نوع من الشريط معمول من الحرير المصبغ

بفوط . فقلت للحمامى . أرى سلخ الحية . فمن داخل . فذ كر لى بعض من يتصفف للبلاء حوشا للاموال *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف . وفي الصوفية من يرقع المرقعة حتى تصير كثيفة خارجة عن الحد أخبرنا أبو منصور القزاز قال أخبرنا احمد بن علي بن ثابت ناالقاضى أبو محمد الحسن بن رامين الاسد آبادى نا أبو محمد عبد الله بن محمد الشيرازى نا جعفر الخالدى ثنا ابن خباب أبو الحسين صاحب ابن الكرينى قال أوصى لي ابن الكريني بمرقعته فوزنت فردة كم من أ كمامها فاذا فيه أحد عشر رطلا ، قال جعفر ، وكانت المرقعات تسمى فى ذلك الوقت الكيل (١) *

﴿ فصل ﴾ وقد قرروا أن هذه المرقعة لا تلبس الا من يد شيخ . وجعلوا لها إسناداً متصلا كله كذب ومحال وقد ذ كر محمد بن طاهر في كتابه فقال باب السنة فى لبس الخرقة من يد الشيخ فجعل هذا من السنة واحتج بحديث أم خالد أن النبي ﷺ أتي بثياب فيها خميصة (٢) سوداء فقال من ترون ا كسو هذه . فسكت القوم : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ائتوني بأم خالد ، قالت فاتي بي فألبسنيها بيده . وقال . أبلى واخلقى *

قال المصنف وانما ألبسها رسول الله ﷺ لكونها صبية . وكان أبوها خالد بن سعيد بن العاص . وأمها همينة بنت خلف . قد هاجروا الى أرض الحبشة فولدت لهما هناك أم خالد واسمها أمة ثم قدموا فأ كرمها رسول الله ﷺ لصغر سنها وكما اتفق فلا يصير هذا سنة . وما كان من عادة رسول الله ﷺ الباس الناس . ولا فعل هذا أحد من أصحابه ولا تابعيهم *

ثم ليس من السنة عند الصوفية أن يلبس الصغير دون الكبير ولا أن تكون الخرقة سوداء بل مرقعة أوفوطة فهلا جعلوا السنة لبس الخرق السود كما جاء فى حديث أم خالد ، وذ كرمحمد بن طاهرفى كتابه فقال : باب السنة فيما شرط الشيخ على المريد في لبس المرقعة ، واحتج بحديث عبادة ، بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة

---

(١) فى النسخة الثانية ـ الكبل ـ بالباء الموحدة (٢) كذا في النسختين

فى العسر واليسر ، قال المصنف فانظر الى هذا الفقه الدقيق ، وأين اشتراط الشيخ على المريد من اشتراط رسول الله ﷺ الواجب الطاعة على البيعة الاسلامية اللازمة *

﴿ فصل ﴾ وأما لبسهم المصبغات . فانها ان كانت زرقاء فقد فاتهم فضيلة البياض ، وان كانت فوطا فهو ثوب شهرة وشهرته أكثر من شهرة الأزرق وان كانت مرقعة فهى أكثر شهرة . وقد أمر الشرع بالثياب البيض ونهى عن لباس الشهرة * فأما أمره بالثياب البيض فأخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على التميمى نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنى أبي ثنا على بن عاصم نا عبد الله بن عثمان ابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال قال رسول الله ﷺ البسوا من ثيابكم البيض فانها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم * قال عبد الله ، وحدثني أبي ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان ثنى حبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن سمرة بن جندب عن النبى ﷺ . قال . البسوا الثياب البيض فانها أطهر وأطيب . وكفنوا فيها موتاكم . قال الترمذى ، هذان حديثان صحيحان ، وفى الباب عن ابن عمر ، قال ، وهذا الذى يستحبه اهل العلم ، وقال احمد ابن حنبل واسحاق ، أحب الثياب الينا ان نكفن فيها البياض ، وقد ذكر محمد ابن طاهر في كتابه فقال ، باب السنة فى لبسهم المصبغات ، واحتج بأن النبي صلوات الله عليه وسلامه ، لبس حلة حمراء ، وانه دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء *

قال المصنف ، قلت ولا ينكر ان رسول الله ﷺ لبس هذا ولا ان لبسه غير جائز ، وقد روى انه كان يعجبه الحبرة ، وانما المسنون الذى يأمر به ويداوم عليه وقد كانوا يلبسون الاسود والاحمر ، فاما الفوط والمرقع فانه لباس شهرة *

﴿ فصل ﴾ وأما النهى عن لباس الشهرة وكراهته * فأخبرنا أبو منصور بن خيرون أنبأنا أبو بكر الخطيب نا ابن زرقويه ثنا جعفر بن محمد الخلدى ثنا محمد بن عبد الله أبو جعفر الحضرمى ثنا روح بن عبد المؤمن ثنا وكيع بن محرز الشامى ثنا عثمان بن جهم عن زر بن حبيش عن أبي ذر . عن النبي ﷺ أنه قال من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه * أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق قال أنبأنا المبارك

ابن عبد الجبار نا أبو الفرج الحسين بن على الطناجيرى وأنبأنا هبة الله بن محمد أنبأنا الحسين بن على التميمى قالا أخبرنا أبو حفص بن شاهين ثنا خثيمة بن سليمان ابن حيدرة ثنا محمد بن الهيثم ثنا أحمد بن أبي شعيب الحراني ثنا مجالد بن يزيد عن أبي نعيم عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وزيد بن ثابت رضى الله عنهما عن النبي ﷺ . أنه نهى عن الشهرتين فقيل يارسول الله وما الشهرتان قال ؟ رقة الثياب وغلظها . ولينها وخشونتها ، وطولها وقصرها ولكن سداد بين ذلك واقتصاد * أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن على بن ميمون نا عبد الوهاب بن محمد الغندجانى نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن سهل ثنا محمد بن اسماعيل البخارى . قال . قال موسى بن حماد بن سلمة عن ليث عن مهاجر عن ابن عمر قال من لبس ثوباً مشهوراً أذله الله يوم القيامة . قال المصنف . وقد روى لنا مرفوعاً قال أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا حجاج ثنا شريك عن عثمان بن أبي راشد عن مهاجر الشامى عن ابن عمر . قال قال رسول الله ﷺ . من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب المذلة يوم القيامة * أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار وعبد القادر بن محمد بن يوسف قالا أخبرنا أبو اسحاق البرمكى نا أبو بكر بن نجيب ثنا أبو جعفر بن ذريح ثنا هناد ثنا أبو معاوية عن ليث عن مهاجر بن أبي الحسن عن ابن عمر رضى الله عنه قال . من لبس ثوب شهرة من الثياب ألبسه الله ثوب ذلة * وعن ليث عن شهر عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال من ركب مشهوراً من الدواب أعرض الله عنه ما دام عليه وان كان كريماً .

قال المصنف . وقد روينا أن ابن عمر رضى الله عنهما رأى على ولده ثوبا قبيحاً دوناً فقال لاتلبس هذا . فان هذا ثوب شهرة * أخبرنا اسماعيل بن أحمد نا اسماعيل ابن مسعدة نا حمزة بن يوسف نا أبو أحمد بن عدى ثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الدورى ثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال حدثنا محمد بن مزاحم ثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن بريدة عن أبيه بريدة قال شهدت مع رسول الله ﷺ فتح خيبر

وكنت فيمن صعد الثلمة فقاتلت حتى رأى مكاني وأتيت وعليّ ثوب أحمر. فما علمت اني ركبت فى الاسلام ذنباً أعظم منه للشهرة وقال سفيان الثورى . كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجياد التى يشتهر بها ويرفع الناس اليه فيها أبصارهم والثياب الرديئة التى يحتقر فيها ويستبذل ، وقال معمر . عاتبت أيوب على طول قميصه . فقال . إن الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهى اليوم فى تشميره

﴿ فصل ﴾ قال المصنف ومن الصوفيـة من يلبس الصوف ويحتج بأن النبي ﷺ لبس الصوف . وبما روى فى فضيلة لبس الصوف ، فأما لبس رسول الله ﷺ الصوف فقدكان يلبسه في بعض الأوقات لم يكن لبسه شهرة عند العرب . وأما ماروى فى فضل لبسه فمن الموضوعات التى لايثبت منها شيء . ولايخلو لابس الصوف من أحد أمرين . اما أن يكون متعوداً لبس الصوف وما يجانسه من غليظ الثياب فلا يكره ذلك له لأنه لايشهر به . واما أن يكون مترفا لم يتعوده فلا ينبغى له لبسه من وجهين . أحدهما أنه يحمل بذلك على نفسه مالا تطيق ولايجوز له ذلك والثانى أنه يجمع بلبسه بين الشهرة واظهار الزهد * وقد أخبرنا محمد بن منصور الهمدانى نا أبو على احمد بن سعد بن على العجلى نا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفى اجازة ثنا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسن بن اسماعيل الابهرى ثنا روزبه ثنا محمد بن اسماعيل بن محمد الطائى ثنا بكر بن سهل الدمياطى ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا داود ثنا عباد بن العوام عن عباد بن كثير عن أنس قال قال رسول الله ﷺ من لبس الصوف ليعرفه الناس كان حقاً على الله عز وجل أن يكسوه ثوبا من جرب حتى تتساقط عروقه * أنبأنا زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو عثمان الصابونى وأبو بكر البيهقى قالا أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم ثنا ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن يحيى ثنا العباس ابن منصور ثنا سهل بن عمار ثنا نوح بن عبد الرحمن الصيرفى ثنا محمد بن عبيد الهمداني ثنى عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ ان الارض لتعج الى ربها من الذين يلبسون الصوف رياء *

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن احمد نا الحسن بن على التميمي ثنا احمد بن جعفر ثنا عبـد الله بن احمد ثني أبي ثنا عبد الصمد ثنا خالد بن شوذب قال شهدت

الحسن وأتاه فرقد فأخـذ الحسن بكسائه فمده اليه وقال يافريقـد يا ابن أم فريقد. ان البر ليس فى هذا الـكساء وانما البر ما وقر فى الصدر وصدقه العمل * أنبأنا محمد ابن عبد الباقى نا أبو محمد الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا احمد بن معروف ثنا الحسين ابن الفهم ثنا محمد بن سعد قال حدثنا عمرو بن عاصم ثنا يزيد بن عوانة ثنى أبو شداد المجاشعى .قال: سمعت الحسن — وذكر عنده الذين يلبسون الصوف — . فقال. مالهم تعاقدوا ثلاثاً أكنوا الـكبر فى قلوبهـم، وأظهروا التواضع فى لباسـهم. والله لأحدهم أشد عجباً بكسائه من صاحب المطرف بمطرفه * أنبأنا ابن الحسين أنبأنا أبو علي التميمى نا أبو حفص بن شاهين ثنا محمد بن سعيد بن يحيي البزورى ثنا عبيد الله ابن أيوب المخرمى قال حدثنا عبـد المجيـد يعنى ابن أبي رواد عن ابن طهمان يعنى ابراهيم عن أبى مالك الـكوفى عن الحسن أنه جاءه رجل ممن يلبس الصوف وعليـه جبة صوف وعمامة صوف ورداء صوف فجلس فوضع بصره فى الارض فجعل لا يرفع رأسه وكأن الحسن خال فيـه العجب. فقال الحسن ها إن قوماً جعـلوا كـبرهم فى صدورهم شنعوا والله دينهم بهذا الصوف. ثم قال إن رسول الله صلى الله عليه سلم كان يتعوذ من زى المنافقـين. قالوا يا أبا سعيد وما زى المنافقـين قال خشوع اللباس بغير خشوع القلب. قال ابن عقيـل هـذا كلام رجل قد عرف الناس ولم يغره اللباس. ولقـد رأيت الواحد من هؤلاء يلبس الجبـة الصوف. فاذا قال له القائل. يا أبا فلان. ظهر منه ومن أوباشه الانـكار فعلم أنـ الصوف قد عمل عنـد هؤلاء مالا يعمله الديباج عند الاوباش * أخبرنا محمد بن عبدالباقى بن احمد نا حمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن اسحاق ثنا اسماعيل بن أبى الحارث ثنا هاورن بن معروف عن ضمرة قال سمعت رجـلا يقول قدم حماد بن أبى سليمان البصرة فجاءه فرقد السنجى وعليه ثوب صوف فقال له حماد. ضع عنك نصرانيتك هـذه. فلقـد رأيتنا ننتظر ابراهيم يعنى النخعى فيخرج علينا وعليـه معصفرة * أخبرنا محمد بن أبىالقاسم نا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد الله ابن محمد ثنا ابراهيم بن شريك الاسـدى ثنا شـهاب بن عباد ثنا حماد عن خالد الحذاء ان أبا قلابة قال. إياكم وأصحاب الأكسية * أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن

طفر قالا نا محمد بن الحسن الباقلاوى نا القاضي أبو العلاء الواسطي ثنا أبو نصر احمد ابن محمد السازكى نا أبو الخير احمد بن حمد البزار ثنا محمد بن اسماعيل البخارى ثنا علي بن حجر ثنا صالح بن عمر الواسطي عن أبي خالد قال . جاء عبد الكريم أبو أمية الى أبي العالية وعليه ثياب صوف . فقال له أبو العالية . انما هذه ثياب الرهبان ان كان المسلمون اذا تزاوروا تجملوا * أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن احمد نا احمد بن عبد الله الإصبهاني ثنا أبو محمد بن حبان ثنا احمد بن الحسين الحذاء ثنا احمد بن ابراهيم الدورقى ثنا العيص بن اسحاق • قال سمعت الفضيل يقول : تزينت لهم بالصوف فلم ترهم يرفعون بك رأساً ، تزينت لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأساً . تزينت لهم بشيء بعد شيء كل ذلك انما هو لحب الدنيا * أنبأنا ابن الحصين . قال نا أبو علي بن المذهب قال أخبرنا أبو حفص بن شاهين قال ثنا اسماعيل بن علي قال ثنا الحسن بن علي بن شبيب قال ثنا احمد بن أبي الحوارى . قال قال أبو سليمان : يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم ونصف . وشهوته فى قلبه بخمسة دراهم . أما يستحي أن يجاوز شهوته لباسه • ولو ستر زهده بثوبين أبيضين من أبصار الناس كان أسلم له * قال احمد بن أبي الحوارى قال لي سليمان بن أبي سليمان — وكان يعدل بأبيه . أى شيء أرادوا بلباس الصوف . قلت . التواضع . قال : ما يتكبر أحدهم الا اذا لبس الصوف * أخبرنا المبارك بن احمد الانصارى نا عبد الله بن احمد السمرقندى ثنا أبو بكر الخطيب نا الحسن بن الحسين العالى(١) نا أبو سعيد احمد بن محمد بن رميح ثنا روح بن عبد المجيب ثنا احمد بن عمر بن يونس قال أبصر الثورى رجلا صوفياً فقال له الثورى لباسك هذا بدعة * أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد المنعم بن عمر ثنا احمد بن محمد بن زياد . قال سمعت أبا داود يقول . قال سفيان الثورى لرجل عليه صوف لباسك هذا بدعة * أنبأنا زاهر بن طاهر . أنبأنا أبو بكر احمد بن الحسين البيهقى نا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم قال أخبرنى محمد بن عمر ثنا محمد بن المنذر قال سمعت احمد بن شداد

---

(١) كذا بالمهملة .

يقول سمعت الحسن بن الربيع يقول سمعت عبد الله بن المبارك يقول لرجل رأى عليه صوفاً مشهوراً — أكره هذا أكره هذا * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه نى عبد الواحد بن بكر ثنا على بن أبي عثمان بن زهير ثنا عثمان بن احمد ثنا الحسن بن عمرو . قال سمعت بشر بن الحارس يقول : دخل على الموصلى على المعافى — وعليه جبة صوف — فقال له : ماهذه الشهرة يا أبا الحسن . فقال يا أبا مسعود أخرج أنا وأنت . فانظر أينا أشهر. فقال له المعافى : ليس شهرة البدن كشهرة اللباس * أخبرنا اسماعيل بن أبي بكر المقرى نا طاهر بن احمد نا على بن محمد بن بشران نا عثمان بن احمد الدقاق ثنا الحسن بن عمرو قال سمعت بشر بن الحارث يقول : دخل بديل على أيوب السختيانى وقد مد على فراشه سبنية (١) حمراء تدفع التراب فقال له بديل : ما هذا • فقال أيوب : هذا خير من الصوف الذى عليك * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق قال أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه ثنا علان بن احمد ثنا حبيب بن الحسن ثنا الفضل ابن احمد ثنا محمد بن يسار . قال سمعت بشر بن الحارث — وسئل عن لبس الصوف . فشق عليه وتبين الكراهة فى وجهه ثم قال : لبس الخز والمعصفر أحب الي من لبس الصوف فى الامصار * أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار قال أخبرنا أبي نا الحسين بن على الطناجيرى نا احمد بن منصور البرسرى ثنا محمد بن مخلد ثنا احمد بن منصور ثني يزيد السقا رفيق محمد بن ادريس الانبارى . قال . رأيت فتى عليه مسوح قال فقلت له من لبس هذا من العلماء . من فعل هذا من العلماء ، قال قد رآنى بشر بن الحارث فلم ينكر علي . قال يزيد فذهبت الى بشر . فقلت له يا أبا نصر رأيت فلاناً عليه جبة مسوح فأنكرت عليه فقال : قد رآنى أبو نصر فلم ينكر علي . قال : فقال لى بشر — لم يستشرنى يا أبا خالد . لو قلت له . لقال لى . لبس فلان ، ولبس فلان * أخبرنا حمد بن منصور الهمدانى نا أبو على احمد بن سعد بن على العجلي نا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفى إجازة نا أبو محمد جعفر بن

---

(١) فى النسخة الثانية شبينة حمراء تدفع الرياء والسبنية ازر للنساء

محمد بن الحسين بن اسماعيل الصوفى ثنا ابن روزبه ثنا عبد الله بن احمد بن نصر القنطرى ثنا ابراهيم بن محمد الامام ثنا هشام بن خالد ، قال سمعت أبا سليمان الدارانى يقول لرجل لبس الصوف . انك قد أظهرت آلة الزاهدين ، فماذا أورثك هذا الصوف . فسكت الرجل . فقال له . يكون ظاهرك قطنياً ، وباطنك صوفياً * أخبرنا يحيى بن على المدبر نا أبو بكر محمد بن على الخياط نا الحسن بن الحسين بن حمكان سمعت أبا محمد الحسن بن عثمان بن عبد ربه البزار . يقول . سمعت أبا بكر ابن الزيات البغدادى يقول سمعت ابن سيرويه يقول . دخل أبو محمد بن أخي معروف الكرخى على أبي الحسن بن بشار وعليه جبة صوف فقال له أبو الحسن يا أبا محمد صوفت قلبك أو جسمك . صوف قلبك والبس القوهى على القوهى (١) * أخبرنا عبد الوهاب ابن المبارك الحافظ نا جعفر بن احمد بن السواح نا عبد العزيز بن حسن الضراب قال حدثنا أبي ثنا احمد بن مروان ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ثنا احمد بن سعيد . قال سمعت النضر بن شميل يقول ، قلت لبعض الصوفية . تبيع جبتك الصوف ، فقال . اذا باع الصياد شبكته بأى شيء يصطاد *

قال أبو جعفر بن جرير الطبرى . ولقد أخطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان ، مع وجود السبيل اليه من حله . ومن أكل البقول والعدس واختاره على خبز البر . ومن ترك أكل اللحم ، خوفاً من عارض شهوة النساء *

* فصل * قال المصنف : وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدون . ويتخيرون أجودها للجمعة والعيدين ولقاء الاخوان ولم يكن غير الاجود عندهم قبيحاً ، وقد أخرج مسلم فى صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه رأى حلة سيراء تباع عند باب المسجد ، فقال لرسول الله ﷺ لواشتريتها ليوم الجمعة وللوفود اذا قدموا عليك ، فقال رسول الله ﷺ ، انما يلبس هذه من لا خلاق له فى الآخرة فما أنكر عليه ذكر التجمل بها ، وانما أنكر عليه لكونها حريراً *

قال المصنف رحمه الله : وقد ذكرنا عن أبي العالية أنه قال كان المسلمون اذا تزاوروا تجملوا * أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي أنبأنا الحسن بن على الجوهرى نا أبو

(١) القوهي الثياب البيض

عمر بن حياة نا احمد بن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا اسماعيل بن إبراهيم الاسدى عن ابن عون عن محمد ، قال كان المهاجرون والانصار ، يلبسون لباساً مرتفعاً ، وقد اشترى تميم الدارى حلة بألف ، ولكنه كان يصلى بها * قال ابن سعد وأخبرنا عفان ثنا حماد بن زيد ثنا أيوب عن محمد بن سيرين ان تميما الدارى ، اشترى حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل الى صلاته * قال وحدثنا عفان قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت ، أن تميما الدارى كانت له حلة قد ابتاعها بألف ، كان يلبسها الليلة التى ترجى فيها ليلة القدر * وأخبرنا الفضل بن دكين ثنا همام عن قتادة ان ابن سيرين أخبره أن تميما الدارى اشترى رداء بألف فكان يصلى بأصحابه فيه *

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد كان ابن مسعود من أجود الناس ثوباً وأطيبهم ريحاً . وكان الحسن البصرى يلبس الثياب الجياد . قال كلثوم بن جوشن ، خرج الحسن وعليه جبة يمنية ورداء يمني فنظر اليه فرقد ، فقال يا أستاذ لا ينبغى لمثلك أن يكون هكذا ، فقال الحسن ، ياابن أم فرقد ، أما علمت أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية وكان مالك بن أنس يلبس الثياب العدنية الجياد وكان ثوب احمد بن حنبل يشترى بنحو الدينار وقد كانوا يؤثرون البذاذة الى حد ، وربما لبسوا خلقان الثياب فى بيوتهم فاذا خرجوا تجملوا ولبسوا مالا يشتهرون به من الدون ولا من الاعلى * أخبرنا احمد بن منصور الهمدانى نا أبو على احمد بن سعد على العجلى ثنا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفى إجازة نا أبو محمد جعفر ابن محمد بن الحسين بن اسماعيل الصوفى ثنا ابن روزبه ثنا أبو سليمان محمد بن الحسين بن على بن ابراهيم الحرانى ثنا محمد بن الحسن بن قتيبة ثنا محمد بن خلف ثنا عيسى بن حازم . قال ، كان لباس ابراهيم بن أدهم كتاناً قطناً فروة لم أر عليه ثياب صوف ولا ثياب شهرة * أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن احمد نا أبو نعيم احمد بن عبد الله قال سمعت محمد بن ابراهيم يقول سمعت محمد بن ريان يقول رأى علىّ ذو النون خفاً أحمر فقال انزع هذا يابني فانه شهرة ما لبسه رسول الله ﷺ انما لبس النبي ﷺ خفين أسودين ساذجين * أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد

ابن على بن ميمون نا عبد الكريم بن محمد المحاملى نا على بن عمر الدارقطني نا أبو الحسن احمد بن محمد بن سالم نا أبو سعيد عبد الله بن شبيب المدني ثني الزبير عن أبي عرنة الانصارى عن فليح بن سليمان عن الربيع بن يونس قال قال أبو جعفر المنصور العرى الفادح خير من الزى الفاضح*

(فصل) قال المصنف : واعلم أن اللباس الذى يزرى بصاحبه يتضمن اظهار الزهد ، واظهار الفقر . وكأنه لسان شكوى من الله عز وجل ويوجب احتقار اللابس وكل ذلك مكروه ومنهى عنه * أخبرنا محمد بن ناصر نا على بن الحصين بن أيوب نا أبو على بن شاذان ثنا أبو بكر بن أحمد بن سليمان النجاد ثنا أبو بكر بن عبد الله بن محمد القرشي ثنا عبد الله بن عمر القواريرى ثنا هشام بن عبد الملك ثنا شعبة عن ابن اسحاق عن الأحوص عن أبيه . قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قشف الهيئة . فقال . هل لك مال . قلت : نعم . قال من أى المال . قلت : من كل المال قد آتانى الله عز وجل . من الابل والخيل والرقيق والغنم . قال : فاذا آتاك الله عز وجل مالا فلير عليك * أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبى ثنا مسكين بن بكير ثنى الأوزاعي عن حسان بن عطية عن محمد بن المنكدر عن جابر . قال : أتانا رسول الله ﷺ زائراً فى منزلى فرأى رجلا شعثاً . فقال: أما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه . ورأى رجلا عليه ثياب وسخة . فقال : أما كان يجد هذا ما يغسل به ثيابه . أخبرنا عبد الوهاب ابن المبارك ومحمد بن ناصر قالا نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى وأبو القاسم على بن المحسن التنوخى قالا نا أبو عمر محمد بن العباس بن حياة ثنا أبو بكر بن الانبارى ثنى أبى ثنا أبو عكرمة الضبي ثنا مسعود بن بشر عن أبى عبيدة معمر بن المثني . قال مضى على بن أبي طالب الي الربيع بن زياد يعوده. فقال له . يا أمير المؤمنين أشكو اليك عاصما أخى . قال: ماشأنه . قال : ترك الملاذ (١) ولبس العباءة فغم أهله ، وأحزن ولده . فقال ، على عاصما . فلما حضر بش في وجهه

---

(١) كذا فى النسختين ولعله الملاءة وكان لبسها من عاداتهم .

وقال : أترى الله أحل لك الدنيا وهو يكره أخذك منها . أنت والله أهون على الله من ذلك . فوالله لا بتذالك نعم الله بالفعال ! أحب اليه من ابتذالك بالمقال . فقال : يا أمير المؤمنين اني أراك تؤثر لبس الخشن وأكل الشعير فتنفس الصعداء . ثم قال: ويحك ياعاصم ، ان الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بالعوام لئلا يتبيغ بالفقير فقره . قال أبو بكر الانبارى : المعنى لئلا يزيد ويغلو . يقال ـ تبيغ به الدم ـ اذا زاد وجاوز الحد *

(فصل) قال المصنف . فان قال قائل . تجويد اللباس هوى للنفس . وقد أمرنا بمجاهدتها . وتزين للخلق وقد أمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق . فالجواب : أنه ليس كل ما تهواه النفس يذم ولا كل التزين للناس يكره . وانما ينهى عن ذلك اذا كان الشرع قد نهى عنه . أو كان على وجه الرياء فى باب الدين فان الانسان يحب أن يرى جميلا وذلك حظ النفس ولايلام فيه . ولهذا يسرح شعره ، وينظر فى المرآة ، ويسوى عمامته ، ويلبس بطانة الثوب الخشن إلى داخل. وظهارته الحسنة الى خارج. وليس فى شيء من هذا ما يكره ولا يذم * أخبرنا المبارك بن على الصيرفى نا علي بن محمد بن العلاف نا عبد الملك بن محمد بن بشران نا احمد بن ابراهيم الكندى نا محمد بن جعفر الخرائطي ثنا بنان بن سليمان ثنا عبد الرحمن بن هانىء عن العلاء بن كثير عن مكحول عن عائشة قالت : كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب فخرج يريدهم . وفى الدار ركوة فيها ماء . فجعل ينظر فى الماء ويسوى شعره ولحيته . فقلت : يا رسول الله وأنت تفعل هذا . قال : نعم . اذا خرج الرجل الى اخوانه فليهيىء من نفسه فان الله جميل يحب الجمال * أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا عبد المحسن بن محمد بن على ثنا مسعود بن ناصر بن أبي زيد نا أبو اسحاق ابراهيم ابن محمد بن احمد نا أبو القاسم عبد الله بن احمد الفقيه نا الحسن بن سفيان ثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العرزمي عن أبيه عن أم كلثوم عن عائشة . قالت . خرج رسول الله ﷺ فمر بركوة لنا فيها ماء فنظر الى ظله فيها . ثم سوى لحيته ورأسه ثم مضى. فلما رجع . قلت . يارسول الله تفعل هذا ؟ قال . وأى شيء فعلت ؟ نظرت في ظل

الماء فهيأت من لحيتي ورأسي . إنه لا بأس أن يفعله الرجل المسلم اذا خرج الى اخوانه أن يهيء من نفسه *

قال المصنف رحمه الله : فان قيل ، فما وجه ما رويتم عن سرى السقطي أنه قال لو أحسست بانسان يدخل على فقلت كذا بلحيتي - وأمر يده على لحيته كأنه يريد أن يسويها من أجل دخول الداخل عليه - لخشيت أن يعذبني الله على ذلك بالنار . فالجواب . أن هذا محمول منه على أنه كان يقصد بذلك الرياء فى باب الدين من اظهار التخشع وغيره . فأما اذا قصد تحسين صورته لئلا يرى منه مالا يستحسن فان ذلك غير مذموم . فمن اعتقده مذموماً فما عرف الرياء ولا فهم المذموم * أخبرنا سعد الخير بن محمد الانصاري نا على بن عبد الله بن محمد النيسابورى نا أبو الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسى نا محمد بن عيسي بن عمرويه ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن المثنى ثنى يحيى بن حماد . قال أخبرنا شعبة عن أبان بن تغلب عن فضيل الفقيمي عن ابراهيم النخعي عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال . لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر . فقال رجل ، ان أحدنا يحب أن يكون ثوبه حسنا ، ونعله حسنة . قال ، ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس . انفرد به مسلم ومعناه الكبر كبر من بطر الحق . وغمط بمعنى ازدرى واحتقر *

﴿ فصل ﴾ وقال المصنف رحمه الله ، وقد كان فى الصوفية من يلبس الثياب المرتفعة * أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو طاهر محمد بن احمد بن أبى الصقر نا على بن الحسن بن جحاف ، قال أبو عبد الله احمد بن عطاء ، كان أبو العباس بن عطاء يلبس المرتفع من البز كالديبقى ، ويسبح بسبح اللؤلؤ ، ويؤثر ما طال من الثياب *

قال المصنف رحمه الله ، قلت وهذا فى الشهرة كالمرقعات وانما ينبغى أن تكون ثياب أهل الخير وسطا ، فانظر الى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء بين طرفى نقيض *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله ، وقد كان في الصوفية من اذا لبس ثوبا خرق بعضه . وربما أفسد الثوب الرفيع القدر * أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا ابو بكر احمد بن على بن ثابت نا الحسن بن غالب المقرى قال سمعت عيسى بن

على الوزير يقول ، كان ابن مجاهد يوماً عند أبي ، فقيل له الشبلي ، فقال ، يدخل ، فقال ابن مجاهد ، سأسكته الساعة بين يديك ، وكان من عادة الشبلي اذا لبس شيئا خرق فيه موضعاً ، فلما جلس ، قال له ابن مجاهد ، يا أبا بكر أين في العلم فساد ما ينتفع به فقال له الشبلي اين في العلم « فطفق مسحاً بالسوق والاعناق » قال فسكت ابن مجاهد فقال له أبي أردت أن تسكته فأسكتك . ثم قال له قد أجمع الناس انك مقرىء الوقت فأين في القرآن إن الحبيب لا يعذب حبيبه . قال فسكت ابن مجاهد . فقال له أبي : قل يا أبا بكر فقال قوله تعالى : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه . قل فلم يعذبكم بذنوبكم » فقال ابن مجاهد : كأنني ما سمعتها قط *

قال المصنف رحمه الله قلت ، هذه الحكاية أنا مرتاب بصحتها لأن الحسن ابن غالب كان لا يوثق به * أخبرنا القزاز نا أبو بكر الخطيب . قال ، ادعى الحسن ابن غالب أشياء تبين لنا فيها كذبه واختلاقه . فان كانت صحيحة فقد أبانت عن قلة فهم الشبلي حين احتج بهذه الآية . وقلة فهم ابن مجاهد حين سكت عن جوابه وذلك ان قوله « فطفق مسحاً بالسوق والأعناق » لأنه لا يجوز أن ينسب الي نبي معصوم أنه فعل الفساد . والمفسرون قد اختلفوا في معنى الآية . فمنهم من قال مسح على أعناقها وسوقها . وقال . أنت في سبيل الله . فهذا اصلاح . ومنهم من قال . عقرها . وذبح الخيل وأكل لحمها جائز فما فعل شيئا فيه جناح . فأما افساد ثوب صحيح لا لغرض صحيح فانه لا يجوز ومن الجائز ان يكون في شريعة سليمان جواز ما فعل ولا يكون في شرعنا * أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ أنبأنا محمد بن احمد بن أبي الصقر ثنا على بن الحسن بن جحاف الدمشقي . قال أبو عبد الله احمد بن عطاء كان مذهب أبي على الروزباري تخريق أكمامه وتفتيق قميصه . قال فكان يخرق الثوب المثمن فيرتدى بنصفه ويأتزر بنصفه حتى انه دخل الحمام يوما وعليه ثوب ولم يكن مع أصحابه ما يأتزرون به . فقطعه على عددهم فأتزروا به وتقدم اليهم أن يدفعوا الخرق اذا خرجوا للحمامي . قال ابن عطاء : قال لي أبو سعيد الكازروني . كنت معه في هذا اليوم وكان الرداء الذي قطعه يقوم بنحو ثلاثين ديناراً *

قال المصنف رحمه الله : ونظير هذا التفريط ما أنبأنا به زاهر بن طاهر قال أنبأنا

أبو بكر البيهقى نا أبو عبد الله الحاكم قال سمعت عبد الله بن يوسف يقول سمعت أبا الحسن البوشنجي . يقول : كانت لي قبجة (١) طلبت بمائة درهم فحضرنى ليلة غريبان فقلت للوالدة : عندك شيء لضيفي . قالت . لا إلا الخبز . فذبحت القبجة وقدمتها اليهما *

قال المصنف رحمه الله : قد كان يمكنه أن يستقرض ثم يبيعها و يعطي فلقد فرّط * أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد قال أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب قال أنبأنا أبو عبد الرحمن السلمي . قال : سمعت جدي يقول : دخل أبو الحسين الدراج البغدادي الري . وكان يحتاج الى لفاف لرجله فدفع اليه رجل منديلا ديبقيا، فشقه نصفين وتلفف به . فقيل له : لو بعته واشتريت منه لفافاً وأنفقت الباقى ، فقال رحمه الله : أنا لا أخون المذهب *

قال المصنف : وقد كان أحمد الغزالي ببغداد نخرج الى المحول فوقف على ناعورة تأنّ فرمى طيلسانه عليها فدارت فتقطع الطيلسان . قال المصنف رحمه الله قلت : فانظر الى هذا الجهل والتفريط والبعد من العلم فانه قد صح عن رسول الله ﷺ : أنه نهى عنْ إضاعة المال ولو أن رجلا قطع ديناراً صحيحاً وأنفقه كان عند الفقهاء مفرطاً فكيف بهذا التبذير المحرم . ونظير هذا تمزيقهم الثياب المطروحة عند الوجد على ما سيأتى ذكره إن شاء الله ثم يدعون أن هذه حالة ولا خير في حالة تنافي الشرع. أفتراهم عبيد نفوسهم أم أمروا أن يعملوا بآرائهم ؟ فان كانوا عرفوا أنهم يخالفون الشرع بفعلهم هذا ثم فعلوه انه لعناد . وان كانوا لا يعرفون فلعمري إنه لجهل شديد * أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم أحمد بن عبد ربه الحافظ . قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله الرازي يقول : لما تغير الحال على أبي عثمان وقت وفاته . مزق ابنه أبو بكر قميصاً كان عليه. ففتح أبو عثمان عينه . وقال يا بنى خلاف السنة فى الظاهر ورياء باطن في القلب *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وفى الصوفية من يبالغ في تقصير ثوبه وذلك شهرة

---

(١) القبجة واحد القبج للذكر والأنثى وهو الحجل طائر معروف

أيضاً * أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب ثنا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبي ثنا محمد بن أبي عدى عن شعبة عن العلاء عن أبيه . أنه سمع أبا سعيد : سئل عن الازار فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ازار المسلم الى انصاف الساقين . لاجناح أولا حرج عليه مابينه و بين الكعبين . ما كان أسفل من ذلك فهو فى النار* أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقى قالا نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم أحمد ابن عبد الله ثنا أبو حامد ابن جبلة ثنا محمد بن اسحاق ثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى . قال : كتب اليّ عبد الرزاق عن معمر قال كان فى قميص أيوب بعض التذييل . فقيل له . فقال الشهرة اليوم في التشمير . وقد روى اسحاق بن ابراهيم بن هانىء قال دخلت يوماً على أبي عبد الله أحمد بن حنبل وعليّ قميص أسفل من الركبة وفوق الساق . فقال . أى شيء هـذا وأنكره . وقال . هذا بالمرة لا ينبغي*

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وقد كان فى الصوفية من يجعل على رأسه خرقة مكان العمامة ، وهذا أيضاً شهرة لانه على خلاف لباس أهل البلد وكل مافيه شهرة فهومكروه* أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار نا أبي الحسين بن على الطناجيرى نا احمد بن منصور البوسرى ثنا محمد بن مخلد ثنى محمد بن يوسف قال قال عباس بن عبد العظيم العنبرى: قال بشر بن الحارث ، إن ابن المبارك دخل المسجد يوم جمعة وعليه قلنسوة ، فنظر الناس ليس عليهم قلانس فأخذها فوضعها في كمه *

(فصل) ، قال المصنف : وقد كان في الصوفية من يستكثر من الثياب وسوسة ، فيجعل للخلاء ثوباً ، وللصلاة ثوباً . وقد روى هـذا عن جماعة منهم أبو يزيد وهذا لا بأس به إلا أنه لاينبغي خشية أن يتخذ سنة * أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن احمد نا ابو نعيم احمد بن عبد الله ثنا ابو حامد احمد بن محمد بن عبد الوهاب ثنا محمد بن اسحاق النيسابوري ثنا محمد بن الصباح ثنا حاتم يعنى ابن اسماعيل ثنى جعفر عن ابيه . ان على بن الحسين قال . يابنى لو اتخذت ثوباً للغائط ، رأيت الذباب يقع على الشيء ثم يقع على الثوب ، ثم اتيته ، فقال : ما كان لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه الاثوب فرفضه *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف ، وقد كان فيهم من لا يكون له سوى ثوب واحد زهداً

في الدنيا ، وهذا احسن إلا انه اذا امكن اتخاذ ثوب للجمعة والعيد كان اصلح واحسن* أخبرنا عبد الاول بن عيسى نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر نا عبد الله بن احمد ابن حياة نا ابراهيم بن حريم ثنا عبد بن حميد ثني ابن أبي شيبة ثنا محمد بن عمر عن عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن يحيي بن حبان عن يوسف بن عبدالله بن سلام عن أبيه قال خطبنا رسول الله ﷺ فى يوم جمعة فقال ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم جمعة سوى ثوب مهنته * أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا أبو محمد الجوهرى نا أبو عمر بن حياة نا احمد بن معروف الحساب نا الحارث بن أبى أسامة ثنا محمد بن سعد نا محمد بن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن عبد المجيد بن سهيل عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال محمد بن عمر وحدثني غير محمد بن عبد الرحمن أيضا ببعض ذلك قالوا كان لرسول الله ﷺ برد يمنية وازار من نسج عمان فكان يلبسهما فى يوم الجمعة ويوم العيد ثم يطويان *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى مطاعمهم ومشاربهم (١) ﴾

قال المصنف رحمه الله : قد بالغ إبليس فى تلبيسه على قدماء الصوفيــة فأمرهم بتقليل المطعم وخشونته ومنعهم شرب الماء البارد . فلما بلغ الى المتأخرين استراح من التعب واشتغل بالتعجب من كثرة أكلهم و رفاهية عيشهم *

﴿ ذكر طرف مما فعله قدماؤهم ﴾

قال المصنف رحمه الله · كان في القوم من يبقى الايام لا يأكل الا أن تضعف قوته . وفيهم من يتناول كل يوم الشيء اليسير الذي لا يقيم البدن فروي لنا عن سهل ابن عبد الله أنه كان في بدايته يشترى بدرهم دبساً و بدرهمين سمناً و بدرهم دقيق الارز فيخلطه ويجعله ثلاثمائة وستين كرة فيفطر كل ليلة على واحدة . وحكى عنه أبو حامد

---

(١) في الاصل وملابسهم وهو تحريف من الناسخ

الطوسي قال كان سهل يقتات و رق النبق مدة . وأكل دقاق التبن مدة ثلاث سنين واقتات بثلاث دراهم فى ثلاث سنين * أخـبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه ثني أبوالفرج بن حمزة التكريتي ثني أبو عبد الله الحصرى قال سمعت أبا جعفر الحداد يقول . أشرف على أبو تراب يوماً وأنا على بركة ماء ولى ستة عشر يوماً لم آكل شيئا ولم أشرب فيها ماء فقال ما جلوسك ههنا فقلت أنا بين العلم واليقين وأنا أنظر من يغلب فأكون معه فقال سيكون لك شأن * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا ابن أبي صادق ثنا ابن باكويه نا عبد العزيز بن الفضـل ثنا على بن عبد الله العمرى ثنا محمد بن قليح ثني ابراهيم بن البنا البغدادى قال صحبت ذا النون من اخميم الى الاسكندرية فلما كان وقت إفطاره أخرجت قرصا وملحا كان معي وقلت هلم فقال لي ملحك مدقوق . قلت نعم . قال لست تفلح فنظرت الى مزوده فاذا فيه قليل سويق شعير يستف منه * أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا عبد العزيز ابن على الازجى نا ابن جهضم ثنا محمد بن عيسى بن هارون الدقاق ثنا احمد بن أنس ثنا ابن أبي الحوارى . قال سمعت أبا سليمان يقول . الزبد بالعسل اسراف * قال ابن جهضم وحدثنا محمد بن يوسف البصرى قال سمعت أبا سعيـد صاحب سهل يقول : بلغ أبا عبد الله الزبيرى وزكريا الساجي وابن أبي أوفى . ان سهل بن عبد الله يقول . انا حجة الله على الخلق .فاجتمعوا عنده فاقبل عليه الزبيرى فقال له ، بلغنا انك قلت ـ انا حجة الله على الخلق ـ فبماذا ، انبي انت ؟ أصـديق انت . قال سهل، لم أذهب حيث تظن ولكن انما قلت هذا لأخذى الحلال .فتعالوا كلـكم حتى نصحح الحلال . قالوا . فأنت ، قد صححته . قال نعم ، قال وكيف ؟ قال سهل قسمت عقلي ومعرفتي وقوتي على سبعة أجزاء . فاتركه حتى يذهب منها ستة أجزاء ويبقى جزء واحد . فاذا خفت أن يذهب ذلك الجزء ويتلف معه نفسي خفت أن أكون قد اعنت عليها وقتلتها دفعت اليها من البلغة مايرد الستة الاجزاء *

أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه قال أخبرني أبو عبد الله ابن مفلح قال خبرني أبي أخبرنى أبو عبد الله بن زيد (١) قال لى : منذ أربعين

(١) فى النسخة الثانية : ابن وتد

سنة ما أطعمت نفسى طعاما الا في وقت ما أحل الله لها الميتة * اخبرنا ابن ناصر نا ابو الفضل محمد بن على بن احمد السهلكى ثنى ابو الحسن على بن محمد القوهى ثنا عيسى بن محمد عن ابيه محمد ابن عيسى ثنا موسى بن عيسى ثنا عيسى بن آدم بن اخى ابي يزيد . قال . جاء رجل الى ابى يزيد قال اريد ان اجلس في مسجدك الذى انت فيه . قال لا تطيق ذلك . فقال . ان رأيت ان توسع لي في ذلك . فأذن له فجلس يوما لا يطعم فصبر فلما كان في اليوم الثانى . قال له يا أستاذ : لا بد مما لا بد منه . فقال : ياغلام لا بد من الله . قال ، ياأستاذ نريد القوت . قال ، ياغلام القوت عندنا اطاعة الله . فقال ، يا أستاذ أريد شيئاً يقيم جسدى في طاعته عز وجل . فقال ، ياغلام ان الاجسام لا تقوم الا بالله عز وجل *

أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقى قالا نا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ . قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا عثمان الآدمى يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول. حدثني اخ لي كان يصحب أباتراب نظر الى صوفى مد يده الى قشر البطيخ وكان قد طوى ثلاثة أيام . فقال له تمد يدك الى قشر البطيخ أنت لا يصلح لك التصوف . إلزم السوق * اخبرنا محمد بن أبي القاسم أنبأنا رزق الله ابن عبد الوهاب نا ابو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا القاسم القيرواني يقول سمعت بعض أصحابنا يقول . أقام أبو الحسن النصيبي بالحرم أياما مع أصحاب لهم سبعة لم يأكلوا فخرج بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ فأخذه فأكله . فرآه انسان فاتبعه بشيء وجاء برفق فوضعه بين يدى القوم . فقال الشيخ ، من جنى منكم هذه الجناية فقال الرجل أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته فقال كن مع جنايتك ومع هذا الرفق وخرج من الحرم ومعه اصحابه وتبعه الرجل . فقال . الم اقل لك كن مع جنايتك ، فقال الرجل ، انا تائب الى الله تعالى مما جرى منى ، فقال الشيخ : لا كلام بعد التوبة * اخبرنا عمر بن ظفر نا ابن السراج نا ابو القاسم الازجى نا ابو الحسن ابن جهضم ثنا ابراهيم بن محمد الشنوزى قال سمعت بنان بن محمد يقول كنت بمكة مجاوراً فرأيت بها ابراهيم الخواص وأتى على ايام لم يفتح على بشيء وكان بمكة مزين يحب الفقراء وكان من أخلاقه اذا جاءه الفقير يحتجم اشترى له لحما فطبخه فأطعمه فقصدته وقلت أريد

أن أحتجم فارسل من يشترى لحما وامر باصلاحه وجلست بين يديه فجعلت نفسى تقول : ترى يكون فراغ القدر مع فراغ الحجامة . ثم استيقظت وقلت . يا نفس انما جئت تحتجمين لتطعمى عاهدت الله تعالى ألا ذقت من طعامه شيئاً . فلما فرغ انصرفت فقال سبحان الله أنت تعرف الشرط . فقلت . ثم عقد : فسكت . وجئت الى المسجد الحرام ولم يقدر لى شيء آكله : فلما كان من الغد بقيت الى آخر النهار ولم يتفق أيضاً فلما قمت لصلاة العصر سقطت وغشى علىّ واجتمع حولى ناس وحسبوا أنى مجنون فقام ابراهيم وفرق الناس وجلس عندى يحدثنى . ثم قال تأكل شيئا . قلت قرب الليل . فقال : أحسنتم يامبتدئون اثبتوا على هذا تفلحوا ثم قام فلما صلينا العشاء الآخرة اذا هو قدجاءنى ومعه قصعة فيها عدس ورغيفان ودورق ماءفوضعه بين يدى وقال : كل ذلك فأكلت الرغيفين والعدس فقال فيك فضل تأكل شيئا آخر قلت نعم فمضى وجاء بقصعة عدس و رغيفين فأكلتهما وقلت قد اكتفيت فاضطجعت فماقمت ليلتى ونمت الى الصباح ما صليت ولا طفت *

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبى قال سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت منصور بن عبد الله الاصفهانى يقول سمعت أبا على الروزبارى يقول : اذا قال الصوفى بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق وأمروه بالكسب * أنبأنا عبد المنعم ثنا أبى قال سمعت ابن باكويه يقول سمعت أبا احمد الصغير يقول : أمرنى أبو عبد الله بن خفيف انأقدم اليه كل ليلة عشر حبات زبيب لافطاره فأشفقت عليه ليلة فحملت اليه خمسة عشر حبة فنظر الىّ وقال من أمرك بهذا وأكل عشر حبات وترك الباقى *

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا على بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبد الله بن خفيف يقول : كنت فى ابتدائى بقيت أربعين شهراً أفطر كل ّليلة بكف باقلاء فمضيت يوما فافتصدت فخرج من عرقي شبه ماء اللحم وغشى على . فتحير الفصاد وقال . ما رأيت جسداً لادم فيه الا هذا *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وقد كان فيهم قوم لا يأكلون اللحم حتى قال بعضهم

أكل درهم من اللحم يقسي القلب أربعين صباحا . وكان فيهم من يمتنع من الطيبات كلها و يحتج بما أخبرنا به على بن عبد الواحد الدينورى نا أبو الحسن القزويني نا أبو حفص بن الزيات ثنا ابن ماجه ثنا أزهر بن جميل ثنا بزيغ عن هشام عن أبيه عن عائشة . قالت قال رسول الله ﷺ : احرموا أنفسكم طيب الطعام فانما قوى الشيطان أن يجرى في العروق بها . وفيهم من كان يمتنع من شرب الماء الصافي . وفيهم من يمتنع من شرب الماء البارد فيشرب الحار . ومنهم من كان يجعل ماءه فى دن مدفون فى الارض فيصير حاراً . ومنهم من يعاقب نفسه بترك الماء مدة * وأخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أبو الفضل محمد بن على السهلكى قال : سمعت عبد الواحد بن بكر الوريانى ثنى محمد ابن سعدان ثني عيسى بن موسى البسطامى قال سمعت أبى يقول قال سمعت عمى خادم أبى يزيد يقول سمعت أبا يزيد يقول : ما أكلت شيئا مما يأكله بنو آدم اربعين سنة . قال : وأسهل ما لاقت نفسى منى أنى سألتها أمراً من الامور فأبت فعزمت أن لا أشرب الماء سنة فما شربت الماء سنة . وحكى أبو حامد الغزالى عن أبى يزيد أنه قال : دعوت نفسى الى الله عز وجل فجمحت فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لى بذلك *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف وقد رتب أبو طالب المكى للقوم ترتيبات فى المطاعم فقال : استحب للمريد ألا يزيد على رغيفين في يوم وليلة قال : ومن الناس من كان يعمل فى الاقوات فيقلها : وكان بعضهم يزن قوته بكربة من كرب النخل وهى تجف كل يوم قليلا فينقص من قوته بمقدار ذلك ، قال ، ومنهم من كان يعمل في الاوقات فيأكل كل يوم ثم يتدرج الى يومين وثلاثة ، قال ، والجوع ينقص دم الفؤاد فيبيضه وفى بياضه نوره ، ويذيب شحم الفؤاد وفى ذوبانه رقته ، وفى رقته مفتاح المكاشفة *

قال المصنف رحمه الله تعالى ، وقد صنف لهم أبو عبد الله محمد بن على الترمذى كتابا سماه رياضة النفوس قال فيه ، فينبغي للمبتدى فى هذا الامر أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله ثم يفطر فيطعم اليسير ويأكل كسرة كسرة ، ويقطع الادام

والفواكه واللذة ، ومجالسة الاخوان ، والنظر فى الكتب ، وهذه كلها أفراح للنفس فيمنع النفس لذتها حتى تمتلىء غما*

قال المصنف ، وقد أخرج لهم بعض المتأخرين الاربعينية . يبقى أحدهم أربعين يوماً لا يأكل الخبز ولكنه يشرب الزيوتات ويأكل الفواكه الكثيرة اللذيذة ، فهذه نبذة من ذكر أفعالهم فى مطاعمهم يدل مذكورها على مغفلها *

﴿ فصل ﴾ فى بيان تلبيس ابليس عليهم فى هذه الافعال وإيضاح الخطأ فيها *

قال المصنف رحمه الله ، أما ما نقل عن سهل ففعل لا يجوز لانه حمل على النفس ما لا تطيق ثم ان الله عز وجل أكرم الآدميين بالحنطة وجعل قشورها للبهائم فلا تصلح مزاحمة البهائم فى أكل التبن وأي غذاء في التبن ومثل هذه الاشياء أشهر من أن تحتاج الى رد وقد حكى ابو حامد عن سهل أنه كان يرى أن صلاة الجائع الذى قد أضعفه الجوع قاعدا أفضل من صلاته قائما اذا قواه الأكل *

قال المصنف رحمه الله ، وهذا خطأ بل اذا تقوى على القيام كان أكله عبادة لأنه يعين على العبادة واذا تجوع الى أن يصلى قاعداً فقد تسبب الى ترك الفرائض فلم يجز له ولو كان التناول ميتة ما جاز هذا فكيف وهو حلال ثم أى قربة في هذا الجوع المعطل أدوات العبادة ، وأما قول الحداد وأنا انظر أن يغلب العلم أم اليقين فانه جهل محض لانه ليس بين العلم واليقين تضاد إنما اليقين أعلى مراتب العلم ، وأين من العلم واليقين ترك ما تحتاج اليه النفس من المطعم والمشرب وانما أشار بالعلم الى ما أمره الشرع ، وأشار باليقين الى قوة الصبر وهذا تخليط قبيح ، وهؤلاء قوم شددوا فيما ابتدعوا وكانوا كقريش في تشددهم حتى سموا بالحمس فجحدوا الاصل وشددوا فى الفرع ، وقول الآخر ، ملحك مدقوق لست تفلح من أقبح الاشياء وكيف يقال عمن استعمل ما أبيح له لست تفلح وأما سويق الشعير فانه يورث القوالنج ، وقول الآخر الزبد بالعسل اسراف قول مرذول لأن الاسراف ممنوع منه شرعاً وهذا مأذون فيه وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه كان يأكل القثاء بالرطب ، وكان يحب الحلوى والعسل ، وأما ما روينا عن سهل أنه قال قسمت قوتي وعقلي سبعة أجزاء ففعل يذم به ولا يمدح

عليه اذ لم يأمر الشرع بمثله وهو الى التحريم أقرب لانه ظلم للنفس وترك لحقها وكذلك قول الذى قال : ما أكلت الا وقت أن يباح لى أكل الميتة : فانه فعل برأيه المرذول. وحمل على النفس مع وجود الحلال . وقول أبي يزيد : القوت عندنا الله . كلام ركيك فان البدن قد بنى على الحاجة الى الطعام حتى إن أهل النار فى النار يحتاجون الى الطعام . وأما التقبيح على من أخذ قشر البطيخ بعد الجوع الطويل فلا وجه له والذى طوى ثلاثا لم يسلم من لوم الشرع ، وكذلك الذى عاهد أن لا يأكل حين احتجم حتى وقع في الضعف فانه فعل ما لا يحل له ، وقول ابراهيم له أحسنتم يا مبتدئون خطأ أيضاً فانه كان ينبغى أن يلزمه بالفطر ولو كان فى رمضان إذ من له أيام لم يأكل وقد احتجم وغشي عليه لا يجوز له أن يصوم *

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت ثنى الازهرى ثنا على بن عمر ثنا أبو حامد الحضرمى ثنا عبد الرحمن بن يونس السواح ثنا بقية بن الوليد عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ، قال قال رسول الله ﷺ من أصابه جهد فى رمضان فلم يفطر فمات دخل النار *

قال المصنف رحمه الله قلت ، كل رجاله ثقات وقد أخبرنا به عاليا محمد بن عبد الباقى نا أبو يعلى محمد بن الحسين نا على بن عمر السكرى ثنا احمد بن محمد الاسدى ثنا عبد الرحمن بن يونس فذكره وقال ، من أصابه جهد فى رمضان فلم يفطر دخل النار *

قال المصنف رحمه الله ، وأما تقليل ابن خفيف ففعل قبيح لا يستحسن وما يورد هذه الاخبار عنهم ايراداً مستحسناً لها الا جاهل باصول الشرع ، فاما العالم المتمكن فانه لا يهوله قول معظم فكيف بفعل جاهل مبرسم ، وأما كونهم لا يأكلون اللحم فهذا مذهب البراهمة الذين لا يرون ذبح الحيوان والله عز وجل اعلم بمصالح الابدان فاباح اللحم لتقويتها فاكل اللحم يقوى القوة وتركه يضعفها ويسيء الخلق ، وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحب الذراع من الشاة ، ودخل يوماً فقدم اليه طعام من طعام البيت فقال ، لم أر لكم برمة تفور ، وكان الحسن البصرى يشترى كل يوم لحماً ، وعلى هذا كان السلف الا أن يكون فيهم فقير فيبعد عهده باللحم

لاجل الفقر ، وأما من منع نفسه الشهوات فان هذا على الاطلاق لا يصلح لان الله عز وجل لما خلق بني آدم على الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وجعل صحته موقوفة على تعادل الاخلاط الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء فتارة تزيد بعض الاخلاط فتميل الطبيعة الى ما ينقصه مثل ان تزيد الصفراء فيميل الطبع الى الحموضة أو ينقص البلغم فتميل النفس الى المرطبات ، فقد ركب فى الطبع الميل الى ما تميل اليه النفس وتوافقه فاذا مالت النفس الى ما يصلحها فمنعت فقد قوبلت حكمة البارى سبحانه وتعالى بردها ثم يؤثر ذلك فى البدن فكان هذا الفعل مخالفاً للشرع والعقل ، ومعلوم أن البدن مطية الآدمي ومتى لم يرفق بالمطية لم تبلغ ، وانما قلت علوم هؤلاء فتكلموا بآرائهم الفاسدة فان أسندوا فالى حديث ضعيف أو موضوع أو يكون فهمهم منه رديئاً ، ولقد عجبت لأبي حامد الغزالى الفقيه كيف نزل مع القوم من رتبة الفقه الى مذاهبهم حتى إنه قال لا ينبغي للمريد اذا تاقت نفسه الي الجماع أن يأكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه *

قال المصنف رحمه الله . وهذا قبيح فى الغاية فان الادام شهوة فوق الطعام فينبغى أن لا يأكل إداما والماء شهوة أخرى . أو ليس فى الصحيح أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه بغسل واحد فهلا اقتصر على شهوة واحدة . أو ليس فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ كان يأكل القثاء بالرطب وهاتان شهوتان . أو ما اكل عند أبى الهيثم ابن التيهان خبزا وشواء و بسرا وشرب ماء بارداً . أو ما كان الثورى يأكل اللحم والعنب والفالوذج ثم يقوم فيصلي أو ما تعلف الفرس الشعير والتبن والقت . وتطعم الناقة الخبط والحمض . وهل البدن الا ناقة وانما نهى بعض القدماء عن الجمع بين إدامين على الدوام لئلا يتخذ ذلك عاد فيحوج الى كلفة وانما تجتنب فضول الشهوات لئلا يكون سبباً لكثرة الاكل وجلب النوم . ولئلا تتعود فيقل الصبر عنها فيحتاج الانسان الى تضييع العمر فى كسبها وربما تناولها من غير وجهها . وهذا طريق السلف فى ترك فضول الشهوات . والحديث الذى احتجوا به أخرموا أنفسكم طيب الطعام حديث موضوع عملته يدا بزيغ الراوى . وأما اذا اقتصر الانسان على خبز الشعير والملح الجريش فانه ينحرف مزاجه لأن خبز الشعير يابس مجفف والملح

يابس قابض يضر الدماغ والبصر ، وتقليل المطعم يوجب تنشيف المعدة وضيقها وقد حكى يوسف الهمداني عن شيخه عبد الله الجوفي أنه كان يأكل خبز البلوط بغير إدام وكان أصحابه يسألونه أن يأكل شيئاً من الدهن والدسومات فلا يفعل *

قال المصنف رحمه الله . وهذا يورث القولنج الشديد . واعلم أن المذموم من الاكل انما هو فرط الشبع وأحسن الآداب في المطعم أدب الشارع ﷺ * أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن حمكان ثنا عبد الله بن احمد ثني أبي ثنا أبو المغيرة ثنا سليمان بن سليم الكناني ثنا يحيى بن جابر الطائي . قال . سمعت المقدام ابن معدى كرب يقول . سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه . حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه . فان كان لا بد فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه *

قال المصنف رحمه الله قلت . فقد أمر الشرع بما يقيم النفس حفظا لها وسعياً في مصلحتها . ولو سمع أبقراط هذه القسمة في قوله . ثلث وثلث وثلث . لدهش من هذه الحكمة لان الطعام والشراب يربوان في المعدة فيتقارب ملئها فيبقى للنفس من الثلث قريب فهذا أعدل الأمور فان نقص منه قليلا لم يضر وان زاد النقصان أضعف القوة وضيق المجارى على الطعام *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله . واعلم أن الصوفية انما يأمرون بالتقلل شبانهم ومبتدئيهم ومن أضر الاشياء على الشاب الجوع فان المشايخ يصبرون عليه والكهول ايضاً فأما الشبان فلا صبر لهم على الجوع . وسبب ذلك أن حرارة الشباب شديدة فلذلك يجود هضمه ويكثر تحلل بدنه فيحتاج الى كثرة الطعام كما يحتاج السراج الجديد الى كثرة الزيت . فاذا صابر الشاب الجوع وتثبته في أول النشوء قمع نشوء نفسه فكان كمن يعرقب أصول الحيطان ثم تمتد يد المعدة لعدم الغذاء الى أخذ الفضول المجتمعة في البدن فتغذيه بالاخلاط فيفسد الذهن والجسم وهذا أصل عظيم يحتاج الى تأمل *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله . وذكر العلماء التقلل الذي يضعف البدن * أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن

على الازجى نا ابراهيم بن جعفر الساجى نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر احمد بن محمد بن هارون الخلال نا عبد الله بن ابراهيم بن يعقوب الجيلى قال سمعت أبا عبد الله احمد بن حنبل . قال . له عقبة بن مكرم . هؤلاء الذين يأكلون قليلا ويقللون من مطعمهم . فقال ما يعجبنى سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول . فعل قوم هذا فقطعهم عن الفرض . قال الخلال . وأخبرنى أبو بكر احمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة ثنا اسحق بن داود بن صبيح . قال قلت لعبد الرحمن بن مهدى . يا أبا سعيد إن ببلدنا قوماً من هؤلاء الصوفية . فقال . لا تقرب هؤلاء فانا قد رأينا من هؤلاء قوماً أخرجهم الامر الى الجنون . و بعضهم أخرجهم الى الزندقة . ثم قال . خرج سفيان الثورى فى سفر فشيعته وكان معه سفرة فيها فالوذج وكان فيها حمل . قال الخلال . وأخبرنى المروزى قال سمعت أبا عبد الله احمد بن حنبل . وقال له رجل : انى منذ خمس عشرة سنة قد ولع بى إبليس . و ربما وجدت وسوسة أتفكر فى الله عز وجل . فقال. لعلك كنت تدمن الصوم . افطر وكل دسما وجالس القصاص *

قال المصنف رحمه الله . وفى هؤلاء القوم من يتناول المطاعم الرديئة ويهجر الدسم فيجتمع فى معدته أخلاط نجة فتغتذي المعدة منها مدة لان المعدة لا بد لها من شىء تهضمه . فاذا هضمت ما عندها من الطعام ولم تجد شيئا تناولت الاخلاط فهضمتها وجعلتها غذاء . وذلك الغذاء الردىء يخرج الى الوساوس والجنون وسوء الاخلاق . وهؤلاء المتقللون يتناولون مع التقلل أردأ المأكولات فتكثر أخلاطهم فتشتغل المعدة بهضم الاخلاط . و يتفق لهم تعود التقلل بالتدريج فتضيق المعدة فيمكنهم الصبر عن الطعام أياما . و يعينهم على هذا قوة الشباب فيعتقدون الصبر عن الطعام كرامة . وانما السبب ما عرفتك * وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم قال حدثنى أبى . قال كانت امرأة قد طعنت فى السن فسئلت عن حالها . فقالت : كنت في حال الشباب أجد من نفسى أحوالا أظنها قوة الحال . فلما كبرت زالت عني . فعلمت أن ذلك كان قوة الشباب فتوهمتها أحوالا . قال سمعت أبا على الدقاق يقول . ما سمع أحد هذه الحكاية من الشيوخ إلا رق لهذه العجوز وقال أنها كانت منصفة *

وقال المصنف . فان قيل كيف تمنعون من التقلل وقد رويتم أن عمر رضى الله

عنه كان يأكل كل يوم إحدى عشرة لقمة . وإن ابن الزبير كان يبقى أسبوعا لا يأكل وإن إبراهيم التيمى بقى شهرين . قلنا : قد يجرى للانسان من هذا الفن فى بعض الاوقات غير أنه لا يدوم عليه . ولا يقصد الترقى اليه . وقد كان فى السلف من يجوع عوزاً وفيهم من كان الصبر له عادة لا يضر بدنه . وفى العرب من يبقى أياماً لا يزيد على شرب اللبن . ونحن لا نأمر بالشبع انما ننهي عن جوع يضعف القوة ويؤذى البدن . واذا ضعف البدن قلت العبادة . فان حملت البدن قوة الشباب جاء الشيب فاقدع بالراكب * وقد أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا عبد القادر بن يوسف نا أبو إسحق البرمكى ثنا أبو يعقوب بن سعد النسائى ثنا جدى الحسن بن سفيان ثنا حرملة ابن يحيي ثنا عبد الله بن وهب ثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن أنس عن إسحق ابن عبيد الله بن أبى طلحة عن أنس رضى الله عنه . قال : كان يطرح لعمر بن الخطاب رضى الله عنه الصاع من التمر فيأكله حتى حشفه * وقد روينا عن إبراهيم ابن أدهم : أنه اشترى زبداً وعسلا وخبزاً حوارى . فقيل له : هذا كله تأكله فقال : اذا وجدنا أكلنا أكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : وأما الشرب من الماء الصافي : فقد تخيره رسول الله ﷺ * أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا فليح ابن سليمان عن سعيد بن الحارث عن جابر بن عبد الله ان رسول الله ﷺ : أتى قوماً من الانصار يعود مريضاً فاستسقى وجدول قريب منه ، فقال ان كان عندكم ماء بات فى شن والا كرعنا ، أخرجه البخارى * وأخبرنا منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا أبو عمر بن مهدى ثنا الحسين بن إسماعيل المحاملي ثنا محمد بن عمرو بن أبي مذعور ثنا عبد العزيز بن محمد نا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ كان يستقى له الماء العذب من بئر السقيا *

قال المصنف : وينبغى أن يعلم أن الماء الكدر يولد الحصا فى الكلى والسدد فى الكبد ، وأما الماء البارد فانه اذا كانت برودته معتدلة فانه يشد المعدة ، ويقوى الشهوة ، ويحسن اللون ، ويمنع عفن الدم وصعود البخارات الى الدماغ ويحفظ الصحة واذا كان الماء حاراً أفسد الهضم وأحدث الترهل وأذبل البدن ، وأدى الى الاستسقاء

والدق فان سخن بالشمس خيف منه البرص . وقد كان بعض الزهاد يقول اذا أكلت الطيب وشربت الماء البارد متى تحب الموت وكذلك قال أبو حامد الغزالي . اذا أكل الانسان ما يستلذه قسا قلبه وكره الموت واذا منع نفسه شهواتها وحرمها لذاتها اشتهت نفسه الافلات من الدنيا بالموت *

قال المصنف رحمه الله واعجباً كيف يصدر هذا الكلام من فقيه أترى لو تقلبت النفس فى أى فن كان من التعذيب ما أحبت الموت ثم كيف يجوز لنا تعذيبها وقد قال عز وجل « ولا تقتلوا أنفسكم » ورضى منا بالافطار في السفر رفقاً بها وقال « يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » أو ليست مطيتنا التي عليها وصولنا

وكيف لا نأوى لها وهي التى بها قطعنا السهل والحزونا

وأما معاقبة أبي يزيد نفسه بترك الماء سنة فانها حالة مذمومة لا يراها مستحسنة الا الجهال ووجه ذمها أن للنفس حقا ومنع الحق مستحقه ظلم ، ولا يحل للانسان أن يؤذى نفسه ، ولا أن يقعد فى الشمس فى الصيف بقدر ما يتأذى ، ولا فى الثلج في الشتاء . والماء يحفظ الرطوبات الاصلية فى البدن وينفذ الاغذية وقوام النفس بالاغذية فاذا منعها أغذية الآدميين ومنعها الماء فقد أعان عليها وهذا من أفحش الخطأ . وكذلك منعه إياها النوم ، قال ابن عقيل ، وليس للناس إقامة العقوبات ولا استيفاؤها من أنفسهم ، يدل عليه أن إقامة الانسان الحد على نفسه لا يجزى فان فعله أعاده الامام . وهذه النفوس ودائع الله عز وجل حتى ان التصرف فى الأموال لم يطلق لأربابها الا على وجوه مخصوصة *

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد روينا فى حديث الهجرة أن النبي ﷺ تزود طعاما وشرابا . وأن أبا بكر فرش له فى ظل صخرة وحلب له لبنا فى قدح ثم صب ماء على القدح حتى برد أسفله . وكل ذلك من الرفق بالنفس . وأما مارتبه أبو طالب المكى فحمل على النفس بما يضعفها . وانما يمدح الجوع اذا كان بمقدار . وذكر المكاشفة من الحديث الفارغ وأما ماصنفه الترمذى فكأن ابتداء شرع برأيه الفاسد . وماوجه صيام شهرين متتابعين عند التوبة ومافائدة قطع الفواكه المباحة واذالم ينظر فى الكتب فبأى سيرة يقتدي . وأما الاربعينية فحديث فارغ رتبوه على حديث لا أصل له من

أخلص لله أربعين صباحا لم يجب الاخلاص (١) أبدا فماوجه تقديره بأربعين صباحا ثم لو قدرنا ذلك فالاخلاص عمل القلب فما بال المطعم ثم ما الذى حسن منع الفاكهة ومنع الخبز وهل هذا كله إلا جهل * وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري. قال حدثنا أبي قال حجج الصوفية أظهر من حجج كل أحد وقواعد مذهبهم أقوى. من قواعد كل مذهب . لأن الناس اما أصحاب نقل واثر واما أرباب عقل وفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة والذى للناس غيب فلهم ظهور فهم أهل. الوصال والناس أهل الاستدلال فينبغي لمريدهم أن يقطع العلائق وأولها الخروج من المال ثم الخروج من الجاه وأن لاينام الاغلبة وأن يقلل غذاءه بالتدريج *

قال المصنف رحمه الله قلت : من له ادنى فهم يعرف ان هـذا الكلام تخليط فان من خرج عن النقل والعقل فليس بمعدود في الناس وليس أحد من الخلق إلاوهو مستدل وذكر الوصال حديث فارغ . فنسأل الله عز وجل العصمة من تخليط المريدين والاشياخ والله الموفق *

* فصل فى ذكر أحاديث تبين خطأهم فى أفعالهم *

أخبرنا يحيى بن على المدبر نا أبو بكر محمد بن على الخياط ثنا الحسن بن الحسين ابن حمكان ثنا عبدان بن يزيد العطار وأخبرنا محمد بن أبي منصور أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه ثنا محمد بن أحمد الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن عيسى البروجردي ثنا عمير بن مرداس قالا حدثنا محمد بن بكير الحضرمى ثنا القاسم بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم العمري عن عبيد الله بن عمر عن على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب . قال : جاء عثمان بن مظعون الى النبى ﷺ فقال : يارسول الله غلبني حديث النفس فلم أحب أن أحدث شيئا حتى أذكر لك ذلك فقال رسول الله ﷺ وماتحدثك نفسك ياعثمان . قال . تحدثنى نفسى بأن اختصى . فقال : مهلا ياعثمان

---

(١) من جب الشىء إذا قطع

فان خصى أمتي الصيام قال يا رسول الله فان نفسي تحدثني أن أترهب في الجبال قال مهلا ياعثمان ، فان ترهب أمتي الجلوس في المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة قال . يارسول الله فان نفسي تحدثني بأن أسيح في الارض . قال مهلا ياعثمان ، فان سياحة أمتي الغزو في سبيل الله والحج والعمرة . قال يارسول الله فان نفسي تحدثني بأن أخرج من مالي كله قال . مهلا ياعثمان فان صدقتك يوما بيوم وتكف نفسك وعيالك وترحم المسكين واليتيم وتطعمه أفضل من ذلك . قال : يارسول فان نفسي تحدثني بأن أطلق خولة امرأتي . قال . مهلا ياعثمان فان هجرة أمتي من هجر ماحرم الله عليه ، أوهاجر الى في حياتي . أوزار قبري بعد موتي ، أومات وله امرأة أوامرأتان أوثلاث أوأربع . قال . يارسول الله فان نفسي تحدثني أن لااغشاها ، قال . مهلا ياعثمان فان الرجل المسلم اذا غشى أهله فان لم يكن من وقعته تلك ولدكان له وصيف في الجنة فان كان من وقعته تلك ولد فان مات قبله كان له فرطا وشفيعاً يوم القيامة وان كان بعده كان له نوراً يوم القيامة . قال . يارسول الله فان نفسي تحدثني أن لا آكل اللحم . قال . مهلا ياعثمان فاني أحب اللحم وآكله اذا وجدته ولو سألت ربي أن يطعمني اياه كل يوم لاطعمني . قال : يارسول الله فان نفسي تحدثني أن لاأمس طيباً . قال . مهلا ياعثمان فان جبريل أمرني بالطيب غبا ويوم الجمعة لامترك له ياعثمان لاترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي ثم مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضي قال المصنف رحمه الله . هذا حديث عمير بن مرداس *

أخبرنا محمد بن أبي طاهر نا الجوهري نا أبوعمر بن حياة نا أحمد بن معروف نا الحسن بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا الفضل بن دكين ثنا اسرائيل ثنا أبو اسحاق عن أبي بردة . قال : دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ فرأينها سيئة الهيئة . فقلن لها : مالك فما في قريش رجل أغنى من بعلك . قالت : مالنا منه شيء ، أماليله فقائم . وأمانهاره فصائم . فدخلن الى النبي ﷺ فذكرن ذلك له فلقيه . فقال . ياعثمان أمالك بي اسوة . فقال بأبي وأمي أنت وماذاك . قال تصوم النهار وتقوم الليل. قال : اني لأفعل . قال : لاتفعل ان لعينك عليك حقا ، وان لجسدك عليك حقا . وان لاهلك عليك حقا ، فصل ونم وصم وأفطر * قال ابن سعد واخبرنا عارم بن الفضل

ثنا حماد بن زيد ثنا معاوية بن عباس الحرمى عن ابى قلابة ان عثمان بن مظعون . اتخذ بيتا فقعد يتعبدفيه . فبلغ ذلك النبى ﷺ فأتاه فأخذ بعضادتى باب البيت الذي هوفيه وقال . ياعثمان ان الله عز وجل لم يبعثنى بالرهبانية مرتين اوثلاثا. وان خير الدين عند الله الحنيفية السمحة *

اخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن على بن ميمون نا عبد الوهاب بن محمد الغندجانى ناأبو بكر بن عبدان نامحمد بن سهل ثنا البخاري قال قال موسى بن اسماعيل ابن حماد بن زيد بن مسلم ثنا ابو معاوية بن قرة عن كهمس الهلالى قال - اسلمت وأتيت النبي ﷺ فاخبرته باسلامى . فمكثت حولا ثم أتيته وقد ضمرت ونحل جسمى نخفض في البصر ثم صعده ، قلت . أماتعرفني ، قال . ومن أنت ، قلت . انا كهمس الهلالى ، قال . فما بلغ بك ما ارى ، قلت . ما افطرت بعدك نهاراً ، ولا نمت ليلا . قال . ومن امرك ان تعذب نفسك صم شهر الصبر ومن كل شهر يوما . قلت . زدني قال . صم شهر الصبر ومن كل شهر يومين . قلت : زدني . قال صم شهر الصبر ومن كل شهر ثلاثة ايام * انبأنا محمد بن عبد الملك بن خيرون انبأنا ابو بكر احمد بن على بن ثابت ثنا ابو حازم عمر بن احمد العبدري نا ابو احمد محمد بن الغطريف ثنا ابو بكر الذهبي ثنا حميد بن الربيع ثنا عبدة بن حميد عن الاعمش عن جرير ابن حازم عن ايوب عن ابى قلابة بلغ به ﷺ . ان ناسا من اصحابه احتموا النساء واللحم اجتمعوا فذكرنا ترك النساء واللحم فأوعد فيه وعيداً شديداً . وقال . لو كنت تقدمت فيه لفعلت . ثم قال انى لم ارسل بالرهبانية ، ان خير الدين الحنيفية السمحة *

قال المصنف رحمه الله : وقد روينا فى حديث آخر عن النبى ﷺ أنه قال : ان الله عز وجل يحب أن يرى آثار نعمته على عبده فى مأكله ومشربه . وقال بكر بن عبد الله : من أعطى خيراً فرؤى عليه سمي حبيب الله محدثاً بنعمة الله عز وجل . ومن أعطى خيراً فلم ير عليه سمى بغيض الله عز وجل معاديا لنعمة الله عز وجل *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : وهذا الذى نهينا عنه من التقلل الزائد في الحد . قد انعكس في صوفية زماننا فصارت همتهم فى المأكل كما كانت همة

متقدميهم في الجوع . لهم الغداء والعشاء والحلوى . وكل ذلك أو أكثره حاصل من أموال وسخة . وقد تركوا كسب الدنيا ، وأعرضوا عن التعبد وافترشوا فراش البطالة فلا همة لأكثرهم إلا الاكل واللعب . فان أحسن محسن منهم قالوا . — طرح شكراً . وان أساء مسيء . قالوا . استغفر — ويسمون ما يلزمونه إياه واجباً . وتسمية مالم يسمه الشرع واجبا جناية عليه * أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا احمد بن على بن ثابت نا محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد الحافظ النيسابورى ثنا أبوزكريا يحيي بن محمد العنبرى ثنا احمد بن سلمة ثنا محمد بن عبدوس السراج البغدادى . قال قام أبو مرحوم القاضى بالبصرة يقص على الناس فأبكى فلما فرغ من قصصه قال من يطعمنا إرزة فى الله فقام شاب من المجلس فقال أنا فقال إجلس يرحمك الله فقد عرفنا موضعك ثم قام الثانية ذلك الشاب فقال إجلس فقد عرفنا موضعك فقام الثالثة فقال أبو مرحوم لاصحابه قوموا بنا اليه فقاموا معه فأتوا منزله قال فأتينا بقدر من باقلاء فأكلناه بلا ملح ثم قال أبو مرحوم على بخوان خامسى وخمس مكاكيك أرز ، وخمسة أمنان سمن ، وعشرة أمنان سكر ، وخمسة أمنان صنوبر ، وخمسة أمنان فستق ، فجيء بها كلها ، فقال أبو مرحوم لاصحابه : يا اخواني كيف اصبحت الدنيا قالوا مشرق لونها ، مبيضة شمسها ، قال ، اخرقوا فيها أنهارها ، قال فأتي بذلك السمن فأجري فيها ثم أقبل ابو مرحوم على اصحابه فقال يااخوانى كيف اصبحت الدنيا ، قالوا مشرق لونها ، مبيضة شمسها ، مجراة فيها انهارها فقال ياإخوانى اغرسوا فيها اشجارها قال فأتى بذلك الفستق والصنوبر ، فألقي فيها ثم اقبل ابو مرحوم على اصحابه فقال ، يا إخوانى كيف اصبحت الدنيا ، قالوا ، مشرق لونها ، مبيض شمسها ، مجري فيها انهارها ، وقد غرست فيها اشجارها ، وقد تدلت لنا ثمارها ، قال ، يااخوانى ارموا الدنيا بحجارتها قال فأتى بذلك السكر فألقى فيها ، ثم أقبل ابو مرحوم على اصحابه ، فقال يااخواني كيف اصبحت الدنيا قالوا ، مشرق لونها مبيضة شمسها وقد اجريت فيها انهارها ، وقد غرست فيها اشجارها ، وقد تدلت لنا ثمارها ، فقال يااخوانى ، مالنا وللدنيا اضربوا فيها براحتها ، قال ، فجعل الرجل يضرب فيها براحته ويدفعه بالخمس. قال ابو الفضل احمد بن سلمة ، ذكرته لابى حاتم الرازي فقال إمله علي فأمليته عليه فقال

هذا شأن الصوفية *

قال المصنف رحمه الله قلت ـ وقد رأيت منهم من اذا حضر دعوة بالغ فى الاكل ثم اختار من الطعام فربما ملأ كميه من غير اذن صاحب الدار وذلك حرام بالاجماع ولقد رأيت شيخا منهم قد أخذ شيئا من الطعام ليحمله معه فوثب صاحب الدار فأخذه منه *

(ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى السماع والرقص والوجد)

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن سماع الغناء يجمع شيئين . أحدهما أنه يلهي القلب عن التفكر فى عظمة الله سبحانه والقيام بخدمته . والثاني أنه يميله الى اللذات العاجلة التى تدعو الى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح وليس تمام لذته إلا فى المتجددات ولا سبيل الى كثرة المتجددات من الحل فلذلك يحث على الزنا فبين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح والزنا أكبر لذات النفس ولهذا جاء فى الحديث ، الغناء رقية الزنا . وقد ذكر ابو جعفر الطبرى أن الذى اتخذ الملاهي رجل من ولد قابيل يقال له ثوبال ، اتخذ فى زمان مهلائيل بن قينان آلات اللهو من المزامير والطبول والعيدان فانهمك ولد قابيل في اللهو وتناهي خبرهم الى من بالجبل من نسل شيث فنزل منهم قوم وفشت الفاحشة وشرب الخمور *

قال المصنف رحمه الله : وهذا لأن الالتذاذ بشيء يدعو الى التذاذه بغيره خصوصا ما يناسبه ولما يئس ابليس أن يسمع من المتعبدين شيئا من الاصوات المحرمة كالعود نظر الى المعنى الحاصل بالعود فدرجه فى ضمن الغناء بغير العود وحسنه لهم وانما مراده التدريج من شيء الى شيء والفقيه من نظر فى الاسباب والنتائج وتأمل المقاصد فان النظر الى الامرد مباح ان أمن ثوران الشهوة فان لم يؤمن لم يجز . وتقبيل الصبية التى لها من العمر ثلاث سنين جائز اذ لا شهوة تقع هناك فى الاغلب فان وجد شهوة حرم ذلك . وكذلك الخلوة بذوات المحارم فان خيف من ذلك حرم فتأمل هذه القاعدة *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : وقد تـكلم الناس فى الغناء فأطالوا فمنهم من حرمه ومنهم من أباحه من غير كراهة ومنهم من كرهه مع الاباحة . وفصل الخطاب أن نقول ينبغى أن ينظر فى ماهية الشىء ثم يطلق عليه التحريم أو الـكراهة أو غير ذلك والغناء اسم يطلق على أشـياء منها غناء الحجيج في الطرقات فان أقواماً من الاعاجم يقدمون للحج فينشدون فى الطرقات أشـعاراً يصفون فيها الـكعبة وزمزم والمقام وربما ضربوا مع إنشادهم بطبل فسماع تلك الاشعار مباح وليس إنشادهم إياها مما يطرب ويخرج عن الاعتدال . وفى معنى هؤلاء الغزاة : فانهم ينشدون أشـعاراً يحرضون بها على الغزو . وفى معنى هذا إنشاد المبارزين للقتال للاشعار تفاخراً عند النزال وفى معنى هذا اشعار الحداة فى طريق مكة كقول قائلهم :

بشرها دليلهـــا وقالا غداً ترين الطلح والجبالا

وهذا يحرك الابل والآدمى . الا أن ذلك التحريك لا يوجب الطرب المخرج عن حد الاعتدال . وأصل الحداء ما أنبأنا به يحيى بن الحسن بن البنا نا أبو جعفر بن المسلمة نا المخلص نا احمد بن سليمان الطوسى ثنا الزبير بن بكار ثني إبراهيم بن المنذر ثنا أبو البحترى وهب عن طلحة المكى عن بعض علمائهم : أن رسول الله ﷺ مال ذات ليلة بطريق مكة الى حاد مع قوم فسلم عليهـم فقال ان حادينا نام (١) فسمعنا حاديكم فملت اليكم . فهل تدرون أنى كان الحداء قالوا لا والله قال إن أباهم مضر خرج الى بعض رعاته فوجد إبله قد تفرقت فأخـذ عصا فضرب بها كف غلامه . فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح يايداه يايداه (٢) فسمعت الابل ذلك فعطفت عليه فقال مضر لواشتق مثل هذا لانتفعت به الابل واجتمعت فاشتق الحداء *

قال المصنف رحمه الله . وقد كان لرسول الله صلى الله عليـه وسـلم حاد يقال له أنجشة يحدو فتعنق (٣) الابل . فقال رسول الله ﷺ : ياأنجشة رويدك سوقا بالقوارير

---

(١) في النسخة الثانية : ان حادينا ونا ـ أى تعب .
(٢) فى النسخة الثانية وايداه مرة فقط
(٣) العنق بفتحتين نوع من السير سريع فسيح

وفى حديث سلمة بن الاكوع قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الاكوع . ألا تسمعنا من هنياتك ، وكان عامر رجلا شاعراً فنزل يحدو بالقوم يقول

لا هم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فالقين سكينة علينا وثبت الاقدام إذ لاقينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . من هذا السائق . قالوا . عامر بن الأكوع فقال يرحمه الله

قال المصنف رحمه الله . وقد روينا عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال أما استماع الحداء ونشيد الاعراب فلا بأس به *

قال المصنف رحمه الله قلت . ومن إنشاد العرب قول أهل المدينة عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داعى

ومن هذا الجنس كانوا ينشدون أشعارهم بالمدينة . وربما ضربوا عليه بالدف عند إنشاده . ومنه ما أخبرنا به ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنا أبى ثنا أبو المغيرة ثنا الاوزاعى ثنى الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها . أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى تضربان بدفين ورسول الله ﷺ مسجى عليه بثوبه — فانتهرهما أبو بكر — فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه . وقال . دعهن يا أبا بكر فانها أيام عيد . أخرجاه فى الصحيحين *

قال المصنف رحمه الله . والظاهر من هاتين الجاريتين صغر السن لان عائشة كانت صغيرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرب (١) اليها الجوارى فيلعبن معها . وقد أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو اسحاق البرمكى

(١) فى الثانية : وهو تفسير يسرب

أنبأنا عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر الخلال أخبرني منصور بن الوليد بن جعفر ابن محمد حدثهم :قال . قلت لابي عبد الله احمد بن حنبل حديث الزهرى عن عروة عن عائشة عن جوار يغنين — أى شىء هذا الغناء . قال : غناء الركب : أتيناكم أتيناكم . قال الخلال وحدثنا احمد بن الفرج الحمصى ثنا يحيي بن سعيد ثنا أبوعقيل عن نهية عن عائشة رضى الله عنها . قالت : كانت عندنا جارية يتيمة من الانصار فزوجناها رجلا من الانصار فكنت فيمن أهداها الى زوجها . فقال رسول الله ﷺ : يا عائشة ان الانصار اناس فيهم غزل : فما قلت : قالت دعونا بالبركة . قال : أفلا قلتم :

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم
ولولا الذهب الاحمـ ـر ما حلت بواديكم
ولولا الحبة السمرا ء لم تسمن عذاريكم

أخبرنا أبو الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبي ثنا أسود بن عامر نا أبو بكر عن أجلح عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه : قال قال رسول الله ﷺ لعائشة رضى الله عنها : أهديتم الجارية الى بيتها. قالت نعم . قال . فهلا بعثتم معها من يغنيهم يقول

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم

فان الانصار قوم فيهم غزل

قال المصنف رحمه الله : فقد بان بما ذكرنا ما كانوا يغنون به وليس مما يطرب ولا كانت دفوفهن على ما يعرف اليوم . ومن ذلك أشعار ينشدها المتزهدون بتطريب وتلحين تزعج القلوب الى ذكر الآخرة ويسمونها الزهديات كقول بعضهم :

يا غاديا فى غفلة ورائحا الي متى تستحسن القبائحا
وكم الى كم لا تخاف موقفا يستنطق الله به الجوارحا
يا عجباً منك وأنت مبصر كيف تجنبت الطريق الواضحا

فهذا مباح ايضا والى مثله أشار احمد بن حنبل في الاباحة فيما أنبأنابه أبوالعزيز كاوس نا المظفر بن الحسن الهمداني نا أبو بكر بن لالى ثنا الفضل بن الفضل الكندي قال سمعت عبدوس يقول سمعت أبا حامد الخلقاني يقول لاحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار أي شيء تقول فيها فقال : مثل أي شيء قلت يقولون

اذا ما قال لى ربي أما استحييت تعصيني
وتخفي الذنب من خلقي وبالعصيان تأتيني

فقال : اعد عليّ ، فأعدت عليه، فقام ودخل بيته ورد الباب — فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يقول

اذا ماقال لي ربي أما استحييت تعصيني
وتخفى الذنب من خلقي وبالعصيان تأتيني

ومن الاشعار أشعار تنشدها النواح ، يثيرون بها الاحزان والبكاء ، فينهى عنها لما في ضمنها (١)

فاما الاشعار التي ينشدها المغنون المتهيئون للغناء ويصفون فيها المستحسنات والخمر وغير ذلك مما يحرك الطباع ويخرجها عن الاعتدال ويثير كامنها من حب اللهو وهو الغناء المعروف في هذا الزمان مثل قول الشاعر .

ذهبي اللون تحسب من وجنتيه النار تقتدح
خوفوني من فضيحته ليته وافى وأفتضح

وقد أخرجوا لهذه الاغاني ألحانا مختلفة كلها تخرج سامعها عن حيز الاعتدال ، وتثير حب الهوى ، ولهم شيء يسمونه البسيط يزعج القلوب عن مهل ثم يأتون بالنشيد بعده فيجعجع القلوب . وقد أضافوا الى ذلك ضرب القضيب والايقاع به على وفق الانشاد ، والدف بالجلاجل ، والشبابة النائبة عن الزمر فهذا الغناء المعروف اليوم *

(١) كذا في النسختين : وقد سقط ذكر العلة

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله . وقبل أن نتكلم فى اباحته . أو تحريمه ، أو كراهته : نقول . ينبغي للعاقل أن ينصح نفسه واخوانه . ويحذر تلبيس ابليس فى اجراء هذا الغناء مجري الاقسام المتقدمة التي يطلق عليها اسم الغناء . فلا يحمل الكل محملا واحداً . فيقول قد أباحه فلان وكرهه فلان. فنبدأ بالكلام فى النصيحة للنفس والاخوان فنقول *

معلوم أن طباع الآدميين تتقارب ولا تكاد تتفاوت فاذا ادعى الشاب السليم البدن الصحيح المزاج أن رؤية المستحسنات لا تزعجه ولا تؤثر عنده ولا تضره فى دينه كذبناه لما نعلم من استواء الطباع — فان ثبت صدقه عرفنا أن به مرضاً خرج به عن حيز الاعتدال ، فان تعلل فقال . انما أنظر الى هذه المستحسنات معتبراً فاتعجب من حسن الصنعة فى دعج العينين ، ورقة الانف ، ونقاء البياض ، قلنا له فى أنواع المباحات ما يكفي فى العبرة وههنا ميل طبعك يشغلك عن الفكرة ولا يدع لبلوغ شهوتك وجود فكرة . فان ميل الطبع شاغل عن ذلك ، وكذا من قال ان هذا الغناء المطرب المزعج للطباع المحرك لها الى العشق وحب الدنيا لا يؤثر عندي ولا يلفت قلبي الى حب الدنيا الموصوفة فيه — فانا نكذبه لموضع اشتراك الطباع ثم ان كان قلبه بالخوف من الله عز وجل غائبا عن الهوى لا حضر هذا المسموع الطبع وان كانت قد طالت غيبته فى سفر الخوف ، وأقبح القبيح البهرجة ، ثم كيف تمر البهرجة على من يعلم السر وأخفى . ثم ان كان الامر كما زعم هذا المتصوف فينبغي أن لا نبيحه الا لمن هذه صفته والقوم قد أباحوه على الاطلاق للشاب المبتدى . والصبي الجاهل . حتى قال أبو حامد الغزالي . ان التشبيب بوصف الخدود . والاصداغ ، وحسن القد . والقامه . وسائر أوصاف النساء . الصحيح أنه لا يحرم *

قال المصنف رحمه الله . فأما من قال اني لا أسمع الغناء للدنيا . وانما آخذ منه اشارات فهو يخطىء من وجهين . أحدهما أن الطبع يسبق الي مقصوده قبل أخذ الاشارات فيكون كمن قال اني انظر الي هذه المرأة المستحسنة لا تفكر فى الصنعة — والثاني أنه يقل فيه وجود شيء يشار به الي الخالق وقد جل الخالق تبارك وتعالي أن

يقال في حقه أنه يعشق . ويقع الهيمان به . وانما نصيبنا من معرفته الهيبة والتعظيم فقط
وإذ قد انتهت النصيحة فنذكر ما قيل في الغناء *

﴿ فصل ﴾ أما مذهب احمد رحمه الله . فانه كان الغناء في زمانه انشاد قصائد الزهد الا أنهم لما كانوا يلحنونها اختلفت الرواية عنه . فروى عنه ابنه عبد الله أنه قال : الغناء ينبت النفاق في القلب ، لا يعجبني . وروى عنه اسماعيل بن اسحاق الثقفي : أنه سئل عن استماع القصائد فقال : أكرهه ، هو بدعة ، ولا يجالسون . وروى عنه أبو الحارث أنه قال : التغبير(١) بدعة ، فقيل له : انه يرقق القلب . فقال هو بدعة وروى عنه يعقوب الهاشمي : التغبير بدعة محدث وروى عنه يعقوب بن غياث(٢) ا كره التغبير . وانه نهى عن استماعه *

قال المصنف : فهذه الروايات كلها دليل على كراهية الغناء . قال أبو بكر الخلال كره احمد القصائد لما قيل له انهم يتماجنون ثم روى عنه ما يدل على أنه لا بأس بها . قال المروزى - سألت أبا عبد الله عن القصائد . فقال . بدعة . فقلت له : إنهم يهجرون . فقال لا يبلغ بهم هذا كله *

قال المصنف . وقد روينا أن احمد سمع قوالا عند ابنه صالح فلم ينكر عليه . فقال له صالح . يا أبت أليس كنت تنكر هذا . فقال . انما قيل لى انهم يستعملون المنكر فكرهته . فاما هذا فاني لا أكرهه : قال المصنف رحمه الله قلت . وقد ذكر أصحابنا عن أبي بكر الخلال وصاحبه عبد العزيز اباحة الغناء . وانما أشار الى ما كان في زمانهما من القصائد الزهديات . وعلى هذا يحمل ما لم يكرهه احمد . ويدل على ما قلت أن احمد بن حنبل سئل عن رجل مات وترك ولداً وجارية مغنية . فاحتاج الصبي الى بيعها . فقال لا تباع على أنها مغنية فقيل له انها تساوى ثلاثين الف درهم ولعلها اذا بيعت ساذجة تساوى عشرين دينارا فقال لا تباع الا على أنها ساذجة *

قال المصنف . وانما قال هذا لأن الجارية المغنية لا تغنى بقصائد الزهديات بل

---

(١) في النسخة الثانية ـ يعقوب بن محيان ـ ولفظ التغبير هو تغبير الذكر بدعاء وتضرع كما ذكره المصنف بعد في صحيفة ٢٣٠

بالاشعار المطربة المثيرة للطبع الى العشق ، وهذا دليل على أن الغناء محظور اذ لو لم يكن محظوراً ما أجاز تفويت المال على اليتيم . وصار هذا كقول أبي طلحة للنبي ﷺ . عندى خمر لا يتام . فقال أرقها . فلو جاز استصلاحها لما أمره بتضييع أموال اليتامى . وروى المروزي عن احمد بن حنبل انه قال . كسب المخنث خبيث يكسبه بالغناء وهذا لان المخنث لا يغنى بالقصائد الزهدية انما يغنى بالغزل والنوح . فبان من هذه الجملة أن الروايتين عن احمد فى الكراهة وعدمها تتعلق بالزهديات الملحنة ، فأما الغناء المعروف اليوم فمحظور عنده كيف ولو علم ماأحدث الناس من الزيادات*

﴿ فصل ﴾ قال المصنف وأما مذهب مالك بن أنس رحمه الله فاخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو اسحاق البرمكى نا عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر الخلال وأخبرنا عالياً سعيد بن الحسن بن البنا نا أبو نصر محمد بن محمد الديثي نا أبو بكر محمد بن عمر الوراق نا محمد بن السرى بن عثمان التمار قالا أخبرنا عبد الله بن احمد عن أبيه عن اسحاق بن عيسى الطباع (١) قال سألت مالك بن أنس عن ما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء . فقال . انما يفعله الفساق * أخبرنا هبة الله بن احمد الحريرى قال أنبأنا أبو الطيب الطبرى قال . أما مالك بن أنس فانه نهى عن الغناء وعن استماعه . وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر أهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده فانه قد حكى زكريا الساجى أنه كان لا يرى به بأساً *

﴿ فصل ﴾ وأما مذهب أبي حنيفة رضى الله عنه * أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريرى عن أبي الطيب الطبرى . قال كان أبو حنيفة يكره الغناء مع اباحته شرب النبيذ ويجعل سماع الغناء من الذنوب . قال : وكذلك مذهب سائر أهل الكوفة : ابراهيم ، والشعبى ، وحماد ، وسفيان الثورى . وغيرهم لا اختلاف بينهم في ذلك. قال ولا يعرف بين أهل البصرة خلاف فى كراهة ذلك والمنع منه الا ما روى عبيدالله بن الحسن العنبرى أنه كان لا يرى به بأساً *

(١) فى نسخة : الطباخ

﴿ فصـل ﴾ وأما مذهب الشافعى رحمة الله عليه قال حدثنا اسماعيل بن احمد نا احمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الاصفهانى ثنا محمد بن عبد الرحمن ثنا احمد بن محمد بن الحارث ثنا محمد بن ابراهيم بن جياد ثنا الحسن بن عبد العزيز الحروى قال سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول خلفت بالعراق شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يشغلون به الناس عن القرآن *

قال المصنف رحمه الله : وقد ذكر أبو منصور الازهرى المغبرة — قوم يغبرون بذكر الله بدعاء وتضرع وقد سموا ما يطربون فيه من الشـعر فى ذكر الله عز وجل تغبيراً كأنهم اذا شاهدوها بالألحان طربوا ورقصوا فسموا مغبرة لهذا المعنى . وقال . الزجاج سموا مغبرين لتزهيدهم الناس فى الفانى من الدنيا وترغيبهم فى الآخرة * وحدثنا هبة الله بن احمد الحريرى عن أبى الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى قال قال الشافعى الغناء لهو مكروه يشبه الباطل . ومن استـكثر منه فهو سفيه ترد شهادته • قال . وكان الشافعى يكره التغبير . قال الطبرى فقد أجمع علماء الأمصار على كراهية الغناء والمنع منه وانما فارق الجماعة إبراهيم بن سعد (١) وعبيـد الله العنبرى وقد قال رسول الله ﷺ • عليكم بالسواد الاعظم فانه من شذ شذ فى النار . وقال: من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية *

قال المصنف قلت . وقد كان رؤساء أصحاب الشافعي رضى الله عنهم ينكرون السماع . وأما قدماؤهم فلا يعرف بينهم خلاف وأما أكابر المتأخرين فعلى الانـكار . منهم أبو الطيب الطبرى وله فى ذم الغناء والمنع كتاب مصنف حدثنا به عنه أبو القاسم الحريرى ومنهم القاضى أبو بكر محمد بن مظفر الشامى أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الانماطى عنه . قال لا يجوز الغناء ولا سماعه ولا الضرب بالقضيب . قال ومن أضاف الى الشافعى هذا فقد كذب عليـه . وقد نص الشافعى فى كتاب أدب القضاء . على أن الرجل اذا دام على سماع الغناء ردت شهادته و بطلت عدالته *

قال المصنف رحمه الله قلت : فهذا قول علماء الشافعية وأهل التدين منهم وانما

---

(١) في النسخة الثانية : سعيد . هنا وفيما تقدم عنه

رخص فى ذلك من متأخريهم من قل علمه وغلبه هواه . وقال الفقهاء من أصحابنا لا تقبل شهادة المغني والرقاص والله الموفق *

﴿ فصل فى ذكر الادلة على كراهية الغناء والنوح والمنع منهما ﴾

قال المصنف • وقد استدل أصحابنا بالقرآن والسنة والمعنى . فاما الاستدلال من القرآن فبثلاث آيات . الآية الاولى قوله عز وجل « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيي بن على قالا نا أبو محمد الصريفيني نا أبو بكر بن عبدان ثنا عبد الله بن منيع ثنا عبد الله بن عمر ثنا صفوان بن عيسى قال قال حميد الخياط أخبرنا عن عمار بن أبي معاوية عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء . قال سألت ابن مسعود عن قول الله عز وجل « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » قال هو والله الغناء * أخبرنا عبد الله بن على المقرى ومحمد بن ناصر الحافظ قالا نا طراد بن محمد نا ابن بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشي ثنا زهير بن حرب ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » • قال هو الغناء وأشباهه * أخبرنا عبد الله بن محمد الحاكم ويحيي بن على المدبر قالا نا أبو الحسين بن النقور نا ابن حياة ثنا البغوى ثنا هدبة ثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » . قال الغناء * أخبرنا ابن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا أبو إسحق البرمكى نا احمد بن جعفر بن مسلم نا احمد بن محمد بن عبد الخالق ثنا أبو بكر المروزى ثنا احمد بن حنبل ثنا عبدة ثنا إسماعيل عن سعيد بن يسار . قال سألت عكرمة عن لهو الحديث قال هو الغناء . وكذلك قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة وابراهيم النخعى *

الآية الثانية قوله عز وجل « وأنتم سامدون » * أخبرنا عبد الله بن على نا طراد ابن محمد نا ابن بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنا عبيد الله بن عمر ثنا يحيي بن سعيد عن سفيان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس « وأنتم سامدون »

قال هو الغناء بالحميرية سمد لنا ــ غنى لنا . وقال مجاهد هو الغناء يقول أهل اليمن سمد فلان اذا غنى *

الآية الثالثة قوله عز وجل : « واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك » * أخبرنا موهوب بن احمد نا ثابت بن بندار نا عمر بن ابراهيم الزهرى نا عبد الله بن ابراهيم بن ماسى ثنا الحسين بن الكميت ثنا محمد بن نعيم بن القاسم الجرمى عن سفيان الثورى عن ليث عن مجاهد : « واستفزز من استطعت منهم بصوتك » . قال هو الغناء والمزامير *

أما السنة * أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر نا عبد الله ابن احمد ثني أبى ثنا الوليد بن مسلم ثنا سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه . أنه سمع صوت زمارة راع فوضع أصبعيه فى أذنيه وعدل راحلته عن الطريق . وهو يقول يانافع أتسمع فأقول نعم فيمضى . حتى قلت لا فوضع يديه وأعاد راحلته الى الطريق وقال رأيت رسول الله ﷺ سمع زمارة راع فصنع مثل هذا *

قال المصنف رحمه الله ، اذا كان هذا فعلهم فى حق صوت لا يخرج عن الاعتدال فكيف بغناء أهل الزمان وزمورهم * أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا الحسين بن محمد النصيبي ثنا إسماعيل بن سعيد بن سويد ثنا أبو بكر ابن الانبارى ثنا عبيد بن عبد الواحد بن شريك البزار ثنا ابن أبى مريم ثنا يحيى ابن أيوب عن عبيد الله بن عمر عن على بن زيد عن القاسم عن أبى أمامة قال نهى رسول الله ﷺ عن شراء المغنيات و بيعهن وتعليمهن . وقال ثمنهن حرام . وقرأ «ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم و يتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين » *

أخبرنا عبد الله بن على المقرى نا أبو منصور محمد بن محمد المقرى نا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران نا عمر بن احمد بن عبد الرحمن الجمحى ثنا منصور بن أبى الاسود عن أبى المهلب عن عبيد الله بن عمر عن على بن زيد عن القاسم عن أبى أمامة . قال نهى رسول الله ﷺ عن بيع المغنيات وعن التجارة فيهن وعن

تعليمهن الغناء . وقال ثمنهن حرام . وقال في هذاأو نحوه . أو وقال شبهه نزلت على « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله » . وقال ما من رجل يرفع عقيرة صوته للغناء الا بعث الله له شيطانين يرتدفانه أعني هذا من ذا الجانب وهذا من ذا الجانب ولا يزالان يضربان بأرجلهما في صدره حتى يكون هوالذى يسكت وروت عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : إن الله عز وجل حرم المغنية وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع اليها ثم قرأ ومن الناس من يشترى لهو الحديث . وروى عبد الرحمن بن عوف عن النبي ﷺ أنه قال : انما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة وصوت عند مصيبة *

أخبرنا ظفر بن على نا أبو على الحسن بن احمد المقتدى نا أبو نعيم الحافظ نا حبيب بن الحسن بن على بن الوليد ثنا محمد بن كليب ثنا خلف بن خليفة عن إبان المكتب عن محمد بن عبد الرحمن عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر قال دخلت مع رسول الله ﷺ فاذا ابنه إبراهيم يجود بنفسه فأخذه رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ففاضت عيناه فقلت يارسول الله أتبكى وتنهانا عن البكاء فقال لست أنهى عن البكاء انما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة لعب ولهو ومزامير الشيطان وصوت عند مصيبة ضرب وجه وشق جيوب ورنة شيطان *

أخبرنا عبد الله بن على المقرى نا جدى أبو منصور محمد بن احمد الخياط نا عبد الملك بن محمد بن بشران ثنا أبو على احمد بن الفضل بن خزيمة ثنا محمد ابن سويد الطحان ثنا عاصم بن على ثنا عبد الرحمن بن ثابت عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن مالك بن نخام الثقة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه . أن النبي ﷺ قال . بعثت بهدم المزمار والطبل *

أخبرنا ابن الحصين نا أبو طالب بن عيلان نا أبو بكر الشافعى ثنا عبدالله بن محمد بن ناجية ثنا عباد بن يعقوب ثنا موسي بن عمير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن على . قال قال رسول الله ﷺ . بعثت بكسر المزامير * أخبرنا أبو الفتح الكروجي نا أبو عامر الأزدى وأبو بكر العورجى قالا نا الجراحى ثنا المحبوبي ثنا الترمذى ثنا صالح بن عبد الله ثنا الفرج بن فضالة عن يحيي بن سعيد عن محمد

ابن عمر بن على بن أبى طالب عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه سلم اذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكر منها اذا اتخذت القيان والمعازف قال الترمذى وحدثنا على بن حجر نا محمد بن يزيد عن المستلم بن سعيد عن رميح الجذامى عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ اذا اتخذ الفيء دولا ، والامانة مغنما ، والزكاة مغرماً ، وتعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه ، وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الاصوات فى المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف ، وشربت الخمور ، ولعن آخر هذه الامة أولها . فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع * وقد روى عن سهل بن سعد عن النبى ﷺ أنه قال . يكون في أمتى خسف وقذف ومسخ . قيل . يارسول الله متى . قال . إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر * أنبأنا أبو الحسن سعد الخير بن محمد الانصارى فى كتاب السنن لابن ماجه قال نا أبو العباس احمد بن محمد الاسدابادى نا أبو منصور المقومى نا أبو طلحة القاسم بن المنذر نا أبو الحسن بن ابراهيم القطان ثنا محمد بن يزيد بن ماجه ثنا الحسين بن أبى الربيع الجرجاني ثنا عبد الرزاق أخبرنى يحيى بن العلاء أنه سمع مكحولا يقول انه سمع يزيد بن عبد الله يقول أنه سمع صفوان بن أمية قل كنا مع رسول الله ﷺ فجاء عمرو بن قرة فقال يا رسول الله . ان الله عز وجل قد كتب على الشقوة فما أرانى أرزق الا من دفى بكفى فأذن لى فى الغناء في غير فاحشة . فقال له رسول الله ﷺ لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة عين . كذبت يا عدو الله لقد رزقك الله حلالا طيباً فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله . ولو كنت تقدمت اليك لفعلت بك وفعلت . قم عني وتب الى الله عز وجل . أما انك لو قلت بعد التقدمة اليك ضربتك ضرباً وجيعاً . وحلقت رأسك مثلة ونفيتك من أهلك . وأحللت سلبك نهبة لفتيان المدينة . فقام عمرو وبه من الشر والخزى مالا يعلمه الا الله عز وجل . فلما ولى قال رسول الله ﷺ هؤلاء العصاة من مات منهم بغير توبة حشره الله عز وجل عريان لا يستتر بهدبة كلما قام صرع *

وأما الآثار . فقال ابن مسعود : الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل . وقال . اذا ركب الرجل الدابة ولم يسم ردفه الشيطان . وقال : تغنه فان لم يحسن . قال له : تمنه . ومر ابن عمر رضي الله عنه بقوم محرمين وفيهم رجل يتغنى . قال : ألا لاسمع الله لكم . ومر بجارية صغيرة تغني . فقال : لوترك الشيطان أحداً لترك هذه . وسأل رجل القاسم بن محمد عن الغناء . فقال : أنهاك عنه وأكرهه لك . قال : أحرام هو ؟ قال انظر يا ابن أخي اذا ميز الله الحق من الباطل ففي أيهما يجعل الغناء وعن الشعبي . قال لعن المغني والمغنى له * أخبرنا عبد الله بن علي المقرى ومحمد بن ناصر قالا نا طراد بن محمد نا أبو الحسين بن بشران نا أبو علي بن صفوان ثنا أبو بكر القرشي ثني الحسين بن عبد الرحمن ثني عبد الله بن الوهاب قال أخبرني أبو حفص عمر بن عبيد الله الارموي . قال . كتب عمر بن عبد العزيز الى مؤدب ولده ليكن أول مايعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمان جل وعز . فانه بلغني عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف واستماع الاغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب . ولعمري لتوقى ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذي الذهن من الثبوت على النفاق في قلبه . وقال فضيل ابن عياض . الغناء رقية الزنا . وقال : الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب . وقال يزيد بن الوليد يابني أمية اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر . فان كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء ، فان الغناء داعية الزنا *

قال المصنف رحمه الله قلت : وكم قد فتنت الاصوات بالغناء من عابد وزاهد وقد ذكرنا جملة من أخبارهم في كتابنا المسمى بذم الهوى * أخبرنا محمد بن ناصر نا ثابت بن بندار نا أبو الحسين محمد بن عبد الواحد بن رزمه نا أبوسعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ثني محمد بن يحيى عن معن بن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه . قال : كان سليمان بن عبد الملك في بادية له . فسمر ليلة على ظهر سطح ثم تفرق عنه جلساؤه . فدعا بوضوء فجاءت به جارية له فبينما هي تصب عليه اذ استمدها بيده ، وأشار اليها . فاذا هي ساهية مصغية بسمعها مائلة بجسدها كله الى صوت غناء تسمعه

في ناحية العسكر . فأمرها فتنحت واستمع هو الصوت . فاذا صوت رجل يغني فانصت له حتى فهم ما يغني به من الشعر . ثم دعا جارية من جواريه غيرها فتوضأ فلما أصبح أذن للناس اذنا عاماً . فلما أخذوا مجالسهم أجرى ذكر الغناء ومن كان يسمعه ولين فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيه فأفاضوا في التليين والتحليل والتسهيل . فقال : هل بقي أحد يسمع منه . فقام رجل من القوم فقال . يا أمير المؤمنين عندي رجلان من أهل ايلة حاذقان ، قال . وأين منزلك من العسكر فاومى الى الناحية التي كان الغناء منها . فقال سليمان يبعث اليهما فوجد الرسول أحدهما فأقبل به حتى أدخله على سليمان ، فقال له ، ما اسمك ؟ قال ، سمير ، فسأله عن الغناء . كيف هو فيه فقال . حاذق محكم . قال ومتى عهدك به . قال . في ليلتي هذه الماضية . قال . وفي أي نواحي العسكر كنت فذكر له الناحية التي سمع منها الصوت . قال ، فما غنيت فذكر الشعر الذي سمعه سليمان . فأقبل سليمان فقال هدر الجمل فضبعت الناقة ، وهب التيس فشكرت الشاة ، وهدل الحمام فزافت الحمامة ، وغنى الرجل فطربت المرأة . ثم أمر به فخصي . وسأل عن الغناء أين أصله وأكثر مايكون . قالوا : بالمدينة وهو في المخنثين وهم الحذاق به والائمة فيه فكتب الى عامله على المدينة وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن اخصي من قبلك من المخنثين المغنين *

قال المصنف رحمه الله : وأما المغنى فقد بينا أن الغناء يخرج الانسان عن الاعتدال ويغير العقل . و بيان هذا أن الانسان اذا طرب فعل مايستقبحه في حال صحته من غيره من تحريك رأسه ، وتصفيق يديه ، ودق الارض برجليه . الى غير ذلك مما يفعله أصحاب العقول السخيفة ، والغناء يوجب ذلك بل يقارب فعله فعل الخمر في تغطية العقل . فينبغي أن يقع المنع منه * أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز ابن علي الازجي نا ابن جهضم ثنا يحيي بن المؤمل ثنا أبو بكر السفاف ثنا أبو سعيد الخراز . قال ذكر عند محمد بن منصور أصحاب القصائد فقال : هؤلاء الفرارون من الله عز وجل لو ناصحوا الله ورسوله وصدقوه لافادهم في سرائرهم ما يشغلهم عن كثرة التلاقى * أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف نا محمد بن علي العبادي . قال قال أبو عبد الله بن بطة العكبري . سألني سائل عن استماع الغناء

فنهيته عن ذلك وأعلمته أنه مما أنكرته العلماء واستحسنه السفهاء وانما تفعله طائفة سموا بالصوفية وسماهم المحققون الجبرية أهل همم دنيئة وشرائع بدعية يظهرون الزهد وكل أسبابهم ظلمة . يدعون الشوق والمحبة باسقاط الخوف والرجاء . يسمعونه من الاحداث والنساء ويطربون ويصعقون ويتغاشون ويتماوتون ويزعمون أن ذلك من شدة حبهم لربهم وشوقهم اليه . تعالى الله عما يقوله الجاهلون علواً كبيرا *

﴿ فصل فى ذكر الشبه التى تعلق بها من اجاز سماع الغناء ﴾

فمنها حديث عائشة رضي الله عنها أن الجاريتين كانتا تضربان عندها بدفين وفى بعض ألفاظه دخل عليّ أبو بكر وعندي جاريتان من جوارى الانصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث . فقال : أبو بكر أمزمور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ . فقال رسول الله : دعهما يا أبا بكر إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا . وقد سبق ذكر هذا الحديث : ومنها حديث عائشة رضى الله عنها أنها زفت امرأة الى رجل من الانصار . فقال النبي ﷺ ياعائشة ما كان معهم من اللهو . فان الانصار يعجبهم اللهو — وقد سبق ومنها حديث فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ أنه قال : الله أشد اذناً الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته . قال . ابن طاهر: وجه الحجة أنه أثبت تحليل استماع الغناء اذلا يجوز أن يقاس على محرم ومنها حديث أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ . أنه قال : ما أذن الله عز وجل لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن . ومنها حديث حاطب عن النبى ﷺ أنه قال : فصل ما بين الحلال والحرام الضرب بالدف *

والجواب . أما حديثا عائشة رضى الله عنها فقد سبق الكلام عليهما وبينا أنهم كانوا ينشدون الشعر وسمي بذلك غناء لنوع يثبت فى الانشاد وترجيع ومثل ذلك لا يخرج الطباع عن الاعتدال وكيف يحتج بذلك الواقع فى الزمان السليم عند قلوب صافية على هذه الاصوات المطربة الواقعة فى زمان كدر عند نفوس قد تملكها الهوى ما هذا الا مغالطة للفهم أو ليس قد صح فى الحديث عن عائشة رضي الله عنها انها قالت • لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المساجد . وانما ينبغي للمفتي

أن يزن الاحوال كما ينبغي للطبيب أن يزن الزمان والسن والبلد ثم يصف على مقدار ذلك وأين الغناء بما تقاولت به الانصار يوم بعاث من غناء أمرد مستحسن بآلات مستطابة وصناعة تجذب اليها النفس وغزليات يذكر فيها الغزال والغزالة والخال والخد والقد والاعتدال فهل يثبت هناك طبع هيهات بل ينزعج شوقاً الى المستلذ ولا يدعي أنه لا يجد ذلك الا كاذب أو خارج عن حد الآدمية ومن ادعى أخذ الاشارة من ذلك الى الخالق فقد استعمل فى حقه ما لا يليق به على أن الطبع يسبقه الى ما يجد من الهوى وقد أجاب أبو الطيب الطبرى عن هذا الحديث بجواب آخر * فاخبرنا أبو القاسم الحريرى عنه أنه قال . هذا الحديث حجتنا لان ابا بكر سمى ذلك مزمور الشيطان ولم ينكر النبي ﷺ على أبى بكر قوله وانما منعه من التغليظ في الانكار لحسن رفقته لا سيما فى يوم العيد . وقد كانت عائشة رضى الله عنها صغيرة فى ذلك الوقت ولم ينقل عنها بعد بلوغها وتحصيلها إلا ذم الغناء . وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد يذم الغناء ويمنع من سماعه وقد أخذ العلم عنها

قال المصنف رحمه الله ، وأما اللهو المذكور في الحديث الآخر فليس بصريح فى الغناء فيجوز أن يكون إنشاد الشعر أو غيره . وأما التشبيه بالاستماع الى القينة فلا يمتنع أن يكون المشبه حراماً ، فان الانسان لو قال وجدت للعسل لذة أكثر من لذة الخمر كان كلاماً صحيحاً وانما وقع التشبيه بالاصغاء فى الحالتين فيكون أحدهما حلالا أو حراماً لا يمنع من التشبيه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام انكم لترون ربكم كما ترون القمر فشبه أيضاً الرؤية بايضاح الرؤية وان كان وقع الفرق بان القمر فى جهة يحيط به نظر الناظر والحق منزه عن ذلك والفقهاء يقولون فى ماء الوضوء لا تنشف الاعضاء منه لانه أثر عبادة فلا يسن مسحه كدم الشهيد . فقد جمعوا بينهما من جهة اتفاقهما فى كونهما عبادة . وان افترقا في الطهارة والنجاسة . واستدلال ابن طاهر بأن القياس لا يكون إلا على مباح فقه الصوفية لا علم الفقهاء . وأما قوله يتغنى بالقرآن فقد فسره سفيان بن عيينة فقال معناه يستغنى به وفسره الشافعى فقال . معناه يتحزن به ويترنم وقال غيرهما يجعله مكان غناء الركبان إذا ساروا . وأما الضرب بالدف فقد كان جماعة من التابعين يكسرون الدفوف وما كانت هكذا ـ فكيف لو رأوا هذه ـ وكان الحسن

البصرى يقول ليس الدف من سنة المرسلين فى شيء . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام من ذهب به الى الصوفية فهو خطأ فى التأويل على رسول الله ﷺ . وانما معناه عندنا إعلان النكاح واضطراب الصوت به والذكر فى الناس *

قال المصنف رحمه الله قلت : ولو حمل على الدف حقيقة على أنه قد قال احمد ابن حنبل أرجو أن لا يكون بالدف بأس في العرس ونحوه وأكره الطبل * أخبرنا عبد الله بن على المقرى نا نصر بن احمد بن النظر نا أبو محمد عبد الله بن عبيد الله المؤدب ثنا الحسين بن اسماعيل المحاملى ثنا عبيد الله بن جرير بن جبلة ثنا عمر بن مرزوق ثنا زهير عن أبي إسحق عن عامر بن سعد البجلى قال طلبت ثابت بن سعد وكان بدرياً فوجدته فى عرس له قال واذا جوار يغنين ويضربن بالدفوف فقلت ألا تنهى عن هذا قال لا ان رسول الله ﷺ رخص لنا فى هذا * أخبرنا عبد الله بن على نا جدى أبو منصور محمد بن احمد الخياط نا عبد الملك بن بشران ثنا أبو على احمد بن الفضل بن خزيمة ثنا احمد بن القاسم الطائى ثنا ابن سهم ثنا عيسى بن يونس عن خالد بن الياس عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن القاسم عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ اظهروا النكاح واضربوا عليه بالغربال يعني الدف*

قال المصنف رحمه الله . وكل ما احتجوا به لا يجوز أن يستدل به على جواز هذا الغناء المعروف المؤثر في الطباع ، وقد احتج لهم أقوام مفتونون بحب التصوف بما لا حجة فيه فمنهم أبو نعيم الاصفهانى فانه قال كان البراء بن مالك يميل الي السماع ويستلذ بالترنم *

قال المصنف رحمه الله . وانما ذكر أبو نعيم هذا عن البراء لانه روى عنه انه استلقى يوماً فترنم فانظر الي هذا الاحتجاج البارد فان الانسان لايخلو من أن يترنم فأين الترنم من السماع للغناء المطرب. وقد استدل لهم محمد بن طاهر بأشياء لولا أن يعثر على مثلها جاهل فيغتر لم يصلح ذكرها لانها ليست بشيء فمنها أنه قال فى كتابه باب الاقتراح على القوال والسنة فيه . فجعل الاقتراح على القوال سنة واستدل بما روى عمرو بن الشريد عن أبيه . قال . استنشدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من شعر أمية فأخذ يقول هي هى حتى أنشدته مائة قافية وقال ابن

طاهر باب الدليل على استماع الغزل . قال العجاج سألت أبا هريرة رضى الله عنه طاف الخيالات فهاجا سقما . فقال أبو هريرة رضى الله عنه كان ينشد مثل هذا بين يدى رسول الله ﷺ *

قال المصنف رحمه الله :فانظر الى احتجاج ابن طاهر ما أعجبه كيف يحتج على جواز الغناء بانشاد الشعر وما مثله الا كمثل من قال . يجوز أن يضرب بالكف على ظهر العود فجاز أن يضرب بأوتاره أو قال ، يجوز أن يعصر العنب ويشرب منه في يومه فجاز أن يشرب منه بعد أيام ، وقد نسى أن إنشاد الشعر لا يطرب كما يطرب الغناء * وقد أنبأنا أبو زرعة بن محمد بن طاهر عن أبيه ، قال أخبرنا أبو محمد التميمي قال ، سألت الشريف أبا على بن أبي موسى الهاشمى عن السماع فقال . ماأدرى ما أقول فيه غير انى حضرت ذات يوم شيخنا أبا الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمي سنة سبعين وثلاثمائة في دعوة عملها لاصحابه حضرها أبو بكر الابهرى شيخ المالكيين وأبو القاسم الداركى شيخ الشافعيين وأبو الحسن طاهر بن الحسين شيخ أصحاب الحديث وأبو الحسين بن سمعون شيخ الوعاظ والزهاد وأبو عبدالله بن مجاهد شيخ المتكلمين وصاحبه أبو بكر بن الباقلانى في دار شيخنا أبي الحسن التميمي شيخ الحنابلة . فقال : أبو على لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من يفتى في حادثة بسنة . ومعهم أبو عبد الله غلام وكان يقرأ القرآن بصوت حسن فقيل له قل شيئا . فقال : وهم يسمعون

خطت أناملها فى بطن قرطاس رسالة بعبير لا بأنفاس
أن زرفديتك قف لي غير محتشم فان حبك لي قد شاع في الناس
فكان قولي لمن أدى رسالتها قف لى لامشي على العينين والراس

قال أبو على فبعد ما رأيت هذا لا يمكننى أن أفتى فى هذه المسألة بحظر ولا إباحة *

قال المصنف رحمه الله ، وهذه الحكاية ان صدق فيها محمد بن طاهر فان شيخنا ابن ناصر الحافظ كان يقول ليس محمد بن طاهر بثقة حملت هذه الابيات على انه أنشدها لا انه غني بها بقضيب ومخدة اذ لو كان كذلك لذكره ثم فيها كلام مجمل

قوله لا يمكنني أن أقول فيها بحظر ولا اباحة لأنه ان كان مقلداً لهم فينبغى أن يفتى بالاباحة وان كان ينظر فى الدليل فيلزمه مع حضورهم ان يفتى بالحظر ثم بتقدير صحتها أفلا يكون اتباع المذهب أولى من اتباع أرباب المذاهب. وقد ذكرنا عن أبى حنيفة ومالك والشافعي واحمد رضوان الله عليهم أجمعين ما يكفى فى هذا وشيدنا ذلك بالادلة . وقال ابن طاهر فى كتابه : باب اكرامهم للقوال وافرادهم الموضع له — واحتج بأن النبى ﷺ رمى بردة كانت عليه الى كعب بن زهير لما أنشد «بانت سعاد». وانما ذكرت هذا ليعرف قدر فقه هذا الرجل واستنباطه والا فالزمان أشرف من أن يضيع بمثل هذا التخليط * وأنبأنا أبو زرعة عن أبيه محمد بن طاهر نا أبو سعيد اسماعيل بن محمد الحجاجى ثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد المقرى ثنا أبى ثنا على بن احمد ثنا محمد بن العباس بن بلال قال سمعت سعيد بن محمد قال حدثني ابراهيم بن عبد الله وكان الناس يتبركون به قال حدثنا المزنى قال. مررنا مع الشافعى وابراهيم ابن اسماعيل على دار قوم وجارية تغنيهم .

خليلى ما بال المطايا كأننا نراها على الاعقاب بالقوم تنكص

فقال الشافعى . ميلوا بنا نسمع ، فلما فرغت قال الشافعى لابراهيم : أيطربك هذا . قال لا . قال . فمالك حس*

قال المصنف رحمه الله قلت . وهذا محال على الشافعى رضى الله عنه وفي الرواية مجهولون وابن طاهر لا يوثق به وقد كان الشافعى أجل من هذا كله ، ويدل على صحة ما ذكرناه ما أخبرنا به ابو القاسم الحريرى عن أبى الطيب الطبرى . قل : أما سماع الغناء من المرأة التى ليست بمحرم فان أصحاب الشافعى قالوا . لا يجوز سواء كانت حرة أو مملوكة . قل . وقال الشافعى : وصاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته . ثم غلظ القول فيه فقال . وهو دياثة *

قال المصنف رحمه الله . وانما جعل صاحبها سفيها فاسقاً لأنه دعا الناس الى الباطل ومن دعا الى الباطل كان سفيها فاسقا

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد أخبرنا محمد بن القاسم البغدادى عن أبى محمد

التميمي عن أبي عبد الرحمن السلمي . قال : اشترى سعد بن عبد الله الدمشقي جارية قوالة للفقراء وكانت تقول لهم القصائد *

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد ذكر أبو طالب المكي في كتابه قال أدركنا مروان القاضي وله جوار يسمعن التلحين قد أعدهن للصوفية . قال : وكانت لعطاء جاريتان تلحنان وكان اخوانه يسمعون التلحين منهما *

قال المصنف رحمه الله قلت : أما سعد الدمشقي فرجل جاهل ، والحكاية عن عطاء محال وكذب ، وان صحت الحكاية عن مروان (١) فهو فاسق والدليل على ماقلنا ما ذكرنا عن الشافعي رضى الله عنه وهؤلاء القوم جهلوا العلم فمالوا الى الهوى* وقد أنبأنا زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو عثمان الصابوني وأبو بكر البيهقي قالا أنبأنا الحاكم أبو عبد الله النيسابوري · قال أكثر ما التقيت أنا وفارس بن عيسى الصوفي في دار أبي بكر الابريسمي للسماع من هزارة رحمها الله فانها كانت من مستورات القوالات *

قال المصنف : قلت . وهذا أقبح شيء من مثل الحاكم كيف خفي عليه أنه لايحل له أن يسمع من امرأة ليست بمحرم ثم يذكر هذا في كتاب تاريخ نيسابور وهو كتاب علم من غير تحاش عن ذكر مثله لقد كفاه هذا قد حافي عدالته *

قال المصنف رحمه الله فان قيل ما تقول فيما أخبركم به اسماعيل بن احمد السمرقندي نا عمر بن عبد الله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن أحمد نا حنبل ابن اسحاق ثنا هرون بن معروف ثنا جرير عن مغيرة قال كان عون بن عبد الله يقص فاذا فرغ أمر جارية له تقص وتطرب. قال المغيرة . فأرسلت اليه أو أردت أن أرسل اليه انك من أهل بيت صدق وان الله عز وجل لم يبعث نبيه ﷺ بالحمق . وان صنيعك هذا صنيع أحمق. فالجواب أنا لا نظن بعون انه أمر الجارية أن تقص على الرجال بل أحب أن يسمعها منفرداً وهي ملكه . فقال : له مغيرة الفقيه هذا القول وكره أن تطرب الجارية له فما ظنك بمن يسمعهن الرجال ويرقصهن ويطربهن :

---

(١) في النسخة الثانية أبي مروان

وقد ذكر أبو طالب المكى ان عبد الله بن جعفر — كان يسمع الغناء *

قال المصنف رحمه الله . وانما كان يسمع انشاد جواريه وقد أردف ابن طاهر الحكاية التى ذكرها عن الشافعي وقد ذكرناها آنفاً بحكاية عن احمد بن حنبل رواها من طريق عبد الرحمن السلمى قال حدثنا الحسين بن احمد قال سمعت أبا العباس الفرغانى يقول : سمعت صالح بن احمد بن حنبل يقول : كنت أحب السماع وكان أبى أحمد يكره ذلك فوعدت ليلة ابن الخبازة فمكث عندى الى أن علمت أن أبى قد نام وأخذ يغنى فسمعت حس أبى فوق السطح فصعدت فرأيت أبى فوق السطح يسمع وذيله تحت ابطه يتبختر على السطح كأنه يرقص *

قال المصنف رحمه الله : هذه الحكاية قد بلغتنا من طرق ففي بعض الطرق عن صالح قال . كنت ادعو ابن الخبازة القصائدى وكان يقول ويلحن وكان أبي فى الزقاق يذهب ويجيء ويسمع اليه وكان بيننا وبينه باب وكان يقف من وراء الباب يستمع وقد اخبرنا بها أبو منصور القزاز نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت نا احمد بن على بن الحسين النورى ثنا يوسف بن عمر القواس قال سمعت أبا بكر بن مالك القطيعي يحكى أظنه عن عبد الله بن أحمد قال كنت أدعو ابن الخبازة القصائدى وكان يقول و يلحن وكان أبى ينهانا عن التغنى فكنت اذا كان ابن الخبازة عندى أكتمه عن أبى لئلا يسمع فكان ذات ليلة عندى وكان يغنى (١) فعرضت لأبى عندنا حاجة وكنا فى زقاق فجاء فسمعه يغنى فتسمع فوقع فى سمعه شيء من قوله فخرجت لأنظر فاذا بأبى ذاهبا وجائيا فرددت الباب فدخلت فلما كان من الغد. قال لى : يابنى اذا كان مثل هذا : نعم . . هذا الكلام أو معناه *

قال المصنف رحمه الله . وهذا ابن الخبازة كان ينشد القصائد الزهديات التى فيها ذكر الآخرة . ولذلك استمع اليه احمد . وقول من قال يتزعج فان الانسان قد يزعجه الطرب فيميل يمينا وشمالا . وأما رواية ابن طاهر التي فيها فرأيته وذيله تحت ابطه يتبختر على السطح كأنه يرقص فانما هو من تغيير الرواة وتغييرهم لا يظنونه

---

(١) في النسخة الثانية وكان يقول أى ينشد بدل قوله ويغنى فى المكانين

المعنى (١) تصحيحا لمذهبهم فى الرقص * وقد ذكرنا القدح في السلمي وفى ابن طاهر الراويين لهذه اللفظات. وقد احتج لهم أبو طالب المكى على جواز السماع بمنامات وقسم السماع الى أنواع وهو تقسيم صوفى لا أصل له . وقد ذكرنا أن من ادعى أنه يسمع الغناء ولا يؤثر عنده تحريك النفس الى الهوى فهو كاذب * وقد أخبرنا أبو القاسم الحريرى عن أبي طالب الطبرى قال قال بعضهم . انا لا نسمع الغناء بالطبع الذى يشترك فيه الخاص والعام . قال : وهذا تجاهل منه عظيم لامرين . أحدهما أنه يلزمه على هذا أن يستبيح العود والطنبور وسائر الملاهي لانه يسمعه بالطبع الذى لا يشاركه فيه أحد من الناس فان لم يستبح ذلك فقد نقض قوله وان استباحه فقد فسق . والثانى أن هذا المدعى لا يخلو من أن يدعي أنه فارق طبع البشر وصار بمنزلة الملائكة . فان قال هذا فقد تخرص على طبعه وعلم كل عاقل كذبه اذا رجع الى نفسه ووجب أن لا يكون مجاهداً لنفسه ولا مخالفاً لهواه ولا يكون له ثواب على ترك اللذات والشهوات . وهذا لا يقوله عاقل وان قال أنا على طبع البشر المجبول على الهوى والشهوة : قلنا له : فكيف تسمع الغناء المطرب بغير طبعك ، أو تطرب لسماعه لغير ما غرس فى نفسك *

أخبرنا ابن ناصر نا احمد بن على بن خلف ثنا أبوعبد الرحمن السلمي قال : سمعت أبا القاسم الدمشقي يقول : سئل أبو علي الروذبارى عن سمع الملاهي و يقول هي لى حلال لاني قد وصلت الى درجة لا تؤثر فى اختلاف الاحوال فقال نعم . قد وصل لعمرى ولكن الى سقر *

قال المصنف رحمه الله . فان قيل قد بلغنا عن جماعة أنهم سمعوا من المنشد شيئاً فأخذوه على مقصودهم فانتفعوا به . قلنا . لا ينكر أن يسمع الانسان بيتاً من الشعر أو حكمة فيأخذها اشارة فتزعجه بمعناها لا لأن الصوت مطرب كما سمع بعض المريدين صوت مغنية تقول :

كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل

---

(١) كذا في النسختين وفى العبارة نقص او تصحيف بالمعنى اه

فصاح ومات فهذا لم يقصد سماع المرأة ولم يلتفت الى التلحين . وانما قتله المعنى ثم ليس سماع كلمة أو بيت لم يقصد سماعه كالاستعداد لسماع الابيات المذكورة الكثيرة المطربة مع انضمام الضرب بالقضيب والتصفيق الى غير ذلك ثم ان ذلك السامع لم يقصد السماع . ولو سألنا هل يجوز لى أن أقصد سماع ذلك منعناه *

قال المصنف رحمه الله : وقد احتج لهم أبو حامد الطوسى بأشياء نزل فيها عن رتبته عن الفهم، مجموعها سر أنه قال : ما يدل على تحريم السماع نص ولا قياس. وجواب هذا ما قد أسلفناه . وقال . لا وجه لتحريم سماع صوت طيب فاذا كان موزونا فلا يحرم أيضا واذا لم يحرم الآحاد فلا يحرم المجموع . فان افراد المباحات اذا اجتمعت كان المجموع مباحا . قال . ولكن ينظر فيما يفهم من ذلك فان كان فيه شيء محظور حرم نثره ونظمه ، وحرم التصويت به

قال المصنف رحمه الله . قلت : وانى لأتعجب من مثل هذا الكلام . فان الوتر بمفرده : أو العود وحده من غير وتر لو ضرب لم يحرم ولم يطرب فاذا اجتمعا وضرب بهما على وجه مخصوص حرم وأزعج . وكذلك ماء العنب جائز شربه واذا حدثت فيه شدة مطربة حرم . وكذلك هذا المجموع يوجب طرباً يخرج عن الاعتدال فيمنع منه لذلك . وقال ابن عقيل : الاصوات على ثلاثة أضرب محرم ومكروه ومباح . فالمحرم الزمر والناى والسرنا والطنبور والمعزفة والرباب وما ماثلها. نص الامام احمد بن حنبل على تحريم ذلك . ويلحق به الجرافة (١) والجنك لأن هذه تطرب فتخرج عن حد الاعتدال وتفعل في طباع الغالب من الناس ما يفعله المسكر ، وسواء استعمل على حزن يهيجه أو سرور . لان النبي ﷺ نهى عن صوتين أحمقين صوت عند نعمة. وصوت عند مصيبة ، والمكروه القضيب لكنه ليس بمطرب فى نفسه وانما يطرب. بما يتبعه وهو تابع للقول . والقول مكروه . ومن أصحابنا من يحرم القضيب كما يحرم آلات اللهو فيكون فيه وجهان كالقول (٢) نفسه والمباح الدف وقد ذكرنا عن احمد

---

(١) فى الثانية :الحراية وهذه كلها أسماء لآلات الملاهي وفى نسخة الجرانة

٢) وفى نسخة كالعود

انه قال : أرجو أن لا يكون بالدف بأس فى العرس ونحوه وأكره الطبل . وقد قال أبو حامد : من أحب الله وعشقه واشتاق الى لقائه فالسماع فى حقه مؤكد لعشقه *

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذا قبيح أن يقال عن الله عز وجل يعشق وقد بينا فيما تقدم خطأ هذا القول ثم أى توكيد لعشقه في قول المغني :

ذهبي اللون تحسب من وجنتيه النار تقتدح

قال المصنف رحمه الله . قلت : وسمع ابن عقيل بعض الصوفية يقول : ان مشايخ هذه الطائفة كلما وقفت طباعهم حداها الحادى الى الله بالأناشيد فقال ابن عقيل : لا كرامة لهذا القائل إنما تحدى القلوب بوعد الله فى القرآن ووعيده وسنة الرسول ﷺ لان الله سبحانه وتعالى قال . « واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً » : وما قال . واذا أنشدت عليه القصائد طربت — فأما تحريك الطباع بالالحان فقاطع عن الله والشعر يتضمن صفة المخلوق والمعشوق مما يتجدد عنه فتنة • ومن سولت له نفسه التقاط العبر من محاسن البشر وحسن الصوت فمفتون . بل ينبغى النظر الى المحال التى أحالنا عليها الابل والخيل والرياح ونحو ذلك ، فانها منظورات لا تهيج طبعاً بل تورث استعظاماً للفاعل . وانما خدعكم الشيطان فصرتم عبيد شهواتكم . ولم تقفوا حتى قلتم هذه الحقيقة . وأنتم زنادقة فى زى عباد • شرهين فى زى زهاد مشبهة تعتقدون أن الله عز وجل يعشق ويهام فيه • ويؤلف ويؤنس به ، وبئس التوهم لان الله عز وجل خلق الذوات مشاكلة لان أصولها مشاكلة فهى تتؤانس وتتألم بأصولها العنصرية وتراكيبها المثلية فى الاشكال الحديثة . فمن ههنا جاء التلاوم والميل وعشق بعضهم بعضاً . وعلى قدر التقارب فى الصورة يتأكد الأنس . والواحد منا يأنس بالماء لأن فيه ماء وهو بالنبات آنس لقربه من الحيوانية بالقوة النمائية وهو بالحيوان آنس لمشاركته فى أخص النوع به أوأقربه اليه ، فأين المشاركة للخالق والمخلوق حتى يحصل الميل اليه والعشق والشوق . وما الذى بين الطين والماء وبين خالق السماء من المناسبة وانما هؤلاء يصورون البارى سبحانه وتعالى صورة تثبت فى القلوب . وما ذاك الله عز وجل ذاك صنم شكله الطبع والشيطان وليس لله وصف تميل اليه الطباع ولا تشتاق اليه الأنفس وانما مباينة الالهية للمحدث أوجبت فى الأنفس هيبة

وحشمة فما يدعيه عشاق الصوفية لله في محبة الله انما هو وهم اعترض . وصورة شكلت في نفوس فحجبت عن عبادة القديم فتجدد بتلك الصورة أنس فاذا غابت بحكم ما يقتضيه العقل أقلقهم الشوق اليها فنا لهم من الوجد وتحرك الطبع والهيمان ما ينال الهائم فى العشق فنعوذ بالله من الهواجس الرديئة والعوارض الطبعية التي يجب بحكم الشرع محوها عن القلوب كما يجب كسر الاصنام *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : وقد كان جماعة من قدماء الصوفية ينكرون على المبتدى السماع لعلمهم بما يثير من قلبه * أخبرنا عمر بن ظفر المقري نا جعفر بن احمد نا عبد العزيز بن علي الأزجي ثنا ابن جهضم ثني أبو عبد الله المقرى ثنا عبد الله بن صالح قال قال لي جنيد : اذا رأيت المريد يسمع السماع فاعلم أن فيه بقايا من اللعب * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد بن أبي صادق نا أبو عبد الله ابن با كويه قال سمعت احمد بن محمد البردعى يقول سمعت أبا الحسين النورى يقول لبعض أصحابه : إذا رأيت المريد يسمع القصائد ويميل الى الرفاهية فلا ترج خيره *

قال المصنف رحمه الله . هذا قول مشايخ القوم وانما ترخص المتأخرون حب اللهو فتعدى شرهم من وجهين . أحدها سوء ظن العوام بقدمائهم لأنهم يظنون أن الكل كانوا هكذا . والثانى أنهم جرأوا العوام على اللعب فليس للعامى حجة فى لعبه إلا أن يقول فلان يفعل كذا و يفعل كذا *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : وقد نشب حب السماع بقلوب خلق منهم فآثروه على قراءة القرآن ورقت قلوبهم عنده بما لا ترق عند القرآن وما ذاك إلا لتمكن هوى باطن تمكن منه وغلبة طبع وهم يظنون غير هذا * أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا عبد الكريم بن هوزان وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبى وقال سمعت أبا حاتم محمد بن احمد بن يحيى السجستانى قال سمعت أبا نصر السراج يقول . حكى لي بعض إخواني عن أبى الحسين الدراج قال قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد فلما دخلت الرى سألت عن منزله وكل من أسأله عنه يقول إيش تفعل بذلك الزنديق فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة فى مسجد ثم قلت جئت الى هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه

حتى دفعت الى مسجده وهو قاعد فى المحراب بين يديه رجل على يديه مصحف وهو يقرأ فدنوت فسلمت فرد السلام وقال من أين قلت من بغداد قصدت زيارة الشيخ فقال تحسن أن تقول شيئاً فقلت نعم وقلت

رأيتــك تبني دائما فى قطيعتي ولوكنت ذا حزم لهدمت ماتبني

فأطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه . ثم قال لي يابني تلوم أهل الري على قولهم يوسف بن الحسين زنديق ومن وقت الصلاة هوذا أقرأ القرآن لم تقطر من عيني قطرة وقد قامت علي القيامة بهذا البيت * وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن نا أبي قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول . فأخرجت الى مرو في حياة الاستاذ أبي سهل الصعلوكى وكان له قبل خروجى أيام الجمع بالغدوات مجلس درس القرآن والختمات فوجدته عند خروجي قد رفع ذلك المجلس وعقد لابن الفرغاني في ذلك الوقت مجلس القوال يعني المغنى فتداخلني من ذلك شيء فكنت أقول قد استبدل مجلس الختمات بمجلس القوال . فقال لى يوماً . أى شيء تقول الناس . فقلت يقولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القوال . فقال من قال لاستاذه لم لم يفلح *

قال المصنف رحمه الله : هــذه دعاة الصوفية يقولون الشيخ يسلم له حاله وما لنا أحد يسلم اليه حاله . فان الآدمى يرد عن مراداته بالشرع والعقل والبهائم بالسوط *

﴿ فصل ﴾ وقد اعتقد قوم من الصوفية أن هذا الغناء الذى ذكرنا عن قوم تحريمه وعن آخر كراهته مستحب فى حق قوم * وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ابن هوازن القشيرى قال حدثنا أبي قال سمعت أبا على الدقاق يقول . السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم ، مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم ، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم *

قال المصنف رحمه الله قلت . وهذا غلط من خمسة أوجه . أحدها انا قد ذكرنا عن أبي حامد الغزالى أنه يباح سماعه لكل أحد . وأبو حامد كان أعرف من هذا القائل . والثاني أن طباع النفوس لا تتغير وانما المجاهدة تكف عملها . فمن ادعى تغير الطباع ادعى المحال . فاذا جاء ما يحرك الطباع . واندفع الذي كان يكفها عنه

عادت العادة . والثالث ان العلماء اختلفوا فى تحريمه و إباحته وليس فيهم من نظر فى السامع لعلمهم أن الطباع تتساوى فمن ادعى خروج طبعه عن طباع الآدميين ادعى المحال • والرابع أن الاجماع انعقد على أنه ليس بمستحب وانما غايتـه الاباحة فادعاء الاستحباب خروج عن الاجماع . والخامس انه يلزم من هذا أن يكون سماع العود مباحاً أو مستحباً عند من لا يغير طبعه لانه إنما حرم لانه يؤثر فى الطباع ويدعوها الى الهوى فاذا أمن ذلك فينبغي أن يباح وقد ذكرنا هذا عن أبي الطيب الطبرى *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله . وقد ادعى قوم منهم أن هذا السماع قربة إلى الله عز وجل . قال أبو طالب المكى • حدثني بعض أشياخنا عن الجنيد أنه قال تنزل الرحمة على هذه الطائفة فى ثلاثة مواطن . عنـد الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة . وعند المذاكرة لأنهم يتجاوزون فى مقامات الصديقين وأحوال النبيين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقاً *

قال المصنف رحمه الله قلت ، وهذا إن صح عن الجنيد وأحسنا به الظن كان محمولا على ما يسمعونه من القصائد الزهدية فانها توجب الرقة والبكاء ، فاما أن تنزل الرحمة عند وصف سعدى وليلى ويحمل ذلك على صفات البارى سبحانه وتعالى فلا يجوز إعتقاد هذا ولو صح أخذ الاشارة من ذلك كانت الاشارة مستغرقة فى جنب غلبة الطباع • ويدل على ماحملنا الأمر عليه أنه لم يكن ينشد فى زمان الجنيد مثل ماينشد اليوم الا أن بعض المتأخرين قد حمل كلام الجنيد على كل ما يقال * فحدثني أبو جعفر احمد بن أزهر بن عبد الوهاب السباك عن شيخنا عبـد الوهاب بن المبارك الحافظ قال كان أبو الوفا الفيروزبادى شيخ رباط الزوزنى صديقاً لى ، فكان يقول لى والله إنى لأدعو لك وأذكرك وقت وضع المخدة والقول، قال فكان الشيخ عبد الوهاب يتعجب ويقول أترون هذا يعتقد أن ذلك وقت إجابة إن هذا لعظيم ، وقال ابن عقيل ، قد سمعنا منهم أن الدعاء عند حدو الحادى وعند حضور المخدة مجاب وذلك أنهم يعتقدون انه قربة يتقرب بها الى الله تعالى ، قال وهذا كفر ، لأن من اعتقد الحرام أو المكروه قربة كان بهذا الاعتقاد كافراً ، قال والناس بين تحريمه وكراهيته * أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر احمد بن على بن ثابت قال

أخبرنى على بن أيوب قال أخبرنا محمد بن عمران بن موسى قال حدثنا محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا الحسين بن فهم قال حدثنى أبو همام قال حدثني إبراهيم بن أعين قال قال صالح المرى ، أبطأ الصرعى نهضة صريع هوى يدعيه الى الله قربة ، وأثبت الناس قدماً يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ * أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى قال حدثنا أبي قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا بكر النهاوندى يقول سمعت علياً السائح يقول سمعت أبا الحارث الاولاسي يقول رأيت إبليس في المنام على بعض سطوح أولاس وأنا على سطح وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب لطاف ، فقال لطائفة منهم قولوا وغنوا ، فاستغرقني طيبه حتى هممت أن أطرح نفسي من السطح ثم قال ارقصوا فرقصوا أطيب ما يكون ، ثم قال لى يا أبا الحارث ما أصبت منكم شيئاً أدخل به عليكم إلا هذا *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى الوجد ﴾

قال المصنف رحمه الله : هذه الطائفة اذا سمعت الغناء تواجدت ، وصفقت ، وصاحت ، ومزقت الثياب . وقد لبس عليهم ابليس في ذلك وبالغ * وقد احتجوا بما أخبرنا به أبو الفتح محمد بن عبد الباقي قال أنبأنا أبو على الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى قال أخبرنا أبو الحسن سهل بن على الخشاب قال أخبرنا أبو نصر عبد الله بن على السراج الطوسي . قال وقد قيل له : انه لما نزلت : « وان جهنم لموعدهم أجمعين » : صاح سلمان الفارسي صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام . واحتجوا بما أخبرنا به عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار قال أخبرنا أبو بكر محمد بن على الخياط قال أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف بن دوست قال أخبرنا الحسين بن صفوان قال حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي قال أخبرنا على بن الجعد قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن عيسى بن سليم عن أبي وائل . قال خرجنا مع عبد الله ومعنا الربيع بن خثيم فمررنا على حداد فقام عبد الله ينظر الى حديدة في النار فنظر الربيع اليها فمال ليسقط ثم أن عبد الله مضى حتى أتينا على

أتون على شاطيء الفرات فلما رآه عبدالله والنار تلتهب في جوفه قرأهذه الآية: «اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيراً» الى قوله «ثبورا كثيرا» فصعق الربيع واحتملناه الى أهله ورابطه عبد الله حتى يصلي الظهر فلم يفق ثم رابطه الى العصر فلم يفق ثم رابطه الى المغرب فأفاق فرجع عبد الله الى أهله . قالوا : وقد اشتهر عن خلق كثير من العباد أنهم كانوا اذا سمعوا القرآن فمنهم من يموت ، ومنهم من يصعق ويغشي عليه ، ومنهم من يصيح . وهذا كثير في كتب الزهد : والجواب أما ماذكره عن سلمان فمحال وكذب . ثم ليس له إسناد والآية نزلت بمكة وسلمان انما أسلم بالمدينة . ولم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا أصلا . وأما حكاية الربيع بن خثيم فان راويها عيسى بن سليم وفيه معمر * أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو بكر محمد بن المظفر الشامي قال أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد العتيقي قال أخبرنا أبو يعقوب يوسف بن أحمد الصيدلاني قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو ابن موسى العقيلي . قال قال أحمد بن حنبل عيسى بن سليم عن أبي وائل لاأعرفه . قال العقيلي : وحدثنا عبد الله بن احمد قال حدثني ابي قال حدثني ابن آدم . قال سمعت حمزة الزيات قال لسفيان إنهم يروون عن الربيع بن خثيم انه صعق . قال : ومن يروي هذا انما كان يرويه ذاك القاص ـ يعني عيسى بن سليم ـ فلقيته فقلت . عمن تروي انت ذا ـ منكراً عليه *

قال المصنف رحمه الله قلت . فهذا سفيان الثوري ينكر ان يكون الربيع بن خثيم جرى له هذا لأن الرجل كان على السمت الاول ، وما كان في الصحابة من يجري له مثل هذا ولا التابعين . ثم نقول على تقدير الصحة . ان الانسان قد يغشى عليه من الخوف فيسكنه الخوف ويسكته فيبقى كالميت وعلامة الصادق أنه لو كان على حائط لوقع لأنه غائب . فأما من يدعي الوجد ويتحفظ من أن تزل قدمه ثم يتعدى الى تخريق الثياب وفعل المنكرات في الشرع فانا نعلم قطعاً أن الشيطان يلعب به *

وأخبرنا ابو منصور القزاز قال اخبرنا احمد بن علي بن ثابت قال اخبرنا محمد بن علي ابن الفتح قال اخبرنا محمد بن الحسين النيسابوري قال سمعت احمد بن محمد بن زكريا يقول سمعت احمد بن عطاء يقول : كان للشبلي يوم الجمعة نظرة ومن بعدها صيحة

فصاح يوماً صيحة تشوش من حوله من الخلق وكان بجنب حلقته حلقة أبي عمران الاشيب فحرد ابو عمران واهل حلقته *

قال المصنف رحمه الله . واعلم وفقك الله ان قلوب الصحابة كانت اصفى القلوب. وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والخشوع . فجرى من بعض غرائبهم نحو ما انكرناه فبالغ رسول الله ﷺ في الانكار عليه * فأخبرنا محمد بن ناصر الحافظ قال انبأنا احمد بن علي بن خلف قال اخبرنا ابو عبدالله محمد بن عبد الله الحافظ وانبأنا ابن الحصين قال انبأنا ابو علي بن المذهب قال اخبرنا ابو حفص بن شاهين قال حدثنا عثمان بن احمد بن عبد الله قال حدثنا احمد بن محمد بن عبد الحميد الجعفي قال حدثنا عبد المتعال بن طالب قال حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن انس قال . وعظ رسول الله ﷺ يوماً فاذا رجل قد صعق . فقال النبي ﷺ من ذا الملبس علينا ديننا. ان كان صادقا فقد شهر نفسه وان كان كاذباً فمحقه الله * قال ابن شاهين وحدثنا عبد الله بن سليمان بن الاشعث قال حدثنا عبد الله بن يوسف الجبيري قال حدثنا روح بن عطاء بن أبي ميمون عن أبيه عن أنس بن مالك . قال : ذكر عنده هؤلاء الذين يصعقون عند القراءة فقال أنس : لقد رأيتنا ووعظنا رسول الله ﷺ ذات يوم حتى سمعنا للقوم حنينا حين أخذتهم الموعظة وما سقط منهم أحد *

قال المصنف رحمه الله : وهذا حديث العرباض بن سارية . وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب . قال أبو بكر الآجري . ولم يقل صرخنا ولا ضربنا صدورنا كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان * أخبرنا عبد الله بن علي المقرى قال أخبرنا أبو ياسر أحمد بن بندار بن ابراهيم قال أخبرنا محمد بن عمر بن بكير النجار قال أخبرنا احمد بن جعفر بن حمدان قال أخبرنا ابراهيم بن عبد الله البصري قال حدثنا أبو عمر حفص بن غبد الله الضرير قال أخبرنا خالد بن عبد الله الواسطي قال حدثنا حصين بن عبد الرحمن . قال قلت لاسماء بنت أبي بكر . كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ وآله عند قراءة القرآن؟ قالت كانوا كما ذكرهم الله أو كما وصفهم عز وجل تدمع عيونهم وتقشعر جلودهم. فقلت لها ان

ههنا رجالا اذا قرىء على أحدهم القرآن غشى عليه . فقالت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم *

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن محمد السراج نا الحسن بن على التميمي نا ابو بكر بن مالك ثنا عبدالله بن احمد بن حنبل ثنا الوليد بن شجاع ثنا اسحاق الحلبي ثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة . قال . سألت أسماء بنت أبي بكر هل كان أحد من السلف يغشى عليه من الخوف . قالت . لا ولكنهم كانوا يبكون *

أخبرنا ابن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على التميمى وأخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد نا حمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ قالا أخبرنا أبو بكر ابن مالك ثنا عبد الله بن احمد ثنا سريج بن يونس ثنا سعيد بن عبد الرحمن الجمحى عن أبي حازم . قال . مر ابن عمر رضى الله عنه برجل ساقط من العراق . فقال . ما شأنه ؟ فقالوا . اذا قرىء عليه القرآن يصيبه هذا . قال . انا لنخشى الله عز وجل وما نسقط *

أخبرنا سعيد بن احمد بن البنا نا ابو سعد محمد بن على الرستمى نا أبو الحسين ابن بشران ثنا اسماعيل بن محمد الصفار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبي بردة عن ابن عباس . أنه ذكر الخوارج وما يلقون عند تلاوة القرآن . فقال . انهم ليسوا بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى وهم مضلون *

أنبأنا ابن الحصين نا أبو على بن المذهب نا أبو حفص بن شاهين ثنا محمد بن بكر بن عبد الرزاق نا ابراهيم بن فهد عن ابراهيم بن الحجاج الشامى ثنا شبيب بن مهران عن قتادة . قل قيل لأنس بن مالك . ان ناسا اذا قرىء عليهم القرآن يصعقون . فقال . ذاك فعل الخوارج *

أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف نا عمر بن على ابن الفتح نا احمد بن محمد الكاتب ثنا عبد الله بن المغيرة ثنا احمد بن سعيد الدمشقي قال بلغ عبد الله بن الزبير ان ابنه عامراً صحب قوما يتصعقون عند قراءة القرآن . فقال له . يا عامر لأعرفن ما صحبت الذين يصعقون عند القرآن لأوسعك جلدا *

أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد نا حمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن احمد ثنا محمد بن العباس ثنا الزبير بن بكار ثني عبد الله بن مصعب بن ثابت عن عبد الله بن الزبير قال ثنى ابى عن عامر بن عبد الله بن الزبير. قال. جئت الى أبي فقال لى. أين كنت. فقلت. وجدت اقواما مارأيت خيراً منهم. يذكرون الله عز وجل فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشية الله عز وجل فقعدت معهم. قال. لا تقعد معهم بعدها. فرآنى كأنى لم يأخذ ذلك فيّ فقال. رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن ورأيت أبا بكر وعمر يتلوان القرآن ولا يصيبهم هذا أفتراهم أخشع لله من أبي بكر وعمر. فرأيت أن ذلك كذلك فتركتهم *

اخبرنا محمد بن عبد الباقى نا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ نا محمد بن احمد فى كتابه ثنا محمد بن ايوب ثنا حفص بن عمر النميرى ثنا حماد بن زيد ثنا عمرو بن مالك. قال. بينا نحن عند أبي الجوزاء يحدثنا اذ خر رجل فاضطرب فوثب أبو الجوزاء يسعي قبله فقيل له. يا أبا الجوزاء. انه رجل به الموتة. فقال. انما كنت اراه من هؤلاء القفازين ولو كان منهم لأمرت به فاخرج من المسجد انما ذكرهم الله تعالي فقال« تفيض أعينهم من الدمع » أو قال « تقشعر جلودهم » *

أخبرنا أبو محمد بن على المقري نا احمد بن بندار بن ابراهيم نا محمد بن عمر بن بكير النجار نا احمد بن جعفر بن حمدان ثنا ابراهيم بن عبد الله البصري ثنا أبو عمر حفص بن عمر الضرير نا حماد بن زيد ني عمر بن مالك البكري قال قرأ قاري عند أبي الجوزاء قال فصاح رجل من أخريات القوم أو قال من القوم. فقام اليه أبو الجوزاء فقيل له. يا أبا الجوزاء انه رجل به شيء فقال طبيب انه من هؤلاء النفارين فلو كان منهم لوضعت رجلى على عنقه. وقال أبو عمر أخبرنا جرير بن حازم أنه شهد محمد بن سيرين وقيل له ان ههنا رجالا اذا قرىء على أحدهم القرآن غشي عليه. فقال محمد بن سيرين. يقعد أحدهم على جدار ثم يقرأ عليه القرآن (١) من أوله الى آخره فان وقع فهو صادق قال أبو عمرو. وكان محمد بن سيرين يذهب الى أن هذا تصنع وليس بحق من قلوبهم *

---

(١) في الثانية : المصحف بدل القرآن

أخبرنا محمد بن عبدالباقي ثنا حمد بن احمد نا أبونعيم الحافظ ثنا أبومحمد بن حبان ثنا محمد بن العباس ثنا زياد عن يحيى عن عمران بن عبد العزيز قال سمعت محمد بن سيرين وسئل عن من يستمع القرآن فيصعق. فقال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فان سقطوا فهم كما يقولون *

أخبرنا ابن ناصر نا أبو طاهر عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف نا محمد بن على العشاري نا محمد بن عبد الله الدقاق نا الحسين بن صفوان ثنا أبو بكر القرشي ثنا محمد بن على عن إبراهيم بن الاشعث. قال سمعت أبا عصام الرملي عن رجل عن الحسن أنه وعظ يوماً فتنفس رجل فى مجلسه. فقال الحسن إن كان لله تعالى فقد شهرت نفسك، و إن كان لغير الله فقد هلكت *

أخبرنا ابن ناصر نا جعفر بن احمد نا الحسن بن على نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثني أبي ثنا روح ثنا السري بن يحيى ثنا عبد الكريم بن رشيد قال. كنت في حلقة الحسن فجعل رجل يبكى وارتفع صوته. فقال الحسن إن الشيطان ليبكى هذا الآن *

أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو غالب عمر بن الحسين الباقلاني نا أبوالعلاء الواسطى نا محمد بن الحسين الازدي ثني إبراهيم بن رحمون ثنا إسحق بن إبراهيم البغدادي قال سمعت أبا صفوان يقول قال الفضيل بن عياض لابنه وقد سقط يابنى إن كنت صادقاً لقد فضحت نفسك وان كنت كاذباً فقد أهلكت نفسك *

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه ثنا محمد بن احمد النجار ثنا المرتعش قال رأيت أباعثمان سعيد بن عثمان الواعظ وقد تواجد إنسان بين يديه. فقال له. يا بنى إن كنت صادقاً فقد أظهرت كل مالك، وان كنت كاذباً فقد أشركت بالله *

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله. فان قال قائل إنما يفرض الكلام في الصادقين لا في أهل الرياء. فما تقول فيمن أدركه الوجد ولم يقدر على دفعه فالجواب إن أول الوجد إنزعاج في الباطن فان كف الانسان نفسه كيلا يطلع على حاله يئس الشيطان منه فبعد عنه كما كان أيوب السختياني إذا تحدث فرق قلبه مسح أنفه

وقال ما أشد الزكام . وان أهمل الانسان نفسه ولم يبال بظهور وجده ، أو أحب اطلاع الناس على نفسه نفخ فيه الشيطان فانزعج على قدر نفخه ، كما أخبرنا هبة الله ابن محمد نا الحسن بن على نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله ثني أبي ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيي بن الخراز عن ابن أخي زينب عن امرأة عبدالله قالت جاء عبد الله ذات يوم وعندي عجوز ترقيني من الحموة فأدخلتها تحت السرير . قالت فدخل فجلس إلى جنبي فرأى فى عنقى خيطا . فقال ماهذا الخيط . قلت خيط رقى لى فيه رقية فأخذه وقطعه ثم قال إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك . سمعت رسول الله ﷺ يقول إن في الرقى والتمائم والتولة شركا قالت فقلت له لم تقول هذا ، وقد كانت عيني تقذف وكنت أختلف الى فلان اليهودى يرقيها فكان اذا رقاها سكنت قال انما ذاك من عمل الشيطان كان ينخسها بيده فاذا رقيتها كف عنها انما كان يكفيك أن تقولى كما قال رسول الله ﷺ أذهب الباس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً *

قال المصنف رحمه الله : التولة ـ ضرب من السحر يحبب المرأة الى زوجها *

أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد نا الحسن بن عبد الملك بن يوسف نا أبو محمد الخلال ثنا أبو عمر بن حياة ثنا أبو بكر بن أبى داود ثنا هارون بن زيد عن أبى الزرقاء ثنا أبى قال ثنا سفيان عن عكرمة بن عمار عن شعيب بن أبي السني عن أبى عيسى أوعيسى . قال . ذهبت الى عبد الله بن عمر فقال أبو السوار ياأبا عبد الرحمن ان قوماً عندنا اذا قرىء عليهم القرآن يركض احدهم من خشية الله . قال . كذبت . قال بلى ورب هذه البنية . قال ويحك ان كنت صادقا فان الشيطان ليدخل جوف احدهم . والله ما هكذا كان أصحاب محمد ﷺ *

﴿ فصل ﴾ فان قال قائل . فنفرض ان الكلام فيمن اجتهد في دفع الوجد فلم يقدر عليه وغلبه الأمر فمن أين يدخل الشيطان فالجواب إنا لا ننكر ضعف بعض الطباع عن الدفع الا أن علامة الصادق انه لا يقدر على أن يدفع ولا يدري مايجري عليه فهو من جنس قوله عز وجل « وخر موسى صعقا » *

وقد أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا حمد بن احمد نا احمد بن عبد الله

ثنا إبراهيم بن عبد الله ثنا محمد بن إسحق الثقفى ثني حاتم بن الليث الجوهرى ثنا خالد ابن خداش . قال . قرىء على عبد الله بن وهب كتاب أهوال القيامة . فخر مغشياً عليه فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد ذلك بأيام *

قال المصنف رحمه الله قلت . وقد مات خلق كثير من سماع الموعظة وغشي عليهم قلنا . هذا التواجد الذى يتضمن حركات المتواجدين وقوة صياحهم وتخبطهم فظاهره إنه متعمل والشيطان معين عليه *

قال المصنف رحمه الله : فان قيل فهل في حق المخلص نقص بهذه الحالة الطارئة عليه . قيل . نعم من جهتين . أحدهما انه لو قوي العلم امسك . والثانى انه قد خولف به طريق الصحابة والتابعين ويكفي هذا نقصاً *

أخبرنا عبد الله بن على المقرى نا هبة الله بن عبد الرزاق السى وأخبرنا سعيد بن احمد بن البنا نا أبو سعد محمد بن على الرستمى قالا نا أبو الحسين بن بشران نا أبو على إسماعيل بن محمد الصفار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان بن عيينة قال سمعت خلف ابن حوشب يقول . كان خوات يرعد عند الذكر . فقال له إبراهيم . إن كنت تملكه فما أبالي أن لا أعتد بك . وان كنت لا تملكه فقد خالفت من كان قبلك . وفى رواية فقد خالفت من هو خير منك *

قال المصنف رحمه الله قلت : إبراهيم هو النخعى الفقيه ، وكان متمسكا بالسنة شديد الاتباع للاثر . وقد كان خوات من الصالحين البعداء عن التصنع . وهذا خطاب إبراهيم له . فكيف بمن لا يخفى حاله في التصنع *

﴿ فصل ﴾ فاذا طرب أهل التصوف لسماع الغناء صفقوا * أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا رزق الله بن عبد الوهاب التميمى نا أبو عبد الرحمن السلمى . قال سمعت أبا سليمان المغربي يقول سمعت أبا على بن الكاتب يقول كان ابن بنان يتواجد وكان أبو سعيد الخراز يصفق له *

قال المصنف رحمه الله قلت . والتصفيق منكر يطرب ويخرج عن الاعتدال وتتنزه عن مثله العقلاء ، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت من

التصدية • وهي التي ذمهم الله عز وجل بها فقال . « وما كان صلاتهم عنـد البيت إلا مكاء وتصدية » . — فالمكاء الصفير — والتصـدية — التصفيق * أخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا أبو الفضل بن خيرون نا أبو علي بن شاذان نا احمد بن كامل ثني محمد بن سعد ثني أبي ثني عمي عن أبيه عن جده عن ابن عباس « إلا مكاء » يعني التصفير « وتصدية » يقول التصفيق *

قال المصنف رحمه الله قلت . وفيه أيضاً تشبه بالنساء والعاقل يأنف من أن يخرج عن الوقار إلى أفعال الكفار والفسوة

﴿ فصل ﴾ فاذا قوى طربهم رقصوا وقد احتج بعضهم بقوله تعالى لأيوب : « اركض برجلك » *

قال المصنف رحمه الله قلت . وهذا احتجاج بارد لانه لو كان أمر بضرب الرجل فرحاً كان لهم فيه شبهة وانما أمر بضرب الرجل لينبع الماء * قال ابن عقيل أين الدلالة في مبتلى أمر عند كشف البلاء بأن يضرب برجله الارض لينبع المـاء إعجازاً من الرقص . ولئن جاز أن يكون تحريك رجـل قد أنحلها تحكم الهوام دلالة على جواز الرقص في الاسلام جاز أن يجعل قوله تعالى لموسى « اضرب بعصاك الحجر » دلالة على ضرب الجماد بالقضبان نعوذ بالله من التلاعب بالشرع . واحتج بعض ناصريهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي . أنت مني وأنا منك — فحجل وقال لجعفر — أشبهت خلقي وخلقي — فحجل وقال لزيد : أنت أخونا ومولانا — فحجل . ومنهـم من احتج بأن الحبشة زفنت والنبي ﷺ ينظر اليهم . فالجواب : أما الحجل فهو نوع من المشي يفعل عند الفرح فأين هو من الرقص . وكذلك زفن الحبشة نوع من المشي بتشبيب يفعل عند اللقاء بالحرب *

واحتج لهم أبو عبد الرحمن السلمي على جواز الرقص بما أخبرنا به أبو نصر محمد ابن منصور الهمداني نا إسماعيل بن احمد بن عبد الملك المؤذن نا أبو صالح احمد بن عبد الملك وأبو سعيد محمد بن عبد العزيز وأبو محمد عبد الحميد بن عبد الرحمن قالوا ثنا أبو عبد الرحمن السلمي ثنا أبو العباس احمد بن سعيد المعداني ثنا محمد بن سعيد المروزي ثنا عباس الرقيقي ثنا عبد الله بن عمر الوراق ثنا الحسن بن علي بن منصور

ثنا أبو عتاب المصرى عن إبراهيم بن محمد الشافعى أن سعيد بن المسيب مر فى بعض أزقة مكة فسمع الاخضر الحداء يتغنى في دار العاص بن وائل بهذا .

تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت به زينب فى نسوة عطرات
فلما رأت ركب النميرى أعرضت وهن من ان يلقينه حذرات

قال فضرب برجله الارض زماناً وقال هذا مما يلذ سماعه . وكانوا يروون الشعر لسعيد بن المسيب * قال المصنف قلت . هذا اسناده مقطوع مظلم لا يصح عن ابن المسيب ، ولا هذا شعره . كان ابن المسيب أوقر من هذا . وهذه الابيات مشهورة لمحمد بن عبد الله بن نمير النميرى الشاعر ولم يكن نمريا وانما نسب الى اسم جده وهو ثقفى وزينب التى يشبب بها هي بنت يوسف أخت الحجاج . وسأله عبد الملك بن مروان عن الركب ما كان . فقال . كانت أحمرة عجافاً حملت عليها قطراناً من الطائف . فضحك وأمر الحجاج أن لا يؤذيه *

قال المصنف رحمه الله . ثم لو قدرنا أن ابن المسيب ضرب برجله الارض فليس فى ذلك حجة على جواز الرقص . فان الانسان قد يضرب الارض برجله أو يدقها بيده لشيء يسمعه ولا يسمى ذلك رقصا . فما أقبح هذا التعلق وأين ضرب الارض بالقدم مرة أو مرتين من رقصهم الذى يخرجون به عن سمت العقلاء . ثم دعونا من الاحتجاج تعالوا نتقاضى الى العقول أى معنى فى الرقص الا اللعب الذى يليق بالاطفال ، وما الذي فيه من تحريك القلوب إلى الآخرة . هذه والله مكابرة باردة . ولقد حدثني بعض المشايخ عن الغزالي أنه قال : الرقص حماقة بين الكتفين لا تزول إلا بالتعب ، وقال أبو الوفاء بن عقيل . قد نص القرآن على النهى عن الرقص . فقال عز وجل . « لا تمش فى الارض مرحاً » : وذم المختال فقال تعالى « إنه لا يحب كل مختال فخور » . والرقص أشد المرح والبطر أو لسنا الذين قسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما في الاطراب والسكر . فما بالنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لاجتماعهما فى الاطراب . وهل شيء يزرى بالعقل والوقار ويخرج عن سمت الحلم والادب أقبح من ذى لحية يرقص فكيف إذا كانت شيبة ترقص وتصفق على وقاع الالحان والقضبان خصوصاً إذا كانت أصوات نسوان ومردان .

وهل يحسن بمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم هو الى إحدى الدارين صائران يشمس بالرقص شمس البهائم و يصفق تصفيق النسوة والله لقد رأيت مشايخ فى عصرى ما بان لهم سن فى تبسم فضلا عن ضحك مع إدمان مخالطتى لهم . كالشيخ أبى القاسم بن زيدان ، وعبد الملك بن بشران ، وأبى طاهر بن العلاف ، والجنيد ، والدينوري *

﴿ فصل ﴾ فاذا تمكن الطرب من الصوفية فى حال رقصهم جذب أحدهم بعض الجلوس ليقوم معه . ولا يجوز على مذهبهم للمجذوب أن يقعد فاذا قام قام الباقون تبعاً له . فاذا كشف أحدهم رأسه كشف الباقون رؤوسهم موافقة له . ولا يخفى على عاقل أن كشف الرأس مستقبح وفيه إسقاط مروءة وترك أدب . وانما يقع فى المناسك تعبداً لله وذلا له *

﴿ فصل ﴾ فاذا اشتد طربهم رموا ثيابهم على المغنى فمنهم من يرمى بها صحاحاً ومنهم من يخرقها ثم يرمى بها وقد احتج لهم بعض الجهال فقال هؤلاء فى غيبة فلا يلامون فان موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الالواح فكسرها ولم يدر ما صنع : والجواب أن نقول من يصحح عن موسى بأنه رماها رمى كاسر والذى ذكر فى القرآن إلقاؤها فحسب فمن أين لنا أنها تكسرت . ثم لو قيل تكسرت فمن أين لنا أنه قصد كسرها ثم لو صححنا ذلك عنه . قلنا . كان فى غيبة حتى لو كان بين يديه حينئذ بحر من نار لخاضه ومن يصحح لهؤلاء غيبتهم وهم يعرفون المغنى من غيره و يحذرون من بئر إن كانت عندهم . ثم كيف يقاس أحوال الانبياء على أحوال هؤلاء السفهاء ولقد رأيت شاباً من الصوفية يمشي فى الاسواق و يصيح والغلمان يمشون خلفه وهو يبربر ويخرج الى الجمعة فيصيح صيحات وهو يصلى الجمعة فسئلت عن صلاته . فقلت : إن كان وقت صياحه غائباً فقد بطل وضوءه وان كان حاضراً فهو متصنع وكان هذا الرجل جلداً لا يعمل شيئاً بل يدار له بزنبيل فى كل يوم فيجمع له ما يأكل هو وأصحابه فهذه حالة المتأكلين لا المتوكلين . ثم لو قدرنا أن القوم يصيحون عن غيبة فان تعرضهم لما يغطى على العقول من سماع ما يطرب منهى عنه كالتعرض لكل ما غالبه الأذى وقد سئل ابن عقيل عن تواجدهم وتخريق

ثيابهم . فقال . خطأ وحرام قد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال وعن شق الجيوب فقال له قائل . فانهم لا يعقلون ما يفعلون . قال إن حضروا هذه الأمكنة مع علمهم أن الطرب يغلب عليهم فيزيل عقولهم أثموا بما يدخل عليهم من التخريق وغيره مما يفسد ولا يسقط عنهم خطاب الشرع لانهم مخاطبون قبل الحضور بتجنب هذه المواضع التى تفضى إلى ذلك كما هم منهيون عن شرب المسكر فاذا سكروا وجرى منهم إفساد الأموال لم يسقط الخطاب لسكرهم كذلك هذا الطرب الذى يسميه أهل التصوف وجداً إن صدقوا فيه فسكر طبع وان كذبوا فنبيذ ومع الصحو فلا سلامة فيه مع الحالين وتجنب مواضع الريب واجب . واحتج لهم ابن طاهر فى تخريقهم الثياب بحديث عائشة رضى الله عنها قالت . نصبت حجلة لي فيها رقم فمدها النبي صلى الله عليه وسلم فشقها *

قال المصنف رحمه الله . فانظر إلى فقه هذا الرجل المسكين كيف يقيس حال من يمزق ثيابه فيفسدها وقد نهى رسول الله صلي الله عليه وسلم عن إضاعة المال على مد ستر ليحط فانشق لا عن قصد . أو كان عن قصد لأجل الصور التى كانت فيه : وهذا من التشديد فى حق الشارع عن المنهيات كما أمر بكسر الدنان فى الخمور . فان ادعى مخرق ثيابه أنه غائب قلنا الشيطان غيبك لأنك لو كنت مع الحق لحفظك فان الحق لا يفسد *

وقد أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد بن علي ابن حشيش ثنا عبد الله بن الصقر ثنا الصلت بن مسعود ثنا جعفر بن سليمان . قال سمعت أبا عمران الجونى يقول وعظ موسى بن عمران عليه السلام يوماً فشق رجل منهم قميصه فأوحى الله عز وجل لموسى قل لصاحب القميص لا يشق قميصه . أيشرح لي عن قلبه *

﴿ فصل ﴾ وقد تكلم مشايخ الصوفية فى الخرق المرمية . فقال محمد بن طاهر الدليل على أن الخرقة إذا طرحت صارت ملكا لمن طرحت بسببه حديث جرير جاء قوم مجتابي النمار فحض رسول الله ﷺ على الصدقة فجاء رجل من الانصار بصرة فتتابع الناس حتى رأيت كومين من ثياب وطعام قال والدليل على أن الجماعة إذا

قدموا عند تفريق الخرقة أسهم لهم حديث أبى موسى قدم على رسول الله ﷺ بغنيمة وسلب فأسهم لنا *

قال المصنف رحمه الله . لقد تلاعب هذا الرجل بالشريعة واستخرج بسوء فهمه ما يظنه يوافق مذهب المتأخرين من الصوفية . فانا ما عرفنا هـذا في أوائلهم و بيان فساد استخراجه أن هـذا الذى خرق الثوب ورمى به ان كان حاضراً فما جاز له تخريقه وان كان غائبا فليس له تصرف جائز شرعا لا هبة ولا تمليكا . وكذلك يزعمون بأن ثوبه كان كالشيء الذى يقع من الانسان ولا يدرى به فلا يجوز لأحد أن يتملكه وان كان رماه في حال حضوره لا على أحد فلا وجه لتملكه ولو رماه على المغني لم يتملكه لان التملك لا يكون الا بعقد شرعى والرمى ليس بعقد : ثم نقدر أنه ملك للمغنى فما وجه تصرف الباقين فيه . ثم اذا تصرفوا فيه خرقوه خرقا وذلك لا يجوز لوجهين : أحدهما أنه تصرف فيما لا يملكونه : والثانى أنه اضاعة للمال . ثم ما وجه اسهام من لم يحضر فاما حديث أبى موسى فقال العلماء منهم الخطابى يحتمل أن يكون رسول الله ﷺ أجازه عن رضى ممن شهد الواقعة أو من الخمس الذى هو حقه . وعلى مذهب الصوفية تعطى هذه الخرقة لمن جاء . وهذا مذهب خارج عن اجماع المسلمين وما أشبه ماوضع هؤلاء بآرائهم الفاسدة الا بما وضعت الجاهلية من أحكام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، قال ابن طاهر · أجمع مشايخنا على أن الخرقة المخرقة وما انبعث من الخرق الصحاح الموافقة لها ان ذلك كله يكون بحكم الجمع يفعلون فيه ما يراه المشايخ . واحتجوا بقول عمر رضى الله عنه : الغنيمة لمن شهد الواقعة . وخالفهم شيخنا ابو اسماعيل الانصارى فجعل الخرقة على ضربين · ما كان مجروحا قسم على الجميع . وما كان سليما دفع الى القوال واحتج بحديث سلمة : من قتل الرجل ؟ قالوا : سلمة بن الاكوع . قال : له سلبه أجمع . فالقتل انما وجد من جهة القوال فالسلب له *

قال المصنف رحمه الله : انظروا اخواني عصمنا الله واياكم من تلبيس ابليس الى تلاعب هؤلاء الجهلة بالشريعة واجماع مشايخهم الذى لا يساوى اجماعهم بعرة فان مشايخ الفقهاء أجمعوا على أن الموهوب لمن وهب له سواء كان مخرقا أو سليما ولا يجوز

لغيره التصرف فيه : ثم ان سلب القتيل كل ما عليه فما بالهم جعلوه مارمى به ثم ينبغي أن يكون الامر على عكس ما قاله الانصارى لان المجروح من الثياب ما كان بسبب الوجد فينبغي أن يكون المجروح للمغنى دون الصحيح وكل أقوالهم فى هذا محال وهذيان وقد حكى لى أبو عبد الله التكريتى الصوفى عن أبي الفتوح الاسفرايني وكنت أنا قد رأيته وأنا صغير السن وقد حضر فى جمع كثير فى رباط وهناك الحاد والقضبان ودف بجلاجل فقام يرقص حتى وقعت عمامته فبقى مكشوف الرأس : قال : التكريتى انه رقص يوماً فى خف له ثم ذكر ان الرقص في الخف خطأ عند القوم فانفرد وخلعه ثم نزع مطرفا كان عليه فوضعه بين أيديهم كفارة لتلك الجناية فاقتسموه خرقا قال ابن طاهر . والدليل على أن الذى يطرح الخرقة لا يجوز أن يشتريها من الجمع حديث عمر لا تعودن في صدقتك * قال المصنف : انظر الي بعد هذا الرجل عن فهم معانى الاحاديث فان الخرقة المطروحة باقية على ملك صاحبها فلا يحتاج الى أن يشتريها *

﴿ فصل ﴾ وأما تقطيعهم الثياب المطروحة خرقا وتفريقها فقد بينا انه ان كان صاحب الثوب رماه الي المغنى لم يملكه بنفس الرمي حتى يملكه اياه فاذا ملكه اياه فما وجه تصرف الغير فيه . ولقد شهدت بعض فقهائهم يخرق الثياب ويقسمها ويقول هذه الخرق ينتفع بها وليس هذا بتفريط . فقلت : وهل التفريط الا هذا ورأيت شيخا آخر منهم يقول خرقت خرقاً فى بلدنا فأصاب رجل منها خريقة فعملها كنفاً فباعه بخمسة دنانير . فقلت له : ان الشرع لا يجيز هذه الرعونات لمثل هذه النوادر . وأعجب من هذين الرجلين أبو حامد الطوسى فانه قال : يباح لهم تمزيق الثياب اذا خرقت قطعاً مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فان الثوب يمزق حتى يخاط منه قميص ولا يكون ذلك تضييعا ولقد عجبت من هذا الرجل كيف سلبه حب مذهب التصوف عن أصول الفقه ومذهب الشافعى فنظر الى انتفاع خاص ثم ما معني قوله مربعة . فان المطاولة ينتفع بها أيضا ثم لو مزق الثوب قرامل(١) لا انتفع بها ولو كسر السيف نصفين لانتفع بالنصف غير أن الشرع

(١) القرامل من الشعر والصوف ماوصلت به المرأة شعرها

يتلمح الفوائد العامة ويسمى ما نقص منها للانتفاع اتلافا ولهذا ينهى عن كسر الدرهم الصحيح لانه يذهب منه قيمة بالاضافة الى المكسور وليس العجب من تلبيس ابليس على الجهال منهم بل على الفقهاء الذين اختاروا بدع الصوفية على حكم أبي حنيفة والشافعي ومالك واحمد رضوان الله عليهم اجمعين *

﴿ فصل ﴾ ولقد أغربوا فيما ابتدعوا . وأقام لهم الاعذار من الى هواهم مال . ولقد ذكر محمد بن طاهر في كتابه . باب السنة فى اخذ شيء من المستغفر ، واحتج بحديث كعب بن مالك في توبته : يجزئك الثلث . ثم قال . باب الدليل على أن من وجبت عليه غرامة فلم يؤدها ألزموه أكثر منها . واستدل بحديث معاوية بن جعدة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الزكاة « من منعها فانا آخذوها وشطر ماله » *

قال المصنف رحمه الله . قلت فانظر الى تلاعب هؤلاء وجهل هذا المحتج لهم وتسمية ما يلزم بعضهم بما لا يلزمه غرامة وتسمية ذلك واجبا وليس لنا غرامة ولا وجوب الا بالشرع . ومتى اعتقد الانسان ما ليس بواجب واجبا كفر . ومن مذهبهم كشف الرؤوس عند الاستغفار وهذه بدعة تسقط المروءة وتنافى الوقار ولولا ورود الشرع بكشفه فى الاحرام ما كان له وجه . وأما حديث كعب بن مالك فانه قال . ان من توبتي أن أنخلع من مالى ، فقال له رسول الله ﷺ « يجزئك الثلث » لا على سبيل الالزام له . وانما تبرع بذلك فأخذه منه وأين الزام الشرع تارك الزكاة مما يزيد عليها عقوبة من إلزامهم المريد غرامة لا تجب عليه فاذا امتنع ضاعفوها وليس اليهم الالزام انما ينفرد بالالزام الشرع وحده . وهذا كله جهل وتلاعب بالشريعة فهؤلاء الخوارج عليها حقا *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على كثير من الصوفية فى صحبة الأحداث ﴾

قال المصنف . اعلم أن اكثر الصوفية المتصوفة قد سدوا على أنفسهم باب النظر الى النساء الاجانب لبعدهم عن مصاحبتهن وامتناعهم عن مخالطتهن واشتغلوا بالتعبد عن النكاح واتفقت صحبة الاحداث لهم على وجه الارادة وقصد الزهادة فأمالهم

ابليس اليهم . واعلم أن المتصوفة في صحبة الاحداث على سبعة أقسام ، القسم الاول أخبث القوم وهم ناس تشبهوا بالصوفية و يقولون بالحلول * اخبرنا محمد بن عبد الباقي ابن احمد بن سليمان نا ابو على الحسين بن محمد بن الفضل الكرمانى نا سهل بن على الخشاب نا ابو نصر عبد الله بن على السراج قال. بلغني أن جماعة من الحلولية زعموا ان الحق تعالى اصطفى أجساما حل فيها بمعاني الربوبية . ومنهم من قال هو حال فى المستحسنات . وذكر ابو عبد الله بن حامد من أصحابنا . أن طائفة من الصوفية قالوا انهم يرون الله عز وجل فى الدنيا، أجازوا أن يكون في صفة الآدمى ولم يأبوا كونه حالا في الصورة الحسنة حتى استشهدوه في رؤيتهم الغلام الاسود * القسم الثاني : قوم يتشبهون بالصوفية فى ملبسهم و يقصدون الفسق * القسم الثالث : قوم يستبيحون النظر الى المستحسن . وقد صنف أبو عبد الرحمن السلمي كتابا سماه سنن الصوفية فقال فى أواخر الكتاب : باب في جوامع رخصهم فذكر فيه الرقص والغناء والنظر الي وجه الحسن . وذكر فيه ما روي عن النبي عليه السلام أنه قال : اطلبوا الخير عند حسان الوجوه . وأنه قال : ثلاثة تجلو البصر : النظر الى الخضرة والنظر الى الماء والنظر الى الوجه الحسن *

قال المصنف رحمه الله : وهذان الحديثان لا أصل لهما عن رسول الله ﷺ أما الحديث الاول فاخبرنا به عبد الاول بن عيسى نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر نا عبد الله بن احمد بن حمويه نا ابراهيم بن خزيم ثنا عبد بن حميد ثنا يزيد بن هرون ثنا محمد بن عبد الرحمن بن المجبر عن نافع عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال . اطلبوا الخير عند حسان الوجوه . قال يحيى بن معين محمد بن عبد الرحمن ليس بشيء . قال المصنف قلت وقد روى هذا الحديث من طرق قال العقيلى لا يثبت عن النبى عليه السلام فى هذا شيء . وأما الحديث الآخر فأنبأنا أبو منصور بن خيرون نا احمد ابن على بن ثابت نى احمد بن محمد بن يعقوب نا محمد بن نعيم الضبى نا أبو بكر محمد ابن احمد بن هرون نا احمد بن عمر بن عبيد الريحانى قال سمعت أبا البختري وهب ابن وهب يقول : كنت أدخل على الرشيد وابنه القاسم بين يديه فكنت أدمن النظر اليه فقال : أراك تدمن النظر الي القاسم تريد أن تجعل انقطاعه اليك . قلت

أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترميني بما ليس فيّ . وأما ادمان النظر اليه فان جعفراً الصادق ثنا عن أبيه عن جده علي بن الحسين عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثلاث يزدن في قوة النظر . النظر الى الخضرة والى الماء الجارى والى الوجه الحسن *

قال المصنف رحمه الله . هذا حديث موضوع ولا يختلف العلماء في أبي البخترى انه كذاب وضاع . واحمد بن عمر بن عبيد أحد المجهولين . ثم قد كان ينبغي لأبي عبد الرحمن السلمى اذ ذكر النظر الى المستحسن أن يقيده بالنظر الى وجه الزوجة أو المملوكة فاما اطلاقه ففيه سوء ظن . وقال شيخنا محمد بن ناصر الحافظ كان ابن طاهر المقدسى قد صنف كتابا في جواز النظر الى المرد *

قال المصنف رحمه الله * قلت والفقهاء يقولون من ثارت شهوته عند النظر الى الامرد حرم عليه أن ينظر اليه ومتى ادعى الانسان أنه لا تثور شهوته عند النظر الى الأمرد المستحسن فهو كاذب وانما أبيح على الاطلاق لئلا يقع الحرج فى كثرة المخالطة بالمنع فاذا وقع الالحاح فى النظر دل على العمل بمقتضى ثوران الهوى . قال سعيد بن المسيب اذا رأيتم الرجل يلح النظر الى غلام امرد فاتهموه * القسم الرابع قوم يقولون نحن لا ننظر نظر شهوة وانما ننظر نظر اعتبار فلا يضرنا النظر وهذا محال منهم فان الطباع تتساوى فمن ادعى تنزه نفسه عن ابناء جنسه في الطبع ادعى المحال وقد كشفنا هذا في أول كلامنا في السماع * أخبرتنا شهدة بنت أحمد الابرى قالت باسناد مرفوع الى محمد بن جعفر الصوفى قال قال أبو حمزة الصوفى حدثنى عبد الله بن الزبير الحنفى قال كنت جالساً مع أبي النضر الغنوي وكان من المبرزين العابدين فنظر الى غلام جميل فلم تزل عيناه واقعتين عليه حتى دنا منه فقال سألتك بالله السميع وعزه الرفيع وسلطانه المنيع الا وقفت عليّ أروى من النظر اليك فوقف قليلا ثم ذهب ليمضي فقال له سألتك بالحكيم المجيد الكريم المبدئ المعيد ألا ما وقفت فوقف ساعة فأقبل يصعد النظر اليه ويصوبه ثم ذهب ليمضى فقال سألتك بالواحد الاحد الجبار الصمد الذى لم يلد ولم يولد الا وقفت فوقف ساعة فنظر اليه طويلا ثم ذهب ليمضي فقال سألتك باللطيف الخبير السميع البصير وبمن ليس له نظير ألا وقفت فوقف فأقبل

ينظر اليه ثم أطرق رأسه الى الارض ومضى الغلام فرفع رأسه بعد طويل وهو يبكى فقال قد ذكرنى هـذا بنظرى اليه وجهاً جل عن التشبيه وتقدس عن التمثيل وتعاظم عن التحديد والله لأجهدن نفسي في بلوغ رضاه بمجاهدتى جميع أعدائه وموالاتى لاوليائه حتى أصير الى ما أردته من نظرى الى وجهه الكريم و بهائه العظيم . ولوددت أنه قد أرانى وجهه وحبسني فى النار مادامت السموات والارض ثم غشى عليه * وحدثنا محمد بن عبد الله الفزارى قال سمعت خيرا النساج يقول كنت مع محارب بن حسان الصوفى في مسجد الخيف ونحن محرمون فجلس الينا غلام جميل من أهل المغرب فرأيت محاربا ينظر اليه نظراً أنكرته فقلت له : بعد أن قام انك محرم في شهر حرام فى بلد حرام في مشعر حرام وقد رأيتك تنظر الى هـذا الغلام نظراً لاينظره الا المفتونون . فقال لي تقول هـذا : يا شهوانى القلب والطرف ألم تعلم أنه قد منعنى من الوقوع في شرك ابليس ثلاث فقلت وما هي قال سر الايمان وعفة الاسلام وأعظمها الحياء من الله تعالى أن يطلع علي وأنا جاثم على منكر نهانى عنه ثم صعق حتى اجتمع الناس علينا *

قال المصنف رحمه الله * قلت انظروا الى جهل الاحمق الاول ورمزه الى التشبيه وان تلفظ بالتنزيه والى حماقة هذا الثانى الذي ظن أن المعصية هى الفاحشة فقط وماعلم أن نفس النظر بشهوة يحرم. ومحا عن نفسه أثر الطبع بدعواه التي تكذبها شهوة النظر . وقد حدثنى بعض العلماء أن صبياً امرد حكى له قال قال لي فلان الصوفى وهو يحبني : يابني لله فيك اقبال والتفات . حيث جعل حاجتي اليك * وحكى ان جماعة من الصوفية دخلوا على أحمد الغزالي وعنده امرد وهو خال به و بينهما ورد وهو ينظر الى الورد تارة . والى الامرد تارة . فلما جلسوا قال بعضهم لعلنا كدرنا . فقال : أي والله فتصايح الجماعة على سبيل التواجد *

وحكى أبو الحسين بن يوسف أنه كتب اليه في رقعة انك تحب غلامك التركى فقرأ الرقعة ثم استدعى الغلام فصعد اليه النظر فقبله بين عينيه وقال هـذا جواب الرقعة *

قال المصنف رحمه الله قلت : اني لا أعجب من فعل هذا الرجل والقائه جلباب

الحياء عن وجهه وانما اعجب من البهائم الحاضرين كيف سكتوا عن الانكار عليه ولكن الشريعة بردت فى قلوب كثير من الناس * وأخبرنا ابو القاسم الحريرى أنبأنا ابو الطيب الطبرى قال : بلغني عن هذه الطائفة التي تسمع السماع انها تضيف اليه النظر الى وجه الأمرد وربما زينته بالحلى والمصبغات من الثياب والحواشي وتزعم أنها تقصد به الازدياد في الايمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع وهذه النهاية في متابعة الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم قال الله تعالى « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » وقال « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت » وقال : « أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض » فعدلوا عما أمرهم الله به من الاعتبار الى مانهاهم عنه . وانما تفعل هذه الطائفة ماذكرناه بعد تناول الالوان الطيبة والمآكل الشهية فاذا استوفت منها نفوسهم طالبتهم بما يتبعها من السماع والرقص والاستمتاع بالنظر الى وجوه المرد ولو انهم تقللوا من الطعام لم يحنوا الى سماع ونظر * قال ابو الطيب وقد أخبر بعضهم في شعره عن أحوال المستمعين للغناء وما يجدونه حال السماع فقال

أتذكر وقتنا وقد اجتمعنا ... على طيب السماع الى الصباح
ودارت بيننا كأس الاغانى ... فاسكرت النفوس بغير راح
فلم تر فيهم الا نشاوى ... سروراً والسرور هناك صاحي
اذا لبى أخو اللذات فيه ... منادي اللهو حىّ على الفلاح
ولم نملك سوى المهجات شيئاً ... أرقناها لالحاظ ملاح

قال فاذا كان السماع تأثيره في قلوبهم ماذكره هذا القائل فكيف يجدي السماع نفعاً أو يفيد فائدة * قال ابن عقيل قول من قال لاأخاف من رؤية الصور المستحسنة ليس بشيء . فان الشريعة جاءت عامة الخطاب لاتميز الاشخاص . وآيات القرآن تنكر هذه الدعاوى . قال الله تعالى . « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم » . وقال « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت » فلم يحل النظر الا على صور لاميل للنفس اليها ولاحظ فيها بل عبرة لايمازجها شهوة . ولا تعتريها لذة فاما صور الشهوات فانها تعبر عن العبرة بالشهوة وكل صورة ليست بعبرة لاينبغي أن ينظر اليها لانها قد تكون سبباً للفتنة .

ولذلك ما بعث الله تعالى امرأة بالرسالة ولا جعلها قاضياً ولا اماماً ولا مؤذنا . كل ذلك لانها محل فتنة وشهوة وربما قطعت عما قصدته الشريعة بالنظر وكل من قال أنا أجد من الصور المستحسنة عبراً كذبناه . وكل من ميز نفسه بطبيعة تخرجه عن طباعنا بالدعوى كذبناه . وانما هذه خدع الشيطان للمدعين* القسم الخامس قوم صحبوا المردان ومنعوا أنفسهم من الفواحش يعتقدون ذلك مجاهدة ومايعلمون أن نفس صحبتهم والنظر اليهم بشهوة معصية وهذه من خلال الصوفية المذمومات وقد كان قدماؤهم على غير هذا وقيل كانوا على هذا بدليل وهو ما أخبرنا احمد بن على بن ثابت قال أنشدنا أبو على الروزبارى

أنزه فى روض المحاسن مقلتى وأمنع نفسى أن تنال محرماً

وأحمل من ثقل الهوى مالو انه على الجبل الصلد الاصم تهدما

قال المصنف رحمه الله : وسيأتي حديث يوسف بن الحسين . وقوله عاهدت ربى أن لا أصحب حدثاً مائة مرة ففسخنا على قوام القدود وغنج العيون* أخبرتنا شهدة الكاتبة باسناد عن أبى المختار الضبي قال حدثني أبي قال قلت لأبي الكميت الاندلسي وكان جوالا فى أرض الله حدثني بأعجب مارأيت من الصوفية قال صحبت رجلا منهم يقال له مهرجان وكان مجوسياً فأسلم وتصوف فرأيت معه غلاماً جميلا لا يفارقه وكان إذا جاء الليل قام فصلي ثم ينام إلى جانبه ثم يقوم فزعا فيصلي ما قدر له ثم يعود فينام إلى جانبه حتى فعل ذلك مراراً فاذا أسفر الصبح أو كاد يسفر أوتر ثم رفع يديه وقال اللهم إنك تعلم أن الليل قد مضى عليّ سليما لم أقترف فيه فاحشة ولا كتبت علي الحفظة فيه معصية وان الذى أضمره بقلبي لو حملته الجبال لتصدعت أو كان بالارض لتدكدكت ثم يقول ياليل اشهد بما كان مني فيك فقد منعني خوف الله عن طلب الحرام والتعرض للآثام ثم يقول سيدى أنت تجمع بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع فيه الاحباب فأقمت معه مدة طويلة أراه يفعل ذلك فى كل ليلة وأسمع هذا القول منه فلما هممت بالانصراف من عنده قلت له سمعتك تقول اذا انقضى الليل كذا وكذا فقال وسمعتني قلت نعم ، قال فوالله يا أخى إنى لأدارى من قلبى ما لو داراه سلطان من رعيته لكان الله حقيقاً بالمغفرة له فقلت وما الذى يدعوك الى صحبة من

تخاف على نفسك العنت من قبله (١) وقال أبو محمد بن جعفر بن عبد الله الصوفي قال أبو حمزة الصوفي رأيت ببيت المقدس فتى من الصوفية يصحب غلاماً مدة طويلة فمات الفتى وطال حزن الغلام عليه حتى صار جلداً وعظماً من الضنا والكمد فقلت له يوماً لقد طال حزنك على صديقك حتى أظن انك لا تسلو بعده أبداً فقال كيف أسلو عن رجل أجلّ الله عز وجل أن يصيبه معى طرفة عين أبداً وصاننى عن نجاسة الفسوق فى خلول صحبتى له وخلواتى معه في الليل والنهار *

قال المصنف رحمه الله : هؤلاء قوم رآهم إبليس لا ينجذبون معه الى الفواحش فحسن لهم بداياتها فتعجلوا لذة النظر والصحبة والمحادثة وعزموا على مقاومة النفس في ضدها عن الفاحشة فان صدقوا وتم لهم ذلك فقد اشتغل القلب الذى ينبغى أن يكون شغله بالله تعالى لا بغيره وصرف الزمان الذى ينبغي أن يخلو فيه القلب بما ينفع به فى الآخرة بمجاهدة الطبع فى كفه عن الفاحشة وهذا كله جهل وخروج عن آداب الشرع فان الله عز وجل أمر بغض البصر لانه طريق الى القلب ليسلم القلب لله تعالى من شائب تخاف منه وما مثل هؤلاء الا كمثل من أقبل الى سباع في غيضة متشاغلة عنه لا تراه فأثارها وحاربها وقاومها فيابعد سلامته من جراحة ان لم يهلك *

(فصل) وفى هؤلاء من قويت مجاهدته مدة ثم ضعفت فدعته نفسه الى الفاحشة فامتنع حينئذ من صحبة المرد* أخبرتنا شهدة الكاتبة عن عمر بن يوسف الباقلانى قال قال أبو حمزة قلت لمحمد بن العلاء الدمشقي وكان سيد الصوفية وقد رأيته يماشى غلاماً وضيئاً مدة ثم فارقه . فقلت له لم هجرت ذلك الفتى الذي كنت أراه معك بعد ان كنت له مواصلا واليه مائلا . وقال والله لقد فارقته عن غير قلا ولا ملل . قلت ولم فعلت ذلك . قال : رأيت قلبي يدعوني الى أمر اذا خلوت به وقرب منى لو أتيته سقطت من عين الله عز وجل فهجرته لذلك تنزيها لله تعالى ولنفسى من مضارع الفتن *

(فصل) ومنهم من تاب وأطال البكاء عن إطلاق نظره * أخبرنا

---

(١) هكذا الاصل ولعل الجواب محذوف

المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي باسناد عن عبيد الله . قال سمعت أخي أبا عبد الله محمد بن محمد يقول : سمعت خيراً النساج يقول : كنت مع أمية بن الصامت الصوفي إذ نظر الى غلام فقرأ « وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » ثم قال . وأين الفرار من سجن الله وقد حصنه بملائكة غلاظ شداد تبارك الله فما أعظم ما امتحنني به من نظرى الى هذا الغلام ماشبهت نظرى اليه الا بنار وقعت على قصب فى يوم ريح فما أبقت ولا تركت ثم قال . أستغفر الله من بلاء جنته عيناى على قلبي . لقد خفت ألا أنجو من معرته ولا أتخلص من اثمه ولو وافيت القيامة بعمل سبعين صديقا . ثم بكى حتى كاد يقضى نحبه فسمعته يقول في بكائه ياطرف لأشغلنك بالبكاء عن النظر الى البلاء *

* فصل * ومنهم من تلاعب به المرض من شدة المحبة * اخبرتنا شهدة الكاتبة باسناد عن أبي حمزة الصوفي قال . كان عبد الله بن موسى من رؤساء الصوفية ووجوههم فنظر الى غلام حسن في بعض الاسواق فبلى به وكاد يذهب عقله عليه صبابة وحبا وكان يقف كل يوم فى طريقه حتى يراه اذا أقبل واذا انصرف فطال به البلاء وأقعده عن الحركة الضنا وكان لا يقدر أن يمشى خطوة فأتيته يوماً لأعوده . فقلت يا أبا محمد ما قصتك وما هذا الامر الذى بلغ بك ما أرى ، فقال ، أمور امتحننى الله بها فلم أصبر على البلاء فيها ولم يكن لى بها طاقة ، ورب ذنب يستصغره الانسان هو عند الله أعظم من كبير ، وحقيق بمن تعرض للنظر الحرام أن تطول به الاسقام ثم بكى قلت مايبكيك ؟ قال أخاف أن يطول في النار شقائى فانصرفت عنه وأنا راحم له لما رأيت به من سوء الحال ، قال أبو حمزة ونظر محمد بن عبد الله بن الاشعث الدمشقى وكان من خيار عباد الله الى غلام جميل فغشى عليه ، فحمل الى منزله واعتاده السقم حتى اقعد من رجليه وكان لا يقوم عليهما زماناً طويلا فكنا نأتيه نعوده ونسأله عن حاله وأمره وكان لا يخبرنا بقصته ولا بسبب مرضه ، وكان الناس يتحدثون بحديث نظره فبلغ ذلك الغلام فأتاه عائدا فهش اليه وتحرك وضحك فى وجهه واستبشر برؤيته فما زال يعوده حتى قام على رجليه وعاد الى حالته فسأله الغلام يوما أن يسير معه الى منزله فأبى أن يفعل ذلك ، فسألني أن أسأله أن يتحول اليه فسألته فأبي أن يفعل ،

فقلت للشيخ ، وما الذى تكره من ذلك ، فقال ، لست بمعصوم من البلاء ولا آمن من الفتنة ، وأخاف أن يقع على من الشيطان محنة فتجرى بيني و بينه معصية فأكون من الخاسرين *

﴿ فصل ﴾ وفيهم من همت نفسه الى الفاحشة فقتل نفسه * حدثنى أبو عبدالله الحسين بن محمد الدامغانى قال ، كان ببلاد فارس صوفي كبير فابتلى بحدث فلم يملك نفسه أن دعته الي فاحشة فراقب الله عز وجل ثم ندم على هذه الهمة وكان منزله على مكان عال و وراء منزله بحر من الماء فلما أخذته الندامة صعد السطح ورمى بنفسه الي الماء وتلى قوله تعالي « فتوبوا الي بارئكم فاقتلوا أنفسكم » فغرق في البحر *

قال المصنف رحمه الله * انظر الي ابليس كيف درج هذا المسكين من رؤية هذا الامرد والى ادمان النظر اليه الى أن مكن المحبة من قلبه الى أن حرضه على الفاحشة فلما رأى استعصامه حسن له بالجهل قتل نفسه فقتل نفسه ، ولعله هم بالفاحشة ولم يعزم ، والهمة معفو عنها لقوله عليه السلام . عفي لأمتى عما حدثت به نفوسها ، ثم انه ندم على همته والندم توبة فأراه ابليس أن من تمام الندم قتل نفسه كما فعل بنو اسرائيل فأولئك أمروا بذلك بقوله تعالي « فاقتلوا أنفسكم » ونحن نهينا عنه بقوله تعالى « ولا تقتلوا أنفسكم » فلقد أتى بكبيرة عظيمة ، وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ، من تردي من جبل فقتل نفسه فهو يتردى فى نار جهنم خالدا مخلداً فيها أبدا *

﴿ فصل ﴾ وفيهم من فرق بينه و بين حبيبه فقتل حبيبه . بلغنى عن بعض الصوفية انه كان فى رباط عندنا ببغداد ومعه صبى فى البيت الذى هو فيه فشنعوا عليه وفرقوا بينهما فدخل الصوفى الى الصبي ومعه سكين فقتله وجلس عنده يبكى فجاء أهل الرباط فرأوه فسألوه عن الحال فأقر بقتل الصبي فرفعوه الى صاحب الشرطة فأقر فجاء والد الصبي يبكى فجلس الصوفي يبكى و يقول له بالله عليك الا ما أقدتنى به ، فقال الآن قد عفوت عنك : فقام الصوفى الي قبر الصبى فجعل يبكي عليه ثم لم يزل يحج عن الصبى و يهدى له الثواب *

﴿ فصـل ﴾ ومن هؤلاء من قارب الفتنة فوقع فيها ولم تنفعه دعوى الصبر والمجاهدة * والحديث باسناد عن ادريس بن ادريس . قال . حضرت بمصر قوما من الصوفيـة . ولهم غلام أمرد يغنيهم . قال . فغلب على رجل منهم أمره فلم يدر ما يصنع فقال. ياهذاقل لا إله الا الله .فقال الغلام لا إله الا الله . فقال أقبل الفم الذى قال لا إله الا الله * القسم السادس . قوم لم يقصدوا صحبة المردان وانما يتوب الصبي ويتزهـد ويصحبهم على طريق الارادة فيلبس ابليس عليهم ويقول لا تمنعوه من الخير ثم يتكرر نظرهم اليه لا عن قصد فيثير فى القلب الفتنة الى أن ينال الشيطان منهم قدر ما يمكنه . وربما وثقوا بدينهم فاستفزهم الشيطان فرماهم الى أقصي المعاصى كما فعل ببرصيصا *

قال المصنف رحمه الله * وقد ذكرنا قصته فى أول الـكتاب وغلطهم من جهة تعرضهم بالفتن وصحبة من لا يؤمن الفتنة فى صحبته * القسم السابع . قوم علموا أن صحبة المردان والنظر اليهم لا يجوز غير أنهم لم يصبروا عن ذلك * والحديث باسناد عن الرازى يقول : قال يوسف بن الحسـين : كل ما رأيتمونى أفعله فافعلوه الا صحبة الاحـداث فانها أفتن الفتن . ولقد عاهدت ربي أ كثر من مائة مرة أن لا أصحب حدثا ففسخها علىّ حسن الخدود وقوام القدود وغنج العيون وما سألني الله معهم عن معصية . وأنشد صريع الغواني فى معني ذلك شعراً

ان ورد الخدود والحدق النجـ ـل وما في الثغور من أقحوان
واعوجاج الاصداغ فى ظاهر الخد وما فى الصدور من رمان
تركتني بين الغوانى صريعا فلهذا أدعى صريع الغواني

قال المصنف رحمه الله : قلت هذا الرجل قد فضح نفسه فى شيء ستره الله عليه وأخبر أنه كلما رأى فتنة نقض التوبة فاين عزائم التصوف فى حمل النفس على المشاق ثم ظن بجهله أن المعصية هى الفاحشة فقط ولو كان له علم لعلم أن صحبتهم والنظر اليهم معصية . فانظر الى الجهل كيف يصنع بأربابه * والحديث باسناد عن محمد بن عمر أنه قال . حكى لى عن أبى مسلم الخشوعى أنه نظر الى غلام جميل فأطال . ثم قال

سبحان الله ما أهجم طرفي على مكروه نفسه وأدمنه على سخط سيده وأغراه بما قد نهي عنه وأبهجه بالامر الذي قد حزر عنه . لقد نظرت الى هذا نظرا لا أحسب الا أنه سيفضحني عند جميع من عرفني في عرصات القيامة ولقد تركني نظرى هذا وأنا أستحي من الله تعالى وان غفر لي ثم صعق . وباسناد عن أبي بكر محمد بن عيد يقول سمعت أبا الحسين النورى يقول . رأيت غلاما جميلا ببغداد فنظرت اليه ثم أردت أن أردد النظر فقلت له تلبسون النعال الصرارة . وتمشون في الطرقات . فقال . أحسنت الحشر بالعلم

﴿ فصل ﴾ وكل من فاته العلم تخبط فان حصل له وفاته العمل به كان أشد تخبيطا . ومن استعمل أدب الشرع في قوله عز وجل « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » سلم في البداية بما صعب أمره في النهاية وقد ورد الشرع بالنهي عن مجالسة المردان وأوصى العلماء بذلك * والحديث باسناده عن أنس رضى الله عنه : قال . قال رسول الله ﷺ لا تجالسوا أبناء الملوك فان النفوس تشتاق اليهم مالا تشتاق الى الجوارى العواتق * والحديث باسناده عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال . لا تملأوا أعينكم من أولاد الملوك فان لهم فتنة أشد من فتنة العذارى * والحديث باسناد عن الشعبي قال . قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاة فأجلسه النبي عليه الصلاة والسلام وراء ظهره وقال . كانت خطيئة داود عليه السلام النظر * وعن أبي هريرة . قال نهى رسول الله ﷺ أن يحد الرجل النظر الى الغلام الامرد * وقال عمر بن الخطاب . ما أتى على عالم من سبع ضار أخوف عليه من غلام أمرد * وباسناد عن الحسن بن ذكوان أنه قال . لا تجالسوا أولاد الاغنياء فان لهم صوراً كصور النساء وهم أشد فتنة من العذارى *

وباسناد عن محمد بن حمير عن النجيب السرى . قال كان يقال لا يبيت الرجل في بيت مع المرد * وباسناد عن عبد العزيز بن أبي السائب عن أبيه قال . لانا أخوف على عابد من غلام من سبعين عذراء * وعن أبي على الروزبارى ، قال ، سمعت جنيدا يقول جاء رجل الي احمد بن حنبل ومعه غلام حسن الوجه فقال له

من هذا ، قال ، ابى فقال احمد لا تجيء به معك مرة اخرى فلما قام قال له محمد بن عبد الرحمن الحافظ وفى رواية الخطيب فقيل له أيد الله الشيخ انه رجل مستور وابنه أفضل منه فقال احمد الذى قصدنا اليه من هذا الباب ليس يمنع منه سترهما على هـذا رأينا أشياخنا و به أخبرونا عن أسلافهم * و باسناد عن أبي بكر المروزى ، قال ، جاء حسن البزاز الى احمد بن حنبل ومعه غلام حسن الوجه فتحدث معه فلما أراد ان ينصرف ، قال ، له أبو عبد الله يا أبا على لا تمش مع هذا الغلام فى طريق فقال له انه ابن أختي ، قال وان كان لا يهلك الناس فيك * و باسناد عن شجاع بن مخلد أنه سمع بشر بن الحارث يقول احذروا هؤلاء الاحداث * و باسناد عن فتح الموصلى انه قال ، صحبت ثلاثين شيخاً كانوا يعدون من الابدال كلهم أوصوني عند فراقى لهم اتقى معاشرة الاحداث * و باسناد عن الحلبي أنه يقول نظر سلام الاسود الى رجل ينظر الى حدث فقال له ياهذا ابق على جاهك عند الله فانك لا تزال ذا جاه مادمت له معظما * و باسناد عن أبي منصور عبد القادر بن طاهر يقول من صحب الاحداث وقع فى الاحداث وعن أبى عبـد الرحمن السلمي ، قال قال مظفر القرميسينى من صحب الاحـداث على شرط السلامة والنصيحة اداه ذلك الى البلاء ، فكيف بمن يصحبهم على غير وجه السلامة *

﴿ فصل ﴾ وقد كان السلف يبالغون فى الاعراض عن المرد . وقد روينا عن رسول الله ﷺ أنه أجلس الشاب الحسن الوجه وراء ظهره والحديث باسناد عن عطاء ابن مسلم قال كان سفيان لا يدع أمردا يجالسه * وروى ابراهيم بن هانيء عن يحيى بن معين قال ما طمع امرد بصحبتى . ولاحمد بن حنبل قال فى طريق * وباسناد عن أبى يعقوب . قال كنا مع أبى نصر بن الحرث فوقفت عليـه جارية ما رأينا أحسن منها فقالت : ياشيخ أين مكان باب حرب . فقال لها هذا الباب الذي يقال له باب حرب ثم جاء بعدها غلام ما رأينا احسن منه : فسأله فقال ياشيخ أين مكان باب حرب فأطرق الشيخ رأسه . فرد عليه الغلام السؤال وغمض عينيه فقلنا للغلام تعال أيش تريد فقال باب حرب . فقلنا له هاهو بين يديك فلما غاب قلنا للشيخ ياأبا نصر جاءتك جارية فأجبتها وكلمتها وجاءك غلام فلم تكلمه . فقال : نعم يروى عن سفيان

الثورى أنه قال . مع الجارية شيطان ومع الغلام شيطانان نخشيت على نفسى من شيطانيه و باسناد عن عبد الله بن المبارك يقول . دخل سفيان الثورى الحمام فدخل عليه غلام صبيح فقال اخرجوه اخرجوه . فاني أرى مع كل امرأة شيطانا . ومع كل غلام بضعة عشر شيطانا * و باسناد عن محمد بن احمد بن أبى القسم . قال دخلنا على محمد بن الحسين صاحب يحيي بن معين وكان يقال انه ما رفع رأسه الي السماء منذ اربعين سنة وكان معنا غلام حدث فى المجلس بين يديه . فقال له .قم من حذائى فاجلسه من خلفه * وباسناد عن أبى امامة : قال ، وكنا عند شيخ يقري فبقى عنده غلام يقرأ عليه فأردت الانصراف فأخذ بثوبي وقال اصبر حتى يفرغ هذا الغلام ، وكره أن يخلو مع هـذا الغلام * و باسناد عن أبي الروز بارى قال قال لى أبو العباس احمد المؤدب ياأبا على من أين أخذ صوفية عصرنا هذا الانس بالاحداث فقلت له يا سيدي أنت بهم أعرف ، وقد تصحبهم السلا ة لي كثير من الامور فقال هيهات قد رأينا من كان أقوى إيمانا منهم اذا رأى الحدث قد أقبل فر كفراره من الزحف وانما ذلك على حسب الاوقات التى تغلب الاحوال على أهلها فتأخذها عن تصرف الطباع ماأ كثر الخطر ما أ كثر الغلط *

﴿ فصل ﴾ وصحبة الاحداث أقوى حبائل ابليس التي يصيد بها الصوفية أخبرنا ابن ناصر عن أبي عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا بكر الرازي يقول قال يوسف ابن الحسين نظرت فى آفات الخلق فعرفت من أين أتوا و رأيت آفة الصوفية في صحبة الاحداث ومعاشرة الاضداد وارفاق النسوان * و باسناد عن ابن الفرج الرستمي الصوفى يقول رأيت ابليس فى النوم فقلت له — كيف رأيتنا اعرضنا عن الدنيا ولذاتها وأموالها فليس لك الينا طريق فقال كيف رأيت مااشتملت به قلوبكم باستماع الغناء ومعاشرة الاحـداث * وباسناد عن ابن سعيد الخراز يقول رأيت ابليس فى النوم يمرغني ناحيــة فقلت ، تعال ، فقال ايش اعمـل بكم ، انتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس ، قلت ماهو ، قال الدنيا ، فلمـا ولى التفت الىّ فقال ، غـير أن فيكم لطيفة ، قلت وما هى ؟ قال . صحبة الاحداث . قال ابو سعيد وقل من يتخلص منها من الصوفية *

﴿ فصل ﴾ فى عقوبة النظر الى المردان. عن أبي عبد الله بن الجلاء قال كنت انظر الى غلام نصرانى حسن الوجه فمر بي أبو عبد الله البلخى . فقال إيش وقوفك . فقلت . ياعم أما ترى هذه الصورة كيف تعذب بالنار . فضرب بيده بين كتفى . وقال لتجدن غبها ولو بعد حين . قال فوجدت غبها بعد أربعين سنة أن أنسيت القرآن * وباسناد عن أبي الاديان وقال كنت مع استاذى وأبى بكر الدقاق فمر حدث فنظرت اليه فرآني أستاذى وأنا أنظر اليه فقال يابني لتجدن غبه ولو بعد حين . فبقيت عشرين سنة وأنا أراعى فما أجد ذلك الغب فنمت ذات ليلة وأنا مفكر فيه فأصبحت وقد أنسيت القرآن كله * وعن أبي بكر الكتاني قال رأيت بعض أصحابنا فى المنام فقلت ما فعل الله بك قال عرض على سيئاتى وقال فعلت كذا وكذا فقلت نعم . ثم قال وفعلت كذا وكذا فاستحييت أن أقره فقلت انى استحى أن اقر فقال انى غفرت لك بما اقررت فكيف بما استحييت فقلت له ما كان ذلك الذنب فقال مر بي غلام حسن الوجه فنظرت اليه * وقد روي نحو هذه الحكاية عن أبي عبد الله الزراد انه رؤى في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى كل ذنب أقررت به فى الدنيا الا واحدا فاستحييت ان أقر به فوقفنى في العرق حتى سقط لحم وجهي. فقيل له ما الذنب فقال نظرت الى شخص جميل * وقد بلغنا عن أبى يعقوب الطبرى أنه قال كان معي شاب حسن الوجه يخدمني فجاءني انسان من بغداد صوفي فكان كثير الالتفات الى ذلك الشاب فكنت أجد عليه لذلك فنمت ليلة من الليالى فرأيت رب العزة في المنام فقال يا أبا يعقوب لم لم تنهه وأشار الى البغدادى عن النظر الى الاحداث فوعزتى اني لا أشغل بالاحداث الا من باعدته عن قربى . قال أبو يعقوب فانتبهت وأنا اضطرب فحكيت الرؤيا للبغدادى فصاح صيحة ومات فغسلناه ودفناه . واشتغل عليه قلبي فرأيته بعد شهر فى النوم فقلت له مافعل الله بك قال وبخنى حتى خفت أن لا أنجو ثم عفا عنى . قلت . انما مددت النفس يسيرا في هذا الباب لأنه مما تعم به البلوى عند الاكثرين فمن أراد الزيادة فيه وفيما يتعلق باطلاق البصر وجميع أسباب الهوي فلينظر في كتابنا المسمى بذم الهوى . ففيه غاية المراد من جميع ذلك *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى ادعاء التوكل ﴾

وقطع الاسباب وترك الاحتراز في الاموال

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى باسناد عن أحمد ابن أبي الحوارى قال سمعت أبا سليمان الداراني يقول لو توكلنا على الله تعالى مابنينا الحيطان ولا جعلنا للباب الدار غلقا مخافة اللصوص * و باسناد عن ذى النون المصري أنه قال سافرت سنين وما صح لى التوكل الا وقتا واحداً ركبت البحر فكسر المركب فتعلقت بخشبة من خشب المركب فقالت لي نفسى ان حكم الله عليك بالغرق فما تنفعك هذه الخشبة فخليت الخشبة فطفت على الماء فوقعت على الساحل *

أخبرنا محمد قال سألت أبا يعقوب الزيات عن مسألة فى التوكل فأخرج درهما كان عنده ثم أجابني . فاعطى التوكل حقه . ثم قال استحييت أن أجيبك وعندى شيء وذكر أبو نصر السراج في كتاب اللمع قال جاء رجل الى عبد الله بن الجلاء فسأله عن مسألة في التوكل وعنده جماعته فلم يجبه ودخل البيت فاخرج اليهم صرة فيها أربعة دوانق . فقال اشتروا بهذه شيئا . ثم أجاب الرجل عن سؤاله فقيل له في ذلك . فقال . استحييت من الله تعالى أن أتكلم فى التوكل وعندى أربعة دوانق * وقال سهل بن عبد الله من طعن في الاكتساب فقد طعن على السنة ومن طعن على التوكل فقد طعن على الايمان *

قال المصنف قلت : قلة العلم أوجبت هذا التخليط . ولو عرفوا ماهية التوكل لعلموا أنه ليس بينه و بين الاسباب تضاد . وذلك أن التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده وذلك لا يناقض حركة البدن فى التعلق بالاسباب ولا ادخار المال . فقد قال تعالى « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » أي قواما لابدانكم وقال ﷺ . نعم المال الصالح مع الرجل الصالح . وقال ﷺ إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس . واعلم أن الذى أمر بالتوكل أمر بأخذ الحذر فقال « خذوا حذركم » وقال « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وقال « أن أسر

بعبادي ليلا » وقد ظاهر رسول الله ﷺ بين درعين وشاور طبيبين واختفى فى الغار. وقال من يحرسني الليلة . وأمر بغلق الباب * وفي الصحيحين من حديث جابر أن النبي ﷺ قال أغلق بابك . وقد أخبرنا أن التوكل لا ينافي الاحتراز *

أخبرنا إسماعيل بن احمد السمرقندى نا عبد الله بن يحيى الموصلى ونصر بن احمد قالا أخبرنا أبو الحسين بن بشران ثنا الحسين بن صفوان ثنا أبو بكر القرشي ثنى أبو جعفر الصيرفي ثنا يحيى بن سعيد ثنا المغيرة بن أبي قرة السدوسى قال سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول جاء رجل الى النبي ﷺ وترك ناقته بباب المسجد فسأله رسول الله ﷺ عنها فقال أطلقتها وتوكلت على الله قال اعقلها وتوكل *

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن على الازجي نا إبراهيم بن محمد بن جعفر نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر الخلال أخبرني حرب بن إسماعيل الكرمانى ثنى عبد الرحمن بن محمد بن سلام ثنا الحسين بن زياد المروزى قال سمعت سفيان بن عيينة يقول تفسير التوكل ان يرضى بما يفعل به * وقال ابن عقيل يظن أقوام ان الاحتياط والاحتراز ينافى التوكل . وان التوكل هو إهمال العواقب واطراح التحفظ وذلك عند العلماء هو العجز والتفريط الذي يقتضى من العقلاء التوبيخ والتهجين ولم يأمر الله بالتوكل الا بعد التحرز واستفراغ الوسع في التحفظ . فقال تعالى (وشاورهم فى الامر) (فاذا عزمت فتوكل على الله) فلو كان التعلق بالاحتياط قادحا فى التوكل لما خص الله به نبيه حين قال له (وشاورهم في الامر) وهل المشاورة الا استفادة الرأي الذي منه يؤخذ التحفظ والتحرز من العدو ولم يقنع في الاحتياط بأن يكله الى رأيهم واجتهادهم حتى نص عليه وجعله عملا فى نفس الصلاة وهي أخص العبادات . فقال (فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم) و بين علة ذلك بقوله تعالى (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ومن علم أن الاحتياط هكذا لا يقل أن التوكل عليه ترك ما علم . لكن التوكل التفويض فيما لا وسع فيه ولا طاقة * قال عليه الصلاة والسلام « اعقلها وتوكل » ولو كان التوكل ترك التحرز لخص به خير الخلق ﷺ فى خير الاحوال وهي حالة الصلاة . وقد ذهب الشافعي رحمه الله الى وجوب حمل السلاح حينئذ لقوله :

(وليأخذوا أسلحتهم) فالتوكل لا يمنع من الاحتياط والاحترازفان موسى عليه السلام لما قيل له (ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) . خرج . ونبينا ﷺ خرج من مكة لخوفه من المتآمرين عليه ووقاه أبو بكر رضي الله عنه بسد أثقاب الغار . وأعطى القوم التحرز حقه ثم توكلوا وقال عز وجل في باب الاحتياط (لا تقصص رؤياك على إخوتك) وقال (لا تدخلوا من باب واحد) وقال . (فامشوا في منا كبها) وهذا لان الحركة للذب عن النفس إستعمال لنعمة الله تعالى وكما أن الله تعالى يريد إظهار نعمه المبدأة يريد إظهار ودائعه فلا وجه لتعطيل ما أودع اعتماداً على ما جاد به . لكن يجب إستعمال ما عندك ثم اطلب ما عنده . وقد جعل الله تعالى للطير والبهائم عدة وأسلحة تدفع عنها الشرور كالمخلب والظفر والناب وخلق للآدمى عقلا يقوده الى حمل الاسلحة ويهديه الى التحصين بالابنية والدروع ومن عطل نعمة الله تعالى بترك الاحتراز فقد عطل حكمته كمن يترك الاغذية والادوية ثم يموت جوعا أو مرضاً . ولا أبله ممن يدعي العقل والعلم ويستسلم للبلاء . انما ينبغي أن تكون أعضاء المتوكل فى الكسب وقلبه ساكن مفوض الى الحق منع أو أعطي . لانه لايرى الا أن الحق سبحانه وتعالى لا يتصرف الا بحكمة ومصلحة . فمنعه عطاء في المعنى . وكم زين للعجزة عجزهم وسولت لهم أنفسهم أن التفريط توكل فصاروا في غرورهم بمثابة من اعتقد التهور شجاعة والخور حزماً . ومتى وضعت أسباب فأهملت كان ذلك جهلا بحكمة الواضع . مثل وضع الطعام سبباً للشبع والماء للري والدواء للمرض . فاذا ترك الانسان ذلك إهواناً بالسبب ثم دعا وسأل فربما قيل له قد جعلنا لعافيتك سبباً فاذا لم تتناوله كان إهوانا لعطائنا فربما لم نعافك بغير سبب لاهوانك للسبب وما هذا إلا بمثابة من بين قراحه وماء الساقية رفسه بمسحاة فأخذ يصلى صلاة الاستسقاء طلباً للمطر فانه لا يستحسن منه ذلك شرعاً ولا عقلا *

قال المصنف رحمه الله . فان قال قائل كيف أحترز مع القدر قيل له وكيف لا تحترز مع الاوامر من المقدر فالذى قدر هو الذى أمر . وقد قال تعالى (وخذوا حذركم) * أنبانا إسماعيل بن احمد نا عاصم بن الحسن نا ابن بشران ثنا ابن صفوان نا أبو بكر القرشي ثنى شريح بن يونس نا على بن ثابت عن خطاب بن القاسم عن

أبي عثمان قال : كان عيسى عليه السلام يصلي على رأس جبل فأتاه إبليس فقال أنت الذي تزعم أن كل شيء بقضاء وقدر . قال نعم قال فألق نفسك من الجبل وقل قدر عليّ فقال . يالعين الله يختبر العباد وليس للعباد ان يختبروا الله تعالى *

﴿ فصل ﴾ وفى معنى ما ذكرنا من تلبيسه عليهم فى ترك الاسباب انه قد لبس على خلق كثير منهم بأن التوكل ينافى الكسب * أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن احمد نا أبو نعيم احمد بن عبد الله قال سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول : سمعت محمد بن المنذر يقول سمعت سهل بن عبد الله التسترى يقول : من طعن فى التوكل فقد طعن فى الايمان ومن طعن على الكسب فقد طعن على السنة *

أخبرنا محمد بن ناصر نا احمد بن على بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول . سأل رجل أبا عبد الله بن سالم وأنا أسمع أنحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل فقال التوكل حال رسول الله ﷺ والكسب سنة رسول الله صلى الله عليه سلم وانما سن الكسب لمن ضعف عن التوكل وسقط عن درجة الكمال التى هي حاله فمن أطاق التوكل فالكسب غير مباح له بحال الا كسب معاونة لا كسب اعتماد عليه ومن ضعف عن حال التوكل التى هى حال رسول الله ﷺ أبيح له طلب المعاش فى الكسب لئلا يسقط عن درجة سنته حين سقط عن درجة حاله *

أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم نا أبي قال سمعت محمد بن الحسين قال سمعت أبا القاسم الرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين قال : اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص والكسب فليس يجيء منه شيء *

قال المصنف رحمه الله . قلت هذا كلام قوم ما فهموا معني التوكل وظنوا أنه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل وقد بينا أن التوكل فعل القلب فلا ينافى حركة الجوارح ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الانبياء غير متوكلين فقد كان آدم عليه السلام حراثا ونوح وزكريا نجارين وادريس خياطا وابراهيم ولوط زراعين وصالح تاجراً . وكان سليمان يعمل الخوص وداود يصنع الدرع ويأكل من ثمنه وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة صلوات الله عليهم أجمعين وقال نبينا ﷺ كنت أرعى

غنيا لاهل مكة بالقراريط . فلما أغناه الله عز وجل بما فرض له من الفيء لم يحتج الى الكسب . وقد كان أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة رضوان الله تعالى عليهم بزازين وكذلك محمد بن سيرين وميمون بن مهران بزازين . وكان الزبير بن العوام وعمرو بن العاص وعامر بن كريز خزازين (١) وكذلك أبو حنيفة . وكان سعد ابن أبي وقاص يبرى النبل وكان عثمان بن طلحة خياطا . وما زال التابعون ومن بعدهم يكتسبون و يأمرون بالكسب *

أخبرنا محمد بن أبي طاهر نا أبو محمد الجوهري نا ابن حياة نا أبو الحسن بن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا مسلم بن ابراهيم نا هشام الدستوائي قال حدثنا عطاء بن السائب قال : لما استخلف أبو بكر رضي الله عنه أصبح غاديا الى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها فلقيه عمر وأبو عبيدة فقالا . أين تريد : فقال السوق قالا تصنع ماذا . وقد وليت أمور المسلمين قال . فمن أين أطعم عيالي* قال ابن سعد وأخبرنا احمد بن عبد الله بن يونس ثنا أبو بكر بن عياش عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال . لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين . فقال زيدوني فان لي عيالا وقد شغلتموني عن التجارة فزادوه خمسمائة *

قال المصنف رحمه الله : قلت لو قال رجل للصوفية من أين أطعم عيالى لقالوا قد أشركت . ولو سئلوا عمن يخرج الى التجارة لقالوا ليس بمتوكل ولا موقن وكل هذا لجهلهم بمعنى التوكل واليقين . ولو كان أحدهم يغلق عليه الباب و يتوكل لقرب أمر دعواهم لكنهم بين أمرين أما الغالب من الناس فمنهم من يسعى الى الدنيا مستجديا ومنهم من يبعث غلامه فيدور بالزنبيل فيجمع له . و إما الجلوس في الرباط في هيئة المتساكين وقد علم أن الرباط لا يخلو من فتوح كما لا تخلو الدكان من أن يقصد للبيع والشراء *

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو طالب العشاري نا محمد بن عبد الرحمن المخلص نا عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى ثنا

---

(١) اى يعملون الخز وهى ثياب تنسج من صوف وابريسم

أبو بكر بن عبيد قال حدثت عن الهيثم بن خارجة ثنا سهل بن هشام عن ابراهيم ابن أدهم قال . كان سعيد بن المسيب يقول من لزم المسجد وترك الحرفة وقبل مايأتيه فقد ألحف في السؤال *

أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي قالا : نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ قال . سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت جدي اسماعيل بن نجيد يقول : كان أبوتراب يقول لاصحابه من لبس منكم مرقعة فقد سأل ومن قعد في خانقاه أو مسجد فقد سأل *

قال المصنف رحمه الله * قلت وقد كان السلف ينهون عن التعرض لهذه الاشياء ويأمرون بالكسب * أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا محمد بن علي بن الفتح نا محمد بن عبد الرحمن المخلص نا عبيد الله بن عبد الرحمن السكري نا أبو بكر بن عبيد القرشي نا عبيد بن الجعد نا المسعودي عن خوات التيمي قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه . يامعشر الفقراء ارفعوا رؤسكم فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالا على المسلمين *

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو القاسم التنوخي وأبو محمد الجوهري وأبو الخير القزويني قالوا نا أبو عمر بن حياة نا محمد بن خلف ثنا أبو جعفر اليماني نا أبو الحسن المدايني عن محمد بن عاصم قال : بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا رأى غلاماً فأعجبه سأل عنه هل له حرفة فان قيل لا قال سقط من عيني *

أخبرنا اسماعيل بن أحمد نا عمر بن عبد الله النقال نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن احمد الدقاق نا حنبل ثني أبو عبد الله نا معاذ بن هشام ثني أبي عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون في تجر الشام منهم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد *

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا جعفر بن احمد السراج نا عبد العزيز بن الحسن ابن اسماعيل الضراب نا أبي نا احمد بن مروان المالكي نا ابو القاسم بن الختلي : سألت احمد بن حنبل وقلت . ما تقول في رجل جلس في بيته أو في مسجده وقال لا أعمل

شيئاً حتى يأتيني رزقي . فقال أحمد هذا رجل جهل العلم أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم . جعل الله رزقي تحت ظل رمحي . وحديث الآخر في ذكر الطير تغدو خماصا فذكر انها تغدو في طلب الرزق . قال تعالى (وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله) وقال : (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم ولنا القدوة بهم . وقد ذكرنا فيما مضى عن احمد أن رجلا قال له . أريد الحج على التوكل فقال له فاخرج في غير القافلة . قال لا . قال فعلى جراب الناس توكلت *

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن علي الازجي نا ابراهيم بن محمد بن جعفر الناجي نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر احمد ابن محمد الخلال نا أبو بكر المروزي قال : قلت لابي عبد الله هؤلاء المتوكلة يقولون نقعد وأرزاقنا على الله عز وجل . فقال هذا قول رديء . أليس قد قال الله تعالى . (اذا نودي للصلاة من يوم الجمعه فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع) ثم قال اذا قال لا أعمل وجيء اليه بشيء قد عمل واكتسب لأي شيء يقبله من غيره * قال الخلال : وأخبرنا عبد الله بن احمد قال : سألت أبي عن قوم يقولون نتوكل على الله ولا نكتسب فقال : ينبغي للناس كلهم يتوكلون على الله . ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب . هذا قول انسان أحمق *

قال الخلال * وأخبرني محمد بن علي قال ثنا صالح انه سأل أباه يعني احمد بن حنبل عن التوكل فقال التوكل حسن ولكن ينبغي أن يكتسب ويعمل حتى يغني نفسه وعياله ولا يترك العمل . قال وسئل أبي وأنا شاهد عن قوم لا يعملون ويقولون نحن المتوكلون فقال هؤلاء مبتدعون * قال الخلال وأخبرنا المروزي أنه قال لابي عبد الله أن ابن عيينة كان يقول هم مبتدعة . فقال أبو عبد الله هؤلاء قوم سوء يريدون تعطيل الدنيا * وقال الخلال وأخبرنا المروزي قال سألت أبا عبد الله عن رجل جلس في بيته وقال اجلس واصبر واقعد في البيت ولا أطلع على ذلك أحداً . فقال . لو خرج فاحترف كان أحب إلي فاذا جلس خفت أن يخرجه جلوسه الى غير هذا. قلت الى أي شيء يخرجه . قال يخرجه الى أن يكون يتوقع أن يرسل اليه. قال الخلال وحدثنا أبو بكر المروزي قال سمعت

رجلا يقول لابي عبد الله احمد بن حنبل انى في كفاية قال الزم السوق تصل به الرحم وتعود به على عيالك . وقال لرجل آخر إعمل وتصدق بالفضل على قرابتك * وقال احمد بن حنبل قد أمرتهم يعني أولاده أن يختلفوا الى السوق وأن يتعرضوا للتجارة *

قال الخلال وأخبرني محمد بن الحسين أن الفضل بن محمد بن زياد حدثهم قال . سمعت أبا عبد الله يأمر بالسوق ويقول . ما أحسن الاستغناء عن الناس * وقال الخلال وأخبرني يعقوب بن يوسف المطوعي قال . سمعت أبا بكر بن جناد . يقول . الجصاصي قال سمعت احمد بن حنبل يقول أحب الدراهم الي درهم من تجارة وأ كرهها عندي الذي من صلة الاخوان *

قال المصنف رحمه الله : قلت وكان ابراهيم بن أدهم يحصد وسلمان الخواص يلقط وحذيفة المرعشي يضرب اللبن . وقال ابن عقيل التسبب لا يقدح فى التوكل لان تعاطي رتبة ترقى على رتبة الانبياء نقص في الدين . ولما قيل لموسى عليه السلام (ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) خرج ولما جاع واحتاج الي عفة نفسه أجر نفسه ثمان سنين . وقال الله تعالى (فامشوا فى منا كبها) وهذا لان الحركة استعمال بنعمة الله وهى القوى فاستعمل ما عندك ثم اطلب ما عنده . وقد يطلب الانسان من ربه وينسى ما له عنده من الذخائر فاذا تأخر عنه ما يطلبه يسخط . فترى بعضهم يملك عقاراً وأثاثاً فاذا ضاق به القوت واجتمع عليه دين . فقيل له . لو بعت عقارك . قال كيف أفرط في عقاري وأسقط جاهي عند الناس وانما يفعل هذه الحماقات العادات . وانما قعد أقوام عن الكسب استثقالا له فكانوا بين أمرين قبيحين . إما تضييع العيال فتركوا الفرائض أو التزين باسم انه متوكل فيحن عليهم المكتسبون فضيقوا على عيالهم لاجلهم وأعطوهم . وهذه الرذيلة لم تدخل قط الا على دنيء النفس الرذيلة والا فالرجل كل الرجل من لم يضيع جوهره الذي أودعه الله إيثاراً للكسل أو لاسم يتزين به بين الجهال فان الله تعالى قد يحرم الانسان المال ويرزقه جوهراً يتسبب به الى تحصيل الدنيا بقبول الناس عليه *

(فصل) وقد تشبث القاعدون عن التكسب بتعللات قبيحة . منها أنهم قالوا لا بد من أن يصل الينا رزقنا وهذا فى غاية القبح فان الانسان لو ترك الطاعة

وقال لا أقدر بطاعتي أن أغير ما قضى الله علي فان كنت من أهل الجنة فانا الى الجنة أو من أهل النار فانا من أهل النار . قلنا له هذا يرد الاوامر كلها ولو صح لاحد ذلك لم يخرج آدم من الجنة لانه كان يقول ما فعلت الا ما قضى علي . ومعلوم انا مطالبون بالامر لا بالقدر . ومنها أنهم يقولون أين الحلال حتى نطلب . وهذا قول جاهل لان الحلال لا ينقطع أبداً لقوله صلى الله عليه وسلم « الحلال بين والحرام بين » ومعلوم أن الحلال ما أذن الشرع في تناوله وانما قولهم هذا احتجاج للكسل . ومنها أنهم قالوا اذا كسبنا أعنا الظلمة والعصاة مثل ما أخبرنا به عمر بن ظفر نا جعفر بن احمد نا عبد العزيز بن على نا ابن جهضم نا على بن محمد السيروانى قال سمعت ابراهيم الخواص يقول طلبت الحلال فى كل شيء حتى طلبته في صيد السمك فأخذت قصبة وجعلت فيها شعرا وجلست على الماء فألقيت الشص فخرجت سمكة فطرحتها على الارض وألقيت الثانيــة فخرجت لى سمكة فانا أطرحها ثالثة اذا من ورائى لطمة لا أدرى من يد من هي ولا رأيت أحداً وسمعت قائلا يقول أنت لم تصب رزقاً فى شيء الا أن تعمد الى من يذكرنا فتقتله قال فقطعت الشعر وكسرت القصبة وانصرفت * أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى ثنا أبى قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عثمان بن الآدمى قال سمعت ابراهيم الخواص يقول طلبت فقصدت الخ ما تقدم *

قال المصنف رحمه الله قلت . وهذه القصة ان صحت فان في الروايتين بعض من يتهم فان اللاطم إبليس وهو الذى هتف به لان الله تعالى أباح الصيد فلا يعاقب على ما أباحه وكيف يقل له تعمد الى من يذكرنا فتقتله وهو الذى أباح له قتله وكسب الحلال ممدوح ولو تركنا الصيد وذبح الانعام لانها تذكر الله تعالى لم يكن لنا ما يقيم قوى الابدان لانه لا يقيمها الا اللحم فالتحرى من أخذ السمك وذبح الحيوان مذهب البراهمة فانظر الى الجهل ما يصنع والى إبليس كيف يفعل * أخبرنا أبو منصور القزاز نا احمد بن على بن ثابت نا عبد العزيز بن على الازجي ثنا على بن عبد الله الهمدانى ثنا محمد بن جعفر ثنا احمد بن عبد الله بن عبد الملك قال سمعت شيخاً يكنى أبا تراب يقول قيل لفتح الموصلى أنت صياد بالشبكة ولم لا تصد شيئاً الا وتطعمه

لعيالك فلم لا تصد وتبيع ذلك الناس فقال أخاف أن أصطاد مطيعاً لله تعالى في جوف الماء فأطعمه عاصياً لله على وجه الارض *

قال المصنف رحمه الله قلت . إن صحت هذه الحكاية عن فتح الموصلى فهو من التعلل البارد المخالف للشرع والعقل لان الله تعالى أباح الكسب وندب اليه . فاذا قال قائل ربما خبزت خبزاً فأكله عاص كان حديثاً فارغا لانه لا يجوز لنا إذاً أن نبيع الخبز لليهود والنصارى *

* ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى ترك التداوى *

قال المصنف رحمه الله . لا يختلف العلماء ان التداوى مباح وانما رأى بعضهم أن العزيمة تركه . وقد ذكرنا كلام الناس في هذا وبينا بما اخترناه في كتابنا لقط المنافع في الطب . والمقصود ههنا انا نقول اذا ثبت أن التداوى مباح بالاجماع مندوب اليه عند بعض العلماء فلا يلتفت الى قول قوم قد رأوا أن التداوى خارج من التوكل لان الاجماع على أنه لا يخرج من التوكل وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه تداوي وأمر بالتداوي ولم يخرج بذلك من التوكل ولا أخرج من أمره أن يتداوي من التوكل . وفى الصحيح من حديث عثمان بن عفان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم رخص اذا اشتكى المحرم عينه أن يضمدها بالصبر . قال ابن جرير الطبرى وفى هذا الحديث دليل على فساد ما يقوله ذوو الغباوة من أهل التصوف والعباد من أن التوكل لا يصح لاحد عالج علة به فى جسده بدواء إذ ذاك عندهم طلب العافية من غير من بيده العافية والضر والنفع . وفي إطلاق النبى صلى الله عليه وسلم للمحرم علاج عينه بالصبر لدفع المكروه أدل دليل على أن معنى التوكل غير ما قاله الذين ذكرنا قولهم . وان ذلك غير مخرج فاعله من الرضا بقضاء الله كما أن من عرض له كلب الجوع لا يخرجه فزعه الى الغذاء من التوكل والرضا بالقضاء لان الله تعالى لم ينزل داء الا أنزل له دواء الا الموت وجعل أسبابا لدفع الادواء كما جعل الاكل سببا لدفع الجوع . وقد كان قادرا أن يحيي خلقه بغير هذا ولكنه خلقهم ذوى

حاجة فلا يندفع عنهم أذى الجوع الا بما جعل سببا لدفعه عنهم فكذا الداء العارض والله الهادى *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الصوفية ﴾

فى ترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة

قال المصنف .كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالا بالعلم والتعبد الا أن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام بحق . وانما هي عزلة عن الشر وأهله ومخالطة البطالين وقد لبس ابليس علي جماعة من المتصوفة فمنهم من اعتزل فى جبل كالرهبان يبيت وحده و يصبح وحده ففاتته الجمعة وصلاة الجماعة ومخالطة أهل العلم. وعمومهم اعتزل فى الاربطة ففاتهم السعى الى المساجد وتوطنوا على فراش الراحة و تركوا الكسب وقد قال أبو حامد الغزالى فى كتاب الاحياء مقصود الرياضة تفريغ القلب وليس ذلك الا بالخلوة فى مكان مظلم وقال فان لم يكن مكان مظلم فيلف رأسه فى جبته أو يتدثر بكساء ، أو أزار . ففى مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق و يشاهد جلال حضرة الربوبية *

قال المصنف رحمه الله قلت . انظر الي هذه الترتيبات والعجب كيف تصدر من فقيه عالم ومن أين له أن الذى يسمعه نداء الحق وأن الذى يشاهده جلال الربوبية وما يؤمنه أن يكون مايجده من الوساوس والخيالات الفاسدة وهذا الظاهر ممن يستعمل التقلل فى المطعم فانه يغلب عليه الماليخوليا . وقد يسلم الانسان فى مثل هذه الحالة من الوساوس الا أنه اذا تغشى بثوبه وغمض عينيه تخايل هذه الاشياء لان في الدماغ ثلاث قوى : قوة يكون بها التخيل وقوة يكون بها الفكرة وقوة يكون بها الذكر وموضع التخيل البطنان المقدمان من بطون الدماغ وموضع التفكر البطن الاوسط من بطون الدماغ وموضع الحفظ الموضع المؤخر فان أطرق الانسان وغمض عينيه جال الفكر والتخيل فيرى خيالات فيظنها ما ذكر من حضرة جلال الربوبية الى غير ذلك

نعوذ بالله من هذه الوساوس والخيالات الفاسدة *

أخبرنا محمد ابن أبي القاسم نا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا بكر البجلي يقول سمعت أبا عثمان بن الآدمي قال كان أبو عبيد التستري اذا كان أول يوم من شهر رمضان يدخل البيت ويقول لامرأته طيني باب البيت والق الي كل ليلة من الكوة رغيفاً فاذا كان يوم العيد دخلت فوجدت ثلاثين رغيفا في الزاوية ولا أكل ولا شرب ولا يتهيأ لصلاة ويبقى على طهر واحد الى آخر الشهر *

قال المصنف رحمه الله : هذه الحكاية عندي بعيدة عن الصحة من وجهين أحدها بقاء الآدمي شهراً لا يحدث بنوم ولا بول ولا غائط ولا ريح . والثاني ترك المسلم صلاة الجمعة والجماعة وهي واجبة لا يحل تركها فان صحت هذه الحكاية فما أبقى ابليس لهذا في التلبيس بقية * قال أنبأنا زاهر بن طاهر نا احمد بن الحسين البيهقي ثنا الحاكم أبو عبد الله النيسابوري وسمعت أبا الحسن البوشنجي الصوفي غير مرة يعاتب في ترك الجمعة والجماعة والتخلف عنها فيقول : ان كانت البركة في الجماعة فان السلامة في العزلة *

﴿ فصل ﴾ وقد جاء النهى عن الانفراد الموجب للبعد عن العلم والجهاد للعدو * أخبرنا ابن الحصين نا أبو علي بن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله ابن احمد قال حدثني أبي ثنا أبو المغيرة ثنا معان بن رفاعة ثني علي بن زيد عن القاسم عن أبي امامة قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في سرية من سراياه قال فمر رجل بغار فيه شيء من ماء قال فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان فيه وفيه شيء من ماء ويصيب ما حوله من البقل ويتخلي عن الدنيا ثم قال : لو أني أتيت نبي الله ﷺ فذكرت ذلك له فان أذن لي فعلت والا لم أفعل فأتاه فقال يا نبي الله اني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل فحدثتني نفسي بان أقيم فيه وأتخلى من الدنيا . قال فقال نبي الله ﷺ « اني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفس محمد بيده لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الصوفية ﴾

فى التخشع ومطأطأة الرأس وإقامة الناموس

قال المصنف رحمه الله :* اذا سكن الخوف القلب أوجب خشوع الظاهر ولا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقا متأدبا متذللا وقد كانوا يجتهدون فى ستر مايظهر منهم من ذلك . وكان محمد بن سيرين يضحك بالنهار ويبكى بالليل. ولسنا نأمر العالم بالانبساط بين العوام فان ذلك يؤذيهم . فقد روى عن على رضى الله عنه اذا ذكرتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك فتمجه القلوب ومثل هذا لايسمي رياء لان قلوب العوام تضيق عن التأويل للعالم اذا تفسح في المباح فينبغى أن يتلقاهم بالصمت والادب وإنما المذموم تكلف التخشع والتباكى ومطأطأة الرأس ليرى الانسان بعين الزهد والتهيؤ للمصافحة وتقبيل اليد وربما قيل له ادع لنا فيتهيأ للدعاء كانه يستنزل الاجابة وقد ذكرنا عن ابراهيم النخعى انه قيل له ادع لنا فكره ذلك واشتد عليه . وقد كان فى الخائفين من حمله الخوف على شدة الذل والحياء فلم يرفع رأسه الي السماء وليس هذا بفضيلة لأنه لا خشوع فوق خشوع رسول الله ﷺ * وفى صحيح مسلم من حديث أبي موسي قال كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يرفع رأسه الى السماء . وفى هذا الحديث دليل على استحباب النظر الى السماء لاجل الاعتبار بآياتها وقد قال الله تعالى (أولم يروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها) وقال (قل انظروا ماذا في السموات والارض) وفى هذا رد على المتصوفين فان أحدهم يبقى سنين لا ينظر الي السماء. وقد ضم هؤلاء الى ابتداعهم الرمز الى التشبيه ولو علموا أن اطراقهم كرفعهم فى باب الحياء من الله تعالي لم يفعلوا ذلك غير أن ما شغل ابليس الا التلاعب بالجهلة . فأما العلماء فهو بعيد عنهم شديد الخوف منهم لانهم يعرفون جميع أمره ويحترزون من فنون مكره *

أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر قالا أخبرنا محمد بن الحسن الباقلانى نا القاضى أبو العلاء الواسطى نا أبو نصر احمد بن محمد نا أبو الخير احمد بن محمد البزار

ثنا البخارى ثنا اسحاق ثنا محمد بن المفضل ثنا الوليد بن جميع عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ منحرفين ولا متماوتين وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم فاذا أريد احد منهم على شيء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون * أخبرنا عبد الوهاب الحافظ ثنا جعفر بن احمد نا عبد العزيز الحسن بن اسماعيل الضراب نا أبي ثنا احمد بن مروان ثنا ابراهيم الحربي ثنا محمد بن الحارث عن المدايني عن محمد بن عبد الله القرشي عن أبيه قال: نظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى شاب قد نكس رأسه فقال له. ياهذا ارفع رأسك فان الخشوع لا يزيد على ما فى القلب فمن أظهر للناس خشوعا فوق ما فى قلبه فانما أظهر نفاقا على نفاق*

أخبرنا عبد الوهاب نا المبارك بن عبد الجبار نا على بن احمد الملطى ثنا احمد ابن محمد بن يوسف ثنا ابن صفوان نا أبو بكر القرشى ثنى يعقوب بن اسماعيل قال: قال عبد الله أخبرنا المعتمر عن كهمس بن الحسين أن رجلا تنفس عند عمر بن الخطاب كأنه يتحازن فلكزه عمر أو قال لكمه *

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن احمد نا الحسن بن على التميمى نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبى ثنا أسود بن عامر نا أبو بكر عن عاصم بن كليب الجرمى. قال لقى أبي عبد الرحمن بن الاسود وهو يمشي وكان اذا مشى يمشي الى جنب الحائط متخشعاً هكذا. وأمال أبو بكر عنقه شيئاً فقال أبي مالك اذا مشيت مشيت الى جنب الحائط. أما والله ان كان عمر اذا مشى لشديد الوطء على الارض جهورى الصوت*

أخبرنا محمد بن أبي طاهر نا أبو محمد الجوهرى نا ابن حياة نا أبو الحسن بن معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد يرفعه الى سليمان بن أبى خيثمة عن أبيه قال قالت الشفا بنت عبد الله و رأت فتيانا يقصرون فى المشى و يتكلمون رويداً فقالت ما هذا قالوا نساك. قالت. كان والله عمر اذا تكلم أسمع واذا مشى أسرع واذا ضرب أوجع وهو الناسك حقاً*

قال المصنف رحمه الله * قلت وقد كان السلف يسترون أحوالهم و يتصنعون

بترك التصنع . وقد ذكرنا عن أيوب السختياني انه كان في ثوبه بعض الطول ليستر حاله * وكان سفيان الثوري يقول لا أعتد بما ظهر من عملي وقال لصاحب له ورآه يصلي ما أجرأك تصلي والناس يرونك * قال حدثنا محمد بن ناصر ثنا عبد القادر بن يوسف نا ابن المذهب نا القطيعي ثنا عبد الله بن احمد ثنا أبو عبد الله يعني السلمي ثنا بقية عن محمد بن زياد قال: مر أبو امامة برجل ساجد فقال يالها من سجدة لو كانت في بيتك*

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا الجوهري ثنا محمد بن العباس ثنا محمد بن القاسم الانباري ثنا الحارث بن محمد ثنا يحيي بن أيوب ثنا شعيب بن حرب ثنا الحسين بن عمار . قال رجل في مجلس الحسن بن عمارة آه قال . فجعل يتبصره ويقول من هذا حتى ظننا أنه لو عرفه أمر به * أخبرنا اسماعيل بن احمد المقرى نا احمد بن احمد الحداد ثنا أبو نعيم الحافظ نا أبو عبد الله محمد بن جعفر ثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب ثنا أبو حاتم ثنا حرملة قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول:

ودع الذين اذا أتوك تنسكوا　　　واذا خلوا فهم ذئاب خفاف

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا احمد بن علي بن ثابت نا أبو عمر الحسن ابن عثمان الواعظ نا جعفر بن محمد الواسطي نا الحسين بن عبد الله الابزاري قال سمعت ابراهيم بن سعيد يقول . كنت واقفاً على رأس المأمون فقال لي يا ابراهيم :قلت لبيك قال عشرة من أعمال البر لا يصعد الى الله والله منها شيء . قلت ماهي يا أمير المؤمنين فقال بكاء ابراهيم على المنبر ، وخشوع عبد الرحمن بن اسحاق ، وتقشف ابن سماعة ، وصلاة ابن خيعويه بالليل ، وصلاة عباس الضحي ، وصيام ابن السندي الاثنين والخميس ، وحديث أبي رجاء ، وقصص الحاجبي ، وصدقة حفصويه وكتاب الشامي ليعلى بن قريش*

﴿ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك النكاح﴾

قال المصنف . النكاح مع خوف العنت واجب ومن غير خوف العنت سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء . ومذهب أبي حنيفة واحمد بن حنبل أنه حينئذ أفضل من جميع النوافل لانه سبب في وجود الولد قال عليه الصلاة والسلام « تناكحوا تناسلوا »

وقال ﷺ « النكاح من سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني »* أخبرنا محمد بن أبي طاهر نا الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا احمد بن معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد ابن سعد نا سليمان بن داود الطيالسي نا ابراهيم بن سعد عن الزهري عن سعيد ابن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال : لقد رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له في ذلك لاختصينا* قال ابن سعد وأخبرنا عفان نا حماد بن سلمة عن ثابت عن انس بن مالك « أن نفراً من اصحاب رسول الله ﷺ سألوا ازواج النبي عليه السلام عن عمله في السر فاخبروهم فقال بعضهم لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا انام الليل على فراش . وقال بعضهم أصوم ولا أفطر فحمد الله النبي عليه الصلاة والسلام وأثنى عليه ثم قال : مابال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني » قال ابن سعد وأخبرنا سعيد بن منصور نا أبو عوانة عن عطاء ابن السايب عن سعيد بن عبيد قال قال ابن عباس رضي الله عنه : « ان خير هذه الامة كان أكثرها نساء » قال ابن سعد وأخبرنا أحمد بن عبد الله بن قيس ثنا مندل عن أبي رجاء الجزرى عن عثمان بن خالد بن محمد بن مسلم قال قال شداد بن أوس : زوجوني فان رسول الله ﷺ أوصاني أن لا ألقى الله عزبا * وأخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي ثنا عبد الرزاق نا محمد ابن راشد عن مكحول عن رجل عن أبي ذر قال : دخل على رسول الله ﷺ رجل يقال له عكاف بن بشر التميمي الهلالي فقال له النبي ﷺ « ياعكاف هل لك من زوجة قال لا قال ولا جارية قال لا قال وأنت موسر بخير قال وأنا موسر قال أنت اذاً من اخوان الشياطين لو كنت من النصارى لكنت من رهبانهم ان سنتنا النكاح شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم أبالشياطين تمرسون ماللشياطين من سلاح أبلغ في الصالحين من ترك النساء » * أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر نا عبد الله بن احمد بن حنبل ثني أبي ثني أيوب بن النجار عن طيب بن محمد عن عطاء ابن أبي رباح عن أبي هريرة قال : « لعن رسول الله ﷺ مخنثي الرجال الذين يتشبهون بالنساء والمترجلات من النساء المتشبهات بالرجال . والمتبتلين من الرجال الذين يقولون

لا نتزوج والمتبتلات من النساء اللاتي يقلن ذلك » * أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد القادر بن محمد قال نا أبو بكر الخياط نا أبو الفتح بن ابي الفوارس نا أحمد بن جعفر الجيلي ثنا احمد بن محمد بن عبد الخالق ثنا أبو بكر المروزى قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول : ليس العزوبة من أمر الاسلام فى شيء النبي عليه الصلاة والسلام تزوج أربع عشرة امرأة ومات عن تسع ثم قال لوكان بشر بن الحارث تزوج كان قد تم أمره كله. لو ترك الناس النكاح لم يغزوا ولم يحجوا ولم يكن كذا ولم يكن كذا وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يصبح وما عندهم شيء وكان يختار النكاح ويحث عليه وينهى عن التبتل فمن رغب عن فعل النبي عليه الصلاة والسلام فهو على غير الحق . ويعقوب عليه السلام في حزنه قد تزوج وولد له . والنبي عليه الصلاة والسلام قال حبب الي النساء : قلت فان ابراهيم بن آدم يحكى عنه بانه قال لروعة صاحب عيال فما قدرت أن اتم الحديث حتى صاح بي وقال وقعنا في بنيات الطريق انظر عافاك الله ما كان عليه نبينا محمد ﷺ وأصحابه ثم قال : لبكاء الصبي بين يدي أبيه يطلب منه خبزا أفضل من كذا وكذا انى يلحق المتعبد المتعزب المتزوج *

﴿فصل﴾ وقد لبس ابليس على كثير من الصوفية فمنعهم من النكاح فقدماؤهم تركوا ذلك تشاغلا بالتعبد ورأوا النكاح شاغلا عن طاعة الله عز وجل وهؤلاء وان كانت بهم حاجة الى النكاح او بهم نوع تشوق اليه فقد خاطروا بأبدانهم واديانهم وان لم يكن بهم حاجة اليه فاتتهم الفضيلة . وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال « وفى بضع احدكم صدقة قالوا يأتى احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال ارأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر قالوا نعم قال فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له اجر » ثم قال « افتحتسبون الشر ولا تحتسبون الخير » ومنهم من قال النكاح يوجب النفقة والكسب صعب . وهذه حجة للترفه عن تعب الكسب وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ودينار انفقته في الصدقة ودينار انفقته على عيالك افضلها الدينار الذي انفقته على عيالك » ومنهم من قال النكاح يوجب الميل الى الدنيا فروينا عن ابي سليمان الداراني

انه قال : اذا طلب الرجل الحديث او سافر في طلب المعاش او تزوج فقد ركن الى الدنيا

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذا كله مخالف للشرع وكيف لا يطلب الحديث والملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم . وكيف لا يطلب المعاش وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لان أموت من سعى على رجلى أطلب كفاف وجهى أحب إلي من أن أموت غازيا في سبيل الله. وكيف لا يتزوج وصاحب الشرع يقول « تناكحوا تناسلوا » فما أرى هذه الاوضاع الا على خلاف الشرع . فأما جماعة من متأخرى الصوفية فانهم تركوا النكاح ليقال زاهد والعوام تعظم الصوفى اذا لم تكن له زوجة فيقولون ماعرف امرأة قط فهذه رهبانية تخالف شرعنا . قال أبو حامد ينبغى أن لا يشغل المريد نفسه بالتزويج فانه يشغله عن السلوك و يأنس بالزوجة و من أنس بغير الله شغل عن الله تعالى *

قال المصنف رحمه الله : و إنى لأعجب من كلامه أتراه ما علم أن من قصد عفاف نفسه و وجود ولد أو عفاف زوجته فانه لم يخرج عن جادة السلوك أو يرى الانس الطبيعي بالزوجة ينافى أنس القلوب بطاعة الله تعالى والله تعالى قد منّ على الخلق بقوله (وجعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة و رحمة) * وفى الحديث الصحيح عن جابر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال له « هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك » وما كان بالذي ليدله على ما يقطع أنسه بالله تعالى . أترى رسول الله ﷺ لما كان ينبسط الى نسائه و يسابق عائشة رضى الله عنها أكان خارجا عن الانس بالله . هذه كلها جهالات بالعلم *

(فصل) واعلم انه اذا دام ترك النكاح على شبان الصوفية أخرجهم الى ثلاثة أنواع • النوع الاول المرض بحبس الماء فان المرء اذا طال احتقانه تصاعد الى الدماغ منه منيه . قال أبو بكر محمد بن زكريا الرازى . أعرف قوماً كانوا كثيري المني فلما منعوا أنفسهم من الجماع لضرب من التفلسف بردت أبدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم الكآبة بلا سبب وعرضت لهم أعراض الماليخوليا وقلت شهواتهم وهضمهم. قال. و رأيت رجلا ترك الجماع ففقد شهوة الطعام وصار ان أكل القليل لم يستمره

وتقاياه فلما عاد الى عادته من الجماع سكنت عنه هذه الأعراض سريعاً. النوع الثانى الفرار الى المتروك فان منهم خلقاً كثيراً صابروا على ترك الجماع فاجتمع الماء فأقلقوا ورجعوا فلامسوا النساء ولابسوا من الدنيا أضعاف ما فروا منه فكانوا كمن أطال الجوع ثم أكل ما ترك فى زمن الصبر. النوع الثالث الانحراف الى صحبة الصبيان فان قوماً منهم أيسوا أنفسهم من النكاح فأقلقهم ما اجتمع عندهم فصاروا يرتاحون الى صحبة المرد *

﴿ فصل ﴾ وقد لبس على قوم منهم تزوجوا وقالوا انا لا ننكح شهوة فان أرادوا أن الاغلب فى طلب النكاح إرادة السنة جاز وان زعموا أنه لا شهوة لهم فى نفس النكاح فمحال ظاهر *

﴿ فصل ﴾ وقد حمل الجهل أقواماً فجبوا أنفسهم وزعموا أنهم فعلوا ذلك حياء من الله تعالى وهذه غاية الحماقة لان الله تعالى شرف الذكر على الانثى بهذه الآلة وخلقها لتكون سبباً للتناسل والذى يجب نفسه يقول بلسان الحال الصواب ضد هذا ثم قطعهم الآلة لا تزيل شهوة النكاح من النفس فما حصل لهم مقصودهم *

(ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى ترك طلب الاولاد)

أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقى قالا نا حمد بن احمد نا أبو نعيم احمد ابن عبد الله ثنا إسحاق بن احمد ثنا ابراهيم بن يوسف ثنا احمد بن أبى الحوارى قال سمعت أبا سليمان الدارانى يقول الذى يريد الولد أحمق لا للدنيا ولا للآخرة إن أراد أن يأكل أو ينام أو يجامع نغص عليه وان أراد أن يتعبد شغله *

قال المصنف رحمه الله . قلت . وهذا غلط عظيم و بيانه انه لما كان مراد الله تعالى من إيجاد الدنيا إتصال دوامها الى أن ينقضى أجلها وكان الآدمى غير ممتد البقاء فيها الا الى أمد يسير أخلف الله تعالى منه مثله فحثه على سببه فى ذلك تارة من حيث الطبع بايقاد نار الشهوة وتارة من باب الشرع بقوله تعالى (وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم « تناكحوا تناسلوا فانى أباهى بكم الامم يوم القيامة ولو بالسقط » وقد طلب الانبياء عليهم الصلاة والسلام

الاولاد . فقال تعالى حكاية عنهم (رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء) (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) إلى غير ذلك من الآيات . وتسبب الصالحون الى وجودهم ورب جماع حدث منه ولد مثل الشافعي واحمد بن حنبل فكان خيراً من عبادة ألف سنة . وقد جاءت الاخبار باثابة المباضعة والانفاق على الاولاد والعيال ومن يموت له ولد ومن يخلف ولداً بعده فمن أعرض عن طلب الاولاد والتزوج فقد خالف المسنون والافضل وحرم أجراً جسيما ومن فعل ذلك فانما يطلب الراحة * أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر بن احمد بن السراج نا أبو القاسم الازجي ثنا ابن جهضم ثنا الخلدى قال سمعت الجنيد يقول . الاولاد عقوبة شهوة الحلال فما ظنكم بعقوبة شهوة الحرام *

قال المصنف رحمه الله . وهذا غلط فان تسمية المباح عقوبة لا يحسن لانه لا يباح شيء ثم يكون ما تجدد منه عقوبة ولا يندب الى شيء الا وحاصله مثوبة *

(ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى الاسفار والسياحة)

قد لبس على خلق كثير منهم فاخرجهم الى السياحة لا الى مكان معروف ولا الى طلب علم وأكثرهم يخرج على الوحدة ولا يستصحب زاداً ويدعى بذلك الفعل التوكل فكم تفوته من فضيلة وفريضة وهو يرى انه فى ذلك على طاعة وانه يقرب بذلك من الولاية وهو من العصاة المخالفين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما السياحة والخروج لا الى مكان مقصود فقد نهى رسول الله ﷺ عن السعي فى الارض فى غير أرب حاجة * أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا إبراهيم ابن عمر البرمكي نا ابن حياة نا عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى قال . سمعت أبا محمد ابن قتيبة يقول . ثنى محمد بن عبيد عن معاوية عن عمرو عن أبي إسحاق عن سفيان عن ابن جريج عن مسلم عن طاوس أن رسول الله ﷺ قال « لا زمام ولا خزام ولا رهبانية ولا تبتل ولا سياحة في الاسلام » قال ابن قتيبة الزمام فى الأنف والخزام حلقة من شعر يجعل فى أحد جانبي المنخرين . وأراد ﷺ ما كان عباد بني إسرائيل يفعلونه من خزم التراقي وزم الانوف والتبتل ترك النكاح والسياحة مفارقة الامصار

والذهاب فى الارض . وروي أبو داود فى سننه من حديث أبى أمامة أن رجلا قال يا رسول الله إئذن لى فى السياحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم «ان سياحة أمتى الجهاد في سبيل الله » *

قال المصنف رحمه الله. وقد ذكرنا فيما تقدم من حديث ابن مظعون إنه قال يارسول الله . إن نفسى تحدثنى بأن أسيح في الارض . فقال النبي صلى الله عليه وسلم له « مهلا يا عثمان فان سياحة أمتى الغزو فى سبيل الله والحج والعمرة » . وقد روى إسحاق ابن إبراهيم بن هانىء عن احمد بن حنبل أنه سئل عن الرجل يسيح يتعبد أحب اليك أو المقيم في الأمصار قال . ما السياحة من الاسلام فى شيء ولا من فعل النبيين ولا الصالحين *

(فصل) وأما الخروج على الوحدة فقد نهى رسول الله ﷺ أن يسافر الرجل وحده . فأخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا احمد بن علي بن ثابت نا محمد بن الطيب الصباغ نا احمد بن سليمان النجاد ثنا يحيى بن جعفر بن أبي طالب ثنا علي بن عاصم ثنا عبد الرحمن بن يزيد ثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال « الراكب شيطان والاثنان شيطانان والثلاثة ركب » . أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبى ثنا أيوب بن النجار عن طيب بن محمد عن عطاء بن أبى رباح عن أبي هريرة قال « لعن رسول الله ﷺ راكب الفلاة وحده *

* فصل * وقد يمشون بالليل أيضاً على الوحدة . وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك . وأخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبى ثنا محمد بن عبيد ثنا عاصم عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي ﷺ . لو يعلم الناس ما في الوحدة ما سار أحد وحده بليل أبداً * قال عبد الله وحدثنى أبى ثنا محمد بن أبى عدى ثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن عطاء ابن يسار عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ « أقلوا الخروج اذا هدأت الرجل فان الله تعالى يبث فى خلقه ما شاء » *

قال المصنف رحمه الله. وفيهم من جعل دأبه السفر والسفر لا يراد لنفسه قال النبي

ﷺ « السفر قطعة من العذاب فاذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل الى أهله *
فمن جعل دأبه السفر فقد جمع بين تضييع العمر وتعذيب النفس وكلاهما مقصود فاسد * أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبي قال سمعت محمد بن أبي الطيب العكي يقول سمعت أبا الحسن المصرى يقول سمعت أبا حمزة الخراسانى يقول كنت قد بقيت محرماً فى عباء أسافر كل سنة الف فرسخ تطلع الشمس عليّ وتغرب كلما أحللت أحرمت *

﴿ ذكر تلبيسه عليهم فى دخول الفلاة بغير زاد ﴾

قال المصنف رحمه الله . قد لبس على خلق كثير منهم فأوهمهم أن التوكل ترك الزاد وقد بينا فساد هذا فيما تقدم إلا أنه قد شاع هذا فى جهلة القوم وجاء حمقى القصاص يحكون ذلك عنهم على سبيل المدح لهم به فيتضمن ذلك تحريض الناس على مثل ذلك و بأفعال أولئك ومدح هؤلاء لهؤلاء فسدت الاحوال وخفيت على العوام طرق الصواب . والاخبار عنهم بذلك كثيرة وأنا أذكر منها نبذة * أنبأنا محمد بن عبد الملك نا أبو بكر نا رضوان بن محمد الدينوري ثنا طاهر بن عبد الله ثنا الفضل بن الفضل الكندى ثني أبو بكر محمد بن عبد الواحد بن جعفر الواسطى ثنا محمد بن السفاح عن علي بن سهل المصرى قال أخبرنى فتح الموصلى قال خرجت حاجاً فلما توسطت البادية إذا أنا بغلام صغير فقلت ياعجبا بادية بيداء وأرض قفراء وغلام صغير فأسرعت فلحقته فسلمت عليه ثم قلت يابنى إنك غلام صغير لم تجر عليك الاحكام قال ياعم قد مات من كان أصغر سناً مني فقلت وسع خطاك فان الطريق بعيد حتى تلحق المنزل . فقال يا عم عليّ المشى وعلى الله البلاغ أما قرأت قوله تعالى . « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » . فقلت له . مالي لا ارى معك لا زاداً ولا راحلة . فقال ياعم . زادى يقيني و راحلتي رجلاى . قلت : سألتك عن الخبز والماء قال ياعم . اخبرني لو أن اخاً من إخوانك او صديقاً من اصدقائك دعاك إلى منزله اكنت تستحسن أن تحمل معك طعاماً فتأكله فى منزله . فقلت أزودك . فقال اليك عني يا بطال هو يطعمنا ويسقينا . قال فتح . فما رأيت صغيراً اشد توكلا منه ولا

رأيت كبيراً اشـد زهداً منه *

قال المصنف رحمه الله . بمثل هذه الحكاية تفسد الامور ويظن ان هذا هو الصواب ويقول الكبير إذا كان الصغير قد فعل هذا فأنا احق بفعله منه . وليس العجب من الصبي بل من الذي لقيه كيف لم يعرفه إن هذا الذى يفعله منكر وان الذى استدعاك أمرك بالتزود ومن ماله يتزود ولكن مضى على هذا كبار القوم فكيف الصغار * أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر احمد بن علي الحافظ نا أبو نعيم الاصفهانى قال سمعت محمد بن الحسن بن علي اليعيظي يقول حضرت أبا عبد الله الجلاء وقيل له عن هؤلاء الذين يدخلون البادية بلا زاد ولا عدة يزعمون أنهم متوكلون فيموتون فى البرارى . فقال هذا فعل رجال الحق فان ماتوا فالدية على القاتل * أخبرنا ابن ناصر أنبأنا احمد بن على بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت احمد بن على يقول . قال رجل لابى عبد الله بن الجلاء . ما تقول فى الرجل يدخل البادية بلا زاد . قال . هذا من فعل رجال الله . قال فان مات . قال : الدية على القاتل *

قال المصنف رحمه الله . قلت هذه فتوى جاهل بحكم الشرع إذ لا خلاف بين فقهاء الاسلام انه لا يجوز دخول البادية بغير زاد وان من فعل ذلك فمات بالجوع فانه عاص لله تعالى مستحق لدخول النار . وكذلك إذا تعرض بما غالبه العطب فان الله جعل النفوس وديعة عندنا فقال : (ولا تقتلوا أنفسكم) وقد تكلمنا فيما تقدم فى وجوب الاحتراز من المؤذى ولو لم يكن المسافر بغير زاد إلا أنه خالف أمر الله فى قوله « وتزودوا » * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن با كويه قال : سمعت أبا احمد الكبير يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف قال خرجت من شيراز فى السفرة الثالثة فتهت فى البادية وحدى وأصابنى من الجوع والعطش ما أسقط من أسناني ثمانية وانتثر شعرى كله *

قال المصنف رحمه الله . قلت هذا قد حكى عن نفسه ما ظاهره طلب المدح على ما فعل والذم لاحق به : اخبرنا أبو منصور القزاز نا احمد بن على بن ثابت نا عبد الكريم بن هوازن . قال : سمعت ابا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن

عبد الله الواعظ واخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا أبو عبد الله ابن باكويه واللفظ له ثنا أبو الفضل يوسف بن على البلخى ثنا محمد بن عبد الله أبو حمزة الصوفى . قال . انى لاستحى من الله أن أدخل البادية وأنا شبعان وقد اعتقدت التوكل لئلا يكون شبعى زادا تزودته * قال المصنف رحمه الله قلت وقد سبق الكلام على مثل هذا وان هؤلاء القوم ظنوا ان التوكل ترك الاسباب . ولوكان هكذا لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوّد لما خرج الى الغار قد خرج من التوكل . وكذلك موسى لما طلب الخضر تزود حوتاً . وأهل الكهف حين خرجوا فاستصحبوا دراهم استخفوا مامعهم وانما خفى على هؤلاء معنى التوكل لجهلهم وقد اعتذر لهم أبو حامد . فقال : لايجوز دخول المفازة بغير زاد الا بشرطين أحدهما ان يكون الانسان قد راض نفسه حيث يمكنه الصبر عن الطعام اسبوعا ونحوه والثاني ان يمكنه التقوت بالحشيش ولا تخلو البادية من ان يلقاه آدمى بعد اسبوع أو ينتهى الى حلة أو حشيش يرجى به وقته *

قال المصنف رحمه الله قلت : أقبح ما فى هذا القول انه صدر من فقيه فانه قد لايلقى احدا وقد يضل وقد يمرض فلا يصلح له الحشيش وقد يلقى من لا يطعمه ويتعرض بمن لا يضيفه وتفوته الجماعة قطعاً وقد يموت ولا يلبه أحد . ثم قد ذكرنا ما جاء فى الوحدة ثم ما المخرج الى هذه المحن ان كان يعتمد فيها على عادة او لقاء شخص والاجتزاء بحشيش واى فضيلة فى هـذه الحال حتى يخاطر فيها بالنفس . واين امر الانسان ان يتقوت بحشيش ومن فعل هذا من السلف وكأن هؤلاء القوم يجزمون على الله سبحانه هل يرزقهم في البادية . ومن طلب الطعام فى البرية فقدطلب مالم تجر به العادة الا ترى ان قوم موسي عليه السلام لما سألوا من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها اوحى الله الى موسى (ان اهبطوا مصرا) وذلك لان الذى طلبوه في الأمصار فهؤلاء القوم على غاية الخطأ فى مخالفة الشرع والعقل والعمل بموافقات النفس *

اخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن علي الازجى نا إبراهيم بن محمد بن جعفر الساجي نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر احمد

ابن محمد الخلال نا الحسن بن احمد الكرمانى ثنا أبو بكر ثنا شبابة ثنا ورقاء عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس . قال كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيحجون فيأتون إلى مكة فيسألون الناس فأنزل الله عز وجل (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) أخبرنا أبو المعمر الانصارى نا يحيى بن عبدالوهاب ابن منده نا أبو طاهر محمد بن احمد بن عبد الرحيم نا محمد بن حسان ثنا أبو بكر احمد ابن هارون المردنجى ثنا عبد الله بن الازهر ثنا اسباط ثنا محمد بن موسى الجرجاني قال سألت محمد بن كثير الصنعانى عن الزهاد الذين لا يتزودون ولا ينتعلون ولا يلبسون الخفاف . فقال سألتني عن أولاد الشياطين ولم تسألني عن الزهاد . فقلت له . فأى شيء الزهد. قال التمسك بالسنة والتشبيه بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم * أخبرنا محمد بن ناصر نا ابو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن على الأزجى نا ابراهيم بن محمد الساجى نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر أحمد بن محمد الخلال نا أحمد بن الحسين بن حسان . ان أبا عبد الله احمد بن حنبل سئل عن الرجل يريد المفازة بغير زاد فانكره انكارا شديداً وقال أف أف لا لا ومد بها صوته إلا بزاد ورفقاء قافلة . قال الخلال : وقال أبو بكر المروزى وجاء رجل الى أبي عبدالله فقال رجل يريد سفراً ايما أحب اليك يحمل معه زاداً أو يتوكل . فقال له أبو عبدالله : يحمل معه زاداً ويتوكل حتى لا يتشرف للناس * قال الخلال : وأخبرني ابراهيم بن الخليل أن أحمد بن نصر حدثهم أن رجلا سأل أبا عبد الله أيخرج الرجل الى مكة متوكلا لا يحمل معه شيئا قال لا يعجبنى . فمن أين يأكل قال فيتوكل فيعطيه الناس قال فاذا لم يعطوه اليس يستشرف لهم حتى يعطونه . لا يعجبني هذا. لم يبلغني أن أحدا من أصحاب النبي ﷺ والتابعين فعل هذا * قال الخلال وأخبرنا محمد بن على السمسار ان محمد بن موسى بن مسيس حدثهم أن اباعبد الله سأله رجل فقال احج بلا زاد فقال لا. اعمل واحترف واخرج النبي ﷺ زود اصحابه(١) فقال: فهؤلاء الذين يعرفون ويحجون بلا زادهم على الخطأ . قال نعم هم على الخطأ * قال الخلال واخبرني

(١) قوله وأخرج النبي الخ هذه الجملة غير موجودة في بعض النسخ ولعلها حشو

محمد بن احمد بن جامع الرازى قال سمعت الحسين بن الحسن الرازي . قال . شهدت احمد بن حنبل وجاءه رجل من اهل خراسان فقال له يا ابا عبد الله معى درهم احج بهذا الدرهم . فقال له احمد اذهب الى باب الكرخ فاشتر بهذا الدرهم حبا واحمل على رأسك حتى يصير عندك ثلثمائة درهم فحج . قال يا أباعبد الله : أما ترى مكاسب الناس قال احمد لاتنظر الى هذا فانه من رغب في هذا يريد ان يفسد على الناس معايشهم قال يا ابا عبد الله انا متوكل قال فتدخل البادية وحدك او مع الناس قال لامع الناس قال كذبت اذن لست بمتوكل فادخل وحدك والا فأنت متوكل على جراب الناس *

* سياق ماجرى للصوفية فى أسفارهم وسياحاتهم *
(من الافعال المخالفة للشرع)

اخبرنا ابو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا ابو بكر احمد بن على بن ثابت نا محمد بن عبد الباقى نا حمد بن احمد نا ابو نعيم الحافظ ثنا احمد بن محمد بن مقسم ثنى ابو بدر الخياط الصوفي قال سمعت ابا حمزة يقول : سافرت سفرة على التوكل فبينما انا اسير ذات ليلة والنوم في عيني إذ وقعت في بئر فرأيتني قد حصلت فيها فلم اقدر على الخروج لبعد مرتقاها فجلست فيها فبينا انا جالس إذ وقف على رأس البئر رجلان فقال احدهما لصاحبه نجوز ونترك هذه البئر فى طريق المسلمين السابلة والمارة . فقال الآخر . فما نصنع قال فبدرت نفسي ان اناديهما فنوديت تتوكل علينا وتشكو بلاءنا الى سوانا . فسكت فمضيا ثم رجعا ومعهما شيء فجعلاه على رأسها غطوها به . فقالت لى نفسى أمنت طمها ولكن حصلت فيها مسجوناً . فمكثت يومى وليلتى فلما كان الغد ناداني شيء يهتف بي ولا اراه تمسك بى شديداً فمددت يدى فوقعت على شيء خشن فتمسكت به فعلاها وطرحنى فوق الارض فاذا هو سبع فلما رأيته لحق نفسي من ذلك ما يلحق من مثله فهتف بي هاتف وهو يقول : ياابا حمزة استنقذناك من البلاء بالبلاء وكفيناك ما تخاف بما تخاف * اخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن أبي نصر الحميدى نا ابو بكر محمد بن احمد الاردستاني ثنا ابو عبد الرحمن السلمى قال

سمعت محمد بن حسن المحرمي سمعت ابن المالكى يقول قال ابو حمزة الخراسانى حججت سنة من السنين فبينا أناامشي فى الطريق وقعت في بئر فنازعتني نفسى أن استغيث فقلت لا والله لا استغيث فما أتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر تعال نسد رأس هذا البئر فى هذا الطريق فأتوا بقصب وبارية فهممت فقلت الى من هو اقرب اليك منهما وسكت حتى طموا رأس البئر فاذا بشيء قد جاء فكشف عن رأس البئر ودلى رجليه وكان يقول فى همهمة له تعلق بي فتعلقت به فأخرجنى فنظرت فاذا هو سبع فهتف بي هاتف وهو يقول يا أباحمزة أليس ذا حسن نجيناك من التلف بالتلف * اخبرنا أبو منصور القزاز نا احمد بن على بن ثابت نا ابو القاسم رضوان بن محمد بن الحسن الدينورى قال سمعت احمد بن محمد بن عبد الله النيسابورى يقول سمعت أباعبد الله محمد بن نعيم يحكى عن ابي حمزة الصوفى الدمشقى انه لما خرج من البئر انشد يقول .

نهاني حيائي منك ان اكشف الهوى ... فأغنيتني بالقرب منك عن الكشف
تراءيت لى بالغيب حتى كأنني ... تبشرني بالغيب انك في الكف
أراك وبي من هيبتى لك وحشة ... وتؤنسنى بالعطف منك وباللطف
وتحيي محبا انت فى الحب حتفه ... وذا عجب كون الحياة مع الحتف

قال المصنف رحمه الله . قلت : اختلفوا فى ابى حمزة هذا الواقع في البئر فقال ابو عبد الرحمن السلمى . هو ابو حمزة الخراسانى وكان من اقران الجنيد . وقد ذكرنا فى رواية أخرى انه دمشقى . وقال ابو نعيم الحافظ : هو ابو حمزة البغدادى واسمه محمد بن ابراهيم وذكره الخطيب في تاريخه وذكر له هذه الحكاية . وايهم كان فهو مخطيء فى فعله مخالف للشرع بسكوته معين بصمته على نفسه وقد كان يجب عليه ان يصيح ويمنع من طم البئر كما يجب عليه ان يدفع عن نفسه من يقصد قتله . وقوله لا استغيث كقول القائل لا آكل الطعام ولا اشرب الماء وهذا جهل من فاعله ومخالفة الحكمة فى وضع الدنيا فان الله تعالى وضع الاشياء على حكمة فجعل للآدمى يداً يدفع بها ولسانا ينطق به وعقلا يهديه الى دفع المضار واجتلاب المصالح . وجعل الاغذية والادوية لمصلحة الآدميين فمن اعرض عن استعمال ماخلق له وارشد اليه فقد رفض امر

الشرع وعطل حكمة الصانع . فان قال جاهل فكيف احترز مع امر القدر قلنا وكيف لا يحترز مع أمر المقدر وقد قال الله تعالى « خذوا حذركم » وقد اختفى النبي ﷺ فى الغار وقال لسراقة « اخف عنا واستأجر دليلا الى المدينة » ولم يقل اخرج على التوكل وما زال ببدنه مع الاسباب وبقلبه مع المسبب . وقد أحكمنا هذا الاصل فيما تقدم . وقول أبي حمزة فنوديت من باطني هذا من حديث النفس الجاهلة التى قد استقر عندها بالجهل ان التوكل ترك التمسك بالاسباب لان الشرع لا يطلب من الانسان ما نهاه عنه وهلا نافره باطنه في مد يده وتعلقه بذلك المتدلي اليه وتمسكه به فان ذلك أيضاً نقض لما ادعاه من ترك الاسباب الذي يسميه التوكل لانه أى فرق بين قوله أنا فى البئر و بين تمسكه بما تدلى عليه لا بل هذا آكد لان الفعل آكد من القول فهلا سكت حتى يحمل بلا سبب . فان قال : هذا بعثه الله لى . قلنا : والذي جاز على البئر من بعثه واللسان المستغيث من خلقه فانه لو استغاث كان مستعملا للاسباب التي خلقها الله تعالى لينتفع بها للدفع عنه فلم يستعملها وانما بسكوته عطل الاسباب التى خلقها الله تعالى له ودفع الحكمة فصح لومه على ترك السبب . وأما تخليصه بالاسد فان صح هذا فقد يتفق مثله ثم لا ينكر أن الله تعالي يلطف بعبده وانما ينكر فعله المخالف للشرع *

أخبرنا أبومنصور القزاز نا أبو بكر احمد بن على بن ثابت ثنا عبد العزيز بن أبي الحسن قال سمعت على بن عبد الله بن جهضم المكى يقول . ثنا الخلدي قال . قال الجنيد قال لى محمد السمين : كنت فى طريق الكوفة بقرب الصحراء التي بين قباء والصخرة التى تفريقنا منها والطريق منقطع فرأيت على الطريق جملا قد سقط ومات وعليه سبعة أو ثمانية من السباع تتناهش لحمه يحمل بعضها على بعض فلما أن رأيتهم كأن نفسى اضطربت وكانوا على قارعة الطريق فقالت لى نفسى تميل يمينا أو شمالا فأبيت عليها الا أن آخذ على قارعة الطريق فحملتها على أن مشيت حتي وقفت عليهم بالقرب منهم كأحدهم ثم رجعت الي نفسي لأنظر كيف فاذا هى الروع معي قائم فأبيت أن أبرح وهذه صفتي فقعدت بينهم ثم نظرت بعد قعودى فاذا الروع معي فأبيت أن أبرح

وهذه صفتي فوضعت جنبي فنمت مضطجعاً فتغاشاني النوم فنمت وأنا على تلك الهيئة والسباع في المكان الذى كانوا عليه فمضى بى وقت وأنا نائم فاستيقظت فاذا السباع قد تفرقت ولم يبق منها شيء واذا الذى كنت أجده قد زال فقمت وأنا على تلك الهيئة فانصرفت*

قال المصنف رحمه الله قلت . فهذا الرجل قد خالف الشرع في تعرضه للسباع ولا يحل لاحد أن يتعرض لسبع أو لحية بل يجب عليه أن يفر مما يؤذيه أو يهلكه* وفى الصحيحين أن النبي ﷺ قال « اذا وقع الطاعون وأنتم بأرض فلا تقدموا عليه» وقال ﷺ « فرّ من المجذوم فرارك من الاسد» ومر عليه الصلاة والسلام بحائط مائل فأسرع . وهذا الرجل قد أراد من طبعه أن لا ينزعج . وهذا شيء ما سلم منه موسى عليه السلام فانه لما رأى الحية خاف وولى مدبراً . فان صح ماذكروهو بعيد الصحة لان طباع الآدميين تتساوى . فمن قال لا أخاف السبع بطبعي كذبناه كما لو قال أنا لا أشتهي النظر الى المستحسن . وكأنه قهر نفسه حتى نام بينهم استسلاما للهلاك لظنه أن هذا هو التوكل . وهذا الظن خطأ لانه لو كان هذا هو التوكل مانهى عن مقاربة ما يخاف شره . ولعل السباع اشتغلت عنه وشبعت من الجمل والسبع اذا شبع لا يفترس . ولقد كان أبو تراب النخشبي من كبار القوم فلقيته السباع فى البرية فنهشته فمات . ثم لا ينكر أن يكون الله تعالي لطف به ونجاه بحسن ظنه فيه غير أنا نبين خطأ فعله للعامى الذى اذا سمع هذه الحكاية ظن انها عزيمة عظيمة ويقين قوي وربما فضل حالته على حالة موسى عليه السلام اذ هرب من الحية . وعلى حالة نبينا ﷺ اذ مر بجدار مائل فهرول . وعلى لبسه ﷺ الدرع فى غزواته كلها وقت الحرب حتي قال عليه الصلاة والسلام فى غزوة الخندق « ليس لنبي أن يلبس لامة حربه ثم ينزعها من غير قتال» وعلى حالة أبى بكر رضى الله عنه إذ سد خروق الغار اتقاء ذي الحيات: وهيهات أن تعلو مرتبة هذا المخالف للشرع على مرتبة النبيين والصديقين بما يخايل له ظنه الفاسد من أن هذا الفعل هو التوكل *

وقد أخبرنا عنه أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا اسماعيل بن احمد الجيرى ثنا محمد بن الحسين السلمي قال سمعت محمد بن الحسين البغدادى يقول سمعت

محمد بن عبد الله الفرغاني قال سمعت مؤملا المغابى يقول . كنت أصحب محمد ابن السمين فسافرت معه ما بين تكريت والموصل فبينا نحن فى برية نسير اذ زأر السبع من قريب منا فجزعت وتغيرت وظهر ذلك على وجهى وهممت أن أبادر فأفر فضبطني وقال يامؤمل التوكل ههنا ليس فى المسجد الجامع *

قال المصنف رحمه الله . قلت لا أشك في أن التوكل يظهر أثره فى المتوكل عند الشدائد . ولكن ليس من شروطه الاستسلام للسبع فانه لايجوز *

أخبرنا عمر بن ظفر نا ابن السراج نا عبد العزيز بن على الازجي نا ابن جهضم ثنا ابراهيم بن احمد بن على العطار . قال له الخواص : حدثنى بعض المشايخ انه قيل لعلى الرازى . مالنا لا نراك مع أبي طالب الجرجانى . قال : خرجنا في سياحة فنمنا فى موضع فيه سباع فلما نظر الى رآني لم أنم طردني . وقال : لاتصحبنى بعد هذا اليوم *

قال المصنف رحمه الله قلت : لقد تعدى هذا الرجل اذ أراد من صاحبه أن يغير ما طبع عليه وليس ذلك في قدرته ولا في وسعه . ولا يطالبه بمثله الشرع وما قدر على هذه الحالة موسى عليه السلام حين هرب من الحية فهذا كله مبناه على الجهل *

أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا الازجي ثنا ابن جهضم . قال سمعت الخلدى يقول : سمعت ابراهيم الخواص يقول . سمعت حسنا أخا سنان يقول . كنت أسلك طريق مكة فيدخل فى رجلى الشوكة فيمنعنى ما أعتقده من التوكل أن أخرجها من رجلى فأدلك رجلى على الارض وأمشي *

أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد أنبأنا أبو على الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني نا سهل بن على الحساب نا عبد الله بن على السراج قال سمعت احمد بن على الوجدي يقول : حج الدينورى اثنتى عشرة حجة حافيا مكشوف الرأس وكان اذا دخل فى رجله شوك يمسح رجله فى الارض ويمشى ولا يتطاطي الى الارض من صحة توكله *

قال المصنف رحمه الله . قلت : انظروا الى ما يصنع الجهل بأهله وليس من

طاعة الله تعالى أن يقطع الانسان تلك البادية حافيا لانه يؤذي نفسه غاية الاذى. ولا مكشوف الرأس وأى قربة تحصل بهذا ولولا وجوب كشف الرأس فى مدة الاحرام لم يكن لكشفه معني. فمن ذا الذي أمره ألا يخرج الشوك من رجله وأى طاعة تقع بهذا ولو أن رجله انتفخت بما يبقى فيها من الشوك وهلك كان قد أعان على نفسه وهل دلك الرجل بالارض الا دفع بعض شر الشوك فهلا دفع الباقى بالاخراج. وأين التوكل من هذه الافعال المخالفة للعقل والشرع. لانهما يقضيان بجلب المنافع للنفس ودفع المضار عنها. ولذلك أجاز الشرع لمن أدركه ضرر فى احرامه أن يخرق حرمة الاحرام ويلبس ويغطي رأسه ويفدى. ولقد سمعت أبا عبيد يقول. اني لأتبين عقل الرجل بأن يدع الشمس ويمشى فى الظل *

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب ثنا عبد العزيز بن أبي الحسن القرميسيني قال سمعت على بن عبد الله بن جهضم قال سمعت أبا بكر الرقى يقول حدثنى أبو بكر الدقاق قال: خرجت في وسط السنة الى مكة وأنا حدث السن في وسطي نصف جل وعلى كتفي نصف جل فرمدت عينى في الطريق وكنت أمسح دموعي بالجل فأقرح الجل الموضع فكان يخرج الدم مع الدموع فمن شدة الارادة وقوة سرورى بحالى لم أفرق بين الدموع والدم وذهبت عينى في تلك الحجة وكانت الشمس اذا أثرت في بدنى قبلت يدى ووضعتها على عينى سروراً مني بالبلاء * أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ قال سمعت أبا الفضل أحمد بن أبي عمران يقول سمعت محمد بن داود الرقي يقول سمعت أبا بكر الدقاق يقول: كان سبب ذهاب بصري أني خرجت فى وسط السنة أريد مكة وفي وسطي نصف جل وعلى وسطي نصف جل فرمدت احدى عينى فمسحت الدموع بالجل فقرح المكان وكانت الدموع والدم تسيلان من عينى * أخبرنا محمد بن أبي القاسم أنا أبو محمد التميمي انا عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا بكر الرازى يقول قلت لابى بكر الدقاق. وكان بفرد عين ما سبب ذهاب عينك قال كنت أدخل البادية على التوكل فجعلت على نفسى أن لا آكل لاهل المنازل شيئاً تورعا فسالت احدى عيني على خدي من الجوع *

قال المصنف رحمه الله اذا سمع مبتدىء حالة هذا الرجل ظن ان هذه مجاهدات

وقد جمعت هـذه السفرة التي افتخر فيها فنونا من المعاصي والمخالفات منها خروجه في تنصيف السنة على الوحدة ،ومشيه بلا زاد ولا راحلة ، ولباسه الجل ،ومسح عينيه به وظنه ان ذلك يقربه الى الله تعالى وانمـا يتقرب الى الله تعالى بما أمر به وشرعه لا بما نهى وكف عنه . فلو ان انسانا قال أريد أن أضرب نفسي بعصا لانها عصت أتقرب بذلك الى الله كان عاصياً . وسرور هذا الرجل بهذا خطأ قبيح لانه انما يفرح بالبلاء اذا كان بغير تسبب منه لنفسه . فلو أن انسانا كسر رجل نفسه ثم فرح بهذه المصيبة كان نهاية في الحماقة ثم تركه السؤال وقت الاضطرار وحمله على النفس في شدة المجاعة حتى سالت عينـه ثم يسمى هذا تورعا حماقات زهاد أكثرها الجهل والبعد عن العلم * وقد أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنـا سليمان بن أحمد ثنا محمد بن العباس بن أيوب الاصفهاني ثنـا عبد الرحمن بن يوسف الرقي ثنـا مطرف بن مازن عن سفيان الثوري . قال : من جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار *

قال المصنف رحمه الله : فانظر الى كلام الفقهاء ما أحسنه . ووجهه ان الله تعالى قد جعل للجائع مكنة التسبب فاذا عدم الاسباب الظاهرة فله قدرة السؤال التي هي كسب مثله في تلك الحال فاذا تركه فقـد فرط في حق نفسه التي هي وديعة عنـده فاستحق العقاب * وقد روى لنا في ذهاب عين هذا الرجل ماهو أظرف ممـا ذكرنا فاخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد ثنا حمد بن احمد الحداد ثنا أبو نعيم قال سمعت أبا أحمد القلانسي يقول قال أبو علي الروزباري يحكي عن أبي بكر الدقاق . قال : استضفت حيا من العرب فرأيت جارية حسناء فنظرت اليها فقلعت عيني التي نظرت بها اليها . وقلت مثلك من نظر لله*

قال المصنف رحمه الله قلت : فانظروا الى جهل هذا المسكين بالشريعة والبعـد عنها لانه ان كان نظر اليها عن غير تعمد فلا اثم عليه وان تعمد فقد أتى صغيرة قد كان يكفيه منها الندم . فضم اليها كبيرة وهي قلع عينـه ولم يتب عنها لانه اعتقد قلعها قربة الى الله سبحانه ومن اعتقد المحظور قربة فقـد انتهى خطؤه الى الغاية ولعله سمع تلك الحكاية عن بعض بني اسرائيل انه نظر الى امرأة فقلع عينه وتلك

مع بعد صحتها ربما جازت في شريعتهم · فاما شريعتنا فقد حرمت هذا . وكان هؤلاء القوم ابتكروا شريعة سموها بالتصوف وتركوا شريعة نبيهم محمد ﷺ نعوذ بالله من تلبيس ابليس . وقد روى عن بعض عابدات الصوفية مثل هذا * أخبرنا أبو بكر ابن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال أخبرني أبو الحسن على بن أحمد البصرى غلام شعوانة قال أخبرتنى شعوانة انه كان في جيرانها امرأة صالحة فخرجت ذات يوم الى السوق فرآها بعض النـاس فافتتن بها وتبعها الى باب دارها . فقالت له المرأة أى شيء تريد منى قال فتنت بك . فقـالت : ما الذي استحسنت مني قال عيناك . فدخلت الى دارها فقلعت عينيها وخرجت الى خلف الباب ورمت بها اليه وقالت له خذهما فلا بارك الله فيك*

قال المصنف رحمه الله . فانظروا اخواني كيف يتلاعب ابليس بالجهلة فان ذلك الرجل أتى صغيرة بالنظر وأتت هي بكبيرة ثم ظنت انها فعلت طاعة وكان ينبغي أنها لاتكلم رجلا أجنبياً . وقد وجد من القوم ضد هذا كما يروى عن ذى النون المصرى وغيره انه قال لقيت امرأة في البرية فقلت لهـا وقالت لى وهذا لا يحل له . وقد أنكرت عليـه امرأة متيقظة * فأخبرنا عبد الملك بن عبد الله الطروحي نا محمد ابن على بن عمر نا أبو الفضل محمد بن محمد العامى نا أبو سعيد محمد بن احمد بن يوسف ثني سكر ثنى محمد بن يعقوب العرجى قال سمعت ذا النون يقول · رأيت امرأة بنحو أرض البجة فناديتها فقالت وما للرجال أن يكلموا النساء لولا نقص عقلك لرميتك بشيء * أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا احمد بن على بن ثابت ثنا عبد العزيز الازجى ثنا على بن عبد الله الهمدانى ثنى على بن اسماعيل الطلا ثني محمد بن الهيثم قال قال لى أبو جعفر الحداد . دخلت البادية بعض السنين على التوكل فبقيت سبعة عشر يوما لا آكل فيها شيئاً وضعفت عن المشى فبقيت أياما أخر لم أذق فيها شيئاً فسقطت على وجهي وغشي على وغلب على من القمل شيء ما رأيت مثله ولا سمعت به فبينا أنا كذلك اذ مر بي ركب فرأونى على تلك الحالة فنزل أحدهم عن راحلته فحلق رأسى ولحيتى وشق ثوبى وتركني فى الرمضاء وسار فمر بي ركب آخر فحملونى الى حيهم وأنا مغلوب فطرحونى ناحيـة فجاءتنى امرأة فجلست على رأسى وصبت اللبن فى حلقي

ففتحت عيني قليلا وقلت لهم أقرب المواضع منكم أين . قالوا : جبل الشراة فحملوني الى الشراة *

قال المصنف رحمه الله قلت : لو يحكى أن رجلا من المجانين انحل من السلسلة فأخذ سكينا وجعل يشرح لحم نفسه ويقول أنا ما رأيت مثل هذا الجنون لصدق على هذا . والا فانظروا الى حال هذا المسكين و بما فعل بنفسه ثم يعتقد أن هذا قربة نسأل الله العافيــة * أخبرنا أحمد بن ناصر نا أحمد بن على بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر الدارى يقول سمعت أبا الحسين الريحانى يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول : رأيت شيخا من أهل المعرفة عرج بعد سبعة عشر يوماً على سبب فى البرية فنهاه شيخ كان معه فأبى أن يقبل فسقط ولم يرتفع عن حدود الأسباب ، قلت هذا قد أراد أن يصبر عن القوت أكثر من هذا وليس الصبر الى هذا الحد وان أطيق بفضيلة * أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين . قال سمعت جدى اسماعيل بن نجيد يقول . دخل ابراهيم الهروى مع شبة (١) البرية . فقال ياشبة اطرح مامعك من العلائق قال فطرحتها كلها وأبقيت دينارا فخطا خطوات ثم . قال : اطرح كل ما معك لا تشغل سرى . قال : فأخرجت الدينار ودفعته اليه فطرحه ثم خطا خطوات . وقال اطرح ما معك . قلت ليس معى شيء . قال بعد سرى مشتغل ثم ذكرت ان معى دستجة شسوع فقلت ليس معى إلا هــذه . قال فأخذها فطرحها ثم قال امشي فمشينا فما احتجت الى شيء فى البادية الا وجدته مطروحا بين يدى فقال لى كذا من عامل الله بالصدق *

قال المصنف رحمه الله قلت : كل هذه الأفعال خطأ ورمى المال حرام والعجب ممن يرمى ما يملكه و يأخذ مالا يدرى من أين هو وهل يحل له أخــذه أم لا * أخبرنا أبو بكر بن حبيب أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه . قال سمعت نصر ابن أبي نصر العطار يقول سمعت على بن محمد المصرى قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول : دخلت البادية مرة بغــير زاد فأصابتني فاقة فرأيت المرحلة من بعــد فسررت

(١) في نسخة مع سبتية

بوصولى ثم فكرت فى نفسى انى شكيت وانى توكلت على غيره فآليت أن لا أدخل المرحلة الا ان حملت اليها لحفرت لنفسى فى الرمل حفر وواريت جسدى فيها الى صدرى فسمعت صوتاً فى نصف الليل عاليا يا أهل المرحلة ان لله ولياً حبس نفسه فى هذا الرمل فالحقوه لجاء جماعة فأخرجونى وحملونى الى المرحلة *

قال المصنف رحمه الله قلت : لقد تنطع هذا الرجل على طبعه فأراد منه ما لم يوضع عليه لان طبع ابن آدم ان يهش الى ما يحب ولا لوم على العطشان اذا هش الى الماء ولا على الجائع اذا هش الى الطعام . فكذلك كل من هش الى محبوب له . وقد كان النبي ﷺ : اذا قدم من سفر فلاحت له المدينة أسرع السير . حبا للوطن . ولما خرج من مكة تلفت اليها شوقا . وكان بلال يقول لعن الله عتبة وشيبة اذا أخرجونا من مكة ويقول .

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل

فنعوذ بالله من الاقبال على العمل بغير مقتضى العلم والعقل . ثم حبسه نفسه عن صلاة الجماعة قبيح . وأى شيء فى هـذا من التقرب الى الله سبحانه انما هو محض جهل * أنبأنا ابن ناصر نا جعفر بن احمد السراج نا عبد العزيز بن على بن أحمد ثنا أبو الحسن على بن جهضم ثنا بكر بن محمد . قال. كنت عند أبى الخير النيسابوري فبسطني بمحادثته لى بذكر بدايته الى أن سألته عن سبب قطع يده . فقال : يد جنت فقطعت . ثم اجتمعت به مع جماعة فسألوه عن ذلك . فقال : سافرت حتى بلغت اسكندرية فأقمت بها اثنتى عشرة سنة وكنت قد بنيت بها كوخا فكنت أجيء اليه من ليل الى ليل وأفطر على ما ينفضه المرابطون واذا حم الكلاب على قمامة السفر وآكل من البردى فى الشتاء فنوديت في سرى يا أبا الخير تزعم انك لا تشارك الخلق في أقواتهم وتشير الى التوكل وأنت فى وسط القوم جالس . فقلت : إلهي وسيدي وعزتك لامددت يدى الى شيء مما تنبته الارض حتى تكون الموصل الى رزقي من حيث لا أكون فيه فأقمت اثني عشر يوما أصلى الفرض وأتنفل ثم عجزت عن النافلة فأقمت اثني عشر يوما أصلي الفرض والسنة ثم عجزت عن السنة فأقمت

اثنى عشر يوما أصلى الفرض لاغير ثم عجزت من القيام فأقمت اثنى عشر يوما أصلى جالساً لا غير ثم عجزت عن الجلوس فرأيت ان طرحت نفسى ذهب فرضى فلجأت الى الله بسرى وقلت إلهى وسيدى افترضت علىّ فرضاً تسألنى عنه وقسمت لى رزقا وضمنته لى فتفضل علىّ برزقى ولا تؤاخذنى بما عقدته معك فوعزتك لاجتهدن ان لاحللت عقداً عقدته معك فاذا بين يدي قرصان بينهما شيء فكنت أجده على الدوام من الليل الى الليل ثم طولبت بالمسير الى الثغر فسرت حتى دخلت الفرما فوجدت فى الجامع قاصا يذكر قصة زكرياء والمنشار وان الله تعالى أوحى اليه حين نشر فقال ان صعدت اليّ منك انة لامحونك من ديوان النبوة فصبر حتى قطع شطرين . فقلت لقد كان زكريا صباراً إلهى وسيدي لئن ابتليتنى لاصبرن . وسرت حتى دخلت انطاكية فرآني بعض اخوانى وعلم أنى أريد الثغر فدفع اليّ سيفاً وترسا وحربة فدخلت الثغر وكنت حينئذ أحتشم من الله تعالي أن أتوارى وراء السور خيفة من العدو فجعلت مقامى فى غابة أكون فيها بالنهار وأخرج بالليل الي شاطيء البحر فأغرز الحربة على الساحل وأسند الترس اليها محرابا وأتقلد سيفى وأصلى الي الغداة فاذا صليت الصبح غدوت الي الغابة فكنت فيها نهارى اجمع فبدوت فى بعض الأيام فمررت بشجرة فاستحسنت ثمرها ونسيت عقدى مع الله وقسمى به انى لا أمد يدى الى شيء مما تنبت الارض فمددت يدى فأخذت بعض الثمرة فبينا أنا أمضغها ذكرت العقد فرميت بها من فىّ وجلست ويدى على رأسى فدار بي فرسان وقالوا لي قم فأخرجونى الى الساحل فاذا أمير وحوله خيل ورجالة وبين يديه جماعة سودان كانوا يقطعون الطريق وقد أخذهم وافترقت الخيل فى طلب من هرب منهم فوجدونى أسود معي سيف وترس وحربة فلما قدمت الى الامير قال ايش أنت قلت عبد من عبيد الله فقال للسودان تعرفونه قالوا لا . قال بلى هو رئيسكم وانما تفدونه بأنفسكم لأقطعن أيديكم وأرجلكم فقدموهم ولم يزل يقدم رجلا رجلا ويقطع يده ورجله حتى انتهى اليّ فقال تقدم مد يدك فمددتها فقطعت ثم قال مد رجلك فمددتها ورفعت رأسي الي السماء وقلت إلهي وسيدى يدي جنت ورجلي ايش عملت فاذا بفارس قد وقف على الحلقة ورمى بنفسه الى الارض وصاح ايش تعملون تريدون ان تنطبق الخضراء على الغبراء. هذا رجل صالح

يعرف بأبي الخير فرمى الأمير نفسه وأخذ يدي المقطوعة من الأرض وقبلها وتعلق بي يقبل صدري ويبكي ويقول سألتك بالله أن تجعلني في حل. فقلت قد جعلتك في حل من اول ما قطعتها هذه يد قد جنت فقطعت *

قال المصنف رحمه الله: فانظروا رحمكم الله الى عدم العلم كيف صنع بهذا الرجل وقد كان من أهل الخير ولو كان عنده علم لعلم أن مافعله حرام عليه وليس لابليس عون على العباد والزهاد أكثر من الجهل * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت الحسين بن احمد الفارسي قال سمعت محمد بن داود الدينوري يقول سمعت ابن حديق يقول دخلنا المصيصة مع حاتم الاصم فعقد انه لايأكل فيها شيئاً الا حتى يفتح فمه ويوضع في فيه والا ما يأكل فقال لاصحابه. تفرقوا وجلس فأقام تسعة أيام لا يأكل فيها شيئاً فلما كان في اليوم العاشر جاء اليه إنسان فوضع بين يديه شيئاً يؤكل فقال كل فلم يجبه فقال له ثلاثاً فلم يجبه فقال هذا مجنون فأصلح لقمة وأشار بها الى فمه فلم يفتح فمه ولم يتكلم فأخرج مفتاحاً كان معه ففتح فمه بالمفتاح ودس اللقمة في فمه فأكل ثم قال له ان أحببت أن ينفعك الله به فأطعم أولئك وأشار الى أصحابه * أنبأنا محمد بن أبي طاهر نا علي بن المحسن التنوخي عن أبيه ثني محمد بن هلال بن عبد الله ثني القاضي احمد بن سيار. قال حدثني رجل من الصوفية قال صحبت شيخاً من الصوفية أنا وجماعة في سفر فجرى حديث التوكل والارزاق وضعف اليقين فيها وقوته فقال الشيخ على علي وحلف أيماناً عظيمة لاذقت مأكولا أو يبعث لي بجام فالوذج حار لا آكله الا بعد أن يحلف علي. قال وكنا نمشي في الصحراء فقالت له الجماعة الا أنك غير جاهد ومشى ومشينا فانتهينا الى قرية وقد مضى يوم وليلتان لم يطعم فيها شيء ففارقته الجماعة غيري فطرح نفسه في مسجد القرية مستسلماً للموت ضعفاً. فأقمت عليه فلما كان في ليلة اليوم الرابع وقد انتصف الليل وكاد الشيخ يتلف. اذا بباب المسجد قد فتح واذا بجارية سوداء معها طبق مغطى. فلما رأتنا قالت أنتم غرباء أو من أهل القرية فقلت غرباء فكشفت الطبق واذا بجام فالوذج يفور لحرارته فقدمت لنا الطبق وقالت كلوا فقلت له كل فقال لا أفعل فرفعت الجارية يدها فصفعته صفعة عظيمة وقالت والله لئن لم تأكل لاصفعنك هكذا الى أن

تأ كل : فقال كل معى فأ كلنا حتى فرغ الجام وهمت الجارية بالانصراف فقلت للجارية ما خبرك وخبر هذا الجام . فقالت أنا جارية رئيس هذه القرية وهو رجل حاد طلب منا منذ ساعة فالوذج فقمنا نصلحه له فطال الامر عليه فاستعجلنا فقلنا نعم. فعاد فاستعجل فقلنا نعم فحلف بالطلاق لا أ كله هو ولا أحد ممن هو في داره ولا أحد من أهل القرية ولا يأكله الا رجل غريب فخرجنا نطلب فى المساجد رجلا غريباً فلم نجد الى أن انتهينا اليكم ولو لم يأ كل هذا الشيخ لقتلته ضربا الى أن يأ كل لئلا تطلق سيدتي من زوجها . قال فقال الشيخ : كيف تراه اذا أراد أن يرزق *

قال المصنف رحمه الله ربما سمع هذا جاهل فاعتقده كرامة وما فعله الرجل من أقبح القبيح فانه يجرب على الله ويتألى عليه ويحمل على نفسه من الجوع ما لا يجوز له وهذا لا يجوز له ولا ينكر أن يكون لطف به الا أنه فعل ضد الصواب وربما كان انفاذ ذلك رديئاً لانه يعتقد أنه قد أ كرم وان ذلك منزلة . وكذلك حكاية حاتم التي قبلها فانها ان صحت دلت على جهل بالعلم وفعل لما لا يجوز لانه ظن ان التوكل انما هو ترك التسبب فلو عمل بمقتضى واقعته لم يمضغ الطعام ولم يبامه فانه تسبب وهل هذا الا من تلاعب إبليس بالجهال لقلة علمهم بالشرع ثم أى قربة فى هذا الفعل البارد وما أظن غالبه الا من الماليخوليا * أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا احمد ابن على بن المحسن قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن احمد الطبري قال قال لى جعفر الخلدى : وقفت بعرفة ستاً وخمسين وقفة منها إحدى وعشرون على المذهب . فقلت لأبي إسحق : وأى شيء أراد بقوله — على المذهب — فقال يصعد الى قنطرة الناشرية فينفض كميه حتى يعلم انه ليس معه زاد ولا ماء ويلبي ويسير *

قال المصنف رحمه الله : وهذا مخالف للشرع فان الله تعالى يقول « وتزودوا » ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزود . ولا يمكن أن يقال ان هذا الآدمى لا يحتاج الى شيء في مدة أشهر فان احتاج ولم يتزود فعطب أثم وان سأل الناس أو تعرض لهم لم يف ذلك بدعوى التوكل وان ادعى أنه يكرم ويرزق بلا سبب فنظره الى أنه مستحق لذلك محنة ولو تبع أمر الشرع وحمل الزاد كان أصلح له على كل حال * وأنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال أخبرنى أبي عن بعض الصوفية : انه قدم عليه من مكة جماعة

من المتصوفة فقال لهم من صحبتم فقالوا حاج اليمن فقال أوه التصوف قد صار الى هذا أو التوكل قد ذهب . أنتم ما جئتم على الطريقة والتصوف وانما جئتم من مائدة اليمن الى مائدة الحرم . ثم قال . وحق الاحباب والفتيان لقد كنا أربعة نفر مصطحبين فى هذه الطريق نخرج الى زيارة قبر النبي ﷺ على التجريد ونتعاهد بيننا أن لا نلتفت الى مخلوق ولا نستند الى معلوم . فجئنا الى النبي ﷺ ومكثنا ثلاثة أيام لم يفتح لنا بشيء فخرجنا حتى بلغنا الجحفة ونزلنا وبحذائنا نفر من الاعراب فبعثوا الينا بسويق فأخذ بعضنا ينظر الى بعض ويقول . لو كنا من أهل هـذا الشأن لم يفتح لنا بشيء حتى ندخل الحرم فشربناه على الماء وكان طعامنا حتى دخلنا مكة *

قلت : إسمعوا إخواني إلى توكل هؤلاء كيف منعهم من التزود المأمور به فأحوجهم إلى أخذ صدقات الناس . ثم ظنهم ان ما فعلوه مرتبة جهل بمعرفة المراتب * ومن أعجب ما بلغني عنهم فى أسفارهم ما أخبرنا به محمد بن أبي القاسم البغـدادى نا أبو محمد التميمي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال . بلغني إن أبا شعيب المقفع وكان قد حج سبعين حجة راجلا أحرم في كل حجة بعمرة وحجة من عنـد صخرة بيت المقدس ودخل بادية تبوك على التوكل فلما كان فى حجته الاخيرة رأى كلباً فى البادية يلهث عطشاً . فقال . من يشترى سبعين حجة بشربة ماء : قال فدفع اليه إنسان شربة ماء فسقى الـكلب ثم قال هذا خير لى من حجي لان النبي صلى الله عليه وسلم قال « فى كل ذات كبد حراء أجر » * أخـبرنا عبـد الاول بن عيسى نا ابن أبي الـكوفاني ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن مورى الحبوساني نا أبو نصر عبد الله بن على الطوسي المعروف بابن السراج قال سمعت الوجهي يقول سمعت أبا على الروزبارى يقول : كان في البادية جماعة ومعنا أبو الحسين العطوفى فربما كان تلحقنا القافلة ويظلم علينا الطريق . وكان أبو الحسين يصعد تلا فيصيح صياح الذئب حتى تسمع كلاب الحى فينبحون فيمر على بيوتهم ويحمل الينا من عندهم معونة . قلت : وانما ذكرت مثل هذه الاشياء ليتنزه العاقل في مبلغ علم هؤلاء وفهمهم للتوكل وغيره ويرى مخالفتهم لاوامر الشرع وليت شعرى كيف يصنع من يخرج منهم ولا شيء معه بالوضوء والصلاة وان تخرق ثوبه ولا إبرة معـه فـكيف يفعل . وقد كان بعض مشايخهم يأمر المسافر

بأخذ العدة قبل السفر * فأخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت الفرغاني يقول . كان إبراهيم الخواص مجرداً في التوكل يدقق فيه وكان لا تفارقه إبرة وخيوط وركوة ومقراض فقيل له ياأبا إسحاق لم تحمل هذا وأنت تمنع من كل شيء . فقال . مثل هذا لا ينقض التوكل لان الله تعالى علينا فرائض والفقير لا يكون عليه الا ثوب واحد فربما يتخرق ثوبه وان لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته فتفسد عليه صلواته وان لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته واذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا إبرة ولا خيوط فاتهمه فى صلاته *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الصوفية اذا قدموا من السفر ﴾

قال المصنف رحمه الله قلت : من مذهب القوم أن المسافر اذا قدم فدخل الرباط وفيه جماعة لم يسلم عليهم حتى يدخل الميضة فاذا توضأ جاء وصلى ركعتين ثم سلم على الشيخ ثم سلم على الجماعة . وهذا ما ابتدعه متأخروهم على خلاف الشريعة لان فقهاء الاسلام أجمعوا على أن من دخل على قوم سن له أن يسلم عليهم سواء كان على طهارة أو لم يكن إلا أن يكونوا أخذوا هذا من مذهب الاطفال فانه إذا قيل للطفل لم لا تسلم علينا قال ماغسلت وجهي بعد أو لعل الاطفال علموه من هؤلاء المبتدعين * أخبرنا ابن الحصين نا أبو على بن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد ثني أبي ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ليسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير » أخرجاه في الصحيحين ومن مذهب القوم تغميز القادم من السفر مساء * أنبأنا أبو زرعة طاهر ابن محمد عن أبيه . قال باب السنة في تغميزهم القادم من السفر أول ليلة لتعبه واحتج بحديث عمر رضى الله عنه دخلت على النبي ﷺ وغلام له حبشي يغمز ظهره فقلت ما شأنك يارسول الله قال إن الناقة قد اقتحمتني *

قال المصنف رحمه الله . أنظروا إخواني إلى فقه هذا المحتج فانه كان ينبغي أن يقول باب السنة فى تغميز من رمت به ناقته . وتكون السنة تغميز الظهر لا القدم

ومن أين له إنه كان فى سفر وانه غمز أول ليلة ثم يجعل تغميز النبي ﷺ كما اتفق لأجل ألم ظهره سنة لقد كان ترك استخراج هذا الفقه الدقيق أحسن من ذكره . ومن مذهبهم عمل دعوة للقادم . قال ابن طاهر : باب اتخاذهم العتيرة (١) للقادم واحتج بحديث عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ سافر سفراً فنذرت جارية من قريش إن الله تعالى رده أن تضرب فى بيت عائشة رضى الله عنها بدف فلما رجع قال النبى ﷺ إن كنت نذرت فاضربي *

قال المصنف رحمه الله . قد بينا أن الدف مباح ولما نذرت هذه المرأة مباحاً أمرها أن تفى فكيف يحتج بهذا على الغناء وارقص عند قدوم المسافر *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الصوفية اذا مات لهم ميت ﴾

له في ذلك تلبيسان الاول . أنهم يقولون لا يبكى على هالك ومن بكى على هالك خرج عن طريق أهل المعارف . قال ابن عقيل . وهذه دعوى تزيد على الشرع فهى حديث خرافة وتخرج عن العادات والطباع فهى انحراف عن المزاج المعتدل فينبغى أن يطالب لها بالعلاج بالادوية المعدلة للمزاج فان الله تعالى أخبر عن نبى كريم فقال . (وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) . وقال . (يا أسفى على يوسف) . وبكى رسول الله ﷺ عند موت ولده وقال « إن العين لتدمع » وقال « وا كرباه » وقالت فاطمة رضي الله عنها وا كرب أبتاه فلم ينكر وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه متمماً يندب أخاه ويقول :

وكنا كندمانى جزيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فقال عمر رضى الله عنه ليتنى كنت أقول الشعر فأندب أخى زيداً فقال متمم لو مات أخى كما مات أخوك مارثيته . وكان مالك مات على الكفر وزيد قتل شهيداً فقال . عمر ماعزانى أحد في أخي كمثل تعزيتك . ثم لا تزال الابل الغليظة الاكباد

---

(١) العتيرة بوزن الذبيحة شاة وكانت الجاهلية تذبح للاصنام فيصب دمها على رأسها نهى الشرع عن ذلك ففيه تشبيه بالمشركين ايضا

تحن الى ما آلفها من الاعطان والاشخاص وترغوا للفصلان وحمام الطير . ترجع وكل مأخوذ من البلاء فلا بد أن يتضرع ومن لم تحركه المسار والمطربات وتزعجه المحزيات فهو الى الجماد به أقرب . وقد أبان النبي عليه الصلاة والسلام عن العيب فى الخروج عن سمت الطبع . فقال للذى قال . لم أقبل أحداً من ولدى — وكان له عشرة من الولد — فقال « أو أملك لك ان نزع الله الرحمة من قلبك » وجعل يلتفت الى مكة لما خرج فالمطالب لما يخرج عن الشرائع وينبو عن الطباع جاهل يطالب بجهل . وقد قنع الشرع منا أن لا نلطم خداً ولا نشق جيباً فاما دمعة سائلة وقلب حزين فلاعيب في ذلك * التلبيس الثانى : انهم يعملون عند موت الميت دعوة ويسمونها عرسا ويغنون فيها ويرقصون ويلعبون ويقولون نفرح للميت إذ وصل الى ربه . والتلبيس فى هذا عليهم من ثلاثة أوجه أحدها ان المسنون أن يتخذ لاهل الميت طعام لاشتغالهم بالمصيبة عن اعداد الطعام لانفسهم وليس من السنة أن يتخذه أهل الميت ويطعمونه الى غيرهم والاصل فى اتخاذ الطعام لاجل الميت * ما أخبرنا به أبو الفتح الكروخي نا أبو عامر الازدى وأبو بكر العورجي قال أخبرنا الجراحي ثنا المحبوبى ثنا الترمذى ثنا أحمد بن منيع وعلى بن حجر قالا حدثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر . قال . لما جاء نعي جعفر قال النبي ﷺ « اصنعوا لآل جعفر طعاما فانه قد جاءهم ما يشغلهم » قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . والثانى انهم يفرحون للميت ويقولون وصل الى ربه ولا وجه للفرح لأنا لا نتيقن انه غفر له وما يؤمنا أن نفرح له وهو فى المعذبين . وقد قال عمر بن زر لما مات ابنه لقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك * أخبرنا عبد الاول نا ابن المظفر نا ابن عين ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا أبو اليمان نا شعيب عن الزهري ثني خارجة بن زيد الانصاري عن أم العلاء . قالت . لما مات عثمان بن مظعون دخل علينا رسول الله ﷺ فقلت رحمة الله عليك أبا السايب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله . فقال النبي ﷺ : « وما يدريك ان الله أكرمه » . والثالث انهم يرقصون ويلعبون فى تلك الدعوة فيخرجون بهذا عن الطباع السليمة التى يؤثر عندها الفراق . ثم ان كان ميتهم قد غفر له فما الرقص واللعب بشكرهم وان كان معذبا فأين أثر الحزن *

﴿ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى ترك التشاغل بالعلم﴾

قال المصنف رحمه الله . اعلم أن أول تلبيس ابليس على الناس صدهم عن العلم لان العلم نور فاذا أطفأ مصابيحهم خبطهم فى الظلم كيف شاء . وقد دخل على الصوفية فى هذا الفن من أبواب . أحدها أنه منع جمهورهم من العلم أصلا وأراهم أنه يحتاج الى تعب وكلف فحسن عندهم الراحة فلبسوا المراقع وجلسوا على بساط البطالة * أخبرنا اسماعيل بن احمد السمرقندى نا حمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الاصفهانى ثنا أبو حامد بن حيان ثنا أبو الحسن البغدادى ثنا ابن صاعد قال سمعت الشافعى رضي الله عنه يقول . اسس التصوف على الكسل . و بيان ماقاله الشافعي ان مقصود النفس اما الولايات وأما استجلاب الدنيا بالعلوم يطول و يتعب البدن وهل يحصل المقصود أو لا يحصل . والصوفية قد تعجلوا الولايات فانهم يرون بعين الزهد . واستجلاب الدنيا فانها اليهم سريعة *

أخبرنا عبد الحق نا المبارك بن عبد الجبار نا أبو الفرج الطناجيرى ثنا أبو حفص بن شاهين قال . ومن الصوفية من ذم العلماء ورأى ان الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا ان علومنا بلا واسطة وانما رأوا بعد الطريق فى طلب العلم فقصروا الثياب ورقعوا الجباب وحملوا الركاء واظهروا الزهد *

والثانى انه قنع قوم منهم باليسير منه ففاتهم الفضل الكثير في كثرته فاقتنعوا بأطراف الاحاديث وأوهمهم أن علو الاسناد والجلوس للحديث كله رياسة ودنيا وان للنفس فى ذلك لذة . وكشف هذا التلبيس إنه ما من مقام عال الا وله فضيلة وفيه مخاطرة فان الامارة والقضاء والفتوى كله مخاطرة وللنفس فيه لذة ولكن فضيلة عظيمة كالشوك فى جوار الورد فينبغى أن تطالب الفضائل ويتقى ما فى ضمنها من الآفات . فأما ما في الطبع من حب الرياسة فانه إنما وضع لتجتلب هذه الفضيلة كما وضع حب النكاح ليحصل الولد و بالعلم يتقوم قصد العالم كما قال يزيد بن هرون . طلبنا العلم لغير الله فأبى الا ان يكون لله * ومعناه انه دلنا على الاخلاص ومن طالب نفسه بقطع ما فى طبعه لم يمكنه . والثالث انه اوهم قوما منهم ان المقصود العمل وما

فهموا ان التشاغل بالعلم من أوفى الاعمال ثم ان العالم وان قصر سير عمله فانه على الجادة والعابد بغير علم على غير الطريق . والرابع انه أرى خلقاً كثيراً منهم أن العالم ما اكتسب من البواطن حتى ان أحدهم يتخايل له وسوسة فيقول حدثني قلبي عن ربي . وكان الشبلي يقول *

اذا طالبوني بعلم الورق   برزت عليهم بعلم الخرق

وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر وسموا هواجس النفوس العلم الباطن واحتجوا له بما أخبرنا به عبد الحق بن عبد الخالق نا الحسين بن على الطناجيرى نا أبو حفص بن شاهين ثنا على بن محمد بن جعفر بن احمد بن عنبسة العسكرى ثنى دارم بن قبيصة بن بهشل الصنعاني قال سمعت يحيى بن الحسين بن زيد بن على قال سمعت يحيى بن عبد الله بن حسين عن يحيى بن زيد بن على عن أبيه عن جده عن الحسن ابن على عن على بن أبي طالب كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « علم الباطن سر من سر الله عز وجل وحكم من أحكام الله تعالى يقذفه الله عزوجل في قلوب من يشاء من أوليائه »*

قال المصنف رحمه الله قلت . وهذا حديث لا أصل له عن النبي صلى الله عليه وسلم . وفى إسناده مجاهيل لا يعرفون * أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل محمد بن علي السهلكى نا أبو على عبد الله بن إبراهيم النيسابورى ثنا أبو الحسن علي بن عبدالله ابن جهضم ثنا أبو الفتح احمد بن الحسن ثنا على بن جعفر عن أبي موسى . قال . كان فى ناحية أبي يزيد رجل فقيه عالم تلك الناحية فقصد أبا يزيد وقال له قد حكى لى عنك عجايب . فقال له أبو يزيد . وما لم تسمع من عجايبي أكثر . فقال له علمك هذا يا أبا يزيد عن من ومن أين ومن من . فقال أبو يزيد علمي من عطاء الله تعالى . ومن حيث قال ﷺ « من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم » ومن حيث قال ﷺ « العلم علمان علم ظاهر وهو حجة الله تعالى على خلقه وعلم باطن وهو العلم النافع » وعلمك يا شيخ نقل من لسان عن لسان التعليم وعلمى من الله إلهام من عنده . فقال له الشيخ علمى عن الثقات عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن ربه عز وجل . فقال

له أبو يزيد . ياشيخ كان للنبي ﷺ علم عن الله لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل قال نعم . ولكن أريد أن يصح لى علمك الذى تقول هو من عند الله . قال : نعم أبينه لك قدر ما يستقر فى قلبك معرفته . ثم قال : ياشيخ علمت أن الله تعالى كلم موسى تكليما وكلم محمداً ﷺ ورآه كفاحاً . وان حلم الانبياء وحى . قال نعم قال أما علمت أن كلام الصديقين والأولياء بالهام منه وفوائده من قلوبهم حتى أنطقهم بالحكمة ونفع بهم الأمة . ومما يؤكد ما قلت ما ألهم الله تعالى أم موسى أن تلقى موسى فى التابوت فألقته وألهم الخضر فى السفينة والغلام والحائط قوله موسى (وما فعلته عن أمري) وكما قال أبو بكر لعائشة رضي الله عنهما : ان ابنة خارجة حاملة ببنت . وألهم عمر رضى الله عنه فنادى ياسارية الجبل * أنبأنا ابن ناصر أنبأنا أبو الفضل السهلكى قال سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت إبراهيم سبتيه يقول حضرت مجلس أبي يزيد والناس يقولون فلان لقى فلاناً وأخذ من علمه وكتب منه الكثير وفلان لقى فلاناً . فقال أبو يزيد . مساكين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحيّ الذى لا يموت*

قال المصنف رحمه الله : هذا الفقه فى الحكاية الأولى من قلة العلم إذ لو كان عالما لعلم أن الالهام للشيء لا ينافي العلم ولا يتسع به عنه ولا ينكر ان الله عز وجل يلهم الانسان الشيء كما قال ﷺ « إن فى الأمم محدثين وان يكن في أمتي فعمر » والمراد بالتحديث الهام الخير إلا أن هذا الملهم لو ألهم ما يخالف العلم لم يجز له أن يعمل عليه : وأما الخضر فقد قيل انه نبي ولا ينكر للانبياء الاطلاع بالوحي على العواقب وليس الالهام من العلم فى شىء إنما هو ثمرة العلم والتقوى فيوفق صاحبهما للخير ويلهم الرشد . فاما أن يترك العلم و يقول انه يعتمد على الالهام والخواطر فليس هذا بشيء إذ لولا العلم النقلى ما عرفنا ما يقع في النفس أمن الالهام للخير أو الوسوسة من الشيطان . واعلم أن العلم الالهامى الملقى فى القلوب لا يكفى عن العلم المنقول كما أن العلوم العقلية لا تكفى عن العلوم الشرعية فان العقلية كالأغذية والشرعية كالأدوية ولا ينوب هذا عن هذا . وأما قوله أخذوا علمهم ميتاً عن ميت • أصلح ما ينسب اليه هذا القائل انه ما يدرى ما فى ضمن هذا القول والا فهذا طعن على الشريعة *

أنبأنا ابن الحصين نا ابن المذهب ناأبو حفص بن شاهين . قال : من الصوفية من رأى الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا نحن علومنا بلا واسطة . قال وما كان المتقدمون فى التصوف إلا رؤساً فى القرآن والفقه والحديث والتفسير ولكن هؤلاء أحبوا البطالة . وقال أبو حامد الطوسي إعلم أن ميل أهل التصوف الى العلوم الالهية دون التعليمية ولذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون . بل قالوا . الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال على الله تعالى بكنه الهمة وذلك بأن يقطع الانسان همه عن الأهل والمال والولد والعلم ويخلو نفسه فى زاوية ويقتصر على الفرائض والرواتب ولا يقرن همه بقراءة قرآن ولا بالتأمل فى نفسه ولا يكتب حديثاً ولا غيره ولا يزال يقول الله الله الله الى أن ينتهى الى حال يترك تحريك اللسان ثم يمحى عن القلب صورة اللفظ *

قال المصنف رحمه الله قلت . عز يز على أن يصدر هذا الكلام من فقيه فانه لا يخفى قبحه فانه على الحقيقة طي لبساط الشريعة التى حثت على تلاوة القرآن وطلب العلم . وعلى هذا المذهب فقد رأيت الفضلاء من علماء الامصار فانهم ماسلكوا هذه الطريق وانما تشاغلوا بالعلم أولا . وعلى ما قد رتب أبو حامد تخلو النفس بوساوسها وخيالاتها ولا يكون عندها من العلم ما يطرد ذلك فيلعب بها إبليس أى ملعب فيريها الوسوسة محادثة . ومناجاة ولا تنكر أنه إذا طهر القلب انصبت عليه أنوار الهدى فينظر بنور الله إلا أنه ينبغى أن يكون تطهيره بمقتضى العلم لا بما ينافيه فان الجوع الشديد والسهر وتضييع الزمان فى التخيلات أمور ينهى الشرع عنها فلا يستفاد من صاحب الشرع شيء ينسب (١) الى ما نهى عنه كما لا تستباح الرخص فى سفر قد نهى عنه . ثم لا تنافى بين العلم والرياضة بل العلم يعلم كيفية الرياضة ويعين على تصحيحها . وانما تلاعب الشيطان بأقوام أبعدوا العلم وأقبلوا على الرياضة بما ينهى عنه العلم والعلم بعيد عنهم فتارة يفعلون الفعل المنهي عنه . وتارة يؤثرون ما غيره أولى منه وانما كان يفتى فى هذه الحوادث العلم وقد عزلوه فنعوذ بالله من الخذلان * أنبأنا ابن ناصر عن أبى على

(١) في النسخة الثانية بسبب قد نهى عنه الخ

ابن البنا قال : كان عندنا بسوق السلاح رجل كان يقول القرآن حجاب ، والرسول حجاب ليس الا عبد ورب فافتتن جماعة به فأهملوا العبادات واختفى مخافة القتل * أنبأنا محمد بن عبد الملك نا احمد بن علي بن ثابت نا أبو الحسن محمد بن عبيدالله بن محمد الحنائي ثنا احمد بن سليمان النجاد ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا هشام بن يونس ثنا المحاربي عن بكر بن حنش عن ضرار بن عمرو قال إن قوما تركوا العلم ومجالسة أهل العلم واتخذوا محاريب فصلوا وصاموا حتى يبس جلد أحدهم على عظمه وخالفوا السنة فهلكوا فوالله الذى لا إله غيره ما عمل عامل قط على جهل إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح *

﴿فصل﴾ وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة . وهذا جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق . فان كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة فكلاهما شريعة . وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم فى إعراضهم عن ظواهر الشرع * وعن أبي الحسن غلام شعوانه بالبصرة يقول سمعت أبا الحسن بن سالم يقول جاء رجل الى سهل بن عبد الله و بيده محبرة وكتاب فقال لسهل جئت أن اكتب شيئاً ينفعنى الله به . فقال اكتب ، ان استطعت أن تلقى الله و بيدك المحبرة والكتاب فافعل . فقال يا أبا محمد أفدنى فائدة . فقال . الدنيا كلها جهل إلا ما كان علماً ، والعلم كله حجة إلا ما كان عملا ، والعمل كله موقوف إلا ما كان منه على الكتاب والسنة * وتقوم السنة على التقوى وعن سهل بن عبد الله انه قال احفظوا السواد على البياض فما أحد ترك الظاهر الا تزندق وعن سهل بن عبد الله انه قال ما من طريق الى الله أفضل من العلم فان عدلت عن طريق العلم خطوة تهت فى الظلمات أربعين صباحا * وعن أبى بكر الدقاق قال . سمعت أبا سعيد الخراز يقول . كل باطن يخالف ظاهراً فهو باطل * وعن أبي بكر الدقاق انه قال . كنت ماراً فى تيه بنى اسرائيل فخطر ببالى ان علم الحقيقة مباين للشريعة فهتف بى هاتف من تحت شجرة كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر *

قال المصنف رحمه الله : وقد نبه الامام أبو حامد الغزالى في كتاب الاحياء فقال . من قال ان الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يخالف الظاهر فهو الى الكفر أقرب

منه الى الايمان * وقال ابن عقيل جعلت الصوفية الشريعة اسما وقالوا المراد منها الحقيقة قال وهذا قبيح لان الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبداتهم فما الحقيقة بعد هذا سوى شيء واقع فى النفس من القاء الشياطين وكل من رام الحقيقة فى غير الشريعة فمغرور مخدوع *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على جماعة من القوم فى دفنهم كتب العلم والقائها فى الماء ﴾

قال المصنف رحمه الله . قد كان جماعة منهم تشاغلوا بكتابة العلم ثم لبس عليهم ابليس وقال ما المقصود الا العمل ودفنوا كتبهم . فقد روى ان احمد بن أبي الحوارى رمى كتبه فى البحر . وقال . نعم الدليل كنت والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال . ولقد طلب احمد بن أبي الحوارى الحديث ثلاثين سنة فلما بلغ منه الغاية حمل كتبه الى البحر فغرقها . وقال . ياعلم لم أفعل بك هذا تهاوناً ولا استخفافا بحقك ولكنى كنت أطلبك لأهتدي بك الى ربى فلما اهتديت بك استغنيت عنك * أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت أبا الحسن غلام شعوانة بالبصرة يقول سمعت أبا الحسن بن سالم عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال احمد بن محمد بن اسماعيل . أبو الحسين بن الخلال كان حسن الفهم له صبر على الحديث وانه كان يتصوف ويرمى بالحديث مدة ثم يرجع ويكتب . ولقد أخبرت انه رمى بجملة من سماعاته القديمة فى دجلة . فأول ماسمع على أبي العباس الاصم وطبقته وكتب الكثير * أنبأنا زاهر بن طاهر نا احمد بن الحسين البيهقى قال . سمعت أبا عمرو بن أبي جعفر يقول سمعت أبا طاهر الجنايدي يقول . لقد كان موسى بن هرون يقرأ علينا فاذا فرغ من الجزء رمى بأصله فى دجلة ويقول قد أديته *

أخبرنا محمد بن ناصر نا احمد بن على بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا نصر الطوسى يقول . سمعت جماعة من مشايخ الرى يقولون — ورث أبو عبد الله المقرى عن أبيه خمسين الف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن جميع ذلك وأنفقها على الفقراء قال . فسألت أبا عبد الله عن ذلك فقال . أحرمت وأنا غلام حدث وخرجت الى مكة على الوحدة حين لم يبق لى شيء ارجع اليه . وكان اجتهادي ان ازهد فى الكتب وما جمعت من العلم والحديث أشد عليّ من الخروج الى مكة

والتقطع فى الاسفار والخروج عن ملكى * أخبرنا ابو منصور القزاز نا احمد بن على ابن ثابت نا اسماعيل الحيرى ثنا محمد بن الحسين السلمي قال سمعت أبا العباس بن الحسين البغدادي يقول سمعت الشبلي يقول . اعرف من لم يدخل فى هذا الشأن حتى أنفق جميع ملكه وغرق فى هذه الدجلة سبعين قمطرا مكتوبا بخطه وحفظ وقرأ بكذا وكذا رواية يعني بذلك نفسه *

قال المصنف رحمه الله : قد سبق القول بان العلم نور وان ابليس يحسن للانسان اطفاء النور ليتمكن منه في الظلمة ولا ظلمة كظلمة الجهل . ولما خاف ابليس ان يعاود هؤلاء مطالعة الكتب فربما استدلوا بذلك على مكايده حسن لهم دفن الكتب واتلافها وهذا فعل قبيح محظور وجهل بالمقصود بالكتب وبيان هذا ان اصل العلوم القرآن والسنة فلما علم الشرع ان حفظهما يصعب امر بكتابة المصحف وكتابة الحديث فأما القرآن فان رسول الله ﷺ كان اذا نزلت عليه آية دعى بالكاتب فاثبتها وكانوا يكتبونها فى العسب والحجارة وعظام الكتف ثم جمع القرآن بعده فى المصحف أبو بكر صونا عليه ثم نسخ من ذلك عثمان بن عفان رضى الله عنه و بقية الصحابة وكل ذلك لحفظ القرآن لئلا يشذ منه شيء . واما السنة . فان النبي ﷺ قصر الناس فى بداية الاسلام على القرآن وقال لا تكتبوا عني سوى القرآن فلما كثرت الاحاديث ورأى قلة ضبطهم اذن لهم في الكتابة * فروى عن أبي هريرة رضى الله عنه انه شكى الى رسول الله ﷺ قلة الحفظ فقال . ابسط رداءك فبسط رداءه وحدثه النبي عليه الصلاة والسلام وقال ضمه اليك . فقال ابو هريرة فلم أنس بعد ذلك شيئا مما حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفى رواية انه قال استعن على حفظك بيمينك يعنى بالكتابة * وروى عنه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو انه قال « قيدوا العلم فقلت يارسول الله وما تقييده . قال الكتابة » * وروى عنه أيضا رافع بن خديج قال قلنا يا رسول الله إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها : قال . اكتبوا ولا حرج *

قال المصنف رحمه الله . واعلم ان الصحابة ضبطت ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحركاته وأفعاله واجتمعت الشريعة من رواية هذا ورواية هذا . وقد قال رسول الله ﷺ بلغوا عني : وقال نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فاداها كما سمعها

وتأدية الحديث كما يسمع لا يكاد يحصل إلا من الكتابة لأن الحفظ خوان • وقد كان احمد بن حنبل رضى الله عنه يحدث بالحديث فيقال له : امله علينا . فيقول لا بل من الكتاب . وقد قال علي بن المديني . أمرني سيدي احمد بن حنبل ان لا احدث إلا من الكتاب فاذا كانت الصحابة قد روت السنة وتلقّها التابعون وسافر المحدثون وقطعوا شرق الارض وغربها لتحصيل كلمة من ههنا وكلمة من هنا وصححوا ماصح وزيفوا مالم يصح وجرحوا الرواة وعدلوا وهذبوا السنن وصنفوا ثم من يغسل ذلك فيضيع التعب ولا يعرف حكم الله في حادثة فما عوندت الشريعة بمثل هذا . فهل لشريعة من الشرائع قبلنا اسناد الى نبيهم وانما هذه خصيصة لهذه الامة * وقد روينا عن الامام احمد بن حنبل مع كونه طاف الشرق والغرب في طلب الحديث انه قال لابنه ما كتبت عن فلان فذكر له ان النبي عليه الصلاة والسلام «كان يخرج يوم العيد من طريق ويرجع من اخرى» فقال الامام احمد بن حنبل إنا لله سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبلغني وهذا قوله مع اكثاره وجمعه فكيف بمن لم يكتب واذا كتب غسل أفترى اذا غسلت الكتب ودفنت علىم يعتمد في الفتاوى والحوادث على فلان الزاهد أو فلان الصوفى أو علي الخواطر فيما يقع لها نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى*

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله . ولا تخلو هذه الكتب التي دفنوها أن يكون فيها حق أو باطل أو قد اختلط الحق بالباطل . فان كان فيها باطل فلا لوم على من دفنها وان كان قد اختلط الحق بالباطل ولم يمكن تمييزه كان عذراً في اتلافها فان أقواما كتبوا عن ثقات وعن كذابين واختلط الامر عليهم فدفنوا كتبهم . وعلى هذا يحمل ما يروى عن دفن الكتب عن سفيان الثورى وان كان فيها الحق والشرع فلا يحل اتلافها بوجه لكونها ضابطة للعلم وأموالا وليسأل من يقصد اتلافها عن مقصوده فان قال تشغلني عن العبادة . قيل له جوابك من ثلاثة أوجه . أحدها انك لو فهمت لعلمت أن التشاغل بالعلم أوفى العبادات . والثاني أن اليقظة التي وقعت لك لا تدوم فكأني بك وقد ندمت على ما فعلت بعد الفوات . واعلم أن القلوب لا تبقى على صفائها بل تصدأ فتحتاج الى جلاء وجلاؤها النظر في كتب العلم . وقد

كان يوسف بن أسباط دفن كتبه ثم لم يصبر على التحديث فحدث من حفظه فخلط .
والثالث أننا نقدر تمام يقظتك ودوامها والغنى عن هذه الكتب فهلا وهبتها لمبتدىء
من الطلاب ممن لم يصل الى مقامك أو وقفتها على المنتفعين بها أو بعتها وتصدقت
بثمنها أما اتلافها فلا يحل بحال * وقد روى المروزي عن احمد بن حنبل أنه سئل
عن رجل أوصى أن تدفن كتبه . فقال : ما يعجبني أن يدفن العلم * وأنبأنا محمد
ابن عبد الملك ويحيي بن على قال أنبأنا احمد بن على بن ثابت نا عبيد الله بن عبد
العزيز البراذعي نا محمد بن عبد الله السحير ثنا أبو بكر محمد بن احمد بن النحاس
قال . سمعت المروزى يقول : سمعت احمد بن حنبل يقول : لا أعرف لدفن
الكتب معنى *

﴿ ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى إنكارهم على من تشاغل بالعلم ﴾

قال المصنف رحمه الله : لما انقسم هؤلاء بين متكاسل عن طلب العلم و بين ظان
أن العلم هو ما يقع فى النفوس من ثمرات التعبد وسموا ذلك العلم : العلم الباطن نهواً
عن التشاغل بالعلم الظاهر *

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا ابو بكر احمد بن على نا على بن أبى على
البصرى ثنا ابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن محمد الطبرى قال سمعت جعفراً الخلدى
يقول . لو تركني الصوفية لجئتكم باسناد الدنيا لقد مضيت الي عباس الدورى وأنا
حدث فكتبت عنه مجلساً واحداً وخرجت من عنده فلقيني بعض من كنت
أصحبه من الصوفية فقال : ايش هذا معك . فأريته اياه فقال : ويحك تدع
علم الخرق وتأخذ علم الورق . ثم خرق الاوراق فدخل كلامه فى قلبى فلم أعد
الى عباس *

قال المصنف رحمه الله . وبلغنى عن أبي سعيد الكندى قال . كنت أنزل
رباط الصوفية وأطلب الحديث فى خفية بحيث لا يعلمون فسقطت الدواة يوما من
كمي فقال لى بعض الصوفية استر عورتك *

أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو القاسم هبة الله بن عبد الله الواسطى نا أبو بكر

الخطيب نا أبو الفتح بن أبى الفوارس نا الحسين بن احمد الصفار . قال. كان بيدى محبرة فقال لي الشبلي غيب سوادك عني يكفيني سواد قلبي *

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبد الله العزال المذكر قال سمعت على بن مهدى يقول . وقفت ببغداد على حلقة الشبلى فنظر الى ومعى محبرة فأنشأ يقول .

تسربلت للحرب ثوب الغرق وجبت البلاد لوجد القلق

ففيك هتكت قناع الغوى (١) وعنك نطقت لدي من نطق

اذا خاطبونى بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

قال المصنف رحمه الله قلت . من أكبر المعاندة لله عز وجل الصد عن سبيل الله وأوضح سبيل الله العلم لانه دليل على الله و بيان لاحكام الله وشرعه وايضاح لما يحبه و يكرهه فالمنع منه معاداة لله ولشرعه ولكن الناهين عن ذلك ما تفطنوا لما فعلوا * أخبرنا ابن حبيب قال نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت أباعبد الله بن خفيف يقول . اشتغلوا بتعلم العلم ولا يغرنكم كلام الصوفية فأنى كنت أخبيء محبرتى فى جيب مرقعتي والكاغد فى حزة سراويلى وكنت أذهب خفية الى أهل العلم فاذا علموا بى خاصمونى . وقالوا لا تفلح ثم احتاجوا الي بعد ذلك * وقد كان الامام احمد بن حنبل يرى المحابر بأيدى طلبة العلم فيقول . هذه سرج الاسلام . وكان هو يحمل المحبرة على كبر سنه فقال له رجل الى متي ياأبا عبد الله . فقال . المحبرة الى المقبرة وقال فى قوله عليه الصلاة والسلام « لا تزال طائفة من أمتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة » فقال أحمد . ان لم يكونوا أصحاب الحديث فلاأدرى من هم . وقال أيضاً ان لم يكن اصحاب الحديث الابدال فمن يكون . وقيل له ان رجلا قال فى أصحاب الحديث انهم كانوا قوم سوء فقال احمد . هو زنديق زنديق وقد قال الامام الشافعى رحمه الله . اذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأنى رأيت رجلا من اصحاب رسول الله ﷺ . وقال يوسف بن أسباط

(١) في النسخة الثانية : ففيك قناع العزاء

بطلبة الحديث يدفع الله البلاء عن أهل الارض *

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب ثنا عبد العزيز بن على ثنا ابن جهضم ثنا محمد بن جعفر ثنا احمد بن محمد بن مسروق قال . رأيت كأن القيامة قد قامت والخلق مجتمعون اذ نادى مناد · الصلاة جامعة فاصطف الناس صفوفا فاتاني ملك فتأملته فاذا بين عينيه مكتوب جبريل أمين الله . فقلت أين النبي ﷺ فقال مشغول بنصب الموائد لاخوانه الصوفية . فقلت وأنا من الصوفية . فقيل نعم.ولكن شغلك كثرة الحديث*

قال المصنف رحمه الله . معاذ الله أن ينكر جبريل التشاغل بالعلم . وفى اسناد هذه الحكاية ابن جهضم وكان كذابا ولعلها عمله . وأما ابن مسروق فاخبرنى القزاز نا أبو بكر الخطيب حدثنى على بن محمد بن نصر قال سمعت حمزة ابن يوسف قال سمعت الدارقطني يقول أبو العباس بن مسروق ليس بالقوى يأتي بالمعضلات*

* ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى كلامهم فى العلم *

قال المصنف رحمه الله ، اعلم أن هؤلاء القوم لما تركوا العلم وانفردوا بالرياضيات على مقتضى آرائهم لم يصبروا عن الكلام فى العلوم فتكلموا بواقعاتهم فوقعت الاغاليط القبيحة منهم فتارة يتكلمون فى تفسير القرآن وتارة فى الحديث وتارة فى الفقه وغير ذلك ويسوقون العلوم الى مقتضي علمهم الذى انفردوا به والله سبحانه لا يخلى الزمان من أقوام قوام بشرعه يردون على المتخرصين ويبينون غلط الغالطين *

* ذكر نبذة من كلامهم فى القرآن *

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت نا ابو القاسم عبد الواحد بن محمد بن عثمان البجلي قال سمعت جعفر بن محمد الخلدي قال

حضرت شيخنا الجنيد وقد سأله ابن كيسان عن قوله عز وجل (سنقرئك فلا تنسى) فقال الجنيد لا تنس العمل به ، قال وسأله عن قوله تعالى (ودرسوا مافيه) فقال له الجنيد تركوا العمل به ، فقال لا يفضض الله فاك قلت : أما قوله — لا تنس العمل به — فتفسير لا وجه له والغلط فيه ظاهر . لانه فسره على أنه نهي وليس كذلك إنما هو خبر لا نهي وتقديره — فما تنسي — إذ لو كان نهياً كان مجزوماً فتفسيره على خلاف إجماع العلماء وكذلك قوله (ودرسوا ما فيه) انما هو من الدرس الذي هو التلاوة من قوله عز وجل (وبما كنتم تدرسون) . لا من دروس الشيء الذي هو اهلاكه * أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا حمد بن احمد ثنا أبو نعيم الحافظ قل سمعت احمد بن محمد بن مقسم يقول حضرت أبا بكر الشبلي . وسئل عن قوله عز وجل . (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) . فقال : لمن كان الله قلبه * وأخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر بن احمد نا عبد العزيز بن على نا ابن جهضم ثنا محمد بن جرير قال سمعت أبا العباس بن عطاء وقد سئل عن قوله : (فنجيناك من الغم) . قال نجيناك من الغم بقومك وفتناك بنا عن من سوانا *

قال المصنف رحمه الله : وهذه جرأة عظيمة على كتاب الله عز وجل ونسبة الكليم الى الافتتان بمحبة الله سبحانه . وجعل محبته تفتن غاية في القباحة * أخبرنا أبو منصور القزاز نا احمد بن على الحافظ نا أبو حازم عمر بن ابراهيم العبدرى قال سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول في قوله عز وجل : (وأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) فقال الروح النظر الى وجه الله عز وجل . والريحان الاستماع لكلامه . وجنة نعيم : هو أن لا يحجب فيها عن الله عز وجل . قلت : هذا كلام بالواقع على خلاف أقوال المفسرين . وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمى في تفسير القرآن من كلامهم الذى أكثره هذيان لا يحل نحو مجلدين سماها حقائق التفسير . فقال فى فاتحة الكتاب عنهم انهم قالوا انما سميت فاتحة الكتاب لانها أوائل ما فاتحناك به من خطابنا فان تأدبت بذلك والا حرمت لطائف ما بعد *

قال المصنف رحمه الله . وهذا قبيح لانه لا يختلف المفسرون أن الفاتحة ليست

من أول ما نزل : وقال فى قول الانسان (آمين) أى قاصدون نحوك*

قال المصنف رحمه الله . وهـذا قبيح لانه ليس من أم لانه لو كان كذلك لكانت الميم مشـددة . وقال في قوله : (وان يأتوكم أسارى) . قال قال أبو عثمان : غرقى في الذنوب . وقال الواسطي : غرقى في رؤية أفعالهم . وقال الجنيد . أساري في أسباب الدنيا تفدوهم الى قطع العلائق . قلت . وانما الآية على وجه الانكار ومعناها اذا أسرتموهم فديتموهم واذا حار بتموهم قبلتموهم وهؤلاء قد فسروها على ما يوجب المدح . وقال محمد بن على . (يحب التوابين) من توبتهم وقال النورى : (يقبض و يبسط) . أى يقبضك باياه و يبسطك لاياه . وقال في قوله : (ومن دخله كان آمنا) أي من هواجس نفسه و وساوس الشيطان . وهذا غاية فى القبح لان لفظ الآية لفظ الخبر ومعناه الامر وتقديرها من دخل الحرم فأمنوه . وهؤلاء قد فسروها على الخبر ثم لا يصح لهم لانه كم من داخل الى الحرم ماأمن من الهواجس ولا الوساوس وذكر في قوله (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) . قال أبو تراب هى الدعاوى الفاسـدة (والجار ذى القربى) . قال سـهل هو القلب (والجار الجنب) النفس (وابن السبيل) الجوارح . وقال فى قوله . (وهم بها) . قال أبو بكر الوراق الهمان لها و يوسف ما هم بها . قلت : هذا خلاف لصريح القرآن وقوله . (ما هذا بشراً) . قال محمد ابن على ماهـذا بأهل أن يدعي الى المباشرة . وقال الزنجانى الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئـدتهم والمطر بكاؤهم . وقال فى قوله . (ولله المكر جميعا) قال الحسين لا مكر أبين فيه من مكر الحق بعباده حيث أوهمهم ان لهم سبيلا اليه بحال. أو للحدث اقتران مع القدم*

قال المصنف رحمه الله . ومن تأمل معنى هذا علم انه كفر محض لانه يشير الى أنه كالهزء واللعب . ولـكن الحسين هـذا هو الحلاج وهذا يليق بذاك . وقال في قوله (لعمرك) أى بعمارتك سرك بمشاهدتنا . قلت . وجميع الـكتاب من هذا الجنس ولقد هممت أن أثبت منه هاهنا كثيراً فرأيت ان الزمان يضيع في كتابة شيء بين الـكفر والخطأ والهذيان . وهو من جنس ماحكينا عن الباطنيـة فمن أراد أن يعرف جنس ما في الـكتاب فهذا أنموذجه . ومن أراد الزيادة فلينظر في ذلك الـكتاب*

وذ كر أبو نصر السراج في كتاب اللمع . قال . للصوفية استنباط منها قوله (ادعوا الى الله على بصيرة) قال الواسطي . معناه لا أرى نفسي . وقال الشبلي . لو اطلعت على الكل مما سوانا لوليت منهم فراراً الينا . قلت هذا لا يحل لان الله تعالى انما أراد أهل الكهف . وهذا السراج يسمي هذه الاقوال في كتابه مستنبطات . وقد ذ كر أبو حامد الطوسي في كتاب ذم المال في قوله عز وجل (واجنبني و بني أن نعبد الاصنام) قال انما عنى الذهب والفضة اذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى عليها أن تعبد الآلهة والاصنام . وانما عني بعبادته حبه والاغترار به *

قال المصنف رحمه الله ، وهذا شيء لم يقله أحد من المفسرين ، وقد قال شعيب (وما يكون لنا أن نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا) ومعلوم ان ميل الانبياء الى الشرك أمر ممتنع لاجل العصمة لا أنه مستحيل ، ثم قد ذ كر مع نفسه من يتصور في حقه الاشراك والكفر فجاز ان يدخل نفسه معهم ، فقال (واجنبني و بني) ومعلوم ان العرب اولاده وقد عبد ا كثرهم الاصنام *

اخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق نا المبارك بن عبد الجبار نا الحسين بن على الطناجيرى نا ابو حفص بن شاهين قل . وقد تكلمت طائفة من الصوفية في نفس القرآن بما لا يجوز فقالت في قوله ،(ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) فقال هم لآيات لى ، فاضافوا الى الله تعالى ما جعله لأولى الالباب وهذا تبديل للقرآن وقالوا ، (ولسليمان الريح) قالوا ، ولى سليمان*

واخبرنا ابن ناصر نا احمد بن علي بن خلف ثنا ابوعبد الرحمن السلمى قال قال أبو حمزة الخراسانى . قد يقطع بأقوام في الجنة فيقال (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية) فشغلهم عنه بالأكل والشرب ولا مكر فوق هذا ولا حسرة أعظم منه*

قال المصنف رحمه الله : أنظروا وفقكم الله الى هذه الحماقة وتسمية المنعم به مكراً . واضافة المكر بهذا الى الله سبحانه وتعالى . وعلى مقتضى قول هذا أن الانبياء لا يأكلون ولا يشربون بل يكونون مشغولين بالله عز وجل . فما أجرأ هذا القائل على مثل هذه الالفاظ القباح . وهل يجوز أن يوصف الله عز وجل بالمكر على

ما نعقله من معنى المكر . وانما معنى مكره وخداعه أنه مجازى الماكرين والخادعين :
وانى لأتعجب من هؤلاء وقد كانوا يتورعون من اللقمة والكلمة كيف انبسطوا فى
تفسير القرآن الى ماهذا حده * وقد أخبرنا على بن عبيد الله واحمد بن الحسن
وعبد الرحمن بن محمد قالوا حدثنا عبد الصمد بن المأمون نا على بن عمر الحربى ثنا
احمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ثنا بشر بن الوليد ثنا سهيل اخو حزم ثنا
أبو عمران الجونى عن جندب قال قال رسول الله ﷺ « من قال فى القرآن برأيه
فأصاب فقد أخطأ »* أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أبو بكر بن حمدان
ثنا عبد الله ابن أحمد ثنى أبى ثنا وكيع عن الثورى عن عبد الأعلى عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ « من قل فى القرآن
برأيه فليتبوأ مقعده من النار »

قال المصنف رحمه الله . وقد رويت لنا حكاية عن بعضهم فيما يتعلق بالمكر
انى لأقشعر من ذكرها لكنى أنبه بذكرها على قبح ما يتخايله هؤلاء الجهلة *
أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا أبو عبد الله بن باكويه قال *
أخبرنا أبو عبد الله بن خفيف قال سمعت رويما يقول : اجتمع ليلة بالشام جماعة من
المشائخ فقالوا ما شهدنا مثل هذه الليلة وطيبها فتعالوا نتذاكر مسألة لئلا تذهب
ليلتنا . فقالوا : نتكلم فى المحبة فانها عمدة القوم فتكلم كل واحد من حيث هو . وكان
فى القوم عمرو بن عثمان المكى فوقع عليه البول ولم يكن من عادته فقام وخرج الى
صحن الدار فاذا ليلة مقمرة فوجد قطعة رق مكتوب فأخذه وحمله اليهم وقال . ياقوم
اسكنوا فان هذا جوابكم . أنظروا مافى هذه الرسالة فاذا فيها مكتوب مكار مكار وكلكم
تدعون حبه وأحرم البعض وافترقوا فما جمعهم الا الموسم *

قال المصنف رحمه الله قلت : هذه بعيدة الصحة وابن خفيف لايوثق به وان
صحت فان شيطاناً التى ذلك الرق . وان كانوا قد ظنوا أنها رسالة من الله بظنونهم
الفاسدة . وقد بينا ان معنى المكر منه المجازاة على المكر . فاما أن يقل عنه مكار
ففوق الجهل وفوق الحماقة * وقد أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا الأزجى ثنا ابن
جهضم ثنا الخلدى قال سمعت رويما يقول : ان الله غيب أشياء فى أشياء . غيب

مكره فى علمه . وغيب خداعه فى لطفه . وغيب عقوباته فى باب كراماته . قلت . وهذا تخليط من ذلك الجنس وجرأة * أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل السهلكى قال سمعت محمد بن ابراهيم يقول سمعت خالى يقول قال الحسن بن علويه . خرج أبو يزيد لزيارة أخ له فلما وصل الى نهر جيحون التقى له حافتا النهر . فقال سيدي . ايش هذا المكر الخفي . وعزتك ماعبدتك لهذا ثم رجع ولم يعبر . قال السهلكى . وسمعت محمد بن احمد المذكر يذكران أبايزيد قال من عرف الله عز وجل صار للجنة بوابا وصارت الجنة عليه وبالا *

قلت . وهذه جرأة عظيمة فى اضافة المكر الى الله عز وجل وجعل الجنة التى هي نهاية المطالب وبالا وإذا كانت وبالا للعارفين فكيف تكون لغيرهم . وكل هذا منبعه من قلة العلم وسوء الفهم * أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه ثنا أبو الفرج الورثاني ثنا احمد بن الحسن بن محمد ثني محمد بن جعفر الوراق ثنا احمد ابن العباس المهلبي قال سمعت طيفور وهو أبو يزيد يقول العارفون فى زيارة الله تعالى في الآخرة على طبقتين طبقة تزوره متى شاءت وانى شاءت . وطبقة تزوره مرة واحدة ثم لاتزوره بعدها أبداً فقيل له كيف ذلك قال . اذا رآه العارفون أول مرة جعل لهم سوقا مافيه شراء ولا بيع الا الصور من الرجال والنساء فمن دخل منهم السوق لم يرجع الى زيارة الله أبداً قال وقال أبو يزيد . فى الدنيا يخدعك بالسوق وفى الآخرة يخدعك بالسوق فأنت أبداً عبد السوق *

قال المصنف رحمه الله . تسمية ثواب الجنة خديعة وسبباً للانقطاع عن الله عز وجل جهل قبيح وإنما يجعل لهم السوق ثوابا لا خديعة فاذا أذن لهم فى أخذ ما فى السوق ثم عوقبوا بمنع الزيارة فقد صارت المثوبة عقوبة . ومن أين له أن من اختار شيئا من ذلك السوق لم يعد الى زيارة الله تبارك وتعالى ولا يراه أبداً نعوذ بالله من هذا التخليط والتحكم فى العلم والاخبار عن هذه المغيبات التي لا يعلمها الا نبي فمن أين له علمها وكيف يكون كما قال أبو هريرة راوى الحديث لسعيد بن المسيب : جمعني الله واياك في سوق الجنة أفتراه طلب ترك العقوبة بالبعد عن الله عز وجل لكن بعد هؤلاء عن العلم واقتناعهم بواقعاتهم الفاسدة أوجب هذا التخليط وليعلم أن

الخواطر والواقعات انما هي ثمرات علمه فمن كان عالما كانت خواطره صحيحة لأنها ثمرات علمه ومن كان جاهلا فثمرات الجهل كلها حظه . ورأيت بخط ابن عقيل : جاز أبو يزيد على مقابر اليهود فقال ماهؤلاء حتى تعذبهم كف عظام جرت عليهم القضايا أعف عنهم *

قال المصنف رحمه الله : وهذا قلة علم وهوان قوله — كف عظام — احتقار للآدمى فان المؤمن اذا مات كان كف عظام : وقوله — جرت عليهم القضايا — فكذلك جرى على فرعون ، وقوله ، أعف عنهم ، جهل بالشريعة لأن الله عز وجل أخبر أنه لا يغفر أن يشرك به لمن مات كافرا فلو قبلت شفاعته في كافر لقبل سؤال ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه في أبيه ، ومحمد صلى الله عليه وسلم فى أمه فنعوذ بالله من قلة العلم *

أنبأنا ابو الوقت عبد الاول بن عيسى نا أبو بكر احمد بن أبى نصر الكوفاني ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن قوري الجويباني نا أبو نصر عبد الله بن على الطوسى المعروف بالسراج قل كان ابن سالم يقول عبر أبو يزيد على مقبرة اليهود . فقل : معذورين . ومر بمقبرة المسلمين . فقل : مغرورين . قال المصنف رحمه الله وفسره السراج فقال كأنه لما نظر الى ما سبق لهم من الشقاوة . من غير فعل كان موجوداً في الازل وان الله عز وجل جعل نصيبهم السخط فذلك عذر *

قال المصنف رحمه الله : وتفسير السراج قبيح لأنه يوجب أن لا يعاقب فرعون ولا غيره *

ومن كلامهم في الحديث وغيره * أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا الازهري نا احمد بن إبراهيم بن الحسن ثنا عبد الله بن احمد بن حنبل . قال جاء أبو تراب النخشبي الى أبي فجعل أبي يقول : فلان ضعيف وفلان ثقة فقال أبو تراب . ياشيخ لا تغتب العلماء فالتفت أبي اليه وقال له . ويحك هذه نصيحة ليست هذه غيبة * أنبانا يحيى بن على المدبر نا احمد بن على بن ثابت نا رضوان بن محمد بن الحسن الدينورى قال سمعت احمد بن محمد بن عبد الله النيسابوري يقول سمعت أبا الحسن على بن محمد البخارى يقول سمعت محمد بن الفضل العباسي يقول . كنا عند عبد الرحمن بن أبي حاتم وهو يقرأ علينا كتاب الجرح والتعديل فقال اظهر

أحوال أهل العلم من كان منهم ثقة أو غير ثقه . فقال له يوسف بن الحسين ، استحييت اليك يا أبا محمد كم من هؤلاء القوم قد حطوا رواحلهم فى الجنة منذ مائة سنة أو مائتي سنة وأنت تذكرهم وتغتابهم على أديم الارض . فبكى عبد الرحمن وقال يا أبا يعقوب لو سمعت هذه الكلمة قبل تصنيفى هذا الكتاب لم أصنفه . قلت عفا الله عن ابن ابى حاتم فانه لو كان فقيها لرد عليه كما رد الامام أحمد على أبى تراب . ولولا الجرح والتعديل من أين كان يعرف الصحيح من الباطل . ثم كون القوم فى الجنة لا يمنع أن نذكرهم بما فيهم وتسمية ذلك غيبة حديث سوء . ثم من لا يدري الجرح والتعديل كيف هو يزكى كلامه . وينبغى ليوسف أن يشتغل بالعجائب التى تحكى عن مثل هذا *

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبد الله بن يزيد الاردبيلى يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول : من عرف الله أمسك عن رفع حوائجه اليه لما علم انه العالم بأحواله . قلت هذا سد لباب السؤال والدعاء وهو جهل بالعلم *

أخبرنا محمد بن عبد الملك بن خيرون نا احمد بن الحسن الشاهد قال قريء علي محمد بن الحسن الاهوازى وأنا أسمع سمعت أبا بكر الديف الصوفى وقال سمعت الشبلي وقد سأله شاب يا أبا بكر لم تقول الله ولا تقول لا إله الا الله . فقال الشبلى . أستحيي أن أوجه اثباتاً بعد نفى . فقال الشاب أريد حجة أقوي من هذه . فقال أخشى أنى أؤخذ فى كلمة الجحود ولا أصل الى كلمة الاقرار *

قال المصنف رحمه الله . انظروا الي هذا العلم الدقيق فان رسول الله ﷺ كان يأمر بقول لا إله الا الله ويحث عليها * وفى الصحيحين عنه أنه كان يقول فى كل دبر صلاة لا إله الا الله وحده لا شريك له وكان يقول اذا قام لصلاة الليل لا إله الا أنت . وذكر الثواب العظيم لمن يقول لا اله الا الله . فانظروا الي هذه التعاطي على الشريعة واختيار ما لم يختره رسول الله ﷺ *

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ثنا أبو علي الحسن بن محمد بن الفضل نا سهل بن

على الحساب نا عبد الله بن على السراج قال بلغني ان أبا الحسن النوري شهدوا عليه أنه سمع أذان المؤذن فقال طعنه سم الموت وسمع نباح كاب فقال لبيك وسعديك فقيل له فى ذلك فقال . ان الرجل المؤذن أغار عليه أن يذكر الله وهو غافل و يأخذ عليه الاجرة ولولاها ما أذن فلذلك قلت طعنه والـكاب يذ كر الله عز وجل بلا رياء فانه قد قال (وان من شيء الا يسبح بحمده)*

قال المصنف رحمه الله . انظروا اخواني عصمنا الله واياكم من الزلل الى هذا الفقه الدقيق والاستنباط الطريف *

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن با كويه ثنا أبو يعقوب الخراط نا النورى أنه رأي رجلا قابضا على لحية نفسه قال فقلت له نحى يدك عن لحية الله فرفع ذلك الى الخليفه فطلبت وأخذت فلما دخلت عليه فقال بلغنى أنه نبح كلب فقلت لبيك ونادى المؤذن فقلت طعنه قال نعم قال الله عزوجل (وان من شيء الا يسبح بحمده) فقلت لبيك لانه ذكر الله . فاما المؤذن فانه يذكر الله وهو متلوث بالمعاصى غافل عن الله تعالي قال وقولك للرجل . نح يدك عن لحيه الله . قلت نعم . أليس العبـد لله ولحيته لله وكل ما فى الدنيا والآخرة له . قلت عدم العلم أوقع هؤلاء في هـذا التخبيط وما الذى أحوجه الي أن يوهم أن صفة الملك صفة الذات *

أخبرنا ابن حبيب قال نا ابن أبي صادق نا ابن با كويه قال سمعت أحمد بن محمد بن عبد العزيز قال سمعت الشبلي يقول : وقد سئل عن المعرفة . فقال . ويحك ما عرف الله من قال الله . والله لو عرفوه ما قالوه . قال ابن با كويه وسمعت أبا القاسم أحمد بن يوسف البردانى يقول سمعت الشبلي يقول يوماً لرجل يسأله . ما اسمك ؟ قال آدم . قال ويلك ، أتدرى ما صنع آدم ؟ باع ربه بلقمة . ثم كان يقول . سبحان من عذرنى بالسوداء قال ابن با كويه وسمعت بكران بن احمد الجيلى يقول . كان للشبلى جليس فأعلمه أنه يريد التوبة فقـال . بع مالك ، واقض دينك ، وطلق امرأتك . ففعل . فقال : أيتم أولادك بأن تؤيسهم من التعلق بك . فقال قد فعلت فجاء بكسر قد جمعها . فقال . اطرحها بين يدى الفقراء وكل معهم *

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم نا أبي قال : سمعت بعض الفقراء يقول سمعت ابا الحسن الحرفاني يقول لا إله الا الله من داخل القلب محمد رسول الله من القرط

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبوسعد بن أبي صادق ثنا ابن باكويه قال أخبرنا احمد بن محمد الحلفاى قال : رأى الشبلي فى الحمام غلاما شاباً بلامئزر . فقال له ياغلام ألا تغطي عورتك . فقال له : اسكت يابطال . ان كنت على الحق فلا تشهد الا الحق ، وان كنت علي الباطل فلا تشهد الا الباطل . لأن الحق مشتغل بالحق، والباطل مشتغل بالباطل *

أنبأنا أبو بكر محمد بن أبي طاهر نا على بن المحسن التنوخي عن أبيه ثني أبو القاسم عبد الرحيم بن جعفر السيرافى الفقيه . قال حضرت بشيراز عند قاضيها أبي سعيد بشر بن الحسن الداودى ـ وقد ارتفع اليه صوفى وصوفية ـ قال وأمر الصوفية هناك مفرط جداً حتى يقال ان عددهم الوف . فاستعدت الصوفية على زوجها الى القاضي فلما حضرا قالت له : أيها القاضى ، ان هذا زوجي ويريد أن يطلقني وليس له ذلك فان رأيت أن تمنعه . قال . فأخذ القاضى أبو سعيد يتعجب — وحنق على مذاهب الصوفية — ثم قال لها : وكيف ليس له ذلك قالت : لانه تزوج بى ومعناه قائم بى والآن هو يذكر ان معناه قد انقضى منى وأنا معناي قائم فيه ما أنقضى فيجب عليه ان يصبر حتى ينقضى معناي منه كما انقضى معناه منى فقال لي أبو سعيد : كيف ترى هذا الفقه : ثم اصلح بينهما وخرجا من غير طلاق * وقد ذكر أبو حامد الطوسى فى كتاب الاحياء ان بعضهم قال : للربوبية سر لو أظهر بطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم . وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الاحكام*

قلت : فانظروا اخوانى الى هذا التخليط القبيح والادعاء على الشريعة أن ظاهرها يخالف باطنها . قال أبو حامد : ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فقيل له : لو سألت الله ان يرده عليك . فقال : اعتراضى عليه فيما يقضى اشد على من ذهاب ولدي *

قلت . لقد طال تعجبي من ابى حامد كيف يحكى هذه الأشياء فى معرض الاستحسان والرضى عن قائلها وهو يدرى ان الدعاء والسؤال ليس باعتراض وقال أحمد

الغزالى : دخل يهودى الى أبي سعيد بن أبى الخير الصوفي . فقال له أريد أن اسلم على يديك . فقال . لا ترد فاجتمع الناس وقالوا : ياشيخ تمنعه من الاسلام . فقال له : تريد بلا بد . قال : نعم . قال له برئت من نفسك ومالك : قال : نعم . قال : هذا الاسلام عندى احملوه الآن الى الشيخ أبى حامد يعلم لا لا المنافقين . يعنى لا اله الا الله . قلت . وهذا الكلام اظهر عيباً من أن يعاب فانه في غاية القبح * ومما يقارب هذه الحكاية في دفع من أراد الاسلام * ما أخبرنا به ابو منصور القزاز نا ابو بكر ابن ثابت أخبرنى محمد بن احمد بن يعقوب نا محمد بن نعيم الضبي قال سمعت أبا على الحسين بن محمد بن احمد الماسرخسى يحكي عن جده وغيره من أهل بيته قال كان الحسن والحسين ابنا عيسى بن ماسرجس أخوين بركبان فيتحير الناس من حسنهما وزيهما فاتفقا على أن يسلما فقصدا حفص بن عبد الرحمن ليسلما على يده فقال لهما حفص أنتما من أجلّ النصاري وعبد الله بن المبارك خارج فى هذه السنة الحج واذا أسلمتما على يده كان ذلك أعظم عند المسلمين فانه شيخ أهل المشرق والمغرب فانصرفا فمرض الحسين ومات على نصرانيته قبل قدوم ابن المبارك فلما قدم أسلم الحسن . قلت : وهذه المحنة انما جلبها الجهل فليعرف قدر العلم لأنه لو كان عنده حظ من علم لقال اسلما الآن ولا يجوز تأخير ذلك لحظة وأعجب من هذا ابو سعيد الذي قال لليهودي ماقول لانه يريد الاسلام . وذكر أبو نصر السراج فى كتاب اللمع لمع المتصوفة قال . كان سهل بن عبد الله اذا مرض أحد من أصحابه يقول له : اذا أردت أن تشتكى فقل أوه فهو اسم من أسماء الله تعالى يستريح اليه المؤمن ولا تقل افرج فانه اسم من أسماء الشيطان . فهذه نبذة من كلام القوم وفقههم نبهت على قلة علمهم وسوء فهمهم وكثرة خطئهم . وقد سمعت أبا عبد الله حسين بن على المقرى يقول سمعت أبا محمد عبد الله بن عطاء الهروى يقول سمعت عبد الرحمن بن محمد بن المظفر يقول سمعت أبا عبد الرحمن بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن الحسين السلامى يقول سمعت على بن محمد المصرى يقول سمعت أيوب بن سليمان يقول سمعت محمد بن محمد بن ادريس الشافعى يقول سمعت أبي يقول . صحبت الصوفية

عشرة سنين ما استفدت منه الا هذين الحرفين : الوقت سيف ، وأفضل العصمة أن لا تقدر *

﴿ ذكر تلبيس ابليس في الشطح والدعاوى ﴾

قال المصنف رحمه الله . اعلم أن العلم يورث الخوف واحتقار النفس وطول الصمت واذا اعتبرت علماء السلف رأيت الخوف غالباً عليهم والدعاوى بعيدة عنهم كما قال أبو بكر : ليتني كنت شعرة في صدر مؤمن . وقال عمر عند موته الويل لعمر ان لم يغفر له . وقال ابن مسعود . ليتني اذا مت لا أبعث . وقالت عائشة رضي الله عنها . ليتني كنت نسياً منسيا . وقال سفيان الثوري لحماد بن سلمة عند الموت ترجو أن يغفر لمثلي

قال المصنف رحمه الله : وانما صدر مثل هذا عن هؤلاء السادة لقوة علمهم بالله وقوة العلم به تورث الخوف والخشية . قال الله عز وجل « انما يخشي الله من عباده العلماء » وقال ﷺ « أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية » ولما بعد عن العلم اقوام من الصوفية لاحظوا أعمالهم واتفق لبعضهم من اللطف ما يشبه الكرامات فانبسطوا بالدعاوى *

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا ابو الفضل محمد بن علي السهلكي قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازي يقول ثنا أبو بكر عمر بن يمن ثنا أبو عمر الرهاوي ثنا احمد بن محمد الجزري قال سمعت أبا موسى الدئيلي يقول سمعت أبا يزيد البسطامي يقول : وددت ان قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتي على جهنم فسأله رجل ولم ذاك يا أبا يزيد . فقال : اني أعلم أن جهنم اذا رأتني تخمد فأكون رحمة للخلق * أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري نا أبو سعد بن أبي صادق ثنا ابن باكويه ني ابراهيم بن محمد ني حسن بن علوية ني طيفور بن عيسى ني أبو موسي الشبلي . قال . سمعت أبا يزيد يقول : إذا كان يوم القيامة وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فاسأله أن يدخلني النار فقيل له لم : قال حتى تعلم الخلائق أن بره ولطفه في النار مع أوليائه *

قال المصنف رحمه الله : هذا الكلام من أقبح الاقوال لأنه يتضمن تحقير ماعظم الله عز وجل أمره من النار فانه عز وجل بالغ فى وصفها فقال : (واتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة) وقال : (اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا و زفيراً) الى غير ذلك من الآيات * وقد أخبرنا عبد الاول نا ابن المظفر نا بن أعين ثنا الفربرى ثنا البخارى ثنا اسماعيل ثنا مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة . قال « قال رسول الله ﷺ ان ناركم هـذه مايوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم . قالوا له الصحابة والله ان كانت لكافية يا رسول الله . قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها أخرجاه فى الصحيحين . وفى أفراد مسلم من حديث ابن مسعود عن النبى ﷺ انه قال . يؤتي بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها » * أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر ابن أحمد نا أبو على التميمى نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد ثني أبي ثنا بهز بن أسد ثنا جعفر بن سليمان ثنا على بن زيد عن مطرف عن كعب قال . قال عمر بن الخطاب : يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبياً لازدرأت عملك ماترى فاطرق عمر رضي الله عنه ملياً ثم أفاق قال : زدنا يا كعب . قلت : يا امير المؤمنين لوفتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها . فأطرق عمر ملياً ثم أفاق فقال . زدنا يا كعب قلت : يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة لايبقى ملك مقرب ولا نبي مصطفى الاخر جاثياً على ركبتيه و يقول رب نفسي نفسي لا اسألك اليوم غير نفسي * أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد نا حمد بن احمد الحداد ثنا ابو نعيم الحافظ ثنا أبى ثنا أحمد بن محمد بن الحسن البغدادى ثنا ابراهيم بن عبد الله الجنيد ثنا عبد الله بن محمد بن عائشة ثنا سالم الخواص عن فرات بن السائب عن زاذان قال . سمعت كعب الاحبار يقول . اذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد ونزلت الملائكة وصارت صفوفاً فيقول يا جبرائيل ائتني بجهنم فيأتى بها جبريل فتقاد بسبعين الف زمام حتى اذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها افئدة الخلائق ثم زفرت ثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي

مرسل الاجثى على ركبتيه ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتذهل العقول فيفزع كل امرىء الى عمله حتى أن ابراهيم الخليل يقول بخلتي لااسألك إلا نفسي . ويقول موسى بمناجاتي لا اسألك الا نفسي . وان عيسى ليقول بما اكرمتني لااسألك الا نفسى لااسألك مريم التى ولدتني . قلت وقد روينا أن النبي ﷺ قال ياجبرائيل مالى أرى ميكائيل لايضحك . فقال . ما ضحك ميكائل مذ خلقت النار وماجفت لى عين مذ خلقت جهنم مخافة أن أعصى الله فيجعلني فيها . وبكى عبد الله بن رواحة يوما فقالت . امرأته مالك تبكي قال أنبئت انى وارد ولم انبأ أني صادر *

قال المصنف رحمه الله . فاذا كانت هـذه حالة الملائكة والانبياء والصحابة وهم المطهرون من الأدناس وهـذا انزعاجهم لاجل النار فكيف هانت عند هذا المدعى ثم أنه يقطع لنفسه بما لايدرى به من الولاية والنجاة وهل قطع بالنجاة الا لقوم مخصوصين من الصحابة . وقد قال صلى الله عليه وسلم « من قال انى في الجنة فهو في النار » وهذا محمد بن واسع يقول عند موته ياأخوتاه أتدرون أين يذهب بي يذهب بى والله الذي لا إله الاهو الى النار أو يعفو عني . قلت وهذا ان صح عن هذا المدعى فهذا غاية من تلبيس ابليس . وقد كان ابن عقيل يقول . قد حكى عن ابى يزيد انه قال . وما النار والله لئن رأيتها لاطفأنها بطرف مرقعتى اونحو هذا قال . ومن قال هذا كائن من كان فهو زنديق يجب قتله فان الاهوان للشيء ثمرة الجحد لان من يؤمن بالجن يقشعر في الظلمة ومن لايؤمن لاينزعج وربما قال ياجن خذوني . ومثل هـذا القائل ينبغي ان يقرب الى وجهه شمعة فاذا انزعج قيل له هـذه جذوة من نار * انبأنا محمد بن ناصر نا ابو الفضل السهلكى قال سمعت ابا عبد الله الشيرازي يقول ثنا ابو اسحاق ابراهيم بن محمد قال سمعت الحسن بن علويه يقول : سمعت طيفور الصغير يقول سمعت عمى خادم ابى يزيد يقول . سمعت ابا يزيد يقول سبحاني سبحانى ما أعظم شأنى . ثم قال : حسبي من نفسى حسبي : قلت هذا إن صح عنه فربما يكون الراوى لم يفهم لانه يحتمل أن يكون قد ذكر تمجيد الحق نفسه فقال فيه . (سبحانى) : حكاية عن الله لا عن نفسه . وقد تأوله له الجنيد بشيء إن لم يرجع إلى ما قلته فليس بشيء * فأنبأنا ابن ناصر نا السهلكى نا محمد بن القاسم الفارسي

سمعت الحسن بن على المذكر سمعت جعفرا الخلدى يقول . قيل للجنيد إن أبا يزيد يقول سبحانى سبحاني أنا ربى الأعلى : فقال الجنيد . إن الرجل مستهلك في شهود الجلال فنطق بما استهلكه ، أذهله الحق عن رؤيته إياه فلم يشهد إلا الحق فنعته . قلت وهذا من الخرافات * أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى نا سهل بن علي الخشاب وأنبأنا أبو الوقت عبد الاول نا احمد بن أبي نصر الكوفاني نا الحسن ابن محمد بن فورى نا عبد الله بن على السراج قال سمعت احمد بن سالم البصري بالبصرة يقول في مجلسه يوماً فرعون لم يقل ما قال أبو يزيد لان فرعون قال (أنا ربكم الأعلى) والرب يسمي به المخلوق يقال رب الدار . وقال أبو يزيد سبحاني سبحانى . لا يجوز إلا لله . فقلت قد صح عندك هذا عن أبى يزيد فقال قد قال ذلك . فقلت يحتمل أن يكون لهذا الكلام مقدمات يحكى بأن الله يقول سبحاني لأنا لو سمعنا رجلا يقول (لا إله إلا أنا) علمنا أنه يقرأ . وقد سألت جماعة من أهل بسطام من بيت أبي يزيد عن هذا فقالوا لا نعرف هذا * أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكى قال سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت عامر بن احمد قال سمعت الكتانى يقول حدثنى أبو موسى الدئيلي قال سمعت أبا يزيد يقول : كنت أطوف حول البيت أطلبه فلما وصلت اليه رأيت البيت يطوف حولى . قال الشيرازى . وحدثنا إبراهيم بن محمد قال سمعت الحسن بن علويه يقول سمعت طيفور الصغير يقول سمعت أبا يزيد يقول حججت أول حجة فرأيت البيت : وحججت الثانية فرأيت صاحب البيت ولم أر البيت . وحججت الثالثة فلم أر البيت ولا صاحب البيت . قال الشيرازي وسمعت محمد بن دادويه يقول سمعت عبد الله بن سهل يقول : سمعت أباموسى الدئيلى يقول سمعت أبا يزيد « وسئل عن اللوح المحفوظ » — قال . أنا اللوح المحفوظ . قال الشيرازى وسمعت المظفر بن عيسى المراغي . يقول سمعت سيرين يقول سمعت أبا موسى الدئيلى . يقول قلت لابى يزيد بلغني ان ثلاثة قلوبهم على قلب جبريل قال أنا أولئك الثلاثة فقلت كيف . قال قلبي واحد : وهمي واحد . وروحي واحد . قلت وبلغنى أن واحداً قلبه على قلب إسرافيل . قال وأنا ذلك الواحد ومثلى مثل بحر مضطلم لا أول له ولا آخر : قال السهلكى وقرأ رجل عند أبي يزيد « إن بطش ربك

لشديد » فقال . أبو يزيد وحياته إن بطشي أشد من بطشه . وقيـل لأبي يزيد . بلغنا إنك من السبعة . قال . أنا كل السبعة . وقيـل له . إن الخلق كلهم تحت لواء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال . والله ان لوائى أعظم من لواء محمد . لوائي من نور تحته الجن والانس كلهم مع النبيين . وقال أبو يزيد . سبحانى سبحاني ما أعظم سلطانى ليس مثلي فى السماء يوجد ولا مثلى صفة في الارض تعرف أناهو وهو أنا وهو هو * أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا نا حمد بن احمد ناأبو نعيم الحافظ ثنا احمد بن أبي عمران ثنا منصور بن عبـد الله . قال سمعت أبى يقول قيـل لأبي يزيد . إنك من الابدال السبعة الذين هم أوتاد الارض . فقال . أنا كل السبعة * أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلـكى قال سمعت أبا الحسين محمد بن القاسم الفارسى قال سمعت أبا نصر بن محمد بن إسماعيل البخارى يقول سمعت أبا الحسـين علي بن محمد الجرجانى يقول سمعت الحسن بن على بن سلام يقول دخل أبو يزيد مدينة فتبعه منها خلق كثير فالتفت اليهم فقال « إنى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدونى » . فقالوا . جن أبو يزيد فتركوه . قال : الفارسى وسمعت أبا بكر احمد بن محمد النيسابورى قال سمعت أبا بكر احمد بن إسرائيل قال سمعت خالي على بن الحسين يقول سمعت الحسن ابن على بن حياة يقول سمعت عمي وهو أبو عمران موسى بن عيسى بن أخي أبي يزيد قال سمعت أبى يقول قال أبو يزيد : رفع بى مرة حتى قمت بين يديه . فقال لي . يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك . قلت ياعزيزى وأنا أحب أن يرونى . فقال يا أبا يزيد إنى أريد أريكهم . فقلت : ياعزيزى إن كانوا يحبون أن يرونى وأنت تريد ذلك وأنا لاأقدر على مخالفتـك . قربني بوحدانيتك ، والبسـني ربانيتـك ، وارفعني إلى أحديتك . حتى إذا رآني خلقـك . قالوا رأيناك فيكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك . ففعل بى ذلك وأقامني وزينى ورفعنى . ثم قال اخرج الى خلقي فخطوت من عنده خطوة الى الخلق خارجا فلما كان من الخطوة الثانية غشي علىّ فنادى ردوا حبيبي فانه لا يصبر عنى ساعة * أنبأنا ابن ناصر نا السهلـكى . قال سمعت محمد ابن ابراهيم الواعظ . يقول سمعت محمد بن محمد الفقيـه يقول سمعت احمد بن محمد الصوفى يقول سمعته أبا موسى يقول : حكى عن أبي يزيد انه قال أراد موسى عليـه

الصلاة والسلام ان يرى الله تعالى . وأنا ما أردت أن أرى الله تعالى هو أراد أن يراني * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق الحيرى ثنا أبو عبد الله ابن باكويه ثنا أبو الطيب بن الفرغاني قال سمعت الجنيد بن محمد يقول . دخل عليّ أمس رجل من أهل بسطام فذكر أنه سمع أبا يزيد البسطامي يقول : اللهم ان كان في سابق علمك أنك تعذب أحداً من خلقك بالنار فعظم خلقي حتى لا تسع معي غيري*

قال المصنف رحمه الله . أما ما تقدم من دعاويه فما يخفى قبحها . وأما هذا القول فخطأ من ثلاثة أوجه . أحدها أنه قال ان كان في سابق علمك وقد علمنا قطعاً انه لا بد من تعذيب خلق بالنار وقد سمى الله عز وجل منهم خلقاً . كفرعون وأبي لهب فكيف يجوز أن يقال بعد القطع واليقين إن كان . والثاني قوله تعظم خلقي فلو قال لادفع عن المؤمنين ولكنه قال حتى لا تسع غيري فاشفق على الكفار أيضاً وهذا تعاط على رحمة الله عز وجل . والثالث أن يكون جاهلا بقدر هذه النار أو واثقاً من نفسه بالصبر وكلا الامرين معدوم عنده قلت : ثم قال والله لقد تكلمت أمس مع الخضر في هذه المسألة : وكانت الملائكة يستحسنون قولي . والله عز وجل يسمع كلامي فلم يعب عليّ ولو عاب عليّ لاخرسني . قلت لولا أن هذا الرجل قد نسب إلى التغير لكان ينبغي أن يرد عليه . وأين الخضر ومن أين له أن الملائكة تستحسن قوله . وكم من قول معيب لم يعاجل صاحبه بالعقوبة وقد بلغني عن ميمون عبده قال بلغني عن سمنون المحب انه كان يسمي نفسه الكذاب بسبب أبياته التي قال فيها

وليس لي في سواك حظ فكيفما ما شئت فامتحني

فابتلى بحبس البول فلم يقر له قرار فكان بعد ذلك يطوف على المكاتب وبيده قارورة يقطر منها بوله ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب *

قال المصنف رحمه الله . إنه ليقشعر جلدي من هذه أتراه على ما يتقاوى وانما هذه ثمرة الجهل بالله سبحانه وتعالى ولو عرفه لم يسأله إلا العافية . وقد قال من عرف الله كلّ لسانه * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال : سمعت محمد بن داود الجوزجاني يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول : كنت أرد هذه الكرامات حتى حدثني الثقة عن أبي الحسين النوري وسألته فقال كذا

كان . قال : كنا في سميرية في دجلة فقالوا لابى الحسين اخرج لنا من دجلة سمكة فيها ثلاثة أرطال وثلاث أواقٍ . فحرك شفتيه . فاذا سمكة فيها ثلاثة أرطال وثلاث أواقي ظهرت من الماء حتى وقعت فى السميرية . فقيل لابى الحسين : سألناك بالله الا أخبرتنا بماذا دعوت . فقال : قلت وعزتك لئن لم تخرج من الماء حوتاً فيها ثلاثة أرطال وثلاث أواقى لاغرقن نفسى فى دجلة * أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت قال أخبرنى عبد الصمد بن محمد الخطيب ثنا الحسن بن الحسين الهمدانى قال سمعت جعفراً الخلدى يقول سمعت الجنيد يقول سمعت النوري يقول : كنت بالرقة فجاءنى المريدون الذين كانوا بها . وقالوا . نخرج ونصطاد السمك . فقالوا لي يا أبا الحسين هات من عبادتك واجتهادك وما أنت عليه من الاجتهاد سمكة يكون فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص . فقلت لمولاي . ان لم تخرج إليَّ الساعة سمكة فيها ما قد ذكروا لأرمين بنفسي فى الفرات . فاخرجت سمكة فوزنتها فاذا فيها ثلاثة أرطال لا زيادة ولا نقصان . قال الجنيد : فقلت له يا أبا الحسين لو لم تخرج كنتَ ترمى بنفسك قال نعم * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه نا أبو يعقوب الخراط . قال قال لي أبو الحسين النورى كان في نفسي من هذه الكرامات شيء وأخذت من الصبيان قصبة وقمت بين زورقين وقلت وعزتك لئن لم تخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص لا آكل شيئاً . قال فبلغ ذلك الجنيد فقال : كان حكمه أن تخرج له أفعي تلدغه * أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت الحسين بن احمد الفارسى يقول سمعت الرقى يقول سمعت على بن محمد بن أبان قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول : أكبر ذنبي اليه معرفتى إياه *

قال المصنف رحمه الله . هذا ان حمل على معنى انى لما عرفته لم أعمل بمقتضى معرفته فعظم ذنبي كما يعظم جرم من علم وعصى والا فهو قبيح * أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه ثني احمد الحلفاى قال سمعت الشبلى يقول : أحبك الخلق لنعمائك وأنا أحبك لبلائك * أخبرنا محمد بن أبي القاسم أنبأنا الحسن بن محمد ابن الفضل الكرماني نا سهل بن على الخشاب . وأخبرنا أبو الوقت نا احمد بن أبي

نصر نا الحسن بن محمد بن فوري قالا نا عبد الله بن على السراج قال سمعت أبا عبد الله احمد بن محمد الهمداني يقول . دخلت على الشبلى فلما قمت لاخرج كان يقول لي ولمن معي الى أن خرجنا من الدار . مروا أنا معكم حيث ما كنتم وأنتم فى رعايتى وكلاءتى * نا محمد بن ناصر نا أبو عبد الله الحميدى نا أبو بكر محمد بن احمد الاردستاني نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت منصور بن عبد الله يقول . دخل قوم على الشبلى فى مرض موته الذي مات فيه . فقالوا له كيف تجدك يا أبا بكر فأنشأ يقول .

ان سلطان حبه قال لا أقبل الرشا

فسلوه فديته ما لقتلى تحرشا

قال ابن عقيل وقد حكى عن الشبلى انه قال . ان الله سبحانه وتعالى . قال (ولسوف يعطيك ربك فترضى) . والله لارضي محمد صلى الله عليه وسلم وفى النار من أمته أحد. ثم قال ان محمداً يشفع فى أمته وأنا أشفع بعده في النار حتى لا يبقى فيها أحد قال ابن عقيل والدعوى الاولى على النبي ﷺ كاذبة فان النبي ﷺ يرضى بعذاب الفجار كيف وقد لعن فى الخمر عشرة . فدعوى انه لا يرضى بتعذيب الله عز وجل للفجار دعوى باطلة واقدام على جهل بحكم الشرع . ودعواه بأنه من أهل الشفاعة فى الكل وانه يزيد على محمد ﷺ كفر لان الانسان متى قطع لنفسه بأنه من أهل الجنة كان من أهل النار فكيف وهو يشهد لنفسه بأنه على مقام يزيد على مقام النبوة بل يزيد على المقام المحمود وهو الشفاعة العظمى . قال ابن عقيل والذى يمكننى في حق أهل البدع لسانى وقلبى ولو اتسعت قدرتى فى السيف لرويت الثرى من دماء خلق *

أخبرتنا شهدة بنت احمد قالت أخبرنا جعفر بن احمد تنا أبو طاهر محمد بن على العلاف سمعت أبا الحسين بن سمعون سمعت أبا عبد الله العلق صاحب أبى العباس ابن عطاء سمعت أبا العباس بن عطاء يقول . قرأت القرآن فما رأيت الله عز وجل ذكر عبداً فأثنى عليه حتى ابتلاه . فسألت الله تعالى أن يبتليني فما مضت الايام والليالي حتى خرج من دارى نيف وعشرون ميتاً ما رجع منهم أحد . قال وذهب ماله ، وذهب عقله ، وذهب ولده وأهله . فمكث بحكم الغلبة سبع سنين أو

نحوها . وكان أول شيء قاله بعد صحوه من غلبته

حقا أقول لقد كلفتني شططا حملى هواك وصبري ان ذا عجب

قلت . قلة علم هذا الرجل أثمر ان سأل البلاء . وفى سؤال البلاء معنى التقاوى وذاك من أقبح القبيح . و ـ الشطط ـ الجور ولايجوز أن ينسب الى الله تعالى . وأحسن ماحمل عليه حاله أن يكون قال هذا البيت في زمان التغير * أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا احمد بن على بن خلف نا محمد بن الحسين السلمى سمعت أبا الحسن على ابن ابراهيم الحصري . يقول . دعوني و بلائى ألستم أولاد آدم الذي خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأمره بأمره تخالفه ، اذا كان أول الدن دردى كيف يكون آخره . قال وقال الحصري كنت زماناً اذاقرآت القرآن لاأستعيذ من الشيطان وأقول من الشيطان حتى يحضر كلام الحق *

قال المصنف رحمه الله قلت : أما القول الأول بأنه يتسلط على الانبياء جرأة قبيحة وسوء أدب . وأما الثانى فمخالف لما أمر الله عزوجل به فانه قال « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله » * أخبرنا ابو بكر بن ابي طاهر نا عباد بن ابراهيم النسفى ثنا محمد بن الحسين السلمى قال وجدت فى كتاب ابى بخطه سمعت ابا العباس احمد ابن محمد الدينوري يقول . قد نقضوا اركان التصوف وهدموا سبيلها وغيروا معانيها بأسامى احدثوها سموا الطبع زيادة ، وسوء الادب اخلاصا ، والخروج عن الحق شطحا ، والتلذذ بالمذموم طيبة وسوء الخلق صولة ، والبخل جلادة . واتباع الهوى ابتلاء ، والرجوع الى الدنيا وصولا والسؤال عملا . و بذأ اللسان ملامة وما هذا طريق القوم . وقال ابن عقيل عبرت الصوفية عن الحرام بعبارات غيروا لها الاسماء مع حصول المعنى فقالوا في الاجتماع على الطيبة والغناء والخنكرة ، أوقات . وقالوا في المردان شب وفى المعشوقة اخت . وفى المحبة مريدة وفى الرقص والطرب وجد ، وفى مناخ اللهود والبطالة رباط. وهذا التغيير للاسماء لايباح *

﴿ بيان جملة مروية عن الصوفية من الافعال المنكرة ﴾

قلت . قد سبق ذكر افعال كثيرة لهم كلها منكرة وانما نذكر ههنا من

امهات الافعال وعجائبها * اخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد انبأنا ابو على الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى نا ابو الحسن سهل بن على الخشاب نا ابو نصر عبد الله بن على السراج. قال ذكر عن ابى الكريتى — وكان استاذ الجنيد — انه أصابته جنابة. وكان عليه مرقعة ثخينة. فجاء الى شاطيء الدجلة والبرد شديد فحرنت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد فطرح نفسه فى الماء مع المرقعة ولم يزل يغوص ثم خرج. وقال: عقدت أن لا أنزعها عن بدنى حتى تجف على فلم تجف عليه شهراً *

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد بن على بن ثابت ثنا عبد العزيز بن على ثنا على بن عبد الله الهمداني ثنا الخلدى ثنى جنيد قال سمعت أبا جعفر بن الكريتي يقول أصبت ليلة جنابة فاحتجت أن أغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخراً وتقصيرا وحدثتني نفسي لو تركت حتى تصبح ويسخن لك الماء. أو تدخل حماما. والا اعيا على نفسك. فقلت واعجبا أنا أعامل الله تعالى في طول عمري يجب له على حق لا أجد المسارعة اليه: وأجد الوقوف والتباطؤ والتأخر. آليت لا أغتسل الا في نهر. وآليت لا اغتسلت الا فى نهر. وآليت لا اغتسلت الا فى مرقعتى هذه. وآليت لا أعصرنها وآليت لا جففتها فى شمس. أو كما قال. قلت قد سبق فى ذكر المرقعات وصف هذه المرقعة التي لابن الكريتي وأنه وزن أحد كميها فكان فيه أحد عشر رطلا وانما ذكر هذا للناس ليبين أنى فعلت الحسن الجميل. وحكوه عنه ليبين فضله وذلك جهل محض لان هذا الرجل عصى الله سبحانه وتعالى بما فعل. وانما يعجب هذا الفعل العوام الحمقى لا العلماء. ولا يجوز لأحد أن يعاقب نفسه فقد جمع هذا المسكين لنفسه فنونا من التعذيب: إلقاؤها فى الماء البارد، وكونه في مرقعة لا يمكنه الحركة فيها كما يريد. ولعله قد بقى من مغابنه ما لم يصل اليه الماء لكثافة هذه المرقعة، وبقاءها عليه مبتلة شهراً وذلك يمنعه لذة النوم. وكل هذا الفعل خطأ واثم وربما كان ذلك سبباً لمرضه أو قتله *

أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي قالا أخبرنا حمد بن احمد بن عبد الله الاصبهاني. قال. كانت أم على زوجة احمد بن حضرويه قد أحلت زوجها

احمد من صداقها على أن يزوربها أبا يزيد البسطامى فحملها اليه فدخلت عليه وقعدت بين يديه مسفرة عن وجهها . فلما قال لها أحمد : رأيت منك عجبا . أسفرت عن وجهك بين يدى أبي يزيد . قالت . لأنى لما نظرت اليه فقدت حظوظ نفسي . و كلما نظرت اليك رجعت إليّ حظوظ نفسي . فلما أراد احمد الخروج من عند أبي يزيد قال له أوصني . قال تعلم الفتوة من زوجتك * أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبوسعد ابن أبي صادق نا بن با كويه سمعت أبا بكر الفازى (وفاز قرية بطرسوس) سمعت أبا بكر السباك سمعت يوسف بن الحسين يقول . كان بين احمد بن أبى الحوارى و بين أبى سليمان عقد ان لا يخالفه في شيء يأمره به فجاءه يوماً وهو يتكلم فى المجلس فقال ان التنور قد سجرناه فما تأمرنا فما أجابه فأعاد مرة أو مرتين فقال له في الثالثة اذهب واقعد فيه ففعل ذلك . فقال أبو سليمان ألحقوه فان بيني و بينه عقداً أن لا يخالفني فى شيء آمره به فقام وقاموا معه فجاؤا الى التنور فوجدوه قاعداً فى وسطه فأخذ بيده وأقامه فما أصابه خدش*

قال المصنف رحمه الله : هذه الحكاية بعيدة الصحة ولو صحت كان دخوله النار معصية . وفى الصحيحين من حديث على رضي الله عنه قال بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليها رجلا من الانصار فلما خرجوا وجد عليهم فى شيء فقال لهم أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعونى قالوا بلى قال فاجمعوا حطباً فجمعوا ثم دعا بنار فاضرمها ثم قال عزمت عليكم لتدخلنها قال فهم القوم ان يدخلوها فقال لهم شاب انما فررتم الى رسول الله ﷺ من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا النبي ﷺ فان أمركم أن تدخلوها فادخلوا فرجعوا الى النبي ﷺ فاخبروه فقال لهم رسول الله ﷺ لو دخلتموها ماخرجتم منها أبداً انما الطاعة فى المعروف » * أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا احمد بن على بن ثابت نا أبو نعيم الحافظ أخبرني الحسن بن جعفر بن على اخبرنى عبد الله ابن إبراهيم الجزرى قال . قال أبو الخير الديلمي كنت جالساً عند خير النساج فأتته امرأة وقالت له اعطني المنديل الذي دفعته اليك قال نعم فدفعه اليها قالت كم الاجرة قال درهمان قالت مامعي الساعة شيء وانا قد ترددت اليك مراراً فلم أرك وأنا آتيك به غداً ان شاء الله تعالى فقال لها خير ان أتيتنى بهما ولم تجدينى فارمى بهما

فى دجلة فانى اذا جئت أخذتهما فقالت المرأة كيف تأخذ من دجلة فقال لها خير هذا التفتيش فضول منك افعلي ما أمرتك . قالت ان شاء الله فمرت المرأة قال ابو الحسين فجئت من الغد وكان خير غائباً واذا المرأة قد جاءت ومعها خرقة فيها درهمان فلم تجده فرمت بالخرقة فى دجلة واذا بسرطان قد تعلقت بالخرقة وغاصت و بعد ساعة جاء خير وفتح باب حانوته وجلس على الشط يتوضأ واذا بالسرطان قد خرجت من الماء تسعي نحوه والخرقة على ظهرها فلما قربت من الشيخ أخذها • فقلت له رأيت كذا وكذا فقال أحب ان لا تبوح به فى حياتى فأجبته الى ذلك *

قال المصنف رحمه الله . صحة مثل هذا تبعد ، ولو صح لم يخرج هذا الفعل من مخالفة الشرع لان الشرع قد أمر بحفظ المال وهذا إضاعة • وفي الصحيح ان النبي ﷺ « نهى عن إضاعة المال » ولا تلتفت الى قول من يزعم ان هذا كرامة لان الله عز وجل لا يكرم مخالفاً لشرعه * أخبرنا أبومنصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا أبو نعيم الحافظ سمعت أبا الفرج الورياني سمعت على بن عبد الرحيم يقول : دخلت على النورى ذات يوم فرأيت رجليه منتفختين فسألته عن أمره . فقال طالبتنى نفسى بأكل التمر فجعلت أدافعها فتأبي على فخرجت فاشتريت • فلما ان أكلت قلت لها قومى فصلى فأبت على فقلت لله على ان قعدت الى الارض أربعين يوماً إلا في التشهد فما قعدت قلت من سمع هذا من الجهال يقول ما احسن هذه المجاهدة ولا يدرى ان هذا الفعل لا يحل لانه حمل على النفس ما لا يجوز ومنعها حقها من الراحة وقد حكى أبو حامد الغزالي في كتاب الاحياء قال كان بعض الشيوخ فى بداية ارادته يكسل عن القيام فالزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيام عن طوع قال وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله و رماه فى البحر إذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود و رياء البذل . قال وكان بعضهم يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ليعود نفسه الحلم قال وكان آخر يركب البحر فى الشتاء عند اضطراب الموج ليصير شجاعاً *

قال المصنف رحمه الله اعجب من جميع هؤلاء عندى ابو حامد كيف حكى هذه الاشياء ولم ينكرها • وكيف ينكرها وقد أتى بها فى معرض التعليم وقال قبل ان

يورد هذه الحكايات : ينبغي للشيخ أن ينظر الى حالة المبتدىء فان رأى معه مالا فاضلا عن قدر حاجته أخذه وصرفه فى الخير وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه . وان رأى الكبرياء قد غلب عليه أمره أن يخرج الى السوق للكد ويكلفه السؤال والمواظبة على ذلك . وان رأى الغالب عليه البطالة استخدمه فى بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان . وان رأي شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم . وان رآه عزبا ولم تنكسر شهوته بالصوم أمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء و يمنعه اللحم رأساً *

قلت : وأني لأتعجب من أبى حامد كيف يأمر بهذه الاشياء التى تخالف الشريعة وكيف يحل القيام على الرأس طول الليل فينعكس الدم الى وجهه و يورثه ذلك مرضا شديداً وكيف يحل رمى المال فى البحر . وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال . وهل يحل سب مسلم بلا سبب . وهل يجوز للمسلم أن يستأجر على ذلك وكيف يجوز ركوب البحر زمان اضطرابه وذلك زمان قد سقط فيه الخطاب بأداء الحج . وكيف يحل السؤال لمن يقدر أن يكتسب . فما أرخص ما باع أبو حامد الغزالى الفقه بالتصوف *

أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكي نا أبو على عبد الله بن ابراهيم النيسابورى ثنا أبو الحسن على بن جهضم ثنا أبو صالح الدامغاني عن الحسن بن علي الدامغاني . قال : كان رجل من أهل بسطام لا ينقطع عن مجلس أبي يزيد لا يفارقه . فقال له ذات يوم . يا أستاذ . أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر وأقوم الليل وقد تركت الشهوات ولست أجد فى قلبي من هذا الذى تذكره شيئا البتة . فقال له أبو يزيد لو صمت ثلاثمائة سنة وقمت ثلاثمائة سنة وأنت على ما أراك لا تجد من هذا العلم ذرة . قال ولم يا أستاذ . قال : لأنك محجوب بنفسك فقال له أفلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب قال : نعم ولكنك لم تقبل قال . بلي أقبل واعمل ما تقول . قال أبو يزيد اذهب الساعة الى الحجام واحلق رأسك ولحيتك وانزع عنك هذا اللباس وابرز بعباءة وعلق فى عنقك مخلاة واملأها جوزاً واجمع حولك صبيانا وقل بأعلا صوتك

ياصبيان . من يصفعني صفعة أعطيته جوزة وادخل الى سوقك الذى تعظم فيه . فقال يا أبا يزيد سبحان الله تقول لى مثل هذا ويحسن أن أفعل هذا . فقال أبو يزيد قولك سبحان الله شرك . قال وكيف قال لأنك عظمت نفسك فسبحتها . فقال يا أبا يزيد هذا ليس أقدر عليه ولا أفعله ولكن دلني على غيره حتى أفعله . فقال أبو يزيد ابتدر هذا قبل كل شيء حتى تسقط جاهك وتذل نفسك ثم بعد ذلك أعرفك ما يصلح لك قال : لا أطيق هذا . قال . انك لا تقبل *

قال المصنف رحمه الله قلت . ليس فى شرعنا بحمد الله من هذا شيء بل فيه تحريم ذلك والمنع منه وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام « ليس للمؤمن أن يذل نفسه » ولقد فاتت الجمعة حذيفة فلقى الناس راجعين فاستتر لئلا يرى بعين النقص في قصد الصلاة . وهل طالب الشرع أحداً بمحو أثر النفس وقد قال ﷺ « من أتى شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله » كل هذا للابقاء على جاه النفس . ولو أمر بهلول الصبيان أن يصفعوه لكان قبيحاً فنعوذ بالله من هذه العقول الناقصة التى تطالب المبتدىء بما لا يرضاه الشرع فينفر *

وقد حكى ابو حامد الغزالى في كتاب الاحياء عن يحيي بن معاذ انه قال قلت لأبى يزيد .هل سألت الله تعالى المعرفة فقال عزت عليه أن يعرفها سواه . فقلت هذا اقرار بالجهل فان كان يشير الى معرفة الله تعالي فى الجلة وأنه موجود وموصوف بصفات وهذا لا يسع أحداً من المسلمين جهله وان تخايل له ان معرفته هى اطلاع على حقيقة ذاته وكنهها فهذا جهل به *

وحكى ابو حامد : أن ابا تراب النخشبي قال لمريد له . لو رأيت ابا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة . قلت . وهذا فوق الجنون بدرجات*

وحكى ابو حامد الغزالى عن ابن الكرينى انه قال نزلت فى محلة فعرفت فيها بالصلاح فنشب فى قلبى فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي وخرجت فجعلت امشى قليلا قليلا فلحقونى فنزعوا مرقعتى واخذوا الثياب وصفعوني فصرت بعد ذلك اعرف بلص الحمام فسكنت نفسى .قال ابو حامد .فهكذا كانوا يروضون انفسهم حتى يخلصهم الله من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس وأرباب الاحوال ربما عالجوا

أنفسهم بما لا يفتى به الفقيه مهما رأوا صلاح قلوبهم ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير كما فعل هذا فى الحمام . قلت سبحان من اخرج ابا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الاحياء فليته لم يحك فيه مثل هذا الذى لا يحل : والعجب منه انه يحكيه ويستحسنه ويسمي أصحابه ارباب احوال وأى حالة اقبح واشد من حال من يخالف الشرع ويرى المصلحة في النهى عنه وكيف يجوز ان يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصى . وقد عدم فى الشريعة ما يصلح به قلبه حتى يستعمل ما لا يحل فيها وهذا من جنس ما تفعله الامراء الجهلة من قطع من لا يجب قطعه وقتل من لا يجوز قتله ويسمونه سياسة ومضمون ذلك ان الشريعة ما تفى بالسياسة . وكيف يحل للمسلم ان يعرض نفسه لأن يقال عنه سارق وهل يجوز ان يقصد وهن دينه ومحو ذلك عنـد شهداء الله فى الارض ولو ان رجلا وقف مع امرأته في طريق يكلمها ويلمسها ليقول عنه من لا يعلم هذا فاسق لكان عاصياً بذلك: ثم كيف يجوز التصرف فى مال الغير بغير اذنه . ثم فى نص مذهب احمد والشافعي ان من سرق من الحمام ثياباً عليها حافظ وجب قطع يده ثم من ارباب الاحوال حتي يعملوا بواقعاتهم كلا والله ان لنا شريعة لو رام ابو بكر الصديق ان يخرج عنها الى العمل برأيه لم يقبل منـه . فعجبي من هـذا الفقيه المستلب عن الفقه بالتصوف اكثر من تعجبى من هذا المستلب الثياب *

اخبرنا ابو بكر بن حبيب نا ابو سعد بن ابى صادق نا ابن باكويه قال : سمعت محمد بن احمد النجار يقول . كان على بن بابويه من الصوفية فاشترى يوما من الايام قطعة لحم فأحب ان يحمـله الى البيت فاستحيا من اهـل السوق فعلق اللحم فى عنقه وحمله الي بيته *

قلت واعجبا من قوم طالبوا انفسهم بمحو أثر الطبع وذلك أمر لا يمكن ولا هو مراد الشرع . وقد ركز فى الطباع ان الانسان لا يحب أن يرى الا متجملا فى ثيابه وانه يستحيي من العرى وكشف الرأس . والشرع لا ينكر عليه هذا . وما فعله هذا الرجل من الاهانة لنفسه بين الناس أمر قبيح فى الشرع والعقل فهو اسقاط مروءة لا رياضة كما لو حمل نعليه على رأسه *

وقد جاء فى الحديث « الأكل في السوق دناءة » فان الله قد أكرم الآدمى وجعل لكثير من الناس من يخدمه . فليس من الدين اذلال الرجل نفسه بين الناس . وقد تسمى قوم من الصوفية بالملامتية فاقتحموا الذنوب فقالوا مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من آفات الجاه والمرائين . وهؤلاء مثلهم كمثل رجل زنى بامرأة فأحبلها. فقيل له : لم لاتعزل . فقال بلغني أن العزل مكروه . فقيل له : وما بلغك أن الزنا حرام. وهؤلاء الجهلة قد اسقطوا جاههم عند الله سبحانه ونسوا أن المسلمين شهداء الله فى الارض * أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت أبا احمد الصغير سمعت أبا عبد الله بن خفيف سمعت أبا الحسن المديني . يقول خرجت مرة من بغداد الى نهر الناشرية وكان فى احدى قرى ذلك النهر رجل يميل الى أصحابنا . فبينا أنا أمشى على شاطىء النهر رأيت مرقعة مطروحة ونعلا وخريقة فجمعتها وقلت هذه لفقير . ومشيت قليلا فسمعت همهمة وتخبيطا فى الماء . فنظرت فاذا بأبى الحسن النورى قد القى نفسه في الماء والطين وهو يتخبط ويعمل بنفسه كل بلاء ، فلما رأيته علمت أن الثياب له فنزلت اليه فنظر الي ، وقال ياأبا الحسن ، أما ترى مايعمل بى . قد أماتنى موتات . وقال لي مالك منا الا الذكر الذي لسائر الناس . وأخذ يبكى ويقول . ترى ما يفعل بى . فما زلت أرفق به حتى غسلته من الطين وألبسته المرقعة وحملته الى دار ذلك الرجل . فأقمنا عنده الى العصر ثم خرجنا الى المسجد فلما كان وقت المغرب رأيت الناس يهربون ويغلقون الأبواب ويصعدون السطوح فسألناهم فقالوا : السباع تدخل القرية بالليل . وكان حوالى القرية أجمة عظيمة وقد قطع منها القصب وبقيت أصوله كالسكاكين . فلما سمع النورى هذا الحديث قام فرمى بنفسه فى الاجمة على أصول القصب المقطوع ويصيح ويقول . أين أنت ياسبع . فما شككنا أن الاسد قد افترسه أو قد هلك فى اصول القصب . فلما كان قريب الصبح . جاء فطرح نفسه وقد هلكت رجلاه فأخذنا بالمنقاش ما قدرنا عليه فبقى أربعين يوماً لايمشي على رجليه . فسألته أي شيء كان ذلك الحال . قال : لما ذكروا السبع وجدت في نفسي فزعاً فقلت لأطرحنك الى ماتفزعين منه *

قلت : لايخفى على عاقل تخبيط هذا الرجل قبل أن يقع فى الماء والطين . وكيف

يجوز للانسان أن يلقى نفسه فى ماء وطين وهل هـذا الافعل المجانين ؟ وأين الهيبة والتعظيم من قوله : ترى مايفعل بي وماوجه هذا الانبساط وينبغي أن تجف الالسن فى أفواهها هيبة . ثم ما الذى يريده غير الذكر . ولقد خرج عن الشريعة بخروجه الى السبع ومشيه على القصب المقطوع . وهل يجوز في الشرع أن يلقى الانسان نفسه الى سبع . أترى أراد منها أن يغير ماطبعت عليه من خوف السباع ليس هـذا في طوقها ولاطلبه الشرع منها . ولقد سمع هذا الرجل بعض أصحابه يقول مثل هـذا القول فأجابه بأجود جواب * أخبرنا محمد بن عبد الله بن حبيب نا على بن أبي صادق نا ابن باكويه نا يعقوب الحواط نا أبو احمد المغازي قال . رأيت النوري وقد جعل نفسه الى اسفل ورجليه الى فوق وهو يقول . من الخلق اوحشتنى ، ومن النفس والمال والدنيا افقرتنى . ويقول : مامعك الاعلم وذكر . قال فقلت له ان رضيت والا فانطح برأسك الحائط * اخبرنا محمد بن ابى القاسم انبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى نا سهل بن على الخشاب نا عبد الله بن على السراج قال سمعت ابا عمرو بن علوان يقول حمل ابو الحسين النورى ثلاثمائة دينار ثمن عقار بيع له : وجلس على قنطرة وجعل يرمي واحداً واحداً منها الى الماء ويقول . جئنى ـ تريدي ان تخدعيني منك بمثل هـذا . قال السراج . فقال بعض الناس لو انفقها فى سبيل الله كان خيراً له . فقلت . ان كانت تلك الدنانير تشغله عن الله طرفة عين كان الواجب ان يرميها في الماء دفعة واحدة حتى يكون اسرع لخلاصه من فتنتها كما قال الله عز وجل (فطفق مسحاً بالسوق والاعناق) . قلت : لقد ابان هؤلاء القوم عن جهل بالشرع وعدم عقل . وقد بينا فيما تقدم ان الشرع امر بحفظ المال وان لايسلم الا الى رشيد ، وجعله قواما للآدمي . والعقل يشهد بأنه انما خلق للمصالح : فاذا رمى به الانسان فقد افسد ماهو سبب صلاحه وجهل حكمة الواضع ، واعتذار السراج له اقبح من فعله . لأنه ان كان خاف فتنته فينبغي ان يرميه الى فقير ويتخلص. ومن جهل هؤلاء حملهم تفسير القرآن على رأيهم الفاسد لانه يحتج بمسح السوق والاعناق . ويظن بذلك جواز الفساد والفساد لايجوز في شريعة ، وانما مسح بيده عليها وقال انت في سبيل الله وقد سبق بيان هـذا ، وقال ابو نصر السراج فى كتاب اللمع قال ابو جعفر الدراج ،

خرج أستاذى يوما يتطهر فأخذت كتفه ففتشته فوجدت فيه شيئا من الفضة مقدار أربعة دراهم وكان ليلا وبات لم يأكل شيئا . فلما رجع قلت له ، فى كتفك كذا وكذا درهما ونحن جياع ، فقال أخذته ؟ رده ، ثم قال لى بعد ذلك : خذه واشتر به شيئا ، فقلت له ، بحق معبودك ما أمر هذه القطع ، فقال ، لم يرزقني الله من الدنيا شيئا غيرها فأردت أن أوصى أن تدفن معى فاذا كان يوم القيامة رددتها الى الله وأقول هذا الذى أعطيتنى من الدنيا * أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه ثنا عبد الواحد بن بكر قال سمعت أبا بكر الجوال سمعت أبا عبد الله الحصرى يقول ، مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار وينفقه على الفقراء ويصوم ويخرج بين العشائين فيتصدق من الابواب مايفطر عليه *

قال المصنف رحمه الله قلت : لو علم هذا الرجل أن المسألة لا تجوز لمن يقدر على الاكتساب لم يفعل . ولو قدرنا جوازها . فأين أنفة النفس من ذل الطلب * أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على التميمى نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد بن حنبل ثنى أبى ثنا إسماعيل ثنا معمر عن عبد الله بن مسلم أخي الزهري عن حمزة ابن عبد الله بن عمر عن أبيه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله عز وجل وما على وجهه مزعة لحم . قال احمد وحدثنا حفص بن غياث عن هشام عن أبيه عن الزبير بن العوام قال . قال رسول الله ﷺ لأن يأخذ الرجل حبلا فيحتطب ثم يجيء فيضعه فى السوق فيبيعه ثم يستغنى به فينفقه على نفسه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه *

قلت : انفرد به البخارى واتفقا على الذى قبله . وفى حديث عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ أنه قال . لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى — والمرة — القوة . وأصلها من شدة فتل الحبل يقال أمررت الحبل اذا أحكمت فتله . فمعنى المرة فى الحديث شدة أمر الخلق وصحة البدن التى يكون معها احتمال الكل والتعب . قال الشافعي رضى الله عنه : لا تحل الصدقة لمن يجد قوة يقدر بها على الكسب * أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر بن ثابت أنبأنا أبو سعد المالينى قال سمعت أبا بكر محمد بن عبد الواحد الهاشمي سمعت أبا الحسن يونس بن أبى بكر الشبلى يقول

قام أبي ليلة فترك فرد رجل على السطح والاخرى على الدار. فسمعته يقول لئن أطرفت لأرمين بك الى الدار فما زال على تلك الحال حتى أصبح فلما أصبح قال لى . يابنى ماسمعت الليلة ذا كراً لله عز وجل إلا ديكا يساوى دانقين *

قال المصنف رحمه الله، هذا الرجل قد جمع بين شيئين لا يجوزان : أحدهما مخاطرته بنفسه فلو غلبه النوم فوقع كان معيناً على نفسه ولا شك انه لو رمى بنفسه كان قد أتى معصية عظيمة فتعرضه للوقوع معصية . والثانى . انه منع عينه حظها من النوم. وقد قال ﷺ ان لجسدك عليك حقاً وان لزوجتك عليك حقاً . وان لعينك عليك حقاً . وقال . اذا نعس أحدكم فليرقد . ومر بحبل قد مدته زينب فاذا فترت أمسكت به فأمر بحله . وقال ليصل أحدكم نشاطه فاذا كسل أو فتر فليقعد وقد تقدمت هذه الاحاديث فى كتابنا هذا * أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو عبد الله الحميدى نا أبو بكر الاردستانى ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا العباس البغدادى يقول . كنا نصحب أبا الحسن بن أبى بكر الشبلى ونحن احداث . فأضافنا ليلة فقلنا بشرط ان لا تدخل علينا أباك . فقال لا يدخل . فدخلنا داره فلما أكلنا اذا نحن بالشبلى و بين كل أصبعين من أصابعه شمعة — ثمان شموع — فجاء وقعد وسطنا فاحتشمنا منه . فقال ياسادة عدونى فيما بينكم طشت شموع . ثم قال أين غلامى أبو العباس فتقدم اليه فقال غننى الصوت الذى كنت تغنى

ولما بلغ الحيرة حادي جملى حارا
فقلت احطط بها رحلى ولا تحفل بمن سارا (١)

فغنيته فتغير وألقى الشموع من يده وخرج * أخبرنا ابن ناصر ثنا هبة الله بن عبد الله الواسطى نا أبو بكر احمد بن على الحافظ نا محمد بن احمد بن أبى الفوارس نا الحسين أبن احمد بن عبد الرحمن الصفار قال خرج الشبلى يوم عيد وقد حلق اشفار عينيه وحاجبيه وتعصب بعصابة وهو يقول

للناس فطر وعيد انى فريد وحيد

(١) كذا في النسخة وسقطت هذه الحكاية وما بعدها في النسخة الثانية

أخـبرنا عبـد الرحمن بن محمـد نا احمـد بن على بن ثابت نا التنوخي ثنا أبو الحسن علي بن محمد بن أبي صابر الدلال . قال . وقفت على الشبلي فى قبة الشعراء فى جامع المنصور والناس مجتمعون عليه فوقف عليه فى الحلقة غلام جميل لم يكن ببغداد فى ذلك الوقت أحسن وجهاً منه يعرف بابن مسلم . فقال له ، تنح فلم يبرح فقال له الثانية تنح يا شيطان عنا فلم يبرح فقال له فى الثالثـة تنح والا والله خرقت كل ما عليك وكانت عليـه ثياب فى غاية الحسن تساوى جملة كثيرة فانصرف الفتى فقال الشبلى

طرحوا اللحم للبزا ة على ذروتى عدن
ثم لاموا البزاة إذ خلعوا منهم الرسن
لو أرادوا صـلاحنا ستروا وجهك الحسن

قال ابن عقيل من قال هذا فقد أخطأ طريق الشرع . لانه يقول ما خلق الله عز وجل هذا الانسان إلا للافتتان به . وليس كذلك وانما خلقه للاعتبار والامتحان فان الشمس خلقت لتضيء لا لتعبد * وباسناد عن احمد بن محمد النهاوندي يقول مات للشبلى ابن ولد كان اسمه علياً فجزّت أمه شعرها عليه ، وكان للشبلى لحية كبيرة فأمر بحلقها جميعها ، فقيل له ، ياأستاذ ما حملك على هذا ، فقال ، جزت هذه شـعرها على مفقود ، ألا أحلق أنا لحيتى على موجود * وباسناد عن عبد الله بن على السراج قال ، ربمـا كان الشبلى يلبس ثياباً مثمنة ثم ينزعها و يضعها فوق النار ، قال ، وذكر عنه أنه أخذ قطعة عنبر فوضعها على النار يبخر بها ذنب الحمار ، وقال بعضهم ، دخلت عليه فرأيت بين يديه اللوز والسكر يحرقه بالنار ، قال السراج ، إنما أحرقه بالنار لانه كان يشغله عن ذكر الله ، قلت ، اعتذار السراج عنه أعجب من فعله ، قال السراج وحكى عنه أنه باع عقاراً ففرق ثمنه وكان له عيال فلم يدفع اليهم شيئاً ، وسمع قارئاً يقرأ « اخسئوا فيها » ، فقال ليتنى كنت واحداً منهم ، قلت وهذا الرجل ظن ان الذى يكلمهم هو الله تعالى والله لا يكلمهم ثم لو كلمهم كلام إهانة فأى شيء هذا حتى يطلب ، قال السراج ، وقال الشبلى يوماً فى مجلسه إن لله عباداً لو بزقوا على جهنم لأطفؤها ، قلت ، وهذا من جنس ما ذكرناه عن أبى يزيد وكلاهما من إناء واحد * وباسـناد

عن أبي على الدقاق يقول ، بلغني ان الشبلي اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم *

قال المصنف رحمه الله ، وهذا فعل قبيح لا يحل لمسلم أن يؤذى نفسه وهو سبب للعمى ولا تجوز إدامة السهر لان فيه إسقاط حق النفس والظاهر أن دوام السهر والتقلل من الطعام أخرجه الى هذه الاحوال والافعال * وباسناد عن أبي عبد الله الرازى قال ، كسانى رجل صوفاً فرأيت على رأس الشبلي قلنوسة تليق بذلك الصوف فتمنيتها فى نفسي ، فلما قام الشبلي من مجلسه التفت إليّ فتبعته ، وكان عادته اذا أراد أن أتبعه يلتفت إليّ فلما دخل داره فقال انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح القلنوسة عليه ودعى بنار فأحرقهما ، قلت ، وقد حكى أبو حامد الغزالى أن الشبلي أخذ خمسين ديناراً فرماها فى دجلة وقال ، ما أعزك احد الا أذله الله ، وأنا أتعجب من أبي حامد أكثر من تعجبي من الشبلي لانه ذكر ذلك على وجه المدح لا على وجه الانكار فأين أثر الفقه * وباسناد عن حسين بن عبد الله القزويني قال * حدثنى من كان مجالساً لبنان انه قال تعذر علي قوتى يوما ولحقنى ضرورة فرأيت قطعة ذهب مطرحة فى الطريق فأردت أخذها فقلت لقطة فتركتها ، ثم ذكرت الحديث الذى يروى « لو ان الدنيا كانت دماً عبيطاً لكان قوت المسلم منها حلالا » فأخذتها وتركتها فى فمي ومشيت غير بعيد فاذا انا بحلقة فيها صبيان وأحدهم يتكلم عليهم ، فقال له واحد ، متى يجد العبد حقيقة الصدق ، فقال إذا رمي القطعة من الشدق فأخرجتها من فمي ورميتها *

قال المصنف رحمه الله : لا تختلف الفقهاء ان رميه إياها لا يجوز ، والعجب انه رماها بقول صبى لا يدرى ما قال ، وقد حكى ابو حامد الغزالى ، ان شقيقا البلخي جاء إلى أبي القاسم الزاهد وفى طرف كسائه شيء مصرور فقال له اى شيء معك قال لوزات دفعها إلى أخ لى وقال احب ان تفطر عليها فقال ياشقيق وانت تحدث نفسك ان تبقى إلى الليل لا كلمتك ابداً فاغلق الباب فى وجهي ودخل *

قال المصنف رحمه الله : انظروا الى هذا الفقه الدقيق كيف هجر مسلماً على فعل جائز بل مندوب لان الانسان مأمور ان يستعد لنفسه بما يفطر عليه واستعداد الشيء

قبل مجيء وقته حزم ولذلك قال الله عز وجل (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وقد ادخر رسول الله ﷺ لازواجه قوت سنة وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله وادخر الباقى ولم ينكر عليه فالجهل بالعلم افسد هؤلاء الزهاد * وباسناد عن احمد بن إسحاق العماني قال رأيت بالهند شيخا وكان يعرف بالصابر قد أتى عليه مائة سنة قد غمض احدى عينيه فقلت له ياصابر ما بلغ من صبرك قال إنى هويت النظر الى زينة الدنيا فلم أحب ان اشتفى منها فغمضت عينى منذ ثمانين سنة فلم أفتحها ، وقد حكى لنا عن آخر ، انه قير احد عينيه وقال النظر إلى الدنيا بعينين اسراف قلت كان قصده ان ينظر الى الدنيا بفرد عين ونحن نسأل الله سلامة العقول*وقد حكى يوسف بن أيوب الهمدانى عن شيخه عبد الله الجونى انه كان يقول هذه الدولة ما اخرجتها من المحراب بل من موضع الخلاء وقال كنت اخدم فى الخلاء فبينما أنا يوما اكنسه وانظفه قالت لى نفسى اذهبت عمرك فى هذا فقلت انت تأنفين من خدمة عباد الله فوسعت رأس البئر ورميت نفسى فيها وجعلت ادخل النجاسة فى فمى ، فجاؤا واخرجونى وغسلونى قلت انظروا الى هذا المسكين كيف اعتقد جمع الاصحاب خلفه دولة واعتقد ان تلك الدولة انما حصلت بالقاء نفسه فى النجاسة وادخالها فى فيه وقد نال بذلك فضيلة اثيب عليها بكثرة الاصحاب وهذا الذى فعله معصية توجب العقوبة ، وفى الجملة لما فقد هؤلاء العلم كثر تخبيطهم * وباسناد عن محمد بن علي الكتانى يقول دخل الحسين ابن منصور مكة في ابتداء امره فجهدنا حتى اخذنا مرقعته قال السوسى اخذنا منها قملة فوزناها فاذا فيها نصف دانق من كثرة رياضته وشدة مجاهدته قلت انظروا الى هذا الجاهل بالنظافة التى حث عليها الشرع واباح حلق الشعر المحظور على المحرم لاجل تأذيه من القمل وجبر الحظر بالفدية واجهل من هذا من اعتقد هذا رياضته*

و باسناد عن ابي عبد الله بن مفلح يقول كان عندنا فقير صوفى في الجامع فجاع مرة جوعا شديداً فقال يارب إما ان تطعمنى و إما ان ترمينى بشرف المسجد ، فجاء غراب فجلس على الشرف فوقعت عليه من تحت رجله آجرة فجرى دمه وكان يمسح الدم ، ويقول ، إيش تبالى بقتل العالم ، قلت ، قتل الله هذا ولا أحياه فى

مقابلته هـذا الاستنباط ، هلا قام الى الكسب أو الى الكدية * وباسناد عن غلام خليل ، قال ، رأيت فقيراً يعدو ويلتفت ويقول ، أشهدكم على الله هو ذا يقتلنى ، وسقط ميتاً *

﴿ فصل ﴾ وفى الصوفية قوم يسمون الملامتية اقتحموا الذنوب وقالوا مقصودنا ان نسقط من أعين الناس فنسلم من الجاه وهؤلاء قد أسقطوا جاههم عند الله لمخالفة الشرع قال وفى القوم طائفة يظهرون من أنفسهم أقبح ما هم فيه ويكتمون أحسن ما هم عليه وفعلهم هذا من أقبح الأشياء ولقد قال رسول الله ﷺ من أتى شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله . وقال فى حق ماعز هلا سترته بثوبك يا هذا واجتاز على رسول الله ﷺ بعض الصحابة وهو يتكلم مع صفية زوجته فقال له انها صفية وقد علم الناس التجافى عن ما يوجب سوء الظن فان المؤمنين شهداء الله فى الارض وخرج حذيفة الى الجمعة ففاتته فرأى الناس وهم راجعون فاستتر لئلا يسوء ظن الناس به وقد قدمنا هذه * وقال أبو بكر الصديق لرجل قال له انى لمست امرأة وقبلتها . فقال . تب الى الله ولا تحدث أحداً بذلك وجاء رجل الى النبي ﷺ وقال انى اتيت من أجنبيـة ما دون الزنا يا رسول الله قال . ألم تصل معنا قال بلى يا رسول الله قال ألم تعلم أن الصلاتين تكفر ما بينهما وقال رجل لبعض الصحابة انى فعلت كذا وكذا من الذنوب فقال لقد ستر الله عليك لو سترت على نفسك ، فهؤلاء قد خالفوا الشريعة وأرادوا قطع ماجبلت عليه النفوس *

﴿ فصل ﴾ وقد اندس فى الصوفية أهل الاباحة فتشبهوا بهم حفظاً لدمائهم وهم ينقسمون الى ثلاثة أقسام ، القسم الاول كفار فمنهم قوم لا يقرون بالله سبحانه وتعالى ومنهم من يقر به ولكن يجحد النبوة ويرى أن ما جاء به الانبياء محال وهؤلاء لما أرادوا أمراح أنفسهم فى شهواتها لم يجدوا شيئا يحقنون به دماءهم ويستترون به وينالون فيه أغراض النفوس ، كمذهب التصوف فدخلوا فيه ظاهراً وهم فى الباطن كفرة وليس لهؤلاء الا السيف لعنهم الله ، والقسم الثانى قوم يقرون بالاسلام الا أنهم ينقسمون قسمين ، القسم الاول يقلدون فى أفعالهم لشيوخهم من غير اتباع دليل ولا شبهة فهم يفعلون مايأمرونهم به وما رأوهم عليـه ، القسم الثالث قوم عرضت لهم

شبهات فعملوا بمقتضاها * والاصل الذى نشأت منه شبهاتهم أنهم لما هموا بالنظر فى مذاهب الناس لبس عليهم ابليس فأراهم أن الشبهة تعارض الحجج وأن التمييز يعسر وأن المقصود أجل من ان ينال بالعلم وانما الظفر به رزق يساق الى العبد لا بالطلب فسد عليهم باب النجاة الذى هو طلب العلم فصاروا يبغضون اسم العلم كما يبغض الرافضى اسم أبى بكر وعمر و يقولون العلم حجاب والعلماء محجوبون عن المقصود بالعلم فان انكر عليهم عالم قالوا لاتباعهم هذا موافق لنا فى الباطن وانما يظهر ضد ما نحن فيه للعوام الضعاف العقول فان جد فى خلافهم قالوا ، هذا أبله مقيد بقيود الشريعة محجوب عن المقصود ، ثم عملوا على شبهات وقعت لهم ولو فطنوا لعلموا أن عملهم بمقتضى شبهاتهم علم ، فقد بطل إنكارهم العلم ، وأنا أذكر شبهاتهم وأكشفها ان شاء الله تعالى وهى ست شبهات *

الشبهة الاولى — أنهم قالوا اذا كانت الامور مقدرة فى القدم وأن أقواما خصوا بالسعادة ، وأقواما بالشقاوة ، والسعيد لا يشقى ، والشقى لا يسعد ، والاعمال لا تراد لذاتها بل لاجتلاب السعادة ودفع الشقاوة ، وقد سبقنا وجود الاعمال فلا وجه لاتعاب النفس فى عمل ولا نكفها عن ملذوذ لان المكتوب فى القدر واقع لامحالة *

والجواب عن هذه الشبهة ، أن يقال لهم هذا رد لجميع الشرائع وابطال لجميع احكام الكتب وتبكيت للانبياء كلهم فيما جاءوا به لانه اذا قال فى القرآن ان أقيموا الصلاة قال القائل لماذا ان كنت سعيداً فمصيرى الى السعادة وان كنت شقيا فمصيرى الى الشقاوة فما تنفعنى اقامة الصلاة وكذلك اذا قال ولا تقربوا الزنا يقول القائل لماذا أمنع نفسى ملذوذها والسعادة والشقاوة مقضيتان قد فرغ منهما ، وكان لفرعون ان يقول لموسى حين قال له (هل لك الى ان تزكى) مثل هذا الكلام ثم يترقى الى الخالق فيقول ، ما فائدة ارسالك الرسل وسيجرى ما قدرته ، وما يفضي الى رد الكتب وتجهيل الرسل محال باطل ، ولهذا كان رد الرسول ﷺ على اصحابه حين قالوا الا نتكل ، فقال (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) واعلم ان للآدمى كسباً هو اختياره فعليه يقع الثواب والعقاب فاذا خالف تبين لنا ان الله عز وجل

قضى فى السابق بأن يخالفه وانما يعاقبه على خلافه لا على قضائه ، ولهذا يقتل القاتل ولا يعتذر له بالقدر ، وانمــا ردهم الرسول عن ملاحظة القدر الى العمــل لأن الامر والنهى حال ظاهر والمقدر من ذلك امر باطن وليس لنا ان نترك ما عرفناه من تكاليف ما لا نعــلمه من المقضى ، وقوله « فــكل ميسر لمــا خلق له » اشارة الى اســباب القدر ، فانه من قضى له بالعلم يسر له طلبه ، وحبه ، وفهمه ، ومن حكم له بالجهل نزع حب العلم من قلبه ، وكذلك من قضى له بولد يسر له النــكاح ، ومن لم يقض له بولد لم ييسر له *

الشبهة الثانية انهم قالوا ان الله عز وجل مستغن عن أعمالنا غير متأثر بها معصية كانت أو طاعة فلا ينبغى ان نتعب انفسنا فى غير فائدة *

وجواب هذه الشبهة أن نجيب اولا بالجواب الاول ونقول هذا رد على الشرع فيما امر به فــكأنا قلنا للرسول وللمرسل لافائدة فيما امرتنا به ثم نتكلم عن الشبهة فنقول من يتوهم أن الله جــل وعلا ينتفع بطاعة او يتضرر بمعصية أو ينال بذلك غرضاً فما عرف الله جل جلاله لانه مقدس عن الاعراض والاغراض ومن انتفاع او ضرر وانما نفع الاعمــال تعود على انفسنا كما قال عز وجل (ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه) وانما يأمر الطبيب المريض بالحميــة لمصلحة المريض لا لمصلحة الطبيب وكما ان للبدن مصالح من الاغذية ومضار فللنفس مصالح من العلم والجهــل والاعتقاد والعمــل فالشرع كالطبيب فهو اعرف بما يأمر به من المصالح ، هذا مذهب من علل واكثر العلمــاء قالوا افعاله لا تعلل ، وجواب آخر ، وهو انه اذا كان غنيا عن اعمــالنا كان غنيا عن معرفتنا له وقد اوجب علينا معرفته ، فــكذلك أوجب طاعته ، فينبغى ان ننظر الى امره لا الى الغرض بأمره (١) *

الشبهة الثالثة ، قالوا قد ثبت سعة رحمة الله سبحانه وتعالى وهى لا تعجز عنا فلا وجه لحرمان نفوسنا مرادها *

(١) الجواب الاخير لم يرد فى النسخة الثانية

فالجواب كالجواب الاول ، لان هذا القول يتضمن اطراح ماجاء به الرسل من الوعيد وتهوين ماشددت فى التحذير منه فى ذلك و بالغت فى ذكر عقابه ومما يكشف التلبيس فى هـذا ان الله عز وجل كما وصف نفسه بالرحمـة وصفها بشديد العقاب ونحن نرى الاولياء والانبياء يبتلون بالامراض والجوع و يؤاخذون بالزلل وكيف وقد خافه من قطع له بالنجاة ، فالخليل يقول يوم القيامة نفسي نفسى ، والكليم يقول نفسى نفسى ، وهذا عمر رضى الله عنه يقول الويل لعمران لم يغفر له واعلم أن من رجا الرحمة تعرض لاسبابها فمن أسبابها التوبة من الزلل كما ان من رجا أن يحصد زرع ، وقد قال الله عز وجل ، (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله) يعنى أن الرجاء بهؤلاء يليق وأما المصرون على الذنوب وهم يرجون الرحمة فرجاؤهم بعيد ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني » وقد قال معروف الكرخي رجاؤك لرحمة من لا تطيعه خذلان وحمق • واعلم أنه ليس فى الافعال التى تصدر من الحق سبحانه وتعالى ما يوجب أن يؤمن عقابه انما فى افعاله ما يمنع اليأس من رحمته وكما لايحسن اليأس لما يظهر من لطفه فى خلقه لايحسن الطمع لما يبدو من اخذانه وانتقامه فان من قطع اشرف عضو بربع دينار لايؤمن ان يكون عقابه غداً هكذا *

﴿ الشبهة الرابعة ﴾ ان قوما منهم وقع لهم ان المراد رياضة النفوس لتخلص من اكدارها المردية فلما راضوها مدة ورأوا تعـذر الصفاء قالوا مالنا نتعب انفسنا فى امر لا يحصل لبشر فتركوا العمل • وكشف هـذا التلبيس انهم ظنوا ان المراد قمع مافى البواطن من الصفات البشرية مثل قمع الشهوة والغضب وغير ذلك ، وليس هذا مراد الشرع ولايتصور ازالة مافى الطبع بالرياضة وانما خلقت الشهوات لفائدة إذ لولا شهوة الطعام هلك الانسان ، ولولا شهوة النكاح انقطع النسل ، ولولا الغضب لم يدفع الانسان عن نفسه ما يؤذيه وكذلك حب المال مركوز فى الطباع لانه يوصل الى الشهوات ، وانما المراد من الرياضة كف النفس عما يؤذى من جميع ذلك وردها الى الاعتدال فيه ، وقد مدح الله عز وجل من نهى النفس عن الهوى وانما تنتهى عما تطلبه ولو كان طلبه قد زال عن طبعها ما احتاج الانسان الى نهيها ، وقد قال الله

عز وجل (والكاظمين الغيظ) وما قال والفاقدين الغيظ ، والكظم ، رد الغيظ يقال كظم البعير على جرته اذا ردها فى حلقه فمدح من رد النفس عن العمل بمقتضى هيجان الغيظ فمن ادعى أن الرياضة تغير الطباع ادعى المحال وانما المقصود بالرياضة كسر شرة شهوة النفس والغضب لا إزالة أصلها والمرتاض كالطبيب العاقل عند حضور الطعام يتناول ما يصلحه ويكف عما يؤذيه وعادم الرياضة كالصبي الجاهل يأكل ما يشتهى ولا يبالى بما جنى *

﴿الشبهة الخامسة﴾ ان قوماً منهم داموا على الرياضة مدة فرأوا أنهم قد تجوهروا فقالوا لا نبالى الآن ما عملنا وانما الاوامر والنواهي رسوم للعوام ولو تجوهروا لسقطت عنهم قالوا وحاصل النبوة ترجع الى الحكمة والمصلحة والمراد منها ضبط العوام ولسنا من العوام فندخل فى حجر التكليف لانا قد تجوهرنا وعرفنا الحكمة وهؤلاء قد رأوا ان من أثر جوهرهم ارتفاع الحمية عنهم حتى انهم قالوا لن رتبة الكمال لا تحصل الا لمن رأى أهله مع أجنبي فلم يقشعر جلده فان اقشعر جلده فهو ملتفت الى حظ نفسه ولم يكمل بعد إذ لو كمل لماتت نفسه فسموا الغيرة نفساً وسموا ذهاب الحمية الذى هو وصف المخانيث كمال الايمان* وقد ذكر ابن جرير فى تاريخه ان الريوندية كانوا يستحلون الحرمات فيدعو الرجل منهم الجماعة الى بيته فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته*

وكشف هذه الشبهة انه مادامت الاشباح قائمة فلا سبيل الى ترك الرسوم الظاهرة من التعبد فان هذه الرسوم وضعت لمصالح الناس ، وقد يغلب صفاء القلب على كدر الطبع إلا أن الكدر يرسب مع الدوام على الخير ويركد فأقل شيء يحركه كالمدرة تقع في الماء الذى تحته حمأة وما مثل هذا الطبع الا كالماء يجرى بسفينة النفس والعقل مداد ولو أن المداد مد عشرين فرسخاً ثم أهمل عادت السفينة تنحدر ومن ادعى تغيرطبعه كذب ومن قال انى لا أنظر الى المستحسنات بشهوة لم يصدق ، كيف وهؤلاء لو فاتهم لقمة أو شتمهم شاتم تغيروا فأين تأثير العقل والهوى يقودهم ، وقد رأينا أقواماً منهم يصافحون النساء وقد كان رسول الله ﷺ وهو المعصوم لا يصافح المرأة وبلغنا عن جماعة منهم أنهم يؤاخون النساء ويخلون بهن ثم يدعون السلامة وقد رأوا أنهم يسلمون من الفاحشة وهيهات فأين السلامة من إثم الخلوة المحرمة والنظر الممنوع منه

وأين الخلاص من جولان الفكر الرديء ، وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لو خلا عظمان نخران لهم أحدهما بالآخر ، يشير الى الشيخ والعجوز * وباسناد عن ابن شاهين قال ومن الصوفيـة قوماً أباحوا الفروج بادعاء الاخوة فيقول أحـدهم للمرأة تؤاخيني على ترك الاعتراض فيما بيننا قلت وقد روى لنا ابو عبد الله محمد بن على الترمذى الحكيم فى كتاب رياضة النفوس قال روى لنا ان سهل بن علي المروزى كان يقول لامرأة اخيه وهي معه في الدار استترى منى زماناً ثم قال لها كونى كيف شئت قال الترمذى ، وكان ذلك منه حين وجد شهوته قلت ، أماموت الشهوة هذا لا يتصور مع حياة الآدمي وانما يضعف والانسان قد يضعف عن الجماع ولكنه يشتهي اللمس والنظر ، ثم يقدر أن جميع ذلك ارتفع عنه أليس نهى الشرع عن النظر والنظر باق وهو عام وقد أخبرنا ابن ناصر باسناد عن أبي عبد الرحمن السلمي قال قيل لابى نصر النصراباذى ان بعض الناس يجالس النسوان ويقول أنا معصوم فى رؤيتهن فقال ما دامت الاشباح قائمة فان الأمر والنهى باق والتحليل والتحريم مخاطب به وان يجترئ على الشبهات إلا من يتعرض للمحرمات وقد قال ابو علي الروزبارى وسئل عمن يقول وصلت الى درجة لا تؤثر في اختلاف الأحوال فقال قد وصل ولكن الى سقر * وباسناد عن الجريرى يقول سمعت ابا القسم الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل اهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقرب الى الله عز وجل فقال الجنيد ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهـذه عندى عظيمة والذى يسرق ويزنى احسن حالا من الذى يقول هـذا ، وان العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله واليه رجعوا فيها ، ولو بقيت الف عام لم انقص من أعمال البر ذرة إلا ان يحال بى دونها لانه أوكد في معرفتي به واقوى في حالى * وباسناد عن ابى محمد المرتعش يقول سمعت ابا الحسين النوري يقول من رأيته يدعي مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم شرعي فلا تقربنه ومن رأيته يدعي حالة باطنة لا يدل عليها ويشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه *

﴿الشبهة السادسة﴾ ان أقواماً بالغوا في الرياضة فرأوا ما يشبه نوع كرامات اومنامات صالحة أو فتح عليهم كلمات لطيفة اثمرها الفكر والخلوة فاعتقدوا انهم قد وصلوا الى

المقصود وقد وصلنا فما يضرنا شيء ومن وصل الى الكعبة انقطع عن السير فتركوا الأعمال الا أنهم يزينون ظواهرهم بالمرقعة والسجادة والرقص والوجد ويتكلمون بعبارات الصوفية في المعرفة والوجد والشوق وجوابهم هو جواب الذين قبلهم *

قال ابن عقيل اعلم أن الناس شردوا على الله عز وجل و بعدوا عن وضع الشرع الى أوضاعهم المخترعة . فمنهم من عبد سواه تعظيما له عن العبادة وجعلوا تلك وسائل على زعمهم . ومنهم من وحد الا أنه أسقط العبادات وقال هذه أشياء نصبت للعوام لعدم المعارف وهذا نوع شرك لان الله عز وجل لما علم أن معرفته ذات قعر بعيد وجو عال و بعيد أن يتقى من لم يعرف خوف النار لأن الخلق قد عرفوا قدر لذعها وقال لأهل المعرفة «ويحذركم الله نفسه» وعلم أن المتعبدات أ كثرها تقتضى الانس بالامثال ووضع الجهات والامكنة والابنية والحجارة للانساك والاستقبال فابان عن حقائق الايمان به فقال . (وليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله) وقال (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) فعلم أن المعول على المقاصد ولا يكفى مجرد المعارف من غير امتثال كما تعول عليه الملحدة الباطنية وشطاح الصوفية *

وباسناد عن أبى القاسم بن على بن المحسن التنوخى عن أبيه . قال أخبرني جماعة من أهل العلم أن بشيراز رجلا يعرف بابن خفيف البغدادي شيخ الصوفية هناك يجتمعون اليه فيتكلم على الخطرات والوساوس ويحضر حلقته ألوف من الناس وأنه فاره فهم حاذق . فاستغوى الضعفاء من الناس الى هذا المذهب قال : فمات رجل منهم من أصحابه وخلف زوجة صوفية فاجتمع النساء الصوفيات وهن خلق كثير ولم يختلط بمأتمهن غيرهن . فلما فرغوا من دفنه دخل ابن خفيف وخواص أصحابه وهم عدد كثير الى الدار وأخذ يعزي المرأة بكلام الصوفية الى ان قالت قد تعزيت . فقال لها ههنا غير . فقالت لا غير قال فما معنى إلزام النفوس آفات الغموم ، وتعذيبها بعذاب الهموم، ولأى معني نترك الامتزاج لتلتقى الانوار، وتصفو الارواح ويقع الاخلافات

وتنزل البركات . قال فقلن النساء اذا شئت . قال فاختلط جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم فلما كان سحر خرجوا. قال المحسن. قوله ههنا غير أى ههنا غير موافق المذهب فقالت لا غير أي ليس مخالف وقوله نترك الامتزاج كناية عن الممازجة في الوطء وقوله لتلتقي الانوار عندهم أن في كل جسم نوراً الهيا . وقوله الاخلافات أي يكون لكنّ خلف ممن مات أو غاب من أزواجكن . قال المحسن وهذا عندي عظيم ولولا أن جماعة يخبروني يبعدون عن الكذب ما حكيته لعظمه عندى واستبعاد مثله أن يجري في دار الاسلام. قال . و بلغنى أن هذا ومثله شاع حتى بلغ عضد الدولة فقبض على جماعة منهم وضربهم بالسياط وشرد جموعهم فكفوا *

﴿ فصل ﴾ ولما قل علم الصوفية بالشرع فصدر منهم من الافعال والاقوال مالا يحل مثل ماقد ذكرنا ثم تشبه بهم من ليس منهم وتسمي باسمهم وصدر عنهم مثل ما قد حكينا وكان الصالح منهم نادراً ذمهم خلق من العلماء وعابوهم حتى عابهم مشائخهم *

وباسناد عن عبد الملك بن زياد النصيبي . قال: كنا عند مالك فذكرت له صوفيين في بلادنا . فقلت له : يلبسون فواخر ثياب اليمن و يفعلون كذا . قال و يحك ومسلمون هم . قال فضحك حتى استلقى . قال فقال لى بعض جلسائه : ياهذا ما رأينا أعظم فتنة على هذا الشيخ منك مارأيناه ضاحكا قط *

وباسناد عن يونس بن عبد الاعلى قال سمعت الشافعي يقول : لو أن رجلا تصوف أول النهار لا يأتى الظهر حتى يصير احمق . وعنه أيضاً أنه قال · مالزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد عقله اليه أبداً وأنشد الشافعي

ودعوا الذين اذا أتوك تنسكوا   واذا خلوا كانوا ذئاب حقاف

و باسناد عن أبى حاتم قال حدثنا احمد بن أبي الحوارى . قال قال أبو سليمان مارأيت صوفياً فيه خير الا واحداً عبد الله بن مرزوق . قال وأنا أرق لهم *

وباسناد عن يونس بن عبد الاعلى يقول . ما رأيت صوفيا عاقلا الا إدريس الخولانى . قال السلمى . هو مصري من قدماء مشايخهم قبل ذى النون *

وباسناد عن يونس بن عبد الاعلى : يقول صحبت الصوفية ثلاثين سنة مارأيت فيهم عاقلا الا مسلم الخواص * وباسناد عن احمد بن أبى الحوارى يقول حدثنا وكيع قال

سمعت سفيان يقول سمعت عاصما يقول : مازلنا نعرف الصوفيه بالحماق إلا أنهم يستترون بالحديث * و باسناد عن سفيان عن عاصم يقول : قال لى وكيع لم تركت حديث هشام . قلت صحبت قوماً من الصوفية وكنت بهم معجباً · فقالوا . ان لم تمح حديث هشام قاطعناك فأطعتهم : قال ان فيهم حمقاً * و باسناد عن يحيى بن يحيى قال الخوارج أحب إلي من الصوفية * وباسناد عن يحيى بن معاذ يقول اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلماء الغافلين ، والفقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين . وقد ذكرنا فى أول ردنا على الصوفية من هـذا الكتاب . ان الفقهاء بمصر أنكروا على ذى النون ما كان يتـكلم به و ببسطام علي أبي يزيد وأخرجوه ، وأخرجوا أبا سليمان الدارانى ، وهرب من أيديهم احمد بن أبي الحوارى وسهل التسترى . وذلك لأن السلف كانوا ينفرون من أدنى بدعة و يهجرون عليهـا تمسكا بالسنة وقد حدثني ابو الفتح بن السامرى . قال : جلس الفقهاء فى بعض الاربطة للعزاء بفقيه مات. فأقبل الشـيخ أبو الخطاب الـكلوذاني الفقيه متوكئاً علي يدي حتى وقف بباب الرباط وقال : يعز علىّ لو رآنى بعض أصحابنا ومشايخنا القدماء وانا أدخل هـذا الرباط . قلت : على هذا كان أشياخنا *.

فأما فى زماننا هذا فقد اصطلح الذئب والغنم . قال ابن عقيل . نقلته من خطه وأنا أذم الصوفية لوجوه يوجب الشرع ذم من فعلها . منها أنهم اتخذوا مناخ البطالة وهى الأربطة فانقطعوا اليها عن الجماعات فى المساجد فلا هي مساجد ولا بيوت ولا خانات وصمدوا فيها للبطالة عن أعمال المعاش و بدنوا أنفسهم بدن البهائم للأكل والشرب والرقص والغناء ، وعولوا على الترقيع المعتمد به التجنـيس تلميعاً والمشاوذ بألوان مخصوصـة أوقع فى نفوس العوام والنسوة من تلميع السقلاطون بألوان الحرير ، واستمالوا النسوة والمردان بتطشع الصور واللباس فما دخلوا بيتاً فيه نسوة فخرجوا الا عن فساد قلوب النسوة على ازواجهن ثم يقبلون الطعام والنفقات من الظلمة والفجار وغاصبي الأموال كالعـداد والاجناد وأرباب المـكوس ، و يستصحبون المردان فى السماعات يجلبونهـم فى الجموع مع ضوء الشموع ، و يخالطون النسوة الاجانب ينصبون لذلك حجة إلباسهن الخرقة ، و يستحلون بل يوجبون اقتسام ثياب من طرب فسقط ثوبه ،

ويسمون الطرب وجداً . والدعوة وقتاً . والغناء قولا . واقتسام ثياب الناس حكما .
ولا يخرجون عن بيت دعوا اليه الا عن إلزام دعوة أخرى يقولون انها وجبت واعتقاد
ذلك كفر وفعله فسوق . ويعتقدون أن الغناء بالقضبان قربة وقد سمعنا عنهم أن الدعاء
عند حدو الحادى وعند حضور المخدة مجاب اعتقاداً منهم انه قربة وهذا كفر أيضاً
لان من اعتقد المكروه والحرام قربة كان بهذا الاعتقاد كافراً والناس بين تحريمه
وكراهيته ويسلمون أنفسهم الى شيوخهم (١) فان عولوا الى مرتبة شيخه قيل الشيخ
لا يعترض عليه . فحد من حل رسن ذلك الشيخ وانحطاطه في سلك الاقوال المتضمنة
للكفر والضلال المسمى شطحا وفى الافعال المعلومة كونها فى الشريعة فسقاً . فان قبل
أمرداً قيل رحمة ، وان خلا بأجنبية قيل بنته وقد لبست الخرقة ، وان قسم ثوباً على
غير أربابه من غير رضا مالكه قيل حكم الخرقة . وليس لنا شيخ نسلم اليه حاله
إذ ليس لنا شيخ غير داخل فى التكليف وان المجانين والصبيان يضرب على أيديهم
وكذلك البهائم والضرب بدل من الخطاب ولو كان لنا شيخ يسلم اليه حاله لكان ذلك
الشيخ أبا بكر الصديق رضي الله عنه . وقد قال ان اعوججت فقوموني ولم يقل فسلموا
الي . ثم انظر الى الرسول صلوات الله عليه كيف اعترضوا عليه . فهذا عمر يقول .
ما بالنا نقصر وقد أمنا . وآخر يقول . تنهانا عن الوصال وتواصل . وآخر يقول .
أمرتنا بالفسخ ولم تفسخ . ثم ان الله تعالي تقول له الملائكة . (أتجعل فيها) . ويقول
موسى (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) . وانما هذه الكلمة جعلها الصوفية ترفيها
لقلوب المتقدمين ، وسلطنة سلكوها علي الاتباع والمريدين . كما قال تعالى « فاستخف
قومه فأطاعوه » . ولعل هذه الكلمة من القائلين منهم بأن العبد اذا عرف لم يضره
ما فعل . وهذه نهاية الزندقة لان الفقهاء أجمعوا على أنه لا حالة ينتهي اليها العارف
إلا ويضيق عليه التكليف كأحوال الانبياء يضايقون فى الصغائر . فالله الله فى الاصغاء
الى هؤلاء الفرغ الخالين من الاثبات . وانما هم زنادقة جمعوا بين مدارع العمال

(١) قوله فان عولوا الى قوله في الشريعة فسقا غير منتظم والمعنى غير خفى
على المتأمل وهذه الجمل غير موجودة في النسختين

مرقعات وصوف ، و بين أعمـال الخلعاء الملحدة أ كل وشرب و رقص وسماع واهمال لاحكام الشرع . ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاؤا بوضع أهل الخلاعة *

فأول ما وضـعوا أسماء . وقالوا . حقيقة وشريعة . وهـذا قبيح لان الشريعـة ما وضعه الحق لمصالح الخلق . فما الحقيقة بعـدها سوي ما وقع فى النفوس من القاء الشياطين . وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع . وان سمعوا أحداً يروى حديثاً قالوا : مسا كين . أخذوا علمهم ميتاً عن ميت . وأخذنا علمنا عن الحي الذى لا يموت . فمن قال حدثني أبى عن جدى قلت حـدثني قلبي عن ربي فهلـكوا وأهلـكوا بهذه الخرافات قلوب الاغمار وأنفقت عليهـم لاجلها الاموال . لان الفقهاء كالاطباء والنفقة فى ثمن الدواء صعبة والنفقة على هؤلاء كالنفقة على المغنيات . و بغضهم الفقهاء أ كبر الزندقة لان الفقهاء يحظر ونهم بفتاويهم عن ضلالهم وفسقهم . والحق يثقل كما تثقل الزكـاة . وما أخف البذل على المغنيات واعطاء الشعراء على المدائح . وكذلك بغضهم لاصحاب الحديث وقد أبدلوا ازالة العقل بالخمر (بشيء سموه الحشيش والمعجون والغناء المحرم) سموه السماع والوجـد والتعرض بالوجد المزيل للعقل حرام كفى الله الشريعة شر هذه الطائفة الجامعة بين دهمثة في اللبس وطيبـة فى العيش وخداع بألفاظ معسولة ليس تحتها سوى إهمال التكليف وهجران الشرع ولذلك خفوا على القلوب ولا دلالة على انهم أرباب باطل أوضح من محبة طباع أرباب الدنيا لهم كمحبتهم أرباب اللهو والمغنيات

قال ابن عقيل فان قال قائل هم أهل نظافة ومحاريب وحسن سمت وأخلاق قال فقلت لهم لو لم يضـعوا طريقـة يجتذبون بها قلوب أمثالـكم لم يدم لهم عيش والذى وصفتهم به رهبانية النصرانية ولو رأيت نظافة أهل التطفيـل على الموائد ومخانيث بغداد ودماثة المغنيات لعلمت أن طريقهم طريقة الفكاهة والخداع وهل يخدع الناس الا بطريقة أو لسان فاذا لم يكن للقوم قدم فى العلم ولا طريقة فبم ذا يجتذبون بهقلوب أرباب الاموال* واعلم ان حمل التكليف صعب ولا أسهل على أهل الخلاعة من مفارقة الجماعة ولا أصعب عليهم من حجر ومنع صدر عن أوامر الشرع ونواهيـه وما على

الشريعة أضر من المتكلمين والمتصوفين فهؤلاء يفسدون عقائد الناس بتوهمات شبهات العقول وهؤلاء يفسدون الاعمال ويهدمون قوانين الاديان يحبون البطالات وسماع الاصوات وما كان السلف كذلك بل كانوا في باب العقائد عبيد تسليم وفى الباب الآخر أرباب جد . قال : ونصيحتي الى اخوانى ان لا يقرع أفكار قلوبهم كلام المتكلمين ولا تصغى مسامعهم الى خرافات المتصوفين بل الشغل بالمعاش أولى من بطالة الصوفية والوقوف على الظواهر أحسن من توغل المنتحلة وقد خبرت طريقة الفريقين فغاية هؤلاء الشك وغاية هؤلاء الشطح *

قال ابن عقيل : والمتكلمون عندى خير من الصوفية لان المتكلمين قد يزيلون الشك والصوفية يوهمون التشبيه . فأكثر كلامهم يشير الي اسقاط السفارة والنبوات . فاذا قالوا عن أصحاب الحديث قالوا : أخذوا علمهم ميتاً عن ميت . فقد طعنوا فى النبوات وعولوا على الواقع . ومتى أزرى على طريق سقط الاخذ به . ومن قال حدثني قلبي عن ربي فقد صرح انه غني عن الرسول . ومن صرح بذلك فقد كفر . فهذه كلمة مدسوسة فى الشريعة تحتها هذه الزندقة ومن رأيناه يزرى على النقل علمنا انه قد عطل أمر الشرع . وما يؤمن هذا القائل : حدثنى قلبي عن ربى أن يكون ذلك من إلقاء الشياطين فقد قال الله عز وجل : (وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) . وهذا هو الظاهر لانه ترك الدليل المعصوم وعول على ما يلقى فى قلبه الذى لم تثبت حراسته من الوساوس وهؤلاء يسمون ما يقربهم خاطراً . قال والخوارج على الشريعة كثير الا أن الله عز وجل يؤيدها بالنقلة الحفاظ الذابين عن الشريعة حفظاً لاصلها ، وبالفقهاء حفظاً لمعانيها : وهم سلاطين العلماء لا يتركون لكذاب رأساً ترتفع *

قال ابن عقيل : والناس يقولون اذا أحب الله خراب بيت تاجر عاشر الصوفية قال وأنا أقول وخراب دينه لان الصوفية قد أجازوا لبس النساء الخرقة من الرجال الاجانب فاذا حضروا السماع والطرب فربما جرى فى خلال ذلك مغازلات واستخلاء بعض الاشخاص ببعض فصارت الدعوة عرساً للشخصين فلا يخرج إلا وقد تعلق قلب شخص بشخص ومالي طبع إلى طبع وتتغير المرأة على زوجها فان طابت نفس الزوج سمي بالديوث وان حبسها طلبت الفرقة إلى من تلبس منه المرقعة والاختلاط

بمن لا يضيق الخناق ولا يحجر على الطباع . ويقال : تابت فلانة وألبسها الشيخ الخرقة وقد صارت من بناته . ولم يقنعوا أن يقولوا هذا لعب وخطأ حتى قالوا هذا من مقامات الرجال وجرت على هذه السنون وبرد حكم الكتاب والسنة فى القلوب .
هذا كله من كلام ابن عقيل رضي الله عنه فلقد كان ناقداً مجيداً متلمحاً فقيهاً .
أنشدنا أبو على عبيد الله الزاغوني قال أنشدنا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي وأبو منصور محمد بن محمد بن عبد العزيز العكرى قالا أنشدنا أبو بكر العنبرى لنفسه فى الصوفية :

تأملت اختبر المدعين ... بين الموالى و بين العبيد
فألفيت أكثرهم كالسراب ... يروقك منظره من بعيد
فناديت ياقوم من تعبدون ... فكل أشار بقدر الوجود
فبعض أشار إلى نفسه ... واقسم ما فوقها من مزيد
و بعض إلى خرقة رقعت ... و بعض إلى ركوة من جلود
وآخر يعبــد أهواءه ... وما عابد للهوى بالرشيد
ومجتهد وقته زيه ... فان فات بات بليل عنيد
وذو كلف باستماع السما ... ع بين البسيط و بين النشيد
يئن إذا أومضت رنة ... و يزأر منها زئير الأسود
يخرق خلقانه عامداً ... ليعتاض منها بثوب جديد
و يرمى بهيكله فى السعير ... لقلع الثريد و بلع العصيد
فيا للرجال ألا تعجبون ... لشيطان إخواننا ذا المزيد
يخبطهم بفنون الجنون ... وما للمجانين غير القيود
وأقسم ماعرفوا ذا الجلال ... وما عرفوه بغير الجحود
ولولا الوفاء لأهل الوفاء ... سلقتهم بلسان حديد
فمالى يطالبنى بالوصا ... ل من ليس يعلم مافى الصدود
اضن بودى ويسخو به ... وقد كنت اسخو به للودود
وابكين اذا لم أجد صاحبا ... يسر صديقى ويشجي الحسود

عطفت بودي مني اليه فغاب نحوسي وآب السعود
فما بال قومي على جهلهم بعز الفريد وأنس الوحيد
اذا أبصروني بكوا رحمة ونيران أحقادهم في وقود
لأني بعدت عن المدعين ولو صدقوا كنت غير البعيد

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار الصيرفي نا ابو عبد الله محمد بن علي الصوري قال أنشدنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر التجيبي قال أنشدنا الحسن بن علي بن سيار :

رأيت قوما عليهم سمة الخـــير بحمل الركاء مبتهلة
اعتزلوا الناس في جوامعهم سألت عنهم فقيل متكله
صوفيـة للقضاء صابرة ساكنة تحت حكمه بزله
فقلت إذ ذاك هؤلاء هم الـ ناس ومن دون هؤلاء رزله
فلم أزل خادماً لهم زمنا حتى تبينت أنهم سفله
ان أكلوا كان أكلهم سرفا أو لبسوا كان شهرة مثله
سل شيخهم والكبير مختبرا عن فرضه لاتخاله عقله
واسأله عن وصف شادن غنج مدلل لا تراه قد جهله
علمهم بينهم اذا جلسوا كعلم راعي الرعاع والرذله
الوقت والحال والحقيقة والا برهان والعكس عندهم مثله
قد لبسوا الصوف كي يروا صلحا وهم شرار الذباب والحفله
وجانبوا الكسب والمعاش لكي يستأصلوا الناس شرها أكله
وليس من عفة ولادعة لكن تعجيل راحة العطلة
فقل لمن مال باختداعهم اليهم تب فانهم بطله
واستغفر الله من كلامهم ولاتعاود لعشرة الجهله

قال الصوري وأنشدني بعض شيوخنا .

أهل التصوف قد مضوا صار التصوف مخرقه
صار التصوف صيحة وتواجداً ومطبقه

كذبتك نفسك ليس ذا سنن الطريق الملحقة
حتى تكون بعين من منه العيون المحدقة
تجرى عليك صروفه وهموم سرك مطرقة

أنشدنا محمد بن ناصر قال أنشدنا أبو زكريا التبريزى لأبى العلاء المعرى :

زعموا بأنهم صفوا لمليكهم كذبوك ما صافوا ولكن صافوا
شجر الخلاف قلوبهم ويح لها غرضي خلاف الحق لا الصفصاف

أنشدنا ابن ناصر أنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو اسحاق الشيرازي الفقيه لبعضهم :

أرى جيل التصوف شر جيل فقل لهم واهون بالحلول
أقال الله حين عشقتموه كلوا أكل البهائم وأرقصوا لى

الباب الحادى عشر

﴿ فى ذكر تلبيس ابليس على المتدينين بما يشبه الكرامات ﴾

قد بينا فيما تقدم أن ابليس انما يتمكن من الانسان على قدر قلة العلم فكلما قل علم الانسان كثر تمكن ابليس منه وكلما كثر العلم قل تمكنه منه . ومن العباد من يرى ضوءا أو نوراً فى السماء فان كان فى رمضان قال : رأيت ليلة القدر وان كان فى غيره قال قد فتحت لى أبواب السماء . وقد يتفق له الشيء الذي يطلبه فيظن ذلك كرامة وربما كان اتفاقا وربما كان اختباراً وربما كان من خدع ابليس . والعاقل لا يساكن شيئا من هذا ولو كان كرامة . وقد ذكرنا فى باب الزهاد عن مالك بن دينار وحبيب العجمى انهما قالا : ان الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز . ولقد استغوى بعض ضعفاء الزهاد بأن أراه مايشبه الكرامة حتى ادعى النبوة فروى عن عبد الوهاب ابن نجدة الحوطى قال : ثنا محمد بن المبارك ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن حسان . قال . كان الحارث الكذاب من أهل دمشق وكان مولى لابى الجلاس وكان له أب بالغوطة تعرض له ابليس وكان متعبداً زاهداً لو لبس جبة من ذهب لرأيت

عليه زهادة وكان اذا أخذ في التحميد لم يصغ السامعون الى كلام أحسن من كلامه قال : فكتب الى أبيه يا أبتاه أعجل عليّ فاني قد رأيت أشياء أتخوف منها أن تكون من الشيطان قال : فزاده أبوه غياً وكتب اليه . يا بني : أقبل على ما أمرت به ان الله يقول : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم) . ولست بأفاك ولا أثيم فامض لما أمرت به . وكان يجيء الى أهل المساجد رجلا رجلا فيذكر لهم أمره ويأخذ عليهم العهود والمواثيق ان هو رأى ما يرضى قبل والا كتم عليه . وكان يريهم الاعاجيب . كان يأتي الى رخامة في المسجد فينقرها بيده فتسبح . وكان يطعمهم فاكهة الصيف في الشتاء ويقول : اخرجوا حتى أريكم الملائكة فيخرجهم الى دير المران فيريهم رجالا على خيل . فتبعه بشر كثير وفشى الأمر وكثر أصحابه حتى وصل خبره الى القاسم بن مخيمرة فقال له انى نبي فقال له القاسم كذبت يا عدو الله فقال له أبو ادريس بئس ماصنعت إذ لم تلن له حتى تأخذه . الآن يفر وقام من مجلسه حتى دخل على عبد الملك فأعلمه بأمره فبعث عبد الملك في طلبه فلم يقدر عليه . وخرج عبد الملك حتى نزل العنيبرة (١) فاتهم عامة عسكره بالحارث أن يكونوا يرون رأيه وخرج الحارث حتى أتى بيت المقدس واختفى وكان أصحابه يخرجون يلتمسون الرجال يدخلونهم عليه وكان رجل من أهل البصرة قد أتى بيت المقدس فأدخل على الحارث فأخذ في التحميد وأخبره بأمره وأنه نبي مبعوث مرسل . فقال . ان كلامك لحسن ولكن لي في هذا نظر . قال فانظر . فخرج البصرى ثم عاد اليه فردعليه كلامه فقال ان كلامك لحسن وقد وقع في قلبي وقد آمنت بك وهذا هو الدين المستقيم . فأمر أن لا يحجب عنه متى أراد الدخول عليه فأقبل البصرى يتردد اليه و يعرف مداخله ومخارجه . وأين يهرب حتى صار من أخبر الناس به . ثم قال له ائذن لي فقال الى أين قال الى البصرة فأكون أول داع لك بها . قال فأذن له فخرج مسرعا الى عبد الملك وهو بالصنيبرة

(١) هكذا في نسخة وفي نسخة اخرى الصنيبرة بصاد مهملة .وقد ضبطت بالتصغير والضم والله أعلم.

فلما دنا من سرادقه صاح النصيحة النصيحة . فقال أهل العسكر . وما نصيحتك قال نصيحة لأمير المؤمنين فأمر الخليفة عبد الملك أن يأذنوا له بالدخول عليه فدخل وعنده أصحابه قال فصاح النصيحة قال وما نصيحتك قال . اخلني لا يكن عندك أحد فأخرج من في البيت وقال له ادنني قال ادن فدنا وعبد الملك على السرير قال ما عندك قال الحارث فلما ذكر الحارث طرح عبد الملك نفسه من أعلى السرير الى الارض ثم قال أين هو قال : يا أمير المؤمنين هو ببيت المقدس قد عرفت مداخله ومخارجه وقص عليه قصته وكيف صنع به فقال أنت صاحبه وأنت أمير بيت المقدس وأميرنا ههنا فمرني بما شئت . قال يا امير المؤمنين ابعث معي قوما لا يفهمون الكلام فأمر أربعين رجلا من فرغانة فقال انطلقوا مع هذا فما أمركم به من شيء فأطيعوه . قال . وكتب الي صاحب بيت المقدس ان فلانا هو الأمير عليك حتى يخرج فأطعه فيما أمرك به . فلما قدم بيت المقدس أعطاه الكتاب فقال مرني بما شئت . فقال : اجمع لي كل شمعة تقدر عليها ببيت المقدس وأدفع كل شمعة الى رجل ورتبهم على أزقة بيت المقدس وزواياها فاذا قلت : أسرجوا أسرجوا جميعاً فرتبهم في أزقة بيت المقدس وزواياها بالشمع وتقدم البصري الى منزل الحارث فأتى الباب فقال للحاجب استأذن لي على نبي الله قال في هذه الساعة ما يؤذن عليه حتى يصبح . قال اعلمه أني ما رجعت الا شوقا اليه قبل أن أصل فدخل عليه فأعلمه بكلامه فأمره بفتح الباب . قال : ثم صاح البصرى أسرجوا الشموع فأسرجت حتى كانت كأنها النهار ثم قال من مر بكم فاضبطوه كائنا من كان ودخل هو الى الموضع الذى يعرفه فطلبه فلم يجده فقال أصحاب الحارث هيهات تريدون تقتلون نبي الله قد رفع الي السماء . قال فطلبه في شق قد هيأه سرباً فأدخل البصرى يده في ذلك السرب فاذا هو بثوبه فاجتره فأخرجه الى خارج ثم قال للفرغانيين اربطوه فربطوه . فبينما هم يسيرون به على البريد إذ قال : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله . فقال رجل من الفرغانيين أولئك العجم هذا كرامتنا فهات كرامتك انت وساروا به حتى أتوا به عبد الملك فلما سمع به أمر بخشبة فنصبت فصلبه وأمر بحربة وأمر رجلا فطعنه فلما صار الى ضلع من أضلاعه فانكفأت الحربة عنه فجعل الناس يصيحون ويقولون . الانبياء لا يجوز فيهم السلاح . فلما رأى ذلك

رجل من المسلمين تناول الحربة ثم مشى اليه وأقبل يتجسس حتى وافى بين ضلعين فطعنه بها فأنفذها فقتله . قال الوليد : بلغني ان خالد بن يزيد بن معاوية دخل على عبد الملك بن مروان فقال لو حضرتك ما أمرتك بقتله . قال ولم . قال انما كان به المذهب فلو جوعته ذهب عنه . وروى أبو الربيع عن شيخ أدرك القدماء قال لما حمل الحارث على البريد وجعلت فى عنقه جامعة من حديد وجمعت يده الى عنقه فأشرف على عقبة بيت المقدس تلى هذه الآية (قل ان ضللت فانما أضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحي اليّ ربى) . فتقلقلت الجامعة ثم سقطت من يده و رقبته الى الارض فوثب الحرس الذين كانوا معه فاعادوها عليه ثم ساروا به فلما أشرفوا على عقبة أخرى قرأ آية فسقطت من رقبته و يده على الارض فأعادوها عليه فلما قدموا على عبد الملك حبسه وأمر رجالا من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويخوفوه الله و يعلموه أن هذا من الشيطان فأبى أن يقبل منهم فصلب . وجاء رجل بحربة فطعنه فانثنت فتكلم الناس وقالوا أما ينبغي لمثل هذا أن يقتل ثم أتاه حرسي برمح دقيق فطعنه بين ضلعين من أضلاعه ثم هزه وأنفذه . وسمعت من قال قال عبد الملك للذى ضربه بالحربة لما انثنت أذكرت الله حين طعنته قال نسيت قال فاذكر الله ثم اطعنه فذكر الله ثم طعنه فأنفذها *

* فصل * وكم اغتر قوم بما يشبه الكرامات فقد روينا باسناد عن حسن عن أبى عمران قال قال لى فرقد . يا أبا عمران قد أصبحت اليوم وأنا مهتم بضر يبتي وهي ستة دراهم وقد أهل الهلال وليست عندى فدعوت فبينما أنا أمشى على شط الفرات اذا أنا بستة دراهم فأخذتها فوزنتها فاذا هى ستة لا تزيد ولا تنقص . فقال تصدق بها فانها ليست لك . قلت . ابو عمران — هو ابراهيم النخعى فقيه أهل الكوفة . فانظروا الى كلام الفقهاء و بعد الاغترار عنهم . وكيف أخبره انها لقطة ولم يلتفت الى مايشبه الكرامة . وانما لم يأمره بتعريفها لأن مذهب الكوفيين أنه لا يجب التعريف لما دون الدينار . وكأنه انما أمره بالتصدق بها لئلا يظن أنه قد أكرم بأخذها وانفاقها * و باسناد عن ابراهيم الخراساني أنه قال احتجت يوماً الى الوضوء فاذا أنا بكوز من جوهر وسواك

من فضة رأسه ألين من الخز فاستكت بالسواك وتوضأت بالماء وتركتهما وانصرفت . قلت : في هذه الحكاية من لا يوثق بروايته فان صحت دلت على قلة علم هذا الرجل إذ لو كان يفهم الفقه علم أن استعمال السواك الفضة لا يجوز ولكن قلّ علمه فاستعمله . وان ظن أنه كرامة والله تعالى لا يكرم بما يمنع من استعماله شرعا إلا أن أظهر له ذلك على سبيل الامتحان * وذكر محمد بن أبي الفضل الهمداني المؤرخ قال حدثني أبي قال كان السرمقاني المقرى يقرأ على ابن العلاف وكان يأوى إلى المسجد بدرب الزعفراني واتفق أن ابن العلاف رآه ذات يوم في وقت مجاعة وقد نزل إلى دجلة وأخذ منه أوراق الخس مما يرمى به أصحابه وجعل يأكله فشق ذلك عليه وأتى إلى رئيس الرؤساء فأخبره بحاله فتقدم إلى غلام بالقرب إلى المسجد الذى يأوى اليه السرمقاني أن يعمل لبابه مفتاحاً من غير أن يعلمه ففعل وتقدم اليه أن يحمل كل يوم ثلاثة أرطال خبزاً سميداً ومعها دجاجة وحلوي سكراً ففعل الغلام ذلك وكان يحمله على الدوام. فأتى السرمقاني في أول يوم فرأى ذلك مطروحاً في القبلة ورأى الباب مغلقاً فتعجب . وقال في نفسه : هذا من الجنة ويجب كتمانه وأن لا أتحدث به فان من شرط الكرامة كتمانها وأنشدني :

من أطلعوه على سر فباح به   لم يأمنوه على الأسرار ماعاشا

فلما استوت حالته وأخصب جسمه سأله ابن العلاف عن سبب ذلك وهو عارف به وقصد المزاح معه . فأخذ يوري ولا يصرح ، ويكني ولا يفضح . ولم يزل ابن العلاف يستخبره حتى أخبره أن الذى يجده في المسجد كرامة إذ لا طريق لمخلوق عليه . فقال له ابن العلاف . يجب أن تدعو لابن المسلمة فانه هو الذى فعل ذلك . فنغص عيشه باخباره وبانت عليه شواهد الانكسار *

﴿ فصل ﴾ ولما علم العقلاء شدة تلبيس إبليس حذروا من أشياء ظاهرها الكرامة وخافوا أن تكون من تلبيسه * روينا باسناد عن أبي الطيب يقول : سمعت زهرون يقول : كلمني الطير وذاك أني كنت في البادية فتهت فرأيت طائراً أبيض فقال لي يا زهرون أنت تائه . فقلت : ياشيطان غر غيري . فقال لي : أنت تائه . فقلت : ياشيطان غر غيري . فوثب في الثالثة وصار على كتفي . وقال : ماأنا بشيطان

أنت تائه أرسلت اليك ثم غاب عني * وبإسناد عن محمد بن عبد الله القرشي قال حدثني محمد بن يحيي بن أبي حاتم ثني محمد بن عمرو قال حدثتني زلفى قالت : قلت لرابعة العدوية يا عمة لم لا تأذنين للناس يدخلون عليك قالت وما أرجو من الناس إن أتوني حكوا عني ما لم أفعل . قال القرشي : وزادني غير أبي حاتم . أنها قالت . يبلغني أنهم يقولون إني أجد الدراهم تحت مصلاي ، ويطبخ لي القدر بغير نار . ولو رأيت مثل هذا فزعت منه . قالت فقلت لها إن الناس يكثرون فيك القول . يقولون إن رابعة تصيب في منزلها الطعام والشراب . فهل تجدين شيئاً فيه . قالت . يابنت أخي لو وجدت في منزلي شيئاً مامسته ولا وضعت يدي عليه . قال القرشي وحدثني محمد ابن إدريس قال قال محمد بن عمرو . وحدثتني زلفى عن رابعة إنها أصبحت يوماً صائمة في يوم بارد قالت فنازعتني نفسي إلى شيء من الطعام السخن أفطر عليه وكان عندي شحم فقلت . لو كان عندي بصل أو كراث عالجته فاذا عصفور قد جاء فسقط على المثقب في منقاره بصلة . فلما رأيته أضربت عما أردت وخفت أن يكون من الشيطان * وبالاسناد عن محمد بن يزيد . قال كانوا يرون لوهيب انه من أهل الجنة فاذا أخبر بها اشتد بكاؤه . وقال قد خشيت أن يكون هذا من الشيطان . وبالاسناد عن أبي عثمان النيسابوري يقول خرجنا جماعة مع أستاذنا أبي حفص النيسابوري إلى خارج نيسابور فجلسنا فتكلم الشيخ علينا فطابت أنفسنا ثم بصرنا فاذا بأيل (١) قد نزل من الجبل حتى برك بين يدي الشيخ فأبكاه ذلك بكاء شديداً . فلما سكن سألناه فقلت يا أستاذ تكلمت علينا فطابت قلوبنا ، فلما جاء هذا الوحش وبرك بين يديك أزعجك وأبكاك . فقال . نعم رأيت اجتماعكم حولي وقد طابت قلوبكم فوقع في قلبي لو أن شاة ذبحتها ودعوتكم عليها . فما تحكم هذا الخاطر حتى جاء هذا الوحش فبرك بين يدي فخيل لي أني مثل فرعون الذي سأل ربه أن يجري له النيل فأجراه . قلت فما يؤمنني أن يكون الله تعالى يعطيني كل حظ لي في الدنيا وأبقى في الآخرة فقيراً لا شيء لي . فهذا الذي أزعجني *

---

(١) الأيل بضم الهمزة وكسرها والياء فيهما مشدداً التيس الجبلي

﴿فصل﴾ وقد لبس ابليس على قوم من المتأخرين فوضعوا حكايات فى كرامات الاولياء ليشيدوا بزعمهم أمر القوم والحق لايحتاج الى تشييد بباطل فكشف الله تعالى أمرهم بعلماء النقل * أخبرنا محمد بن ناصر انبأنا الحسن بن أحمد الفقيه قال نا محمد بن محمد الحافظ قال ناعبيد الله بن محمد الفقيه قال أحمد بن عبد الله بن الحسن الآدمى قال حدثنى أبى قال قال سهل بن عبد الله قال عمرو بن واصل . كذا فى الرواية والصواب قال عمرو بن واصل قال سهل بن عبد الله صحبت رجلا من الاولياء فى طريق مكة فنالته فاقة ثلاثة أيام فعدل الى مسجد فى أصل جبل واذا فيه بئر عليها بكرة وحبل ودلو ومطهرة . وعند البئر شجرة رمان ليس فيها حمل . فأقام فى المسجد الى المغرب فلما دخل الوقت اذا بأربعين رجلا عليهم المسوح وفى أرجلهم نعال الخوص قد دخلوا المسجد فسلموا وأذن أحدهم وأقام الصلاة وتقدم فصلى بهم . فلما فرغ من صلاته تقدم الى الشجرة فاذا فيها أربعون رمانة غضة طرية فأخذ كل واحد منهم رمانة وانصرف . قال وبت على فاقتى فلما كان فى الوقت الذى أخذوا فيه الرمان أقبلوا أجمعين فلما صلوا وأخذوا الرمان قلت ياقوم أنا أخوكم في الاسلام وبى فاقة شديدة فلا كلمتمونى ولا واسيتموني فقال رئيسهم انا لا نكلم محجوباً بما معه فامض واطرح ما معك وراء هذا الجبل فى الوادى وارجع الينا حتى تنال ما تنال قال فرقيت الجبل فلم تسمح نفسى برمى ما معي فدفنته ورجعت . فقال لى : رميت ما معك . قلت نعم . قال . فرأيت شيئاً قلت . لا . قال : ما رميت شيئا اذن فارجع فأرم به فى الوادى فرجعت ففعلت . فاذا قد غشيني مثل الدرع نور الولاية فرجعت فاذا فى الشجرة رمانة فأكلتها واستقللت بها من الجوع والعطش ولم البث دون المضى الى مكة فاذا أنا بالاربعين بين زمزم والمقام . فأقبلوا الىّ بأجمعهم يسألوني عن حالى ويسلمون علىّ . فقلت : قد غنيت عنكم وعن كلامكم آخرا كما أغناكم الله عن كلامى أولا فما فىّ لغير الله موضع*

قال المصنف رحمه الله . عمرو بن واصل ضعفه ابن أبي حاتم . والآدمى وأبوه مجهولان . ويدل على انها حكاية موضوعة قولهم اطرح مامعك لان الاولياء لايخالفون الشرع والشرع قد نهى عن اضاعة المال . وقوله غشينى نور الولاية فهذه حكاية

مصنوعة وحديث فارغ ومثل هذه الحكاية لا يغتر بها من شم رائحة العلم انما يغتر بها الجهال الذين لا بصيرة لهم * أخبرنا محمد بن ناصر قال نا السهلكي قال سمعت محمد بن علي الواعظ . قال : وفيما أفادني بعض الصوفية حاكياً عن الجنيد قال قال أبو موسى الديبلي ، دخلت على أبي يزيد فاذا بين يديه ماء واقف يضطرب فقال لى تعال ثم قال إن رجلا سألني عن الحياء فتكلمت عليه بشيء من علم الحياء فدار دوراناً حتى صار كذا كما ترى وذاب قال الجنيد وقال احمد بن حضرويه ، بقى منه قطعة كقطعة جوهر فاتخذت منه فصاً فكلما تكلمت بكلام القوم أوسمعت من كلام القوم يذوب ذلك الفص حتى لم يبق منه شيء ، قلت وهذه من المحالة القبيحة التى وضعوها الجهال ولولا أن الجهالة يروونها مسندة فيظنونها شيئاً لكان الاضراب عن ذكرها أولى * أنبأنا أبو بكر بن حبيب قال نا ابن أبي صادق قال ثنا ابن باكويه قال ثنا أبو حنيفة البغدادي قال ثنا عبد العزيز البغدادى قال كنت أنظر فى حكايات الصوفية فصعدت يوماً السطح فسمعت قائلا يقول (وهو يتولى الصالحين) فالتفت فلم أرشيئاً فطرحت نفسي من السطح فوقفت فى الهواء *

قال المصنف رحمه الله . هذا كذب محال لا يشك فيه عاقل فلو قدرنا صحته فان طرح نفسه من السطح حرام وظنه ان الله يتولى من فعل المنهي عنه فقد قال تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) فكيف يكون صالحاً وهو يخالف ربه وعلى تقدير ذلك فمن أخبره أنه منهم وقد تقدم قول عيسى صلوات الله عليه للشيطان لما قال له الق نفسك . قال ان الله يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه *

﴿ فصل ﴾ وقد اندس فى الصوفية أقوام وتشبهوا بهم وشطحوا فى الكرامات وادعائها وأظهروا للعوام مخاريق صادوا بها قلوبهم وقد روينا عن الحلاج أنه كان يدفن شيئاً من الخبز والشواء والحلوى في موضع من البرية ويطلع بعض أصحابه على ذلك فاذا أصبح قال لأصحابه ان رأيتم أن نخرج على وجه السياحة فيقوم ويمشي والناس معه فاذا جاءوا الى ذلك المكان قال له صاحبه الذي أطلعه على ذلك نشتهى الآن كذا وكذا فيتركهم الحلاج وينزوي عنهم الى ذلك المكان فيصلى ركعتين ويأتيهم بذلك . وكان يمد يده الى الهواء ويطرح الذهب فى أيدى الناس ويمخرق .

وقد قال له بعض الحاضرين يوما . هذه الدراهم معروفة ولكن اؤمن بك اذا أعطيتني درهما عليه اسمك واسم أبيك وما زال يمخرق الى وقت صلبه *.

حدثنا أبومنصور القزازقال نا أبوبكر بن ثابت نا عبدالله بن احمد بن عمار الصيرفي ثنا أبوعمرو بن حيوة . قال . لما أخرج حسين الحلاج للقتل مضيت فى جملة الناس فلم أزل أزاحم حتى رأيته . فقال لأصحابه . لا يهولنكم هذا فاني عائد اليكم بعد ثلاثين يوما . وكان اعتقاد الحلاج اعتقاداً قبيحا . وقد بينا فى أول هذا الكتاب شيئا من اعتقاده وتخليطه و بينا أنه قتل بفتوي فقهاء عصره . وقد كان فى المتأخرين من يطلى بدهن الطاق و يقعد فى التنور و يظهر أن هذا كرامة . قال ابن عقيل . وكان ابن الشباس وأبوه قبله لهم طيور سوابق وأصدقاء فى جميع البلاد فينزل بهم قوم فيرفع طائرا فى الحال الى قريتهم يخبر بخبر من له هناك بنزولهم و يستعلمه من أحوالهم وما تجدد هناك بعدهم قبل أن يجتمع عليهم و يستعلم حالهم فيكتب ذلك اليه الجواب ثم يجتمع بهم فيخبرهم بتلك الحوادث و يحدثهم بأحوالهم حديث من هو معهم ومعاشرهم فى بلادهم ثم يحدثهم بما تجدد بعدهم وفى يومه ذلك فيقول . الساعة تجدد كذا وكذا فيدهشون و يرجعون الي رستاقهم فيجدون الأمر على ماقال و يتكرر هذا منه فيصير عندهم كالقطعي على أنه يعلم الغيب . قال ، وما كان يفعله أنه يأخذ طير عصفور و يشد فى رجله تلفكا و يجعل في التلفك بطاقة صغيرة و يشد فى رجل حمامة تلفكا و يشد فى طرف التلفك كتابا أكبر من ذلك ويجعله بين يديه ويجعل العصفور بيد و يأخذ غلاما له فى السطح (١) والحمامة بيد آخر فيه مافى تلك البطاقة الصغيرة و يطلق الطائر العصفور فينظر الناس الكتاب وهو طائر في الهواء فيروح الحمام الى تلك القرية فيأخذه صديقه الذي هناك ثم يخبره بجميع أمور القرية وأصحابها فلما يتكامل مجلسه بالناس يشير و ينادى يابارش كأنه يخاطب شيطانا

(١) الغلام في بعض النسخ هكذا بالنصب وفي بعض بالرفع وعلى كل المعنى ظاهر وهو ان ابن الشباس كان يتخذ غلاماً فى السطح لاجل ماذكر

اسمه بارش و يقول خذ هذا الكتاب الى قرية فلان فقد جرت بينهم خصومة فاجتهد فى اصلاح ذات بينهم ويرفع صوته بذلك فيسرح غلامه المترصد العصفور الذى في يده فيرفع الكتاب نحو السماء بحضرة الجماعة يرونه عيانا من غير أن يرون التلفك فاذا ارتفع الكتاب جذبه الغلام المقيد بالعصفور وقطع التلفك حتي لا يرى و يرسل العصفور الى تلك القرية ليصلح الامر وكذلك يفعل بالحمامة ثم يقول لغلامه هات الكتاب فيلقيه الغلام الذى فى السطح الذى قد جاءه خبر مافى القرية التى هؤلاء منها ثم يكتب كتابا الى دهقان تلك القرية فيشد به بلفكا و يجعله فى رجل عصفور كما قدمناو يطلقه حتى يعلو سطح المكان فيأخذه ذلك الغلام فيشده فى رجل طير حمام فيروح الى تلك القرية بذلك الكتاب فيصلح بين الناس الذين قد اتاه خبرهم بالمشاجرة فتخرج الجماعة الذين من تلك القرية فيجدون كتاب الشيخ قد وصل لهم وقد اجتمع دهاقين القرية وأصلحوا بينهم فيجيء ذلك فيخبرهم فلا يشكون فى ذلك انه يعلم الغيب و يتحقق هذا في قلوب العوام *

قال ابن عقيل : واذا أوردت مثل هذا ليعلم انه قد ارتفع القوم الى التلاعب بالدين فأى بقاء للشريعة مع هـذا الحال . قلت : وابن الشباس هذا كان يكنى أبا عبد الله والشباس هو أبوه كان يكنى أبا الحسن واسم الشباس على بن الحسين بن محمد البغدادى توفى بالبصرة سنة اربع وأربعين وأربع مائة وكان الشباس وأبوه وعمه مستقرين بالبصرة . وكانت مذاهبهم تخفى على الناس الا أن الأغلب انهم كانوا من الشيعة الامامية والغلاة الباطنية وقد ذكرت فى التاريخ عن ابن الشباس ان بعض اصحابه انكشفت له نار بخيانته وزخارفه وكانت تخفى على الناس الى أن كشفها بعض اصحابه من الشيعة الامامية الباطنية للناس فلما كشفها للناس و بينها فكان مما حدث به عنه أنه قال . : حضرنا يوماً عنده فأخرج جديا مشوياً فأمرنا بأكله وأن نكسر عظمه ولا نهشمها فلما فرغنا أمر بردها الى التنور وترك على التنور طبقا ثم رفعه بعد ساعة فوجدنا جديا حياً يرعى حشيشاً ولم نر للنار أثراً ولا للرماد ولا للعظام خبراً . قال فتلطفت حتى عرفت ذلك وذلك ان التنور يفضى الى سرداب و بينهما طبق نحاس بلولب فاذا أراد إزالة النار عنه فركه فينزل عليه فيسده و ينفتح

السرداب واذ أراد أن يظهر النار أعاد الطبق الى فم السرداب فترى للناس *

قال المصنف رحمه الله . وقد رأينا فى زماننا من يشير الى الملائكة ويقول . هؤلاء ضيف مكرمون يوهم أن الملائكة قد حضرت ويقول لهم تقدموا الىّ . وأخذ رجل فى زماننا ابريقا جديدا فترك فيه عسلا فتشرب فى الخزف طعم العسل واستصحب الابريق فى سفره فكان اذا غرف به الماء من النهر وسقى أصحابه وجدوا طعم العسل وما فى هؤلاء من يعرف الله ولا يخاف في الله لومة لائم نعوذبالله من الخذلان*

﴿ الباب الثانى عشر فى ذكر تلبيس ابليس على العوام ﴾

قد بينا ان ابليس انما يقوى تلبيسه على قدر قوة الجهل وقد أفتن فيما فتن به العوام وحصر ما فتنهم ولبس عليهم فيه لا يمكن ذكره لكثرته وانما نذكر من الامهات ما يستدل به على جنسه والله الموفق * فمن ذلك أنه يأتي الى العامى فيحمله على التفكر في ذات الله عز وجل وصفاته فيتشكك . وقد أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ « لا تسألون حتى تقولوا هذا الله خلقنا فمن خلق الله » قال أبو هريرة : فوالله انى لجالس يوما اذ قال لى رجل من أهل العراق هذا الله خلقنا فمن خلق الله . قال أبو هريرة . فجعلت اصبعي فى أذني ثم صحت — صدق رسول الله — الله الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد *

وباسناد عن عائشة قالت . قال رسول الله ﷺ « ان الشيطان يأتى أحدكم فيقول . من خلقك ، فيقول الله . فيقول ، من خلق السموات والأرض ، فيقول ، الله . فيقول من خلق الله ، فاذا وجد أحدكم شيئاً من ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله » *

قال المصنف رحمه الله : وانما وقعت هذه المحنة لغلبة الحس وهو انه ما رأى شيئا الا مفعولا . وليقل لهذا العامى ألست تعلم أنه خلق الزمان لا في الزمان والمكان لا فى المكان فاذا كانت هذه الارض وما فيها لا فى مكان ولا تحتها شيء وحسك

ينفر من هذا لأنه ماألف شيئا الا فى مكان فلا يطلب بالحس من لا يعرف بالحس، وشاور عقلك فانه سليم المشاورة * وتارة يلبس ابليس على العوام عند سماع صفات الله عز وجل فيحملونها على مقتضى الحس فيعتقدون التشبيه * وتارة يلبس عليهم من جهة العصبية للمذاهب فترى العامى يلاعن ويقاتل في أمر لا يعرف حقيقته. فمنهم من يخص بعصبيته أبا بكر رضى الله عنه. ومنهم من يخص عليا. وكم قد جرى فى هذا من الحروب وقد جرى في هذا بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة على ممر السنين من القتل واحراق المحال ما يطول ذكره وترى كثيراً ممن يخاصم في هذا يلبس الحرير ويشرب الخمر ويقتل النفس وأبو بكر وعلى بريئان منهم * وقد يحس العامى في نفسه نوع فهم فيسول له ابليس مخاصمة ربه فمنهم من يقول لربه كيف قضى وعاقب * ومنهم من يقول لم ضيق رزق المتقى وأوسع على العاصى * ومنهم طائفة تشكر على النعم فاذا جاء البلاء اعترض وكفر * ومنهم من يقول أي حكمة فى هدم هذه الاجساد يعذبها بالفناء بعد بنائها * ومنهم من يستبعد البعث * ومن هؤلاء من يختل عليه مقصوده أو يبتلى ببلاء فيكفر ويقول أنا ما أريد أصلى. وربما غلب فاجر نصرانى مؤمنا فقتله أو ضربه فيقول العوام قد غلب الصليب. ولماذا نصلى اذا كان الامر كذلك. وكل هذه الآفات تمكن بها منهم ابليس لبعدهم عن العلم والعلماء فلو أنهم استفهموا أهل العلم لأخبروهم ان الله عز وجل حكيم ومالك فلا يبقى مع هذا اعتراض *

﴿ فصل ﴾ ومن العوام من يرضى عن عقل نفسه فلا يبالى بمخالفة العلماء فمتى خالفت فتواهم غرضه أخذ يرد عليهم ويقدح فيهم. وقد كان ابن عقيل يقول: قد عشت هذه السنين فلو أدخلت يدى فى صنعة صانع لقال أفسدتها على، فلو قلت أنا رجل عالم لقال بارك الله لك في علمك ليس هذا من شغلك. هذا، وشغله أمر حسي لو تعاطيته فهمته، والذى أنا فيه من الامور أمر عقلى فاذا أفتيته لم يقبل *

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيسه عليهم تقديمهم المتزهدين على العلماء فلو رأوا جبة صوف على أجهل الناس عظموه خصوصا اذا طأطأ رأسه وتخشع لهم، ويقولون، أين

هذا من فلان العالم ذاك طالب الدنيا وهذا زاهد لا يأكل عنبة ولا رطبة ولا يتزوج قط جهلا منهم بفضل العلم على الزاهد وايثاراً للمتزهدين على شريعة محمد بن عبد الله ﷺ ومن نعمة الله سبحانه وتعالى على هؤلاء أنهم لم يدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لو رأوه يكثر التزويج ويصطفي السبايا ويأكل لحم الدجاج ويحب الحلوى والعسل لم يعظم فى صدورهم *

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيسه عليهم قدحهم فى العلماء بتناول المباحات وذلك من أقبح الجهل . وأكثر ميلهم الى الغرباء فهم يؤثرون الغريب على أهل بلدهم ممن قد خبروا أمره وعرفوا عقيدته فيميلون الى الغريب ولعله من الباطنية . وانما ينبغى تسليم النفوس الى من خبرت معرفته قال الله عز وجل (فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم) ومنّ الله سبحانه فى ارسال محمد ﷺ الى الخلق بانهم يعرفون حاله فقال عز وجل (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم)وقال (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)

﴿ فصل ﴾ : وقد يخرج بالعوام تعظيم المتزهدين الى قبول دعاويهم وان خرقوا الشريعة وخرجوا عن حدودها . فترى المتنمس يقول للعامى : أنت فعلت بالأمس كذاوسيجرى عليك كذا فيصدقه . ويقول : هذا يتكلم على الخاطر ولا يعلم أن ادعاء الغيب كفر . ثم يرون من هؤلاء المتنمسين أمورا لاتحل كمؤاخاة النساء والخلوة بهن ولاينكرون ذلك تسليما لهم أحوالهم *

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيسه على العوام اطلاقهم أنفسهم فى المعاصى فاذا وبخوا تكلموا كلام الزنادقة * فمنهم من يقول : لاأترك نقداً لنسيئة . ولو فهموا لعلموا أن هذا ليس بنقد لأنه محرم وانما يخير بين النقد والنسيئة المباحين فمثلهم كمثل محموم جاهل يأكل العسل فاذا عوتب قال الشهوة نقد والعافية نسيئة . ثم لوعلموا حقيقة الايمان لعلموا أن تلك النسيئة وعد صادق لا يخلف . ولو عملوا عمل التجار الذين يخاطرون بكثير من المال لما يرجونه من الربح القليل لعلموا أن ماتركوه قليل ومايرجونه كثير . ولو أنهم ميزوا بين ما آثروا وما أفاتوا أنفسهم لرأوا تعجيل ماتعجلوا اذ فاتهم الربح الدائم وأوقعهم فى العذاب الذى هو الخسران المبين الذى لا يتلافى * ومنهم

من يقول الرب كريم ، والعفو واسع والرجاء من الدين . فيسمون تمنيهم واغترارهم رجاء وهذا الذى أهلك عامة المذنبين . قال أبو عمرو بن العلاء : بلغنى أن الفرزدق جلس الى قوم يتذاكرون رحمة الله فكان أوسعهم فى الرجاء صدرا فقالوا له : لم تقذف المحصنات . فقال : اخبرونى لو أذنبت الى والدىّ ما أذنبته الى ربى عز وجل أتراهما كانا يطيبان نفسا أن يقذفانى فى تنور مملوءا جمرا . قالوا : لا انما كانا يرحمانك . قال : فأني أوثق برحمة ربى منهما . قلت : وهـذا هو الجهل المحض لأن رحمة الله عز وجل ليست برقة طبع ولو كانت كذلك لمـا ذبح عصفور ولا أميت طفل ولا أدخل أحد الى جهنم * وباسناد عن عباد قال . قال الاصمعى كنت مع أبى نواس بمكة فاذا أنا بغلام امرد يستلم الحجر الاسود . فقال لى أبو نواس . والله لا أبرح حتى أقبله عند الحجر الاسود . فقلت . ويلك اتق الله عز وجل فانك ببلد حرام وعند بيته الحرام فقال مامنه بد . ثم دنا من الحجر فجاء الغلام يستلمه فبادر أبو نواس فوضع خده على خد الغلام فقبله وأنا انظر فقلت ويلك أفى حرم الله عز وجل فقال دع ذا عنك فان ربى رحيم ثم أنشد يقول .

وعاشقان التف خداهما عند استلام الحجر الاسود
فاشتفيا من غير أن يأثما كأنما كانا على موعد

قلت . انظروا الى هـذه الجرأة التى نظر فيها الى الرحمة ونسى شدة العقاب بانتهاك تلك الحرمة . وقد ذكرنا فى أول الكتاب هذا ان رجلا زنى بامرأة فى الكعبة فمسخا حجرين . ولقد دخلوا على أبي نواس فى مرض موته فقالوا له تب الى الله عز وجل فقال إياى تخوفون حدثنى حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشي عن أنس قال قال رسول الله ﷺ . لكل نبى شفاعة وانى اختبأت شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى . أفترى لا أكون أنا منهم *

قال المصنف رحمه الله . وخطأ هـذا الرجل من وجهين . أحدهما أنه نظر الى جانب الرحمة ولم ينظر الى جانب العقاب . والثاني أنه نسى أن الرحمة انما تكون فسائب كما قال عز وجل (واني لغفار لمن تاب) وقال (ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون) وهـذا التلبيس هو الذى يهلك عامة العوام وقد كشفناه

فى ذكر أهل الاباحة *

﴿ فصل ﴾ ومن العوام من يقول . هؤلاء العلماء مايحافظون على الحدود فلان يفعل كذا وفلان يفعل كذا فأمرى أنا قريب وكشف هذا التلبيس أن الجاهل والعالم فى باب التكليف سواء فغلبة الهوى للعالم لايكون عذراً للجاهل . و بعضهم يقول . ماقدر ذنبي حتى اعاقب . ومن انا حتى أؤاخذ ، وذنبى لايضره وطاعتي لاتنفعه وعفوه اعظم من جرمى كما قال قائلهم .

من انا عند الله حتى اذا اذنبت لا يغفرلى ذنبى

وهذه حماقة عظيمة كأنهم اعتقدوا انه لايؤاخذ الاضداً أو نداً ، ثم ماعلموا انه بالمخالفة قد صاروا فى مقام معاند ، وسمع ابن عقيل رحمه الله رجلا يقول ، من انا حتى يعاقبني الله ، فقال ، له انت الذى لو امات الله جميع الخلائق و بقيت انت لكان قوله تعالى (يا أيها الناس) خطابا لك * ومنهم من يقول ، سأتوب واصلح ، وكم من ساكن الأمل من أبله فاختطفه الموت قبله ، وليس من الحزم تعجيل الخطأ وانتظار الصواب . وربما لم تتهيأ التوبة وربما لم تصح وربما لم تقبل ثم لوقبلت بقى الحياء من الجناية أبدا . فمراراة خاطر المعصية حتى تذهب أسهل من معاناة التوبة حتى تقبل * ومنهم من يتوب ثم ينقض فيلج عليه ابليس بالمكائد لعلمه بضعف عزمه * و باسناد عن الحسن أنه قال : اذا نظر اليك الشيطان فرآك على غير طاعة الله تعالى فنعاك واذا رآك مداوماً على طاعة الله ملّك و رفضك واذا رآك مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك *

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيسه عليهم أن يكون لأحدهم نسب معروف فيغتر بنسبه فيقول : أنا من أولاد أبى بكر . وهذا يقول : أنا من أولاد على . وهذا يقول : أنا شريف من أولاد الحسن أو الحسين أو يقول . أنا قريب النسب من فلان العالم أومن فلان الزاهد وهؤلاء يبنون أمرهم على أمرين . أحدها أنهم يقولون من أحب انساناً أحب أولاده وأهله . والثاني : أن هؤلاء لهم شفاعة وأحق من شفعوا فيه أهلهم وأولادهم . وكلا الأمرين غلط أما المحبة فليست محبة الله عز وجل كمحبة الآدميين وانما يحب من أطاعه فان أهل الكتاب من أولاد يعقوب ولم ينتفعوا بآبائهم ولو

كانت محبة الاب تسري لسرى إلى البعض أيضا . وأما الشفاعة فقد قال الله تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) ولما أراد نوح حمل ابنه فى السفينة قيل له « إنه ليس من أهلك » ولم يشفع إبراهيم فى أبيه ولا نبينا في أمه وقد قال ﷺ لفاطمة رضى الله عنها : « لا أغنى عنك من الله شيئا » ومن ظن انه ينجو بنجاة أبيه كان كمن ظن انه يشبع بأكل أبيه *

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيسه عليهم أن يعتمد أحدهم على خلة خير ولا يبالى بما فعل بعدها * فمنهم من يقول : أنا من أهل السنة وأهل السنة على خير ثم لا يتحاشى عن المعاصى . وكشف هذا التلبيس أن يقال له إن الاعتقاد فرض والكف عن المعاصى فرض آخر فلا يكفى أحدهما عن صاحبه . وكذلك تقول الروافض : نحن يدفع عنا موالاة أهل البيت وكذبوا فانه انما يدفع التقوى * ومنهم من يقول : أنا ألازم الجماعة وأفعل الخير وهذا يدفع عنى وجوابه كجواب الاول *

﴿ فصل ﴾ ومن هذا الفن تلبيسه على العيارين في أخذ أموال الناس فانهم يسمون بالفتيان ويقولون : الفتى لا يزنى ولا يكذب ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة ومع هذا لا يتحاشون من أخذ أموال الناس وينسون تقلي الأكباد على الاموال ويسمون طريقتهم الفتوة . وربما حلف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب ويجعلون إلباس السراويل للداخل فى مذهبهم كالباس الصوفية للمريد المرقعة وربما يسمع أحد هؤلاء عن ابنته أو أخته كلمة وزر لا تصح وربما كانت من محرض فقتلها ويدعون ان هذه فتوة . وربما افتخر أحدهم بالصبر على الضرب * وباسناد عن عبد الله بن احمد بن حنبل انه كان يقول : كنت كثيراً أسمع والدى احمد بن حنبل يقول . رحم الله أبا الهيثم : فقلت من أبو الهيثم فقال أبو الهيثم الحداد لما مددت يدى الى العقاب وأخرجت للسياط إذا أنا بانسان يجذب ثوبى من ورائي ويقول لى . تعرفنى قلت لا . قال أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار مكتوب فى ديوان أمير المؤمنين إنى ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت فى ذلك على طاعة الشيطان لاجل الدنيا فاصبر أنت في طاعة الرحمن لاجل الدين . قلت . أبو الهيثم هذا يقال له خالد الحداد . وكان يضرب المثل بصبره . وقال له المتوكل ما بلغ

من جلدك . قال املأ لى جراب عقارب ثم أدخل يدى فيه وانه ليؤلمني مايؤلمك وأجد لا خر سوط من الألم ما أجد لأول سوط ولو وضعت فى فمي خرقة وأنا أضرب لاحترقت من حرارة مايخرج من جوفى ولكننى وطنت نفسى على الصبر. فقال له الفتح ويحك مع هذا اللسان والعقل ما يدعوك إلى ما أنت عليه من الباطل . فقال احب الرياسة . فقال المتوكل نحن خليديه . وقال الفتح أنا خليدى . وقال رجل لخالد ياخالد ما أنتم لحوم ودماء فيؤلمكم الضرب . فقال بلى يؤلمنا ولكن معنا عزيمة صبر ليست لكم . وقال داود بن علي لما قدم بخالد اشتهيت أن أراه فمضيت اليه فوجدته جالساً غير متمكن لذهاب لحم إليتيه من الضرب واذا حوله فتيان فجعلوا يقولون . ضرب فلان . وفعل بفلان كذا ، فقال لهم . لا تتحدثون عن غيركم افعلوا أنتم حتى يتحدث عنكم غيركم *

قال المصنف رحمه الله : فانظروا إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء فيصبرون على شدة الألم ليحصل لهم الذكر ولو صبروا على يسير التقوى لحصل لهم الاجر والعجب أنهم يظنون لحالهم مرتبة وفضيلة مع ارتكاب العظائم *

﴿ فصل ﴾ ومن العوام من يعتمد على نافلة ويضيع فرائض . مثل أن يحضر المسجد قبل الاذان ويتنفل فاذا صلى مأموماً سابق الامام * ومنهم من لا يحضر فى أوقات الفرائض ويزاحم ليلة الرغائب * ومنهم من يتعبد ويبكى وهو مصر على الفواحش لا يتركها . فان قيل له قال . سيئة وحسنة والله غفور رحيم وجمهورهم يتعبد برأيه فيفسد أكثر مما يصلح . ورأيت رجلا منهم قدحفظ القرآن وتزهد ثم جب نفسه وهذا من أفحش الفواحش *

﴿ فصل ﴾ وقد لبس إبليس على خلق كثير من العوام يحضرون مجالس الذكر ويبكون ويكتفون بذلك ظناً منهم أن المقصود الحضور والبكاء لانهم يسمعون فضل الحضور في مجالس الذكر . ولو علموا أن المقصود إنما هو العمل واذا لم يعمل بما يسمع كان زيادة فى الحجة عليه . وانى لاعرف خلقاً يحضرون المجلس منذ سنين ويبكون ويخشعون ولا يتغير أحدهم عما قد اعتاده من المعاملة في الربا والغش فى البيع والجهل بأركان الصلاة والغيبة للمسلمين والعقوق للوالدين وهؤلاء قد لبس عليهم إبليس

فأراهم أن حضور المجلس والبكاء يدفع عنه ما يلابس من الذنوب . وأرى بعضهم أن مجالسة العلماء والصالحين يدفع عنكم * وشغل آخرين بالتسويف بالتوبة فطال عليهم مطالهم . وأقام قوماً منهم للتفرج فيما يسمعونه وأهملوا العمل به *

﴿ فصل ﴾ وقد لبس إبليس على أصحاب الاموال من أربعة أوجه . أحدها من جهة كسبها فلا يبالون كيف حصلت وقد فشا الربا فى أكثر معاملاتهم وأنسوه حتى أن جمهور معاملاتهم خارجة عن الاجماع وقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ليأتين على الناس زمان لا يبالى المرء من أين أخذ المال من حلال أو حرام » والثانى من جهة البخل بها فمنهم من لا يخرج الزكاة أصلا اتكالا على العفو * ومنهم من يخرج بعضها ثم يغلبه البخل فينظر أن المخرج يدفع عنه * ومنهم من يحتال لاسقاطها مثل أن يهب المال قبل الحول ثم يسترده * ومنهم من يحتال باعطاء الفقير ثوباً يقومه عليه بعشرة دنانير وهو يساوى دينارين ويظن ذلك الجاهل أنه قد تخلص * ومنهم من يخرج الردىء مكان الجيد ومنهم من يعطي الزكاة من يستخدمه طول السنة فهي على الحقيقة أجرة * ومنهم من يخرج الزكاة كما ينبغي فيقول له إبليس ما بقى عليك فيمنعه أن يتنفل بصدقة حباً للمال فيفوته أجر المتصدقين ويكون المال رزق غيره *

وباسناد عن الضحاك عن ابن عباس قال . أول ما ضرب الدرهم أخذه إبليس فقبله ووضعه على عينه وسرته وقال بك أطغى وبك أكفر . رضيت من ابن آدم بحبه الدينار من أن يعبدنى . وعن الاعمش عن شقيق بن عبد الله قال . ان الشيطان يريد الانسان بكل ريدة فاذا أعياه اضطجع في ماله فيمنعه أن ينفق منه شيئاً والثالث من حيث التكثير بالاموال فان الغني يرى نفسه خيراً من الفقير وهذا جهل لان الفضل بفضائل النفس اللازمة لها لا بجمع حجارة خارجة عنها كما قال الشاعر .

غنى النفس لمن يعقـ ـل خير من غنى المال
وفضل النفس فى الانفـ ـس ليس الفضل فى الحال

والرابع فى إنفاقها * فمنهم من ينفقها على وجه التبذير والاسراف ، تارة فى

البنيان الزائد على مقدار الحاجة وتزويق الحيطان وزخرفة البيوت وعمل الصور . وتارة فى اللباس الخارج بصاحبه الى الكبر والخيلاء ، وتارة فى المطاعم الخارجة الى السرف . وهذه الافعال لا يسلم صاحبها من فعل محرم أو مكروه وهو مسئول عن جميع ذلك *

وباسناد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « ياابن آدم لا تزول قدماك يوم القيامة بين يدي الله عز وجل حتى تسأل عن أربع عمرك فيما أفنيته وجسدك فيما أبليته ومالك من أين اكتسبته وأين انفقته * ومنهم من ينفق فى بناء المساجد والقناطر إلا أنه يقصد الرياء والسمعة وبقاء الذكر فيكتب اسمه على ما بنى ولو كان عمله لله عز وجل لا كتفى بعلمه سبحانه وتعالى ولو كلف أن يبنى حائطا من غير أن يكتب اسمه عليه لم يفعل * ومن هذا الجنس اخراجهم الشمع فى رمضان في الانوار طلباً للسمعة ومساجدهم طول السنة مظلمة لان اخراجهم قليلا من دهن كل ليلة لا يؤثر فى المدح ما يؤثر في إخراج شمعة في رمضان وقد كان اغناء الفقراء بثمن الشمع أولى ولربما خرجت الاضواء الكثيرة السرف الممنوع منه غير ان الرياء يعمل عمله . وقد كان احمد بن حنبل يخرج الى المسجد وفى يده سراج فيضعه ويصلى * ومنهم من اذا تصدق أعطى الفقير والناس يرونه فيجمع بين قصده مدحهم وبين إذلال الفقير * وفيهم من يجعل منه الدنانير الخفاف فيكون في الدينار قيراطان ونحو ذلك وربما كانت رديئة فيتصدق بها بين الجمع مكشوفة ليقال قد اعطي فلان فلاناً ديناراً وبالعكس من هذا كان جماعة الصالحين المتقدمين يجعلون في القرطاس الصغير ديناراً ثقيلا يزيد وزنه على دينار ونصف ويسلمونه الى الفقير فى سر فاذا رأى قرطاساً صغيرا ظنه قطعة فاذا لمسه وجد تدوير دينار ففرح فاذا فتحه ظنه قليل الوزن فاذا رآه ثقيلا ظنه يقارب الدينار فاذا وزنه فرآه زائداً على الدينار اشتد فرحه فالثواب يتضاعف للمعطي عند كل مرتبة * ومنهم من يتصدق على الاجانب ويترك بر الاقارب وهم أولى * وباسناد عن سلمان بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « الصدقة على المسكين صدقة والصدقة على ذوى الرحم اثنتان صدقة وصلة » * ومنهم من يعلم فضيلة التصدق على القرابة الا أن يكون بينهما عداوة دنيوية فيمتنع من مواساته مع

علمه بفقره ولو واساه كان له أجر الصدقة والقرابة ومجاهدة الهوى * وقد روى عن أبي أيوب الانصارى قال قال رسول الله ﷺ « ان أفضل الصدقة الصدقة على ذى الرحم الكاشح » *

قال المصنف رحمه الله ، وانما قبلت هذه الصدقة وفضلت لمخالفة الهوى فان من تصدق على ذى قرابة بحبة فقد اتفق على هواه * ومنهم من يتصدق ويضيق على أهله فى النفقة * وقد روى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول » وباسناد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تصدقوا فقال رجل عندى دينار فقال تصدق به على نفسك. قال عندى دينار آخر قال تصدق به على زوجتك قال عندى دينار آخر قال تصدق به على ولدك . قال عندى دينار آخر قال تصدق به على خادمك قال عندي آخر قال أنت أبصر به» * ومنهم من ينفق فى الحج ويلبس عليه إبليس بأن الحج قربة وانما مراده الرياء والفرجة ومدح الناس . قال رجل لبشر الحافى . اعددت ألفى درهم للحج . فقال احججت قال نعم قال اقض دين مدين قال ما تميل نفسى الا الى الحج قال مرادك أن تركب وتجيء ويقال فلان حاجي * ومنهم من ينفق على الاوقات والرقص ويرمي الثياب على المغنى . ويلبس عليه إبليس بأنك تجمع الفقراء وتطعمهم وقد بينا ان ذلك مما يوجب فساد القلوب * ومنهم من اذا جهز ابنته صاغ لها دست الفضة ويرى الامر فى ذلك قربة وربما كانت له ختمة فتقدم مجامر الفضة ويحضر هناك قوم من العلماء فلا هو يستعظم ما فعل ولا هم ينكرون اتباعا للعادة * ومنهم من يجور فى وصيته ويحرم الوارث ويرى انه ماله يتصرف فيه كيف شاء وينسى انه بالمرض قد تعلقت حقوق الوارثين به * وباسناد عن أبى أمامة قال قال رسول الله ﷺ « من حاف عند الوصية قذف في الوباء » والوباء واد في جهنم . وعن الاعمش عن خيثمة قال قال رسول الله ﷺ « ان الشيطان يقول ما غلبنى عليه ابن آدم فلن يغلبنى على ثلاث آمره بأخذ المال من غير حقه وآمره بانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه »

﴿ فصل ﴾ وقد لبس إبليس على الفقراء فمنهم من يظهر الفقر وهو غنى فان أضاف الى هذا السؤال والاخذ من الناس فانما يستكثر من نار جهنم * اخبرنا ابن

الحصين باسناده عن محمد بن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «من سأل الناس أموالهم تكثراً فانما يسأل جمراً فليستقل منه أو ليستكثر» وان لم يقبل هذا الرجل من الناس شيئاً وكان مقصوده باظهار الفقر أن يقال رجل زاهد فقد رآي . وان كتم نعمة الله عنده ليظهر عليه الفقر لئلا ينفق ففي ضمن بخله الشكوى من الله *

وقد ذكرنا فيما تقدم أن رسول الله ﷺ رأى رجلا بادي الهيئة فقال «هل لك من مال . قال نعم . قال فلتر نعمة الله عليك» . وان كان فقيراً محقاً فالمستحب له كتمان الفقر وإظهار التجمل فقد كان في السلف من يحمل مفتاحا يوهم أن له داراً ولا يبيت إلا فى المساجد*

﴿ فصل ﴾ ومن تلبيس إبليس على الفقراء انه يرى نفسه خيراً من الغني إذ قد زهد فيما رغب ذلك الغنى فيه وهذا غلط وان الخيرية ليست بالوجود والعدم وانما هي بأمر وراء ذلك*

﴿ فصل ﴾ وقد لبس ابليس على جمهور العوام بالجريان مع العادات وذلك من أكثر أسباب هلاكهم * فمن ذلك أنهم يقلدون الآباء والاسلاف فى اعتقادهم على ما نشؤا عليه من العادة فترى الرجل منهم يعيش خمسين سنة على ما كان عليه أبوه ولا ينظر أكان على صواب أم على خطأ . ومن هذا تقليد اليهود والنصارى والجاهلية أسلافهم وكذلك المسلمون يجرون فى صلاتهم وعباداتهم مع العادة فترى لرجل يعيش سنين يصلى على صورة ما رأى الناس يصلون ولعله لا يقيم الفاتحة ولا يدرى ما الواجبات ولا يسهل عليه أن يعرف ذلك هوانا بالدين ولو أنه أراد تجارة لسأل قبل سفره عما ينفق فى ذلك البلد ، ثم ترى أحدهم يركع قبل الامام و يسجد قبل الامام ولا يعلم أنه اذا ركع قبله فقد خالفه فى ركن فاذا رفع قبله فقد خالفه فى ركنين فبطلت صلاته وقد رأيت جماعة يسلمون عند تسليم الامام وقد بقى عليهم من التشهد الواجب شيء وذاك أمر لا يحمله الامام فتكون صلاته باطلة * وربما يترك أحدهم فريضة وزاد فى نافلة *وربما أهمل غسل بعض العضو كالعقب وربما كان فى يده خاتم قد حصر الاصبع فلا يديره وقت الوضوء ولا يصل الماء الى ما تحته فلا يصح وضوؤه وأما بيعهم وشراؤهم فا كثر

عقودهم فاسدة ولا يتعرفون حكم الشرع فيها ولا يخف على أحدهم أن يقلد فقيها فى رخصته استقلالا منهم للدخول تحت حكم الشريعة * وقل أن يبيعوا شيئا الا وفيه غش و يغطيه عيب * والجلاء يغطى عيوب الذهب الردىء حتى أن المرأة تضع الغزل فى الانداء وتنديه ليثقل وزنه *

ومن جريانهم مع العادة أن أحدهم يتوانى في صلاته المفروضة فى رمضان ويفطر على الحرام ، ويغتاب الناس ، وربما لو ضرب بالخشب لم يفطر في العادة لأن في العادة استبشاع الفطر * ومنهم من يدخل في الربا بالاستئجار فيقول معى عشرون ديناراً لا أملك غيرها فان أنفقتها ذهبت وأنا أستأجر بها داراً وآ كل أجرة الدار ظنا منه ان هذا الامر قريب * ومنهم من يرهن الدار على شيء ويؤدى الربا ويقول هذا موضع ضرورة وربما كانت له دار أخرى وفى بيته آلات لو باعها لاستغنى عن الرهن والاستئجار ولكنه يخاف على جاهه أن يقال قد باع داره أو انه يستعمل الخزف مكان الصفر * ومما جروا فيه على العادات اعتمادهم على قول الكاهن والمنجم والعراف وقد شاع ذلك بين الناس واستمرت به عادات الاكابر فقل أن ترى أحداً منهم يسافر أو يفصل ثوبا أو يحتجم إلا سأل المنجم وعمل بقوله ولا تخلو دورهم من تقويم وكم من دار لهم ليس فيها مصحف . وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الكهان «فقال : ليسوا بشيء . فقالوا يارسول الله إنهم يحدثون احيانا بالشيء يكون حقا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فينقرها فى أذن وليه نقر الدجاجة فيخلطون فيها أ كثر من مائة كذبة *

وفي صحيح مسلم عن النبى ﷺ أنه قال « من أتى عرافا فسأله عن شىء لم تقبل له صلاة اربعين ليلة» * وروى أبو داود من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ انه قال « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد برىء مما انزل على محمد ﷺ »* ومن جريانهم مع العادات كثرة الايمان الحانثة التى أ كثرها ظهار وهم لا يعلمون فأ كثر قولهم فى الايمان حرام علىّ أن بعت ، ومن عاداتهم لبس الحرير

والتختم بالذهب وربما تورع أحدهم عن لبس الحرير ثم لبسه في وقت كالخطيب يوم الجمعة ، ومن عاداتهم إهمال انكار المنكر حتى أن الرجل يرى أخاه أو قريبه يشرب الخمر ويلبس الحرير فلا ينكر عليه ولا يتغير بل يخالطه مخالطة حبيب ، ومن عاداتهم أن يبنى الرجل على باب داره مصطبة يضيق بها طريق المارة وقد يجتمع على باب داره ماء مطر ويكثر فيجب عليه ازالته وقد أثم بكونه كان سببا لأذي المسلمين ، ومن عاداتهم دخول الحمام بلا مئزر وفيهم من اذا دخل بمئزر رمي به على فخذيه فيرى جوانب اليتيه ويسلم نفسه الى المدلك فيرى بعض عورته ويمسها بيده لان العورة من السرة الى الركبة ثم ينظر هؤلاء الى عورات الناس ولا يكاد يغض ولا ينكر. ومن عاداتهم ترك القيام بحق الزوجة وربما اضطروها الى ان تسقط مهرها ويظن الزوج انه قد تخلص بما قد اسقطته عنه * وقد يميل الرجل الى إحدى زوجتيه دون الأخرى فيجور فى القسم متهاونا بذلك ظناً ان الأمر فيه قريب * فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال من كانت له امرأتان يميل الى احدهما على الاخرى جاء يوم القيامة يجر احدى شقيه ساقطا او مائلا » ومن عاداتهم اثبات الفلس عند الحاكم ويعتقد الذى قد حكم له بالفلس انه قد سقطت عنه بذلك الحقوق وقد يوسر ولا يؤدي حقا . وفيهم من لا يقوم من دكانه بحجة الفلس الا وقد جمع مالا من اموال المعاملين فاضر به ينفقه في مدة استتاره وعنده ان الامر فى ذلك قريب . ومما جروا فيه على العادات ان الرجل يستأجر ليعمل طول النهار فيضيع كثيراً من الزمان إما بالتثبط فى العمل او بالبطالة او باصلاح آلات العمل مثل ان يحد النجار الفأس والشقاق المنشار ومثل هذا خيانة الا ان يكون ذلك يسيراً قد جرت العادة بمثله * وقد يفوت اكثرهم الصلاة ويقول انا فى اجارة رجل ولا يدرى ان اوقات الصلاة لا تدخل فى عقد الاجارة * وقلة نصحهم فى اعمالهم كثيرة ومما جروا فيه على العادة دفن الميت فى التابوت وهذا فعل مكروه وأما الكفن فلا يتباهى فيه بالمغالاة ينبغي أن يكون وسطا * ويدفنون معه جملة من الثياب وهذا حرام لانه اضاعة المال ويقيمون النوح على الميت ، وفى صحيح مسلم ان النبي ﷺ قال « ان النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » ومن عاداتهم اللطم

وتمزيق الثياب وخصوصاً النساء * وفي الصحيحين ان النبي ﷺ قال « ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود ودعى بدعوى الجاهلية » وربما رأوا المصاب قد شق ثوبه فلم ينكروا عليه لا بل ربما أنكروا ترك شق الثوب وقالوا ما أثرت عنده المصيبة . ومن عاداتهم يلبسون بعد الميت الدون من الثياب ويبقون على ذلك شهراً أو سنة وربما لم يناموا هذه المدة فى سطح . ومن عاداتهم زيارة المقابر في ليلة النصف من شعبان وايقاد الدار عندها واخذ تراب القبر المعظم * قال ابن عقيل لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن اوضاع الشرع الى تعظيم اوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت عليهم اذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم كفار عندى بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور واكرامها بما نهى الشرع عنه من ايقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالالواح وكتب الرقاع فيها يامولاى افعل بى كذا وكذا واخذ التراب تبركا وافاضة الطيب على القبور وشد الرحال اليها والقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى ولا تجد في هؤلاء من يحقق مسألة في زكاة فيسأل عن حكم يلزمه : والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكهف ولم يتمسح بآجرة مسجد المأمونية يوم الاربعاء ولم يقل الحمالون على جنازته أبو بكر الصديق او محمد وعلى . ولم يكن معها نياحة . ولم يعقد على أبيه ازجا بالجص والآجر ولم يشق ثوبه الى ذيله ولم يرق ماء الورد على القبر ويدفن معه ثيابه *

(فصل) وأما تلبيس إبليس على النساء فكثير جداً وقد أفردت كتاباً للنساء ذكرت فيه ما يتعلق بهن من جميع العبادات وغيرها وأنا أذكر ههنا كلمات من تلبيس ابليس عليهن فمن ذلك ان المرأة تطهر من الحيض بعد الزوال فتغتسل بعد العصر فتصلي العصر وحدها وقد وجبت عليها الظهر وهي لا تعلم وفيهن من تؤخر الغسل يومين وتحتج بغسل ثيابها وغسلهم ودخول الحمام : وقد تؤخر غسل الجنابة فى الليل الى ان تطلع الشمس . فاذا دخلت الحمام لم تتزر بمئزر وتقول ما تدخل إلى الا القيمة . وربما قالت أنا وأختي وأمي وجاريتي وهن نساء مثلي فمن أستتر وهذا كله حرام . فان تأخير الغسل من غير عذر لا يجوز ولا يحل للمرأة أن تنظر من المرأة ما بين سرتها وركبتها ولو كانت ابنتها وأمها الا أن تكون البنت صغيرة فاذا

بلغت سبع سنين استترت واستتر منها وقد تصلى المرأة قاعدة وهى تقدر على القيام فالصلاة حينئذ باطلة . وقد تحتج بنجاسة فى ثوبها من بول طفلها وهي تقدر على غسله ولو أرادت الخروج الى الطريق لتهيأت واستعارت وانما هان عندها أمر الصلاة وقد لا تعرف من واجبات الصلاة شيئا ولا تسأل . وقد ينكشف من الحرة ما يبطل صلاتها وتستهين به . وقد تستهين المرأة باسقاط الحبل ولا تدرى أنها اذا أسقطت ما قد نفخ فيه الروح فقد قتلت مسلما وقد تستهين بالكفارة الواجبة عليها عند ذلك الفعل فانه يجب عليها أن تتوب وتؤدى ديته الى ورثته وهى غرة عبد أو أمة قيمتها نصف عشر دية أبيه أو عشر دية الأم ولا ترث الأم من ذلك شيئا ثم تعتق رقبة فان لم تجد صامت شهرين متتابعين . وقد تسيء الزوجة عشرتها مع الزوج وربما كلمته بالمكروه وتقول هذا أبو أولادي وما بيننا هذا وتخرج بغير إذنه وتقول ما خرجت فى معصية ولا تعلم أن خروجها بغير اذنه معصية . ثم نفس خروجها لا يؤمن منه فتنة . وفيهن من تلازم القبور وتحد لا على الزوج وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : لا يحل لامرأة تؤمن بالله ورسوله ان تحد على ميت الا على زوج أربعة أشهر وعشرا . ومنهم من يدعوها زوجها الى فراشه فتأبى وتظن هذا الخلاف ليس بمعصية وهى منهية عنه لما روي أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فأبت فباتت وهو عليها ساخط لعنتها الملائكة حتى تصبح » أخرجاه في الصحيحين وقد تفرط المرأة فى مال زوجها ولا يحل لها أن تخرج من بيته شيئاً الا أن يأذن لها أو تعلم رضاه . وقد تعطى من ينجم لها بالحصى ويسحر ومن تعمل لها نسخة محبة وعقد لسان وكل هذا حرام ، وقد تستجيز ثقب آذان الأطفال وهو حرام . فان أفلحت وحضرت مجلس الواعظ فربما لبست خرقة من يد الشيخ الصوفى وتصالحت فصارت من بنات المنبر فخرجت الى عجائب ، وينبغى أن تكف عنان العلم اقتصاراً على هذه النبذة فان هذا الأمر يطول ولو بسطنا النبذ المذكورة فى هذا الكتاب أو شيدنا ردنا على من رددنا عليه بالاحاديث والآثار لاجتمعت مجلدات ، وانما ذكرنا اليسير ليدل على الكثير وقد اقتنعنا فى ذكر فاحش القبيح

من أفعال الغالطين بنفس حكايته دون تعاطى رده لان الأمر فيه ظاهر والله يعصمنا من الزلل ويوفقنا اصالح القول والعمل بمنه وكرمه*

﴿ الباب الثالث عشر ﴾

« فى ذكر تلبيس ابليس على جميع الناس بطول الأمل »

قال المصنف رحمه الله . كم قد خطر على قلب يهودى ونصرانى حب الاسلام فلا يزال ابليس يثبطه ويقول لا تعجل وتمهل فى النظر فيسوفه حتى يموت على كفره وكذلك يسوف العاصى بالتوبة فيجعل له غرضه من الشهوات ويمنيه الانابة كما قال الشاعر :

لا تعجل الذنب لما تشتهى وتأمل التوبة من قابل

وكم من عازم على الجد سوفه ، وكم ساع الى مقام فضيلة ثبطه . فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه فقال استرح ساعة او انتبه العابد فى الليل يصلى فقال له عليك وقت . ولا يزال يحبب الكسل ويسوف العمل ويسند الامر الى طول الامل فينبغي للحازم أن يعمل على الحزم والحزم تدارك الوقت وترك التسويف والاعراض عن الأمل فان المخوف لا يؤمن والفوات لا يبعث وسبب كل تقصير فى خير، أو ميل الى شر طول الأمل فان الانسان لا يزال يحدث نفسه بالنزوع عن الشر والاقبال على الخير الا أنه يعد نفسه بذلك ولا ريب أنه من أمل أن يمشي بالنهار سار سيراً فاتراً ومن امل أن يصبح عمل في الليل عملا ضعيفاً ومن صوّر الموت عاجلا جد ، وقد قال ﷺ « صل صلاة مودع » وقال بعض السلف : أنذركم سوف فانها أكبر جنود ابليس : ومثل العامل على الحزم والساكن لطول الامل كمثل قوم فى سفر فدخلوا قرية فمضى الحازم فاشترى ما يصلح لتمام سفره وجلس متأهباً للرحيل : وقال المفرط سأتأهب فربما أقمنا شهراً ، فضرب بوق الرحيل فى الحال فاغتبط المحترز واعتبط الآسف المفرط فهذا مثل الناس فى الدنيا منهم المستعد المستيقظ فاذا جاء ملك الموت لم يندم ومنهم المغرور المسوف يتجرع مرير الندم وقت الرحلة فاذا كان

فى الطبع حب التواني وطول الامل ثم جاء ابليس يحث على العمل بمقتضى ما في الطبع صعبت المجاهدة الا أنه من انتبه لنفسه علم أنه في صف حرب وأن عدوه لا يفتر عنه فان فتر فى الظاهر بطن له مكيدة وأقام له كمينا ونحن نسأل الله عز وجل السلامة من كيد العدو وفتن الشيطان وشر النفوس والدنيا انه قريب مجيب جعلنا الله من اولئك المؤمنين *

تم والحمد لله اولا وآخرا

كلمة لمصححه وناشره

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله ومن تمسك بهديه ووالاه *

أما بعد فيقول مصحح هذا الكتاب وناشره «محمد منير عبده أغا الدمشقي الازهري» قد تم بحول الله وتوفيقه طبع «كتاب تلبيس ابليس» لعالم الآفاق وواعظ العراق الامام الحافظ الكبير أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله وجعل الجنة مأواه

وقد بذلت جهدى في تصحيحه ومراجعة أصوله وكان لدىّ حين شرعت في طبعه للمرة الاولى نسختان خطيتان مختلفتا التاريخ ووقفت للمرة الثانية بنسخة ثالثة فجاءت هذه الطبعة خيراً من سابقتها بكثير والحمد لله فنشكر الله على جزيل نعمه وسوابغ مننه . والله ارجو القبول فانه خير مسؤول *

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿تم والحمد لله﴾


Bibliotheca Alexandrina
0426071